

فى مجال الدعوة الإسلامية

من فىض المنان
فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

ىحتوى على مائة خطبة حديثة
فى مختلف الموضوعات والمناسبات الدينية

إعداد

الأستاذ الدكتور
محمود عبد الرحيم فراج
الأستاذ المساعد بجامعة
الأزهر
رحمه الله - تعالى - وأثابه
د. محمد سيد سلطان عبد
الرحيم
المدرس بجامعة الأزهر

فضيلة الشيخ
محمد سيد السمين
إمام وخطيب بوزارة
الأوقاف
رحمه الله - تعالى - وأثابه
أ.د./ عبد الكريم أحمد
الموازن
الأستاذ المساعد بجامعة
الأزهر

1427 هـ / 2006 م

الطبعة الأولى
1427 هـ - 2006 م

مكتبة الإيمان بالمنصورة
ت : 2257882

إهداء

إلى روح العالمني الجليلين
والشيخين الفاضلين
والراجلين الكريمين

الأول: فضيلة الشيخ محمد سيد السمين
الذي كان علما في حقل الدعوة إلى الله تعالى بوزارة
الأوقاف - رحمه الله تعالى رحمة واسعة

والثاني: الأستاذ الدكتور / محمود عبد الرحيم فراج
الأستاذ المساع - د ف - ي ك ل ي - ة اللغ - ة العربي ة -
جامعة الأزهر - فرع أسيوط والذي شغل حياته
بالدعوة إلى الله تعالى حتى آخر لحظة من حياته

رحمه الله تعالى رحمة واسعة
وجعل هذا العمل صدقة جارية لهما وعلمنا بشفعه به إلى الله تعالى
ومن عليها إلى ساء الله تعالى

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونعوذ بالله - تعالى - من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حق قدره ومقداره العظيم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }

[سورة آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

[سورة النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

[سورة الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد

فإن أصدق الحديث لكاتب الله، وخير الهدى هدى سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار⁽¹⁾.

ثم إن المسجد في الإسلام له رسالة أساسية في الحياة الإسلامية فهو يقوم بمهمة كبيرة دعوية وتنقيفية وتربوية، وهو قلب المجتمع الإس لامي وملقى المؤمنين بالغدو والأصال لأداء حقوق الله تبارك وتعالى واستلهم الرشد والبر

(1) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يسقئ بها خطبه ودروسه ومواظبه.

واستمداد العون منه جل شأنه.

وهو مصدر عاطفية وفكرية بعيدة المدى خصوصاً أيام الجُمع.

عندما تقبل جموع المسلمين لأداء هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام، منصتة للإمام خاشعة لله، وهى تتلقى ما تتلقاه من تعاليم الإسلام وبيان حدود الله تعالى التى أمر بالوقف عندها وعدم التعدى عليها، فيكونوا على فقه فى دينهم وعلى بصيرة بها فى الكتاب والسنة من أوامر ونواهٍ وآداب، وسائر ما يجب على المسلم أن يفقهه، وأن يكون على بينة منه، فلا أحد يستطيع إنكار دور الكلمة وتأثيرها فى النفوس، وغزوها للمشاعر والأحاسيس، حتى إن أعداء الإسلام حينما أدركوا ذلك، حاولوا بث اتجاهها بقم الفكرية ونشرها، عن طريق الكلمة مسموعة أو مقروءة.

وذلك بدوره يفرض على الداعية ذل المزد من الجهد والوقت فى قراءة كل جديد مفيد، وأن ينوع فى قراءاته من: دينية، وأدبية، وتاريخية، وإنسانية، وغير ذلك من أنواع الثقافات التى لابد منها لجميع السالكين لمجال العلم والتدريس والدعوة إلى الله، فليس هناك وقت يقف فيه المسلم عن القراءة والاطلاع فالعلم بحر لا ساحل له، والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: **{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}** [سورة طه: 114].

فكلما أكثر الداعية من القراءة والاطلاع، استطاع تبصير الناس جميعاً والناشئة منهم خاصة، وتأديبهم بآداب دينهم الذى يبنى نفوسهم ويهذب أحلامهم وإلا كانوا أسرى للأفكار المعوجة، والمبلدى غير المستقيمة وديننا الحنيف يبنى ولا يهدم ويصون ولا يبدد ويحافظ على القيم الرفيعة والمثل الإنسانية النبيلة، فرسول الإنسانية ﷺ، هو القائل صلوات الله وسلامه عليه **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

هذا ولا بد للداعية أن يجرد نيته - لله تعالى - وأن يجاهد نفس ه للتخلص من حظوظها من حب الظهور، وحب المدح والثناء ومراعاة الناس، فإن الناس لن يغنوا عنه من الله شيئاً، وليجعل نصب عينيه {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ} [الأنعام: 163]. فهذا الإخلاص هو الذى يجعل لكلامه حلاوة ويمنحه قوة التأثير فى الآخرين، فقد قيل: إن الكلام إذا خرج من القلب دخل فى القلب وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الأذان.

والكلمة إذا كانت صادقة فهى كلمة باقية مثمرة حية بحياة أصحابها بل وبعد مماتهم والله در القائل:

بين الجوارح فى الأعماق سكناها فكيف تنسى ومن فى الناس ينساها
الأذن سامعة والعين دامعة والروح خاشعة والقلب يهواها

وقد ترجم هذه المعانى كلها الفقيه المالكي والعالم الألمعى الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندرى، فى حكمه الشهيرة، فقال: "تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث صار التنوير وصل التعبير " وذلك ثمرة حسن يقينهم وإخلاصهم لله فى جميع أعمالهم الظاهرة والباطنة، فالأمور كلها بيد الله - تبارك وتعالى - وحده لا شريك له، فأهل الإخلاص دوماً يلجأون إلى خالقهم، راجين أن يتولى لهم أمراً قلوب عباده بأن يجعل فيها أهلية لقبول ما يلقى عليهم من الحكمة والموعظة الحسنة، فيتلقون هذه المواعظ كما تتلقى الأرض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم الانتفاع وأكملها، والحقيقة التى لا شك فيها كما يقول الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندرى - رحمه الله تعالى - معللاً لكلامه السابق.

"كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز".

فكلام المخلصين لله رب العالمين فى جميع أعمالهم لا تمجه الأسماع ولا تنكره القلوب، بل يقع منها موقعاً حسناً؛ لأن الله - عز وجل - ألقى عليه المحبة وغشاه بالقبول "أما أولئك الذين يأمرؤن الناس بالبر وينسون أنفسهم فكلامهم يبرز وعليه غشاوة، فلا ينتفع به أتم الانتفاع وق د ينتفع به من جهة حقيقته

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

ومضمونه، لا من جهة قائله، وهذا من قبيل "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر كما قال سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه -.

روى الحافظ أبو نعيم - رحمه الله - عن سعيد بن عاصم قال: كان قاص يجلس قريباً من مجلس محمد بن واسع يقول: ما لى أرى القلوب لا تخشع وما لى أرى العيون لا تدمع وما لى أرى الجلود لا تقشعر، فقال محمد بن واسع يا عبد الله ما أرى القوم أوتوا إلا من قبلك إن الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب.

فعلى الداعية أن يتسلح بسلاح الإخلاص ويتحلى به حتى يكون كلامه صورة من نفسه المؤمنة ومعبرا عن سلوكه الرشيد، فلا يدعو الناس إلى شئ وهو يعمل بضده وينهاهم عن أمر متورط فيه فيقول له الناس فى قرارة أنفسهم وربما تجرأوا عليه بالسنتهم:

وغيرتقى يأمر الناس بالتقى :::: طبيب يداوى والطبيب مريض والله در القائل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً :::: إذا عبت منهم أموراً أنت تأتيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها :::: وأن تكثر منهم رغبة فيها

وصدق الله العظيم القائل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَرُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 2، 3].

ويسأله - سبحانه - أن يسد لسانه ويرزقه التوفيق من عنده - عز وجل - وأن يوقع موعظته فى قلوب المتلقين موقع القبول فيشفعوا بها ويعملوا بما فيها، فإن القلوب لدى مقلبيها الذى خلقها، وهو الذى يقلبها كيف يشاء، ويصرفها وفق ما يريد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وما التوفيق إلا منه - سبحانه وتعالى - وما العون إلا من عنده. ورحم الله القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى :::: فأول ما يجنى عليه اجتهاده
وإن لنسأل الله - جلّت قدرته - التوفيق والعون والقبول.

وبعد: فهذه مجموعة من خطب الجمعة أعدت وجمعت ورتبت ثم طبعت فى هذا الكتاب رغبة فى أن ينتفع بها الذين يعملون فى حقل الدعوة إلى الله وجميع المسلمين.

وهذه الخطب المدونة تشتمل على كثير من الأحكام والمبادئ الإسلامية فى العقيدة والأخلاق والمعاملات، كما تتناول أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج، إضافة إلى المناسبات والأعياد الإسلامية وما يجب على المسلم أن يكون على معرفة به، من أمور دينه ودنياه.

وقد اعتمدت هذه الخطب على كتاب الله - عز وجل - وسنة الحبيب المصطفى ﷺ مع نسبة الآيات إلى سورها فى المصحف الشريف، وتخراج الأحاديث من مصادرها الأصلية والحكم عليها ما أمكن ذلك، إلى جانب الاستعانة بالحكم والأمثال والقصص الهادفة، وبعض الأشعار الحكيمة والأمثال المصححة حتى جاءت على هذه الصلوة التى بين يديك أيها القارئ الحبيب.

والقصد من ذلك كله الخير والنفع والانتفاع، وهو العليم بما فى النوايا والصدور، وإنا لنسأل الله العلى القدير أن تحظى بالقبول، وأن ينفع بها النفع الموصول، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

أ. د. / محمود عبد الرحيم فراج
الاستاذ بجامعة الأزهر

العبد الفقير / محمد سيد سلطان
المدرس بجامعة الأزهر

بنى عدى فى 9 من ذى الحجة عام 1424هـ

الموافق 2004/1/31م

* * * * *

مقومات الخطبة الناجحة

من المسلم به لدى أرباب الدعوة الإسلامية النابهين، أن الداعية الناجح القائم برسالته حق القيام، هو الذى يفى بإعداد موضوعه، ويعرضه عرضاً جيداً، ولذا فهو يقوم بنصيب موفور فى تثقيف الأمة والمضى بها قدماً إلى الأمام، بل ويدعم كيانه المادى والأدبى، ويصل غدها المأمول بماضيها المشرق المضى.

ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية وتحقيق هذا الهدف، فلا بد من أن نصل بخطب المساجد إلى المكانة اللائقة بها، وأن يكون المنبر مرآة بيضاء ناصعة لما اشتمل عليه الإسلام من معرفة صالحة، وتربية واعية مفيدة. ولا يتم هذا إلا إذا توافر فى الخطبة الزاد الروحى والثقافى المنظم، وذلك من خلال عدة أمور أبرزها:

- الوقوف فى الخطبة عند موضوع واحد، فلا يتشعب أطراف الموضوع ولا تتعد القضايا، فالخطيب الذى يتفرع منه الموضوع ويتشعب منه الحديث، لاشك أنه يكون سبباً فى تشتيت الأذهان بسبب انتقاله بالسامعين فى أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما حاول ذلك الخطيب أن يُجود فى اعتباره ومهما أولى من البيان الذى يجعله مسترسلاً متدفقاً فلن يصل إلى تحقيق الغاية المرجاة فى تكوين صورة عقلية واضحة المعاليم لتعاليم الإسلام السمحة. فالالتزام بالموضوع الواحد لا بد منه فى التربية؛ لأن التعميم والغموض لا ينتهيان إلى شئ تحته طائل فخطبة الجمعة ليست درساً نظرياً، بل هى حقيقة تشرح للناس دينهم، وتغرس فيهم من المثل والقيم ما يدفع الأمة إلى الأمام.
- أفكار الخطبة وعناصرها لا بد وأن تكون مترابطة متسلسلة أخذ بعضها بالبعض الآخر، بحيث إذا انتهى الخطيب من خطبته وصل معه السامعون إلى النتيجة المرتقبة التى يؤملها ويعمل من أجلها؛ ولذا فعليه أن يعرض من النصوص والآثار ما يمهد له ويعينه على الوصول إلى هذه الغاية، ومن أجل

هذه الغاية ينبغي على الداعية أن يضع في ذهنه صورة بيّنة واضحة المعالم والحدود لما يريد أن يقوله، بل عليه أن يراجع نفسه قبل الكلام ليطمئن تماماً إلى صحة القضايا التي يعرضها والشواهد التي يستدل بها، فإن كان قرآناً حفظه جيداً، وإن كان سنة رواها بدقة، وإن كان أثراً أدبياً أو تاريخياً فلا بد من مطابقته أو اقترابه من الأصول المنقول عنها، فترتيب الأفكار الناتجة عن الإعداد الجيد دلالة بينه على احترام الداعية لنفسه وسامعيه. وإذا كان هناك من المواقف ما يفرض على الخطيب الارتجال. دون إعداد سابق، فالواقع أن هذا الارتجال لا يتأتى إلا بعد طول دراية ومدارسة وحصيلة علم يقيم ما يجعله قادراً على اختيار الموضوع الذي يتناسب مع موقفه الذي فرض عليه الارتجال، ومع كل هذا فإن المهارة في الارتجال لا تغني الداعية عن الإعداد الجيد والتحضير المفيد.

● وإذا كانت الخطابة الدينية تستمد أصولها من المعاني الإسلامية المعتمدة على الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، فإن لحمتها وسداها يجب أن تكون من الحقائق المقبولة، وفي كتاب الله الحكيم وسنة نبيه الكريم ﷺ الواد الطيب للوعاظ والداعين إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا يطبق بالداعية الناجح أن يضمن خطبته أخباراً واهية، أو موضوعاً لا أساس لها من الصحة، وإذا كان من العلماء من تجوزوا في الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، فقد اشترطوا في هذه الأحاديث ألا تكون مخالفة لقواعد الإسلام المقررة، وأصوله العامة الثابتة وألاً يشتد ضعف هذه الأحاديث، ثم إن في الأحاديث الصحيحة الحسنة مجالاً رحباً للخطيب الفقيه المدرك لحقيقة ما يدعو إليه، وفي سيرة الرسول الكريم ﷺ وخلفائه الراشدين والأئمة المتبوعين ما يغني عن الأوهام والأساطير التي لا تغني شيئاً ولا تقدم نفعاً بل تضر وتسيئ.

● رسالة المسجد الحقة الجمع لا التفريق والعمل على وحدة الأمة بما تقدمه هذه الرسالة من مبادئ الإسلام وأصوله المقررة التي يؤمن الجميع بها؛ ولذا فالخطيب الموفق هو الذي لا يتعرض في خطبته للأمور الخلافية، ولا يتعصب

لوجهة نظر مذهبية محدودة، ولا يخوض فى المسا ئل التى يتعاون فى تقديرها وما أكثر العزائم والفضائل التى تصلح لنصائح نافعة. وخطب موفقة ناجحة، فجدير بالداعية أن يدعو إلى توحيد الصف وإطفاء الخصومات، ورأب الخلافات وبذلك يتم الجمع لا التفريق. والعلاقة بين الأحداث العابرة والملابسات المحيطة والجماهير المستمعة لا يمكن تجاهلها، فعلى الخطيب ألا يضيع موعظته بأن يكون كلامه فى واد، والناس والزمان والمكان فى واد آخر، ولأمر ما نزل القرآن الكريم مُنَجِّماً على ثلاث وعشرين سنة تجاوب مع الأحداث، وأصاب مواقع التوجيه إصرا بقاء رائعة.

● فالخطيب الناجح مثله كمثل الطبيب الماهر الذى يشخص الداء تشخيصاً سليماً ثم يضع له الدواء النافع، فعلى الداعية أن يكون على بينة من هذه الحقيقة فإذا تمكن من معرفة الداء اتضحت لديه أعراضه وأخطاره، رجع إلى الكتاب والسنة، فنقل الدواء إلى موضع الداء، وفى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الشفاء من جميع العلل الاجتماعية الشائعة، ولا يدرك ذلك إلا صاحب بصيرة وحرص وحقق، فالخطيب القاصر قد يأتى بدواء لا يتناسب مع طبيعة الداء ومن ثم يجانبه التوفيق والسداد، بل إنه فى هذه الحالة قد يضر بمجتمعه وأُمَّته فوق أنه قد يخطئ فى تحديد العلة منذ البداي ة فتكون الجريمة أشنع؛ لأن خطبته صارت لغوا من القول وإن احتوت على نصوص صحيحة، ولكن هذه النصوص وضعت فى غير موضعها اللائق بها. ومن ثم فما ينبغى مراعاته فى مجال الدعوة إلى الله، أن يكون الداعية على بصيرة وفهم وإدراك تام لم ا يهدف إليه النص الذى يسوقه وأن يضعه فى موضعه الصحيح. فهناك مثلاً من الأحاديث الصحيحة التى تسوق الأجزية الكبيرة على الأعمال الصغيرة، فعلى الداعية أن يدرك ما قرره العلماء والثقات فى هذا المجال ومن ذلك أن هذه الأحاديث ليست على ما نفهم منها لأول وهلة أو من خ لال النظرة العجلى، حيث إن هذه الأضر بة الكبيرة إنما هى لأهل الإخلاص فى العبادة والصدق فى الإقبال على

الله - عز وجل - وليس ذلك للأعمال الصغيرة التي اقترنت بها ومن أجل هذا فإن الداعية إذا ضمن خطبته شيئاً من هذه الأحاديث فيجب عليه ألا يسوقها سرداً مجرداً دون بَيِّنٍ المراد الحقيقي منها، وإلا أحدث اضطراباً وفوضى في ميدان التكاليف الشرعية.

● إن التربية الدينية القائمة على بيان الجوانب الخلقية والاجتماعية في ديننا الحنيف تعرض لشئون الحياة العامة والخاصة وتبرز جوانب الخير والشر وما يترتب على كل منهما من عواقب حميئة أو ذميمة، وهذا يدعو إلى داعية إلى التعرّيج على الأجزية الأخروية، وبيان ما أعدّه الله - تبارك وتعالى - في الآخرة للأبرار والفجار ولكن شريطة الاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والبعد عن الإسهاب والتفصيل في ذكر الأضرية المعيبة.

● فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما ينبوعا الهداية والإرشاد لجميع المسلمين وعلى الداعية أن يلتزم بهما ويستمد منهما وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة الاستعانة بإيضاح سبب نزول الآيات المستشهد بها كما ذكرها العلماء الثقات في أسباب النزول، وعليه أيضاً أن يذكر المناسبة التي ترتبط بالحديث المستشهد به فذكر الأساليب والمناسبات يساعد المتحدث والمجتمع على إدراك الصواب والالتزام به والوقوف عنده، خاصة وأن هناك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما لا تصح حقيقتها، وإدراك المراد منها إلا بذكر السبب أو المناسبة.

● إن الحركة العقلية والفكرية التي أحدثها القرآن الكريم، واليقظة الإنسانية التي صنعها رسول الإنسانية ﷺ أساس مبين في إعادة الثقة في نفس كل مسلم وإيضاح أن رسالة الإسلام رسالة عالمية، ولذا فمن الخير أن تتضمن الخطبة الدينية - إذا اقتضى الأمر - شيئاً من أمجاد المسلمين الأوائل في شتى مناحي الحياة، وتنويعها بالحضارة الحقّة التي استمدت أصولها الثابتة من القرآن الكريم والبيان النبوي الشريف.

● إن الفلسفات الأجنبية والنزعات الإلحادية التى تسربت إلى الأمة الإسلامية فى بعض الأحيان تدعوا الخطيب اللّاحج إلى ذود هذه المفسدات النفسية عن أبناء الأمة، وعرض الحقائق الإيجابية فى ديننا الحنيف، ورد الشبهات على أصحابها دون تجريح للآخرين أو إلحاق الأذى بهم؛ لأن الغاية التى يترتب عليها الخطيب فى هذا المجال هى حماية التراث الروحى والعلمى من كل ما يشوبه، والوصول إلى الحقيقة المنشودة.

● إن الإيجاز فى موضع الإيجاز فيه عون على إيضاح الحقائق وتثبيتها بل ويعمل ويساعد على جمّع المشاعر والأفكار حول ما يراد بيانه من تعاليم. فالكلام الكثير يبين بعضه بعضاً. بل ويفوت على الخطيب أهم الأهداف التى يريد عرضها وتبصير الناس بها أما الإيجاز المطلوب فمثله كمثل الأرض فى احتياجها إلى قدر محدود من البذور كيما تنبت وتؤتى ثمارها الطيبة، فإذا كثرت النباتات بها تعهدتها الزراعات باجتثاث الزائد منها كي يغطي البقية المقدرة على الثمار والعطاء، كذلك الحال بالنسبة للنفس الإنسانية، فهى تزكو فيها المعانى ولا تسريق إلا بتحديدتها وتقديمها فى صورة وجيزة واضحة؛ لأن بَعَثَرة الحقائق عن طريق الإطالة دون فائدة لا جدوى منها. ومن الأسباب التى تجعل الخطيب القاصر يلجأ إلى مثل هذه الإطالة: سوء الإعداد، فالخطيب الذى لا يحسن إعداد موضوعه، يلقى حديثه جُزَافاً دون مراعاة لما ينبغى أن تعتمد عليه فى الخطبة من إقناع واستمالة فهو لا يدرك مدى مبلغ قوله ومن ثم يضطر إلى التكرار والإطالة وهو لا يعلم أن هذا الصنيع لا يزيده عن جمهوره إلا بُعْداً، ومن هذه الأسباب المؤدية إلى الإطالة المخله بالقول سوء التقدير للوقت والموقف نفسه، ومنه أ: هذا الخطيب أنه لا بد وأن يقول ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا له. أرادوا أو كرهوا وهذا خطأ لئيم ودلالة لفقد لجمهوره، وفقد الجمهور له، وقد قيل إن فقدت الناس فقدوك. ومما يحكى فى بيان قيمة الإيجاز: أن أحد الرؤساء طلب من بعض الخطباء إلقاء خطبة فى بضع دقائق فقال أمهلونى أسبوعاً، فقبل

له نريدها فى ربع ساعة قال: أستطيع بعد يومين، قيل له: فإذ ا طلبناها فى ساعة؟ قال فأنا مستعد الآن، وهكذا يمكن أن نتبين مكانة الإيجاز القائم على الموازنة والاختيار والمحو والإثبات.

أما الكلام المرسل الخالى من الاختيار الجيد فلا تأثير له فى الأسماع ويكون سبباً فى انصراف الناس عن هذا الخطيب العيى.

ومن ثم فلا تعجب إذا وجدت من الخطباء النابهين أو المحاضرين المعدودين من لا يزيد فى قوله المفيد النافع عن عشر دقائق معدودات أو خمس عشرة دقيقة. فهذا الوقت لا شك كاف فى الإقناع والاستمالة ما دام ال داعية قادراً على ذلك فى أوجز عبارة وقد قال أرباب البيان: من المعلوم أن البلاغة الإيجاز.

* * * * *

الدعوة⁽¹⁾

الدعوة لغة يراد بها عدة معان. فمنها كما جاء فى القاموس المحيط. الرغبة إلى الله. والفعل دعاء، ومصدره الدعاء والدعوى. والداعى يطلق على الرسول ﷺ وعلى المؤيدين ودعا الأب ابنه بكذا من الأسماء أى سماه. وادعى كذا زعم أن له حقاً. والاسم الدعوة والدعاوة. والدعوى الحلف والدعاء إلى الطعام. و الدعوة بالكسر الادعاء فى النسب. ويقال دعوت ودعيت.

واصرطلاحاً هى: حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.

وهى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام بمقتضى أنها خير أمة أخرجت للناس. بما تقوم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبما جاء فى وصف المؤمنين الذين أذن لهم فى القتال فى قوله تعالى:

{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج: 41].

فالواجب دعوة الناس إلى الإسلام فإن أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيه عن المنكر.

النوع الثانى: دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخَيْر وأن يأتَمروا فيما بينهم بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ويقوم بهذا النوع والذى قبله خواص هذه الأمة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع وهم المشار إليهم بقوله تعالى: {قُلْ لَا نَفَرٍ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ

(1) هذه الفصول مأخوذة من كتاب "الدعوة الإسلامية - علماً وعملاً -" لفضيلة الشيخ/ إبراهيم الدسوقي مرعى - وزير الأوقاف الأسبق.

إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122].

النوع الثالث: ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض. ويستوى في ذلك الخاصة والعامة في الدلالة على الخبي والترغيب فيه والنهي عن الشر والتحذير منه كل بقدر استطاعته وذلك هو التواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي جعله الله آية الإيمان وسبيل النجاة من الخسران في قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} [سورة العنبر].

* * * * *

الوعظ والإرشاد

أما الوعظ فهو الموعظة والعظة - بمعنى النصيحة والتذكير بالعواقب - سواء كان بالاستمالة والترغيب أم كان بالزجر والترهيب. قال ابن سيدة: هو تذكير الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب يقال وعظته فاتعظ إذا أثرت فيه الموعظة وأفادته.

وفى الاصطلاح: يطلق على - القول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس - ويكبح جماع النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية. أما الإرشاد: فهو الهداية إلى الطريق الموصول إلى المطلوب. والرشاد والرشد بضم الراء والرشد بفتحات كما فى القاموس. الهداية والاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، يقال استرشد الشخص إذا طلب ال رشد أو اهتدى. وقد يطلق الوعظ والإرشاد فى عرف الخطباء على الخطابة الدينية سواء أكانت تعظيمية لبيان المسائل الشرعية الاعتقادية أو العملية أو الخلقية، أم تأديبية لإيقاظ الناس من غفلتهم بالتذكير والإنذار.

وإجمالاً فالوعظ هو النصيحة والتذكير بالخير والحق على ال وجه الذى يرق له القلب ويبعث على العمل. والإرشاد الحث على الخير والتحذير من الشر.

وغايته: صلاح المعاش والمعاد والفوز بسعادة الدارين. وفضله عظيم وشرفه جسيم فإنه متعلق بطب الأرواح وعلاج النفوس لتصل إلى السعادة؛ وذلك لأن الإنسان مركب من جسم وروح. وكلاهما عرضة للأمراض والعلة فهو محتاج إلى طبيب ومتشوف إلى علاجين علاج الجسم وعلاج الروح. ولا شك أن أفضل الطبيب ما عالج أشرف الجزئين. كما أن طب الأجسام قد يصادف ذا روح شريرة فتكون صحتها فساداً وشرّاً على المجتمع ومحال أن يكون هذا فى طب الأرواح فهو دائماً مفض إلى الخير والصلاح.

وقد يطلق الوعظ ويراد منه: استثارة الـ لمشاعر الدينية بكل ما ينبهها من رقتها لتنبعث إلى عمل الخير وإلى الثبات على الحق.

كما أن شرفه يرجع بجانب ما تقدم إلى ما يأتى:

(أ) لأنه وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن على سُنَّتِهِم.

(ب) تعلقه بأشرف الأمور وأخطرها وهى الأمور الروحية.

(ج) غايته سعادة الحياة بالتحلى بالفضيلة والتخلى عن الرقيصة ثم الفوز بالسعادة الدائمة فى الآخرة.

* * * * *

فضل الوعظ والإرشاد وآثارهما

قد يسأل سائل فيقول: ما الحاجة إلى الوعظ والإرشاد؟ وبين أيدينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعندنا من العلماء ما قد يزيد عن حاجة السائلين والمسترشدين ولا شك أن لدى أولئك العلماء بالكتاب والسنة من الكفاية فى العلم والحفاظ على الدين ما يغنينا عن هذه الجهود الضخمة التى نبذلها فى سبيل الوعظ والإرشاد ونجند جنداً يكلفنا الكثير من الوقت والمال. ونجيب على ذلك بما يأتى:

قد يكون هذا الكلام مقبولاً لو كان الناس جميعاً على مستوى واحد من العلم بالكتاب والسنة والإحاطة بجميع ما جاءت به الرسالة السمحة من أحكام وتفصيل ومن القدرة على قياس الأشباه والنظائر ومن الحرص على الاتباع والبعد عن الابتداع.

أما عندما ننظر إلى الطباع البشرية وما اتسمت به من سرعة القلب والتلون واليقبل لعوارض الشهوات ومعارض الشبهات وما هى بإزائه من عوامل الغواية ودوافع العماية فإننا سنجد الأمر أكبر وأعظم مما نزن، يقول تعالى: {وَرَبُّكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِنَّا لَتَرْجِعُونَ} [الأنبياء: 35]. وقال

تعالى: {وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوِسْ قَنْوْطٌ} [فصلت: 49]، ويقول: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَنٌّ هَيْدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العديات: 6-8]. وقال: {أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [الكاثر: 1-2].

وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ خطب يوماً فى جمع من أصحابه فقال: «إنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها».

والحق أن الإنسان خلق ضعيفاً متحولاً متق ليهلاً لا يكاد يثبت على حال أو يستقر فى قرار وأن التبدل والتغير شيمة كل زمان وطبيعة كل مجتمع مهما كان تاريخه من الفضيلة.

فعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أنه قال: لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه "إلا الصلاة" قال الأوزاعى: "فكيف لو كان اليوم" قال عيسى: "فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان".

وعن أنس رضى الله عنه قال: "ما أعرف منكم ما كنت أعهد على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم لا إله إلا الله قلنا بلى يا أبا حمزة قل ال قد صليتم حتى تغرب الشمس. أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ".

ولقد كان ذلك فى الصدر الأول فكيف لو رآنا؟ ألا ما أجدرنا بأن نقوم للوعظ على قدم وساق وأن نعد له العدة من الرجال والذخيرة من الوقت والمال، وأن نخلص النية ونقصد الخي ونعمل على نشر الأخلاق الحية القوية ثم نرضى ربنا ونكون قد أدينا الأمانة التى نيطت بنا.

وقد يقال "إن الوعظ محض عبث؛ لأن الأخلاق مبنية على الغرائز التى لا تتحول والطباع التى لا تتبدل. ومن هؤلاء البراهمة الذين اعتقدوا أن الشر طبيعة الوجود وأن الحياة رجس لا يطهره إلا الانسلاخ من الحياة إما بالتجرد والزهد أو تقديم نفسه قرباناً لله، ومن هؤلاء العرب المتشائمين أبو العلاء المعرى الذى كان

لا يرى للوعظ فائدة لكثرة ما جرب الناس واختبرهم فلم تزده التجربة إلا يأساً
وقنوطاً وهو القائل:

وما قبلت نفس من الخير لفظه ::: وإن طال ما فاهت به الخطباء
ويقول:

وإن مازت الناس أخلاق يعاش بها ::: فإن هم عند سوء الطبع أسواء
أو كان كل بنى حواء يشبهنى ::: فبئسما ولدت فى الخلق حواء

وحتى عند فلاسفة العصر الذين انتهت إليهم تجارب الإنسانية نراهم وقد
وقعوا فى الخطأ نفسه وذهبوا إلى أن التعاليم بكل ما فيها من وعظ وإرشاد لن
تقدم ولن تؤخر شيئاً بإزاء الفطرة الممنوحة والطبيعة التى برئ عليها كل إنسان.
يقول شوبنهاور الفيلسوف الألمانى: "يولد الناس أحياناً أو أشراراً كما يولد
الحمل وديعاً والنمر مفترساً. وليس لعلم الأخلاق إلا أن يصف سيرة الناس
وعوائدهم كما يصف التاريخ الطبيعى حياة الحيوان".

ويقول الفيلسوف كانت الألمانى: "إن الذى يشاهد موقف الإنسان فى ظرف
معين ويعرف سوابق تصرفاته فى مثل هذا الموقف، يستطيع أن يتنبأ صادقاً بما
سيفعله فى مثل هذا الظرف المعين كما يتنبأ العالم الفلكى بكسوف الشمس
وخرسوف القمر فى ساعة محددة".

ويقول اسبينوزا الفيلسوف الهولندى "إن أفعال الناس كغيرها من سائر
الظواهر الطبيعية تحدث ويمكن استنتاجها بالضرورة الم نطقية الهندسية كما
يستنتج من طبيعة المثلث أن زواياه الثلاث تساوى زاويتين قائمتين".

ويقول ليفى برول الفيلسوف الفرنسى "إن ميولنا الحسنة أو القبيحة التى
نجئ بها إلى هذا العالم عند ولادتنا هى طبيعتنا. فكيف نكون مسئولين عن طبيعة
هى ليست من عملنا أو على الأقل ليست من عملنا الشعورى الاختيارى".

ويقول هيوم الانجليزى "إن شعورنا بالمسئولية ليس إلا وهما وداعا".

وإذا كنا لا نلهم بعض الشعراء والمتفلسفين القدماء ؛ لأنهم لم يكونوا فى

عصر تقدمى علمى ولم تكن التجارب قد أصبحت فنا له قواعده ومنهجه فإن
المحدثين وقد كانوا بتجاربههم فى مأمن من الزلل بهذا الرأى ما كان يسوغ منهم
هذا الرأى.

"نقد هذا الرأى":

لقد تسرع هؤلاء الحكماء والشعراء والفلاسفة قدامى ومحدثون فى أحكامهم
ولم يعطوا الاستقراء حقه.

أولاً: فى أن الحكم على خلق إنسان عادى صحيح العقل قد لا يثبت على حال
واحد، فبينما نراه على صلاح وتقوى حفياً، إذ به ينقلب، إلى عكس ذلك، فهل
كان ذلك جائزاً لو كانت الطبائع لا تتغير خصوصاً وعلم النفس يقرر أن الأخلاق
تتغير بتغير العوالم.

ثانياً: ما قولهم فى أن بعض الناس قد يستمر طويلاً على خلق حتى يظن أنه
لن يتغير فإذا به ينقلب فجأة إلى ضده بسبب عظمة سمعها أو حادثة وقعت له،
وأخبار التائبين ليست منا ببعيد.

ثالثاً: كيف تنكر صلاحية الطبع الإنسانى للتحول مع أن التربية والتهديب
يحولان طباع البهائم والسباع من الشريرة والعصيان والضراوة، إلى الاعتدال
والطاعة والاستئناس.

رابعاً: إذا كان هؤلاء يذكرون ما للوعظ والإرشاد والتعليم من قيمة فضلاً
عن ما يترتب على ذلك من إبطال الحكمة فى إرسال الرسل وما لجهود
المصلحين من أثر، فماذا يقولون فى سلوك الجـ ماعات وأخلاقها قديماً. وهل
كانت الجاهلية العربية قبل الرسالة المحمدية تشبه عصر النبى والخلفاء من
بعده؟ ألا ما أبعد الفرق حين يكون الإنصاف للحقيقة والتاريخ.

* * * * *

الحاجة إلى الدعوة

لكل ما تقدم نرى أن الوعظ والدعوة إلى الله لها قيمتها التى لا ينكرها إلا مكابر وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمران لهما أهميتهما فى الدين وأن أحداً من المستنيرين لا يجهل ما لهما من آثار طيبة فى قيادة الجماعات والأفراد إلى ما فيه مصلحة المجتمع ورفقيه وفلاحه.

والدعوة الإسلامية يوم قامت لم تهتم بللبجوش المؤلفة ولا بالأساطيل القويق، ولكن بما يحمل الدعاة من نفس طاهرة وروح كاملة حركت لسان الدعوة بالحق. ودفعت الدعوة إلى الأخذ بكل أسباب الإرشاد للخلق، ونأت بهم عن اللمم إلى السبيل السوى المستقيم.

وحسبنا أنها كانت وظيفة الأنبياء والمرسلين، وسبيل المفكرين والمصلحين منذ عرفت الإنسانية نفسها. وأنه ما قام إصلاح اجتماعى إلا كانت الدعوة طريقه، ولا هلكت أمة فى الأرض إلا حين أعرضت عن الدعوة وقصرت فى حقها. ولم يُلخِذ عقلاؤها على يد سفهائها.

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِ مِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت: 14].

وقال: {وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} [هود: 50].

وقال: {وَلَمَّا بَلَغَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} [الطلاق: 8-9].

وقال: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} {

وروى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجة وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِّ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلَهُ وَشَرَّيْبَهُ وَقَعِيدَهُ». فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: لعن الذين كفروا - إلى قوله - فاسقون. ثم قال ﷺ: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْتَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. ثُمَّ لَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا أَوْ لِيُضْرِبَنَّ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ يَلْعَنُكُمْ كَمَا يَلْعَنُهُمْ» - لِنُطْرُئِهِ بِكَسْرِ الطَّاءِ وَالضَّمِّ الرَّاءِ، لَتُرَدَّنَّهُ وَبَابُهُ ضَرْبٌ، وَلَتَقْصُرُنَّه بضم الصاد والراء تمنعه من محادثته وبابه نصر.

وعن حذيفة - رضى اهاء عنه - عن ال رضى ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْتَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ». رواه الترمذى وقال: حديث حسن إلى غير ذلك من الآيات والأخبار. ولا ينافى وجوب الدعوة قول الله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: 105]. فإن معنى الآية، أنكم إذا فعلتم ما وجب ع لطيئ فلا يضرركم تقصير غيركم، مثل قوله: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء: 15].

وهذه شبهة عرضت لـ لمسلمين فى ال صدر الأول - روى أحمد والترمذى وأبو يعلى وغيرهم من حديث قيس بن حازم قال: قام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: 105]. وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَإِذَا رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ فَلَمْ يَغْيُرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ».

وشرط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدرته عليه. واحتمال
الفائفة منه، وإن لم تكن الامتثال، وألا يخاف ملكوها يناله، وألا يترتب عليه
محذور آخر. فإذا لم تتوفر هذه الشروط سقط الوجوب وبقي الجواز.

* * * * *

الدعاة ومكانتهم

لقد كانت الدعوة إلى الله الوظيفة الأولى للرسل وكانوا فرسانها وأبطالها
الأوائل، وكان خاتم الرسل ﷺ آخرهم، ومن بعده حمل لواء الدعوة الخلفاء
الراشدون وأمرأؤهم على الأمصار.

وفى هذا العهد لم يعرف من خصص نفسه للدعوة أو من وقف حياته عليها
حتى برز طابع الملك فى العهد الأموى وكثر عدد الناس واختلقت أجناسهم
ومشاربهم وظهر الابتداع وتضاربت الآراء والأقوال، فعند ذلك رأى قوم من
أجلاء العلماء والحفاظ أن يفرغوا أنفسهم وجهودهم للوعظ والإرشاد مبتغيين
بذلك وجه الله وحده.

وكان رائدهم على هذا الطريق كما سبق - الحسن البصرى - التابعى الجليل
المولود سنة إحدى وعشرين هجرية، سمع من بعض كبار الصحابة وروى عن
بعضهم، وكان تقياً صالحاً ورعاً غزير العلم لا يرى معاصروه له نظيراً،
وعاش إلى أن ولى القضاء لعمر بن عبد العزيز سنة 99هـ، سمعته السيدة عائشة
رضى الله عنها يتكلم فقالت من هذا الذى يتكلم بكلام الصديقين، وقيل لعلى بن
الحسن رضى الله عنهما أن الحسن البصرى يقول: ليس العجب لمن هلك كيف
هلك، وإنما العجب لمن نجا كيف نجا، فقال على: "سبحان الله هذا كلام صديق".

وعلى نهج هذا الإمام الجليل درج الرجال فى هذا المجال بمكة والمدينة
وبصرة وبغداد التى امتازت على غيرها من مدن العالم الإسلامى بكثرة فقهاءها
المحدثين ووعاظها المذكرين حتى كان الوعظ على نحو ما رأينا، ونرى من

سير الوعاظ والمربين الذين كان لهم فى هذا المجال قدم صدق سجلوا به أنفسهم فى الخالدين.

والدعاة إلى الله رجالان: صاحب رسالة، وموظف اتخذ الدعوة سبيلاً للعيش وطريقاً للحياة.

فصاحب الرسالة أشرف الرجلين، ومقصده أنبل المقصدين، وهو إنسان يعيش فى الناس، ويرى نفسه فى المجتمع جزءاً من كل، وعضواً فى جسم يتأثر به ويؤثر فيه، ويكمّله ويكتمل به، ويصدر فيما يأتى ويذر عن عقيدة تدفعه وتوجهه وإيمان بما يدعو. يسرى مسرى الدم فى كيانه. ويحفزه إلى العمل الصالح لخيره وخير الناس ابتغاء فضل الله ورضوانه، وأما الموظف. فإنه إنسان قليل الهمة هزيل الغاية تافه المقصد. سقيم الفكر قاصر الإدراك لا يكاد يرى من خلال الكون على سعته ورحابته غير شخصه، ولا يتجاوز بحواسه ومشاعره غير ما يتصل بنفسه. إنه إنسان طمس معالم الإنسانية فيه وبتر وجوده فى الحياة فأحال الدنيا قبراً يضره ويؤوبه. إنه بين الناس الحى الميت. الذى أنعم الله عليه فكفر بالنعمة وأراده ليكون خليفة فلم يرض إلا الدون منزلة تكون له.

ألا حيا الله أصحاب الرسالات لتسعد بهم الإنسانية وتسمو بأعمالهم البشرية ويعيش الناس فى ظلال ما وقفوا حياتهم له من فكر سديد وهدى رشيد كرماء أعزاء سعداء.

* * * * *

صفات الدعاة

الدعوة إلى الله فى الأصل وظيفة الأنبياء والمرسلين، والسادة العلماء نواب عنهم فهم أمناء الله على شرعه. والحافظون لدينه والقائمون على حدوده، والعارفون بما يجب له جل شأنه، إذا فعلوا لحظته م العيون، وإذا قالوا أصغت إليهم الأذان، ووعت القلوب وحكت الألسنة، وهم الحجة البالغة والبره ان القاطع والنور الذى يهتدى به الناس أجمعون، {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: 33]. أى دعا إلى توحيده وطاعته وعمل صالحاً فيما بينه وبين ربه واتخذ الإسلام ديناً، فليس أحد أعظم شأنًا ولا أسعد حالاً ممن جمع بين هذه الفضائل، وما هم إلا طبقة العلماء العاملين والدعاة الصادقين من ذوى القلوب الحية والإيمان العميق والإخلاص الصحيح.

ومن هنا كانت وظيفتهم خطيرة ومسئوليتهم عظيمة، وتزداد جسامة وخطراً حين يتصدون للدعوة والإرشاد، ومن ثم فإنه يجب أن تتوفر فى الدعاة إلى الله الصفات الآتية:

(أ) أن يكونوا ممن كملت نفوسهم وتهذبت أخلاقهم ورشدت عقولهم.. وأن يعملوا بما علموا وأن يلتزموا ما رسمه الشرع وملء قلوبهم خشية الله عز وجل. لا يفعلون ما يفعلون خشية الناس أو خوف القانون.

(ب) العلم باللقاب والسنة وما صح من أقوال الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح رضوان الله عليهم، وبالقدر الكافى من الأحكام وأسرار التشريع مع الصدق فى نشرها والإخلاص فى تبليغها.

(ج) العمل بالكتاب والسنة والتطبيق العملى لهما فى واقع الحياة سواء فى نفسه أو أهله أو عشيرته حتى لا يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون، وحتى لا يكذب قوله فعله، قال مالك بن دينار: "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا" وقال الإمام الغزالي: "أما الوعظ فليست

أهلاً له؛ لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاض فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة " والله عز وجل يقول: {الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ يَتَذَكَّرُونَ آلَهُمْ وَهُمْ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ كَثْرَتُهُمْ وَلَهُمْ عِلْمٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 44].

والشاعر العربي يقول:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانها عن غيرك فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يسمع ما تقول ويشتفي بال قول منك وينف ع التعليم

(د) أن يكون بصيراً بأحوال الناس خبيراً بأمورهم عليمًا بالطريق الذي منه يسوسهم. ويأخذ بهم إلى حيث عزهم ومجدهم، الصبر عدته، وتحمل الأذى في سبيل الله خلقه وشيمته، متمثلاً قول الله عز وجل: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ إِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [الرحمة: 44].

(هـ) الداعية لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً، فإن استجاب الناس لما دعا فتلك أمنيته وإلا فقد بلغ، وإلى الله الحساب وحسبه أن أعذر المدعوين. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأعراف: 164].

(و) أن يكون سياسياً حكيماً يأتي الناس من الطريق الذي يعرفونه ليصل بهم إلى الإيمان بما ينكرون من حيث لا يشعرون، ويسقيهم الدواء مضافاً إليه من المواد ما يغطي مرارته ويجعله مقبول المذاق.

(ز) أن يكون حليماً واسع الصدر. فكمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب. وحسبنا في هذا قول الله لإمام الداعين: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159].

(ح) أن يكون شجاعاً لا يهاب في الحق أحداً ولا تأخذه في الله لومة لائم، ففي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. وقال ﷺ: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم لي ظالم فقد تودع منهم».

ط) العفة واليأس مما في أيدي الناس فمن يؤس مما في أيدي الناس استغنى عنهم فيبقى سيداً محبوباً جليلاً مهاباً، قال ﷺ: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر. وصل صلاة مودع. وإياك وما يعتذر منه» وقال أبو سعيد الحسن البصري. (لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم فإن فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه). وقال أعرابي لأهل البصرة: من سيدكم. قالوا: الحسن البصري. قال: بم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى عنهم. فقالوا: ما أحسن هذا! يضاف إلى ذلك القناعة والرضا فالحرص والانهماك لا يليقان بالداعية.

س) قوة البيان وفصاحة اللسان فبهما يملك الداعية القلوب ويستطيع التأثير في الأفراد والجماعات، وقد سأل موسى ربه على نحو ما ورد في القرآن قوله تعالى: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي} [طه: 27، 28].

ك) العلم بأحوال الناس الذين يوجه دعوته إليهم من حيث طباعهم واستعدادهم وأخلاقهم وتاريخهم... "أى حالهم الاجتماعية" والإلمام بأطراف التاريخ العام ليكون على بينة مما يصلح أمر المدعوين، وتقوم دعوته على أساس صحيح وكذا دراسة علم النفس لمعرفة ما يصلح به شأن المدعوين وما يلائمهم وعلم تقويم البلدان ليعد لكل بلد عدته إذا أراد السفر إليه، وقد كان الصحابة على علم بالتاريخ والجغرافيا والأخلاق ولغات الأمم التي يراد دعوتها. وقد ورد عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود، قال زيد حتى كتبت للنبي ﷺ كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه، ودراسة علم الاجتماع الذي يبحث في أحوال الأمم في بداوتها وحضارتها وأسباب ضعفها وقوتها وتأخرها وتقدمها على نحو ما ورد في مقدمة ابن خلدون.

ل) قوة الثقة في الله - تعالى - ووعدته وكمال الرجاء في حصول الفائدة مهما طال العلاج وكثرت المصائب وله في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة.

(م) النواضع ومجانبة الرياء والعجب، ذلك حتى لا يحبط عمله قال ﷺ :
 «قلبي العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء علماً إذا عبد الله - عز وجل -
 وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه».

(ن) أن لا يكتُم الناس ما يعلم، ولا يمتن ع من تبليغ ما يعلم. قال ﷺ : «لا تمنعوا العلم أهله، فإن في ذلك فساد دينكم والتباس بصانركم». ثم قرأ: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ { [البقرة: 159]. وعن أبي هريرة رضى الله عنه: لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداً بشيء أبداً، ثم تلا هذه الآية.

وفى الصحيح. عن النبي ﷺ : «ليبلغ الشاهد منكم الغائب. وقال: من علم علماً فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار». أخرجه أبو داود.

وأن يتسم بالوقار والرزانة بحيث يمسك عن فضول الكلام، وكثرة الحركة والإشارة فيما يستغنى عنهما، والتحفظ من التبذل بالهزل القبيح ومخالطة أهله وحضور مجالسه وحفظ اللسان عن فاحش القول وكل ما يعاب، وأن يكون على الهمة يترفع عن الدنيا ويغضب لانتهاك الحرمات. وأن يتجمل بالصبر في مقام الدعوة إلى الله ويتحلى بالصدق والأمانة وأن يتحرز بطاعة الله من معصيته فالعمل بمقتضى الدين يورث ملكة العلم والحكمة، وبهما ينال الداعية حسن ثواب الدنيا والآخرة. كما يجمل بالداعية أن يتخلق بخلق الأصفياء من عباد الله. فيكون ورعاً يتقى الشبهات ويتعدى عن مواطن الريبة والتهم وأن يسعى في كل ما هو خير فيتفانى في خدمة الدين ويصلح بين المسلمين ويحمل لواء الحرب على المنكرات والبدع بالحكمة والموعظة الحسنة. وأن يتحلى بالإخلاص في عمله وأن يراقب ربه في سره وعلنه. وأن يكون أسوة حسنة في قوله وفعله وجميع ما يصدر عنه.

والداعية متى توفيت فيه هذه الصفات كان أهلاً للقيام بهذا العمل الجليل.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

وكان موضع الرجاء فى النفع وكان مأمون الجانب على دين الله وعلى الناس.
والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل.

* * * * *

آداب يلتزمها الداعى إلى الله مع المدعوين:

إذا كان الداعية إلى الله له آداب يلتزمها فى نفسه ومقومات لا يكون بدو نها
الداعية الناجح فى دعوته، فإن اقبال جماهير المستمعين عليه إنما يتم حينما
يتألفهم بدعوته ويستهوهم بعظته وقد يكون ذلك بما يأتى:

1- أن يصرف من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بتلويح فى المقال
وتعريض فى الخطاب ما أمكن فالتعريض أبلغ من التصريح وأعظم تأثيراً فى
قلب السامع. اقرأ إن شئت قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ
يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا
أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا
تُغْنِي عَنْهُمْ شِفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ} [يس: 20 - 25]. والمتأمل فى هذه الآيات يرى هذا المنهج الذى لا
يثير غضباً ولا يحدث فتنة. فإن صاحب "يس" لم يعمد إلى نصح أهل القرية بما
فيهم صراحة. وإنما كان يتحدث عن نفسه بما يريد أن يصرفهم عنه. على حد
قولهم "إياك أعنى واسمعى يا جارة" وذلك حين أنكر قومه على رسل عيسى
دعوتهم ذكرهم بأوصاف المرسلين التى تعمل على انتابعتهم وعرض بنفسه فيما
كان يريد منهم.

2- ومنها التلطف فى القول والترفق فى المعاملة مع تحرى الإقناع. قال
تعالى: {وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الزحل: 125]. بالنسبة للمعاندين. وقال: {وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ: 24]. وروى أبو أمامة أن غلاماً شاباً
أتى النبى ﷺ فقال يا نبى الله: أتأذن لى فى الزنا؟ فصاح الناس به. فقال النبى ﷺ:

«قريبوه: أدن». فدننى حتى جلس بين يديه. فقال النبى ﷺ: «أتجبه لأمك» قال: لا جعلنى الله فداءك. قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتجبه لابنك؟» قال: لا جعلنى الله فداءك. قال: «لكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتجبه لأختك؟». وزاد ابن عوف أن ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة. لا. جعلنى الله فداءك. فوضع الرسول ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه. وحصن فرجه. فلم يكن شئ أبغض إليه من نكاح الزنا. رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

3- ومنها أن يذكره بخير ويصفه بجميل كأن يبين ماله من حسب وما فيه من فضل وما يتمتع به من نعمة. ثم بعد ذلك يوجه العظة التى يريد بها؛ ذلك لأن الذى يرى نفسه ساقطاً لا يبالي ما يفعل. ألا ترى قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: 47]. وما أعقب هذه الآية من قوله سبحانه. {وَأَنشَأُوا يَوْمًا لَّا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} [البقرة: 48]. وقوله جل شأنه: {ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: 2]. أى فإن شكر الله على أن نجى آبائهم من الغرق بفضل طاعة نوح وإخلاصه يوجب عليهم طاعته وعدم الإشراف به ومعصيته.

4- ومنها أن يكون له فِرَاسَة يتعرف بها حال السامعين و مبلغ طاقتهم وإقبالهم على الاستماع. والفِرَاسَة . التعرف بالظن الصائب. يقال تفرست فيه الخير تعرفته بالظن الصائب ومنه (اتقوا فِرَاسَة المؤمن).

وفى الحكم الماثورة "من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك " وقال عمر بن الخطاب: إذا أنا لم أعلم ما لم أر فلا علمت ما رأيت. وقد حكى عبد الله بن وهب قال: قال الخضر لموسى. يا طالب العلم. إن القائل أقل ملالة من السامع فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم ياموسى. واعلم أن قلبك وعاء فانظر ما تحشو فى وعائك.

وجلس ابن السماك يوماً للوعظ وجاريته تسمع كلامه فقال لها: كيف سمعت كلامى. فقالت هو حسن لولا أنك تردده. فقال أردده كي يفهمه م م ن لم يفهمه. فقالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه يملئه من فهمه. فخير المرشدين من لا يقل ولا يمل.

5- ومنها أن يتجنب الخوض فى دقائق علم الكلام وقضاياه التى اختلفت فيها الآراء وتنوعت الأفهام. كخلق الأفعال ورؤية الله عز وجل وما شاكل ذلك حتى لا يلبس على المستمعين ويشككهم فيما يعتقدون أو يدخل عليهم من الريبة ما به لا يطمنون.

فلا يتحدث إلى العوام بما لا يفهمونه ولا يستسيغون معناه فذلك وضع للحكمة فى غير موضعها فقد أخرج أبو داود أن رسول الله ﷺ نهى عن الغلوطات قيل هى جمع أغلوطة قالوا: وهى صعاب السائل أو شرارها، وفى مسلم مرفوعاً عن ابن مسعود. "ما أحد يحدث أحداً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم" وأخرج البخارى موقوفاً على على - رضى الله عنه - أنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون. أتحبون أن يلجذب الله ورسوله".

6- ألا يصرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا تحتملها الألفاظ كما فعلت الباطنية حين رفضوا الأخذ بظواهر القرآن والحديث بحجة أن لهما ظاهراً وباطناً وأن المراد ظاهرها لا باطنها كدعوى القاديانية التى يلقب اتباعها بالأحمدية. ح ين قالوا: أنه المسيح المبشر به وبعودته إلى الأرض وأنه كان يوحى إليه وأنه نسخ فريضة الجهاد ولو للدفاع عن الدين أو الوطن.

7- أن يتحاشى الداعية السجع المرذول. فقد قال ﷺ: «إياكم وسجع الكهان حين قضى بغرة فى جنين امرأة ضربت ١٥ أخرى فسقط ميتا على عاقلة الضاربة». فقال قائل: كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل. ومثل

دمه يطل. وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت لكاتب. إياك والسجع فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون. فإذا كان السجع نتيجة فصاحة ال داعى أو محفوظاً فلا بأس به. فمن دعائه ﷺ فى الصحيحين. «اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحز اب اهزمهم وانصرنا عليهم». وتعويذ النبى ﷺ للحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة».

وأما الأشعار فالإكثار منها مذموم قال تعالى: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء:224]. وقال: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [يس: 69]. وعلى هذا فإنه من الخير للواعظ ألا يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة ظاهرة أو حكمة نادرة.

* * * * *

الرضا بالقضاء والقدر

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى
وَتِلْكَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر: 1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله إمام الأنبياء والمرسلين، وسيّد ولد آدم أجمعين، وأكرم الأُولي ن والآخرين ورحمة الله للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد صلاة تنصلح بها أحوالنا ويحيى بها مقالنا ونخلص بها من أحوالنا ويحسن بها حالنا فى حياتنا وبعد انتقالنا، وارض اللهم عن آل الطيبين الطاهرين وعن أصحابه العز المجاهدين الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه فرضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه، وارض اللهم عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم وفيهم بركاتك يا أرحم الراحمين.

ثم أما بعد

فليأيها المسلمون/

يقول الحبيب المصطفى ﷺ : «إن الله - عز وجل بقسطه جعل الفرح والروح في الرضا و اليقين، وجعل الحزن والغم في السخط والشك » (1)، في هذا الحديث العظيم يبين الحبيب المصطفى ﷺ عدل الحق تبارك وتعالى وحكمته - سبحانه - فيها قضى وقدر وأرضى عباده المؤمنين بما قضى وقدر وقسم، فهو - سبحانه - جعل الفرح والروح في قلب من رضى بقضاء الله وقدره، وأيقن بثوابه وجزائه، فالعبد المؤمن راضٍ عن ربه تبارك وتعالى - وقد قال الحق تبارك وتعالى في وصف المؤمنين {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [البينة: 8]. رضى الله عنهم لأنهم راضون به - سبحانه وتعالى - ربا وحكما عدلاً مقسطا فيما قضى وقدر وقسم، فالرضا تاج المؤمنين المتقين في هذه الحياة الدنيا ذلك بأن العبد المؤمن يتقلب دائما بين النعمة والبلية، فهو إما في نعمة وإما في بلية، ومعه سلاحان يتسلح بهما، سلاح الشر والصلح والرضا بما قضاه الحق تبارك وتعالى فإذا كان في نعمة حمد الله - تبارك وتعالى - كما كان يفعل رسول الله ﷺ كان ينظر إلى نعم الحق تبارك وتعالى دائما بعين الشكر والرضا فهو ﷺ كان إذا أكل حمد الله تعالى وقال : «الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» (2) وإذا شرب ماء قال «الحمد لله الذى سقانا عذبا فُرَاتًا يوحى به، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا» (3) وإذا ركب دابة قال: «الحمد لله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون » (4) وكان إذا خرج من قضاء حاجته قال إن الحمد لله الذى أذهب عني الأذى وعافانى (5) وإذا رأى

(1) رواه الطبراني من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه أبو نعيم في الحلية.

(4) رواه أبو داود والترمذى والنسائى.

(5) رواه الطبراني.

مبتلى في بدنه قال: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثير من خلقه وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»⁽¹⁾، وإذا أصابته نعمة في نفسه أو أهله أو ماله قال: «الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات»⁽²⁾، وإذا أصابه مكروه في نفسه أو أهله أو ماله أو عزيز لديه قال: «الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار، الحمد الذي لا يحمد على مكروه سواه»⁽³⁾.

هكذا كان رسول الله ﷺ حامدا راضيا عن الله - تبارك وتعالى - فيما قضاه وقدره وقسمه، يحمد الله في السراء ويحمد الله في الضراء، فهو متيقن أن الله - تبارك وتعالى - هو خالق كل شيء وأنه رب كل شيء وأنه حكيم عليم وأنه أحكم الحاكمين وأنه أرحم الراحمين وأنه خير الراحمين، فأى فعل يفعله الحق - سبحانه وتعالى - فرسول الله ﷺ يعلمنا الرضا عن الله - تبارك وتعالى - فيما قضاه وقدره وقسمه فهو الأسوة والقُدوة ﷺ في الرضا عن الله تبارك وتعالى - لذا يقول - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الإمام مسلم عنه: «ذاق طعم الإيْمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا».

فالذى يرضى بالله ربا لا بد وأن يسلم كل أمر إليه - سبحانه وتعالى - بأن يرضى ظاهراً وباطناً عن أهم- تبارك وتعالى - فيما قضاه وقدره وقسمه، وبذلك يضع الحق تبارك وتعالى في قلبه الروح والرضا والسكون إلى الله تعالى فيما قضاه الله تعالى وقدره

ولا يكون ذلك إلا للمؤمن العارف بحكمة الله وسبحانه وتعالى في أفعاله - سبحانه التي لا تخلو عن حكم ة، فهو العليم الحكيم أزلا وأبداً ولا يزال عليماً حكيماً، فالمؤمن يعلم تمام العلم أن الفرح والروح في رضا الله سبحانه - عنه وهو القائل - سبحانه - {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [الفتح: 4] والرضوان هو الرضا

(1) رواه أحمد الترمذى.

(2) رواه ابن النجار.

(3) رواه ابن النجار.

الكثير، ورضوان من الله أكبر من الجنة كما قال المفسرون، {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ: [72].

فللذى يرضى عن الله - تبارك وتعالى - ينال الرضوان الكثير من الله -
تبارك وتعالى - الذى هو أعظم من الجنة وما فيها، فالمؤمن دائما يبحث عن
مواطن الرضا من الله - تبارك وتعالى - فالله راضٍ عنه وهو راضٍ عن الله -
تبارك وتعالى - فهما قضاءه وقدره أزلا؛ لأن المومن يتقلب - كما علمنا - بين
البلية والنعمة، فهو دائما فى ازدياد من رضوان الله - تبارك وتعالى - الذى حبيه
إليه فهو يحب عبده المؤمن فى الرضا عنه - تبارك وتعالى - لأن الله راضٍ عنه
وهو راضٍ عن الله - تبارك وتعالى - فالرضا متبادل بين الله - تبارك وتعالى -
وعبده المؤمن الذى علم علما يقيناً أن رضاه فيما رضى الله - تبارك وتعالى
وعبده المؤمن الذى علم علما يقينا أن رضاه فيما رضى الله - تبارك وتعالى
عنه، " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " (1).

وفى دعاء الاستخارة يعلمنا رسول الله ﷺ كيفية الرضا عن الله - تبارك
وتعالى: «اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك
العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت
تعلم أن هذا الأمر - يعنى الذى يستخير المؤمن فى ه ربه - خير لى فى دينى
ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال: عاجل أمرى وأجله فأقدره لى ويسره لى ثم
بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة
أمرى أو قال عاجل أمرى وأجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير
حيث كان ثم رَضِّنِي بِهِ» (2) فمما يطلب الخيرة من الله - تبارك وتعالى - ثم
يطلب منه الرضا كما قضاءه الله - تعالى - وقدره؛ لذا يقول سيدنا جابر بن عبد

(1) رواه البخارى ومسلم من حديث جابر بن عبد اهى رضى الله عنهما

(2) رواه الطبرانى فى الأوسط.

الملك راوى حديث الاستخارة: " كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ".

فمى كنز من كنوز النبوة ﷺ لى لكل مؤمن هم بأمر أن يفعلها فما خاب من استخار ولا ندم من استشار (1) " لى اقال عليه الصلاة والسلام، فى دعاء الاستخارة منتهى التفويض ومنتهى الرضا ومنتهى السكون إلى ما قضاه الحق - تبارك وتعالى - وقدره.

ه لى يعيش المؤمن فى سفينة الحياة التى تضطرب أ مواجها ولكن يسكنها المؤمن بطمأنيته وسكونه ورضاه عن الله - تبارك وتعالى - وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ فهذا هو سيدنا سعد بن أبى وقاص كان رجلا مستجاب الدعوة كما هو معلوم فى مناقبه - رضى الله تعالى عنه - حيث قال له رسول الله ﷺ : «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» (2).

جاءه أهل المدينة وقد كبر سنه، جاءوه ليدعوا لهم فكان يدعو لهم بما يريدون فقال له بعضهم: ألا تدعو الله تبارك وتعالى - حتى يكشف عن بصرى - وقد أصابه العمى، قال يا بُرِّى قضاء الله أحب إلى. وهو رجل مستجاب الدعوة عند الله - تبارك وتعالى - يدعو للناس بما يريدون وقد أصابه العمى فى بصره فاستحيا من الله - تبارك وتعالى - أن يرد عنه قضاءه، وقال: " قضاء الله أحب إلى " إنه لدرس عظيم من سيدنا سعد بن أبى وقاص يلقنه للمسلمين الذين يتقون بقضاء الله وقدره.

وه اهو ذا سيدنا عمران بن الحصين - رضى الله تعالى عنه - ورضى الله عنا به - مكث ثلاثين سنة مطروحا على سرير له، وقد أصابته البواسير حتى وضعوا إناء له تحت السرير لينزل فيه الدم من دبره - زاره أخوه سيدنا عبد الله

(1) التوبة: 72.

(2) ذلكو المحب الطبرى فى الرياض النضرة بنحوه.

بن الشخير - رضى الله عنه - فبكى بلاء شديدا رحمة به وشفقة على حاله وطول رقدته فقال له سيدنا عمران - رضى الله عنه - مطمئنا إياه ومبشرا له أنه راضٍ عن الله - تعالى فيما قضاه، قال له: ألا أقول لك شيئا ولكن اكتم عني حتى أموت، إن الملائكة تزورنى وتسلم على.

هذه عاقبة الرضا عن الله - تبارك وتعالى - مكث ثلاثين سنة مطروحا على ظهره ينزل منه الدم وقد أصابه فى نهاية عمره الاستسقاء وهو داء يدل على فساد فى الكبد ولكنه يزداد صبرا على صبره ورضا على رضٍ بما قضاه الله تعالى وقدره حتى لقي الله - تعالى راضيا مرضيا لذا يقول المحدثون: إن ذكر اسم سيدنا عمران بن حصين يستجاب عنده بخير إنه سميع قريب، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، أو كما قال - عليه الصلاة والسلام: «كل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوا بون»⁽¹⁾، فتوبوا إليه واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) رواه ابن ماجه والترمذى والحاكم من حديث انسى رضى الله عنه وقال: صحيح الاسناد.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمة ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله " (يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد) " (1).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبدك ونبيك ورسولك صلاة سريعة الوصول، متوجة بالقبول، مرضية للرسول، محققة للمأمول، فاتحة باب الدخول، وارض اللهم عن آلِه وأصحابه الأئمة العدول وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد

ففي أيها المسلمون ذكر العلامة ابن القيم فى كتابه " زاد المعاد من هدى خير العباد " ﷺ فى باب الوفود، قال: قدم وفد نجيب من بللجكون باليمن ثلاثة عشر رجلا فأخذوا يتعلمون ويتفقهون من رسول الله ﷺ وأصحابه بعد إسلامه م، فلما مكثوا مدة استأذنوا رسول الله ﷺ أن يرجعوا إلى بلادهم. باليمن، فأمر رسول الله ﷺ سيدنا بلالا أن يكرمهم ويؤدبهم ويودعهم فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ سألهم: ألم يبق منكم أحد؟ قالوا: لم يبق من أحد سوى غلام صغير هو أحدثنا سنا فقال لهم رسول الله ﷺ: أرسلوه إلى فذهبوا إلى رحالهم وأرسلوه إلى رسول الله ﷺ فلما جاء الغلام حديث السن إلى رسول الله ﷺ قال له سائلا ﷺ: " ما حاجتك يا غلام " فقال له: إن حاجتى ليست كحاجة أصحابى وإن كانوا قد جاءوا راغبين فى الإسلام ولكن حاجتى ليست كحاجتهم، وإنما حاجتى أن تدعولى يا رسول الله أن يغفر لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى. فقال رسول الله ﷺ اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه"، فأكرمهم الرسول ﷺ ثم أكرم أصحاب وزوده كما زودهم ثم رجع الغلام إلى أصحابه ثم رجعوا إلى اليمن. ولما كان فى

(1) الشورى: 26.

العام العاشر من الهجرة فى حجة الوداع جاء الوفد إلى رسول الله ﷺ فى منى فسلموا على رسول الله ﷺ وقالوا له: نحن الوفد الذين أتوك يا رسول الله، ونحن من أهل اليمن من السكون من بنى أذى - فقال لهم رسول الله ﷺ : ماذا فعل الغلام الذى كان معكم "انظروا كيف تذكره رسول الله ﷺ ولم يغيب عن ذهن رسول الله ﷺ إنه معجب به عليه الصلاة والسلام، ولذا سأل عنه - قالوا يا رسول الله: ما رأينا أعف منه ولا أراضى بما قسم الله عز وجل، فلو نكحنا أهل الدنيا على دنياهم ما شاركهم فيها وما نظر إليهم - يعنى أنه قد جعل الله غناه فى قلبه فهو راض بما قسم الله - تبارك وتعالى - له، فقال رسول الله ﷺ : " إني لأرجو أن يموت جميعا " قالوا: يا رسول الله أو ليس يموت الرجل جميعا؟ يعنى كيف لا يموت جميعا، فقال عليه الصلاة والسلام: " تنتشعب به أودية الدنيا وهمومها فلا يبالى الله - عز وجل - فى أى واد من من أوديتها هلك " يعنى أن بعض الناس - يموت جميعا وبعضهم يموت منتشعب الأهواء منتشت القلب وهو الذى - يحب الدنيا فتنتشعب به أهواؤها ويشتت قلبه فى أوديتها ولذا كان يقول أبو الدرداء - رضى الله عنه - " اللهم إني أعوذ بك من شتات القلب " قالوا وما شتات القلوب يا أبا الدرداء قال: أن يكون لى مال فى كل واد " فللذى تنتشعب به الأهواء ويتشتت قلبه فى أودية الدنيا لا يموت جميعا، وإنما يموت منتشعب الأهواء مشتت القلب والعياذ بالله تعالى - لأنه غير راضٍ بما قسم الله تبارك وتعالى ينشغل بالدنيا عن رب الدنيا والآخرة فلا يموت جميعا وإنما يتشتت قلبه وتنتشعب أهواؤه حتى يأتيه أجله وهو فى واد من أودية الدنيا فلا يبالى الله - عز وجل به فى أى واد هلك.

فللقوا الله أيها المسلمون وارضوا عن الله - تبارك وتعالى - حتى يرضى عنكم وحتى تعيشوا فى راحة وروح وريحان وطمأنينة وسكون من الله - تبارك وتعالى - نسأل الله عز وجل - أن يرضينا بما قضاه وقدره وقسمه، اللهم رضنا بقضائك وقدرك حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت.. الدعاء.

فضل الصلاة

الحمد لله /

الذي جعل الصلاة عماد الدين، وصلة بينه وبين الراكعين والساجدين،
وحضرة تجل ومناجاة وأنس ويقين.
سبحانه من إله لا ينبغي السجود إلا له، وهو رب العالمين، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق للصلاة والعبادة، والعلم والحكمة.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي الخير والرحمة، الذي فرض الله
عليه وعلى أمته خمس صلوات، وجعل ثوابهن ثواب خمسين، وجعله في الصلاة
إماماً لجميع النبيين والمرسلين صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
الذين امتلأت قلوبهم يقينا وإيمانا، وأثنى عليهم ربهم تفضلا منه وإحسانا. {تَرَاهُمْ
رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الفتح: 29] {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} [البينة: 8].

أم - بعد

فيا عباد الله:

يقول الله - تعالى -: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: 114].

عباد الله: اعلموا أن الصلاة ركن من أركان الإسلام، وقاعدة من قواعد
الدين، وقربة من أعظم القربات إلى رب العالمين، والصلاة حد فاصل بين الكفر
والإيمان، فليس بين الرجل وبين الشرك أو الكفر إلا ترك الصلاة، فقد ذكر
رسول الله ﷺ الصلاة يوما فقال: «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة
يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وحشر

يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»⁽¹⁾.

ولقد فرض الله الصلاة على نبيينا ﷺ وهو في أشرف مقام، وفي أعلى مكان، فرضها الله عليه في ليلة الإسراء بعدما عرج بالمصطفى ﷺ إلى السماوات العلى، وبعد أن قرب به ربه إليه، وتجلّى عليه فرض عليه وعلى أمته كل يوم وليلة خمسين صلاة، ثم جاء التخفيف من قبل الله تعالى خمسا خمسا، حتى استقرت الخمسون على خمس في العمل وخمسين في الأجر والثواب.

ويكفي الصلاة شرفا أنها عبادة الأتقياء، وطاعة الأصفياء ووصية الأنبياء. انظروا إلى ما قاله الله - تعالى - لموسى عند المناجاة: {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14].

انظروا إلى ما قاله عيسى عندما نطق في المهد: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مريم: 31، 30].

تأملوا دعوات خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبيينا أفضل الصلوات وأتم التسليمات: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [إبراهيم: 40، 39].

والنبي ﷺ أمره ربه بالمدائمة على الصلاة، وأن يأمر أهله بذلك فقال: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132]. وقد أمر الله تعالى نبيه إسماعيل بذلك فقال: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: 55].

(1) رواه أحمد وابن حبان.

وكانت الصلاة أحب الأعمال إلى قلب النبي ﷺ حيث قال في حديثه الشريف: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة»⁽²⁾، وبلغت مكانة الصلاة عند النبي ﷺ إلى أن كانت وصيته إلى أمته. فعن أنس بن مالك قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت - الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه⁽¹⁾. نعم! فإن أول ما افترضه الله على الناس من دينهم الصلاة، وآخر ما يبقى الصلاة، وأول ما يحاسب به الصلاة، لذلك حث الله تعالى المسلمين على المحافظة عليها كثيرا فقال:

{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238].

والصلاة لها أسرار عظيمة بين العبد وربّه، فهي توصل صاحبها إلى الجنة. عن علي رضي الله عنه أنه قال: "هل تدرون لم سميت الصلاة صلاة؟ قالوا: لا يا أمير المؤمنين. قال: لأنها توصل صاحبها إلى الجنة".

يقول الإمام الجعفري رضي الله عنه:

إن الصلاة صلة الإنسان	:::	تاركها يكون في حرمان
توصل العبد إلى مولاه	:::	وعن قبيح فعله تنهاه

ويقول رضي الله عنه:

تلك الصلاة هي العماد فلذّ بها	:::	إن صنتها صانتك من عثرات
فهي الوقاية والسلامة والهدى	:::	جمعت لكل الخير في الركعات

ومن أسرار الصلاة أن من معانيها الصلة، لأن العبد إذا أداها اتصل بربه، وإذا تركها انقطع.

(2) رواه أحمد والنسائي.

(1) رواه أحمد، وابن ماجه.

روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»⁽²⁾.

وفي الحديث القدسي: " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سألت، فإذا قال العبد: " الحمد لله رب العالمين ". قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: " الرحمن الرحيم ". قال الله: أثني علي عبدي. فإذا قال العبد: " مالك يوم الدين ". قال: مجدني عبدي، وإذا قال: " إياك نعبد وإياك نستعين " قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدني ما سألت. فإذا قال: " اهدنا الصراط المستقيم ". قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سألت " ⁽¹⁾.

والصلاة تنير القلب وتهذب النفس، وتعلم العبد آداب العبودية وواجبات الربوبية، بما تغرسه في قلبه من جلال الله وعظمته، والتحلي بكارم الأخلاق، وتوجهه إلى مولاه، فتكثر مراقبته له، وخشيته منه، فتعلو بذلك همته، وتزكو نفسه فيبتعد عن الكذب والخيانة، والشر والغدر والغضب والكبر وتدفع عنه البغي والعدوان، ودناءة الفسوق والعصيان.

قال الله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

ومن أسرار الصلاة أنها تعود الإنسان الحياء والوقار وهما من أركان السعادة في الدنيا والآخرة، فإن المصلي يلزمه أن يحفظ نفسه في الصلاة من كل ما يشينها ويعيبها، فتراه طاهر الثوب، طاهر البدن، طاهر المكان، حسن الشكل، لا ترى منه عضوا بارزا، ولا عورة بادية، فتعتاد نفسه التحلي بالكمال والحشمة والوقار، وينال رضوان الله ومغفرته.

(2) رواه مسلم، وابن ماجه.

(1) رواه أحمد ومسلم.

فعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»⁽²⁾، فالصلاة تغسل الذنوب عن العبد كما يغسل الماء الأدران عن الثياب والأبدان.

فعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثّل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات»⁽¹⁾.

فاعرف أخي المسلم فضل هذه الفريضة العظيمة التي يستوي فيها الخلق جميعا، المريض والصحيح، والقوي والضعيف، والثقيل والخفيف، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والنساء والرجال.

أيها المسلمون/

لقد جعل الله الصيام شهرا واحدا من شهور العام، ولكنه جعل الصلاة مكررة في كل يوم وليلة باستمرار وانتظام، وجعل الله الزكاة فريضة على الأغنياء الموسرين، ولكنه جعل الصلاة فريضة على الموسرين والمعسرين، ولقد فرض الله الحج مرة واحدة في العمر، وهو لا يجب إلا على القادرين المستطيعين، ولكنه فرض الصلاة كل يوم وليلة خمس مرات على جميع المكلفين، أفلا يكفي ذلك برهانا على عظم شأن الصلاة ومكانتها العظيمة في الدين؟ وقد روي أن داود

- عليه السلام - سأل ربه فقال: " يا رب من يسكن بيتك وتقبل صلاته؟

(2) رواه مسلم.

(1) رواه مسلم.

قال: يا داود إن من يسكن بيتي وأقبل صلاته من تواضع لعظمتي، وقطع نهاره في ذكرى، وكف عن الشهوات من أجلي، فهذا هو الذي يطعم الجائع، ويؤوي الغريب، ويرحم المصاب، هذا الذي إن دعاني أجبتة، وإن سألني أعطيته وإن تاب إلى قبلته".

وقال ﷺ لأبي هريرة: «يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب»⁽²⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»⁽¹⁾.

ويقول الله في الحديث القدسي: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل بها على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلوه بعزتي، وأستحفظه بملائكتي، أجعل له في الظلمة نورا، وفي الجهالة حلما، ومثله في خلقي كمثله الفردوس في الجنة»⁽²⁾.

* * * * *

(2) روى نحوه أصحاب السنن.

(1) متفق عليه.

(2) رواه البزار.

تحذير المسلمين عن تأخير الصلاة عن وقتها والترغيب في تأديتها في الجماعة

الحمد لله /

الذي جعل الصلاة عماد الدين، وصلة بينه وبين الراكعين والساجدين،
وحضرة تجل ومناجاة وأنس ويقين. سبحانه من إله لا ينبغي السجود إلا له،
وهو رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق
للصلاة والعبادة، والعلم والحكمة.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، إمام المرسلين وخطيب الجمع. وأفضل
من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وللخلق شفع، الذي أقام الدين وبالحق صدع ﷺ
وعلى آله وصحبه الذين امتلأت قلوبهم يقينا وإيمانا، وأنتى عليهم ربهم تفضلا
منه وإحسانا.

{تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الفتح: 29]، {رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} [البينة: 8].

أمّا بعد

فيا أخوة الإسلام:

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ
اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78].

ويقول سبحانه: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: 114].

دلوك الشمس: ميولها إلى جهة الشرق، وغسق الليل: دخول الليل إذا
سجى. يعني صل الظهر إذا مالت الشمس عن وسط السماء إلى المغرب،
وصل العصر إذا صار ظل كل شئ مثله، وصل المغرب إذا غربت

الشمس وصل العشاء إذا ذهبَت الحمرة، وظهر سواد الليل.

وقد نزل جبريل عليه السلام في جميع أوقات الصلوات، وصلى بالنبى ﷺ لبيان أوقات الصلاة وكيفيتها: -

فعن مالك عن ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز ز آخر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبه آخر الصلاة يوماً وهو بالكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا يا مغيرة؟ أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ، يعني العصر، ثم نزل فصلى رسول الله ﷺ يعني المغرب، ثم نزل فصلى رسول الله ﷺ يعني الصبح، ثم قال بهذا أمرت ⁽¹⁾، ويعلم من ذلك أن أوقات الصلاة لا بد من مراعاتها، وأن أمرها عظيم عند الله تعالى لذلك أمر جبريل - عليه السلام - أن ينزل على النبي ﷺ ليبين له أوقات الصلوات الخمس، والله تعالى يقول:

{إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: 103].

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإقامة الصلاة في وقتها جماعة ولو في الحرب والجهاد في سبيل الله تعالى، ويقول سبحانه: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَالدِّينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أْدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: 102].

(1) متفق عليه.

فإذا كان الله تعالى أمر بالجماعة في الحرب فعند الأمن أوجب، وقد لازمها الرسول ﷺ من الوقت الذي شرعها الله فيه إلى أن قبضه الله إليه، ولم يؤثر عنه أنه صلى منفردا ولا صلاة واحدة.

روى الشيخان أنه ﷺ قال: «أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»⁽¹⁾.

وفي حديث ابن ماجه أنه ﷺ قال: «لينتهين رجال عن تركهم الجماعات أو لأحرقن بيوتهم»⁽²⁾.

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: " الظاهر أن صلاة الجماعة فرض عين لأنها لو كانت سنة لم يهدد تاركها بالتحريق، ولو كانت فرض كفاية لكانت قائمة في النبي ﷺ ومن معه، ولذا كان النبي ﷺ لا يرخص في ترك الجماعة إلا لمرض شديد أو خوف من ظالم.

فقد روى أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال الرسول ﷺ: «من سمع النداء فلم يمنع من اتباعه عذر قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى»⁽³⁾.

وروى الطبراني: أنه أقبل ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنا كما تراني قد دبرت سني، ورق عظمي، وذهب بصري ولي قائد لا يلائمني قياده إياي. فهل تجد لي رخصة أصلي في بيتي الصلوات

(1) رواه الشيخان.

(2) رواه ابن ماجه.

(3) رواه أبو داود.

الخمس؟ فقال الرسول ﷺ : «هل تسمع المؤذن في البيت الذي أنت فيه؟ قال: نعم يا رسول الله قال: لا أجد لك رخصة»⁽⁴⁾.

ولو يعلم هذا المتخلف عن الصلاة في الجماعة ما لهذا الماشي إليها لأتاها ولو حبوا على يديه ورجليه.

قال الخطابي بعد ذكر حديث ابن أم مكتوم: " فيه دليل على أن حضور صلاة الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبا لكان أولى بذلك من يسعه التخلف عنها من أهل الضرورة والضعف ومن كان في مثل حال ابن أم مكتوم ".
يقول عليه الصلاة والسلام " الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق: من سمع منادي الله ينادي إلى الصلاة فلا يجيبها " ⁽¹⁾.

وقال أبو هريرة: لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب. وقال: علي - رضي الله عنه وكرم الله وجهه -: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل ومن جار المسجد؟ قال: من سمع النداء.

وروى مسلم وأبو داود عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " من سره أن يلقى الله غدا مسلما (يعني يوم القيامة) فليحافظ على الصلوات الخمس حيث ينادي بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنن نبيكم، ولو تركتم سنن نبيكم لضللتهم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين

(4) رواه الطبراني.

(1) رواه أحمد والطبراني.

الرجلين حتى يقام في الصف⁽²⁾. أي مستندا إليهما من شدة مرضه وضعفه مخافة أن يسقط.

وكان الربيع بن خيثم قد سقط شقه من الخارج وكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين فيقال له يا أبا محمد: قد رخص لك أن تصلي في بيتك فيقول: هو كما تقولون ولكن اسمع المؤذن يقول حي على الصلاة حي على الفلاح فمن استطاع أن يجيبه زحفاً أو حبوا فليفعل.

وقال ﷺ: «ثلاثة لعنهم الله: من تقدم قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب»⁽¹⁾.

وكان السلف الصالح يحرصون على صلاة الجماعة، فإذا تخلفوا عنها عزى بعضهم بعضاً وقالوا: " ليس المصاب من فقد الأحباب لكن المصاب من فقد الأجر والثواب "، فكان السلف يعززون بعضهم سبعة أيام إذا فاتتهم صلاة الجماعة ويعززون ثلاثة أيام إذا فاتتهم الركعة الأولى من الجماعة.

وخرج عمر بن الخطاب يوماً إلى بستان له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون. فاتتني صلاة العصر أشهدكم أن بستانني على المساكين صدقة، ليكون كفارة لما صنع عمر، وروي عنه: أنه شغله أمر عن صلاة المغرب حتى طلع نجمان، فلما صلاها أعتق رقبتين. ويكون الاعتناء بحضور العشاء والفجر أشد، قال ابن عمر: كنا إذا فقدنا الرجل في العشاء والفجر أسأنا به الظن أنه قد نافق. قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل،

(2) رواه مسلم.

(1) رواه الحاكم.

ومن صلى الصبح في الجماعة فكأنما قام الليل كله «⁽²⁾. وقال صلوات الله وسلامه عليه: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»⁽³⁾.

وقال ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله تعالى فمن أخفر ذمة الله كباه الله في النار لوجهه»⁽¹⁾. أخفر: أي نقض عهده وغدر.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب ليحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم. والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أن يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء».

العرق: العظم الذي عليه بقية لحم.

المرماة: بالكسر والفتح: ظلف الشاة، والمرماتين ظلفيها من اللحم أو اسم سهم يتعلم عليه الرمي.

* * * * *

(2) رواه مسلم.

(3) رواه ابن ماجه.

(1) رواه احمد وغيره.

فضل يوم الجمعة وآدابه

الحمد لله /

فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل في حديثه الصحيح:

"خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها"⁽¹⁾.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأطياب الأطهار الذين ساروا على نهجه واتبعوا سنته ففازوا بسعادة الدارين.

أمّا بعد

فيا عباد الله /

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [الجمعة: 9-11]. صدق الله العظيم.

(1) رواه مسلم.

إخوة الإيمان:

إن يوم الجمعة أفضل الأيام، وأشرفها على الإطلاق، فهو خير يوم طلعت عليه الشمس. فيا من صدقتم بالله ورسوله إذا سمعتم المؤذن ينادى لصلاة الجمعة، ويؤذن لها فاتركوا أعمالكم وأشغالكم، ودعوا البيع والشراء، وامضوا سراعاً إلى ذكر الله وعبادته، وإلى أداء صلاة الجمعة مع إخوانكم المسلمين فإن ذلك خيرٌ لكم وأفضل وأرجى لكم عند الله. وأعود عليكم بالخيرات والبركات إن كنتم من أهل العلم والفهم السليم، فإذا أدبتم الصلاة وفرغتم منها فانتشروا في الأرض لقضاء مصالحكم، واطلبوا من فضل الله؛ فإن الرزق بيده وهو المنعم المتفضل الذي لا يخيب أمل السائلين، ولا يضيع عمل العاملين، ولا يمنع أحداً من فضله وإحسانه، واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلحون.

وقد بين لنا ﷺ فضل يوم الجمعة فيما رواه أبو أُبَيَّةَ بن عبد المنذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى، ويوم الفطر وفيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهنَّ يشفقن من يوم الجمعة» (1).

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصَّعقة، فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ. قالوا: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (أصلها: أرمت حذفتم الأولى أى: بليت). فقال ﷺ: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل

(1) رواه أحمد وابن ماجه.

أجساد الأنبياء» (1).

واعلموا عباد الله:

أن من يريد السَّعى إلى الجمعة يلزمه أن يتأدب بآدابها:

- فمن آدابها الواردة عن رسول الله ﷺ الغُسل الذى يقول فيه ﷺ : «إن الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من أصول الشعر استللاً» (2).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل، وغسل رأسه ثم تطيب من أطيب طيبه ولبس من صالح ثيابه، ثم خرج إلى الصلاة، ولم يفرق بين اثنين، ثم استمع الإمام عُفر له من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام» (3).

- ومن السنن والآداب: قصُّ الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة ولبس الثياب البيضاء.

التبكير إلى الجمعة:

بيّن ﷺ فضل الغسل والتبكير فقال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة "أى جملاً" ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن. ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» (4).

(1) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة بسند صحيح.

(2) رواه الطبرانى.

(3) رواه ابن خزيمة.

(4) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

وعن علقمة قال: خرجت مع عبد الله بن مسعود يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة من الله ببعيد، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله عز وجل على قدر رواحهم إلى الجمعات الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد»⁽¹⁾.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «احضروا الجمعة وادنوا من الإمام، فإن الرجل ليكون من أهل الجنة فيتأخر عن الجمعة فيؤخر عن الجنة وإنه لمن أهلها»⁽²⁾.

الترهيب من تخطى الرقاب يوم الجمعة:

واعلموا عباد الله: أنه يحرم تخطى الرقاب يوم الجمعة فى المسجد لنهى النبى ﷺ فعن عبد الله بن بُسر - رضى الله عنه - قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبى ﷺ يخطب فقال له - عليه الصلاة والسلام -: «اجلس فقد آذيت وآنيت»⁽³⁾.

ويبين ﷺ عظم ذنب من يفعل ذلك فقال: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم»⁽⁴⁾.

الترهيب من الكلام والإمام يخطب:

واعلموا عباد الله: أنه يحرم على المسلم والإمام يخطب أن يلقي السلام على أحد، ويحرم على الجالس الردُّ عليه ولو بإشارة باليد، ويحرم تشميت العاطس وكذلك الإشارة إلى أحدٍ بالسكوت والتثقل.

(1) رواه ابن ماجه.

(2) رواه أحمد بمعناه.

(3) رواه ابن ماجه.

(4) أخرجه الترمذى وضعفه.

قال - عليه السلام -: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»⁽¹⁾.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «خروج الإمام يوم الجمعة للصلاة يقطع الصلاة، وكلامه يقطع الكلام»⁽²⁾.

وعن ابن عباس قال: قال - عليه السلام -: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له أنصت: ليس له جمعة»⁽³⁾.

وروى أن سيدنا سعداً بن أبى وقاص قال لرجل: لا جمعة لك.
فقال النبى ﷺ : «لم يا سعد؟» قال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب. فقال رسول الله ﷺ : «صدق سعد»⁽⁴⁾.

الترهيب من ترك الجمعة بغير عذر:

يحرم على المسلم أن يترك الجمعة بغير عذر، ومن الأعذار التى تبيح التخلف عن الجمعة: حفظ المال، وخوف على نفس من قاتل أو لص أو ظالم يؤذى، أو مرض شديد، أو قيام بخدمة مريض لا يوجد معه من يخدمه، ومرض منفر.

قال عليه الصلاة والسلام: "لقوم يتخلفون عن الجمعة "بغير عذر": «لقد هممت أن أمر رجلاً يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»⁽⁵⁾.

(1) متفق عليه.

(2) أخرجه البيهقى وحسنه السيوطى.

(3) رواه مالك فى الموطأ وأحمد والبخارى والطبرانى فى الكبير.

(4) رواه أبو يعلى والبخارى.

(5) رواه مسلم.

وقال - عليه السلام - : «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه» (1).

وفى حديث آخر: «من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين» (2).

وقال - عليه السلام - : «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» (3).

وكان بعض الصالحين إذا فرغ من صلاة الجمعة وقف بباب المسجد وقال: «اللهم إنى أجب دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى أنت خير الرازقين» فكان يُرزق رزقاً واسعاً.

س) ما حكم من أدرك الركعة الثانية فى الجمعة، أو أدرك التشهد فقط؟ وما حكم ترك العمل يوم الجمعة أو الجمعة لأجل العمل؟

ج) أجاب الفقهاء عن الفقرة الأولى من هذا التساؤل بقولهم: إن من أدرك الركعة الثانية: قضى الركعة الأولى بفاتحة وسورة جهراً كما فاتته. أما من أدرك التشهد فقط فإنه يصلى ظهراً أربع ركعات سرّاً بانياً على تكبيرته الأولى.

أما بالنسبة لترك العمل يوم الجمعة: فإن قصد به التشبه باليهود والنصارى فى سبتهم وأحدهم فقد كره الإسلام ذلك. لأن الرسول ﷺ قال: «من تشبه بقوم فهو منهم» (4). أما ترك العمل لأجل تحصيل آداب الجمعة والتكبير إليها وحضور خطبتها فهو مستحب. وأما ترك الجمعة لأجل العمل فحرام، لقوله -

(1) رواه الترمذى وحسنه.

(2) رواه الطبرانى فى الكبير.

(3) أخرجه مسلم.

(4) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

عليه الصلاة والسلام -: «من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين» (1).

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: 9].

* * * * *

الزكاة تكافل اجتماعى

الحمد لله رب العالمين مالك الملك ذى الجلال والإكرام والطول والأنعام،
وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الزكاة ركناً من أركان الإسلام وفرضها على
الأغنياء طهرة للأموال وتطيباً لقلوب الفقراء.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، الرحمة المهداة، والنعمة
المسداة والسراج المنير، الذى دعا إلى بذل المال للمحتاجين من ذوى القربى
واليتامى والمساكين. اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد
صلاة ما انتصر الشرع وعم النفع، صلاة تملأ الأرضين والسموات السبع،
صلاة تبارك لنا بها كل فرد وجمع، وارض اللهم عن آله وأصحابه الذين جاهدوا
لنصر الدين والشرع، وعن التابعين ومن تبعهم بإحس ان إلى يوم الدين وعنا
ومعهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد

فيا أيها المسلم مون: الزكاة ركن من أركان الإسلام كما فى الحديث
المشهور عن رسول الله ﷺ عن البخارى ومسلم. من حديث عبد الله بن
عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «بنى الإسلام على
خم س: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة،
وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». وقد قرن الله - عز وجل -

(1) رواه الطبرانى فى الكبير.

بينها وبين الصلاة فى اثنتين وثمانين آية، وإذا كانت الصلاة حق الله تعالى فإن الزكاة حق الفقراء والمساكين، وبها مع التوحيد وإقامة الصلاة يدخل المرء فى جماعة المسلمين ويستحق أخوتهم والانتماء إليهم كما قال تعالى - {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة: 11]. وبها يستحق المؤمن دخول الجنة بسلام فعن أبى هريرة وأبى سعيد - رضى الله عنه م 1 - قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «والذى نفسى بيده - ثلاث مرات - ثم أكب - أى استمر على عمله - فلكب كل رجل منا يبكى لا يدرى على ماذا حلف؟ ثم رفع رأسه، وفى وجهه البشرى فكانت أحب إلينا من حمر النعم. قال: ما من عبد يصلى الصلوات الخمس، ويصوم رمضان ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة وقيل له ادخل بسلام» (1).

ومن ثم حارب سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - مانعى الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها " وفى رواية "عقالا" بدل "عناقاً" و"العناق" الأنثى من ولد الماعز. فقل سيدنا عمر - رضى الله عنه - فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق" (2).

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - هم 1 - فى الصحيحين أن النبى ﷺ بعث مع إذا بن جبل إلى اليمن فقال له: «إنك تأتى قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة

(1) رواه النسائى واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وصححه.

(2) رواه الجماعة إلا ابن ماجه.

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وفى حديث أنس - عند البزار - قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعبادته لا يشرك به شيئاً، وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض».

التهذير الشديد من منع الزكاة:

ولقد أندر رسول الله ﷺ م انعى الزكاة بالعذاب الغليظ فى الآخرة لينبه القلوب الغافلة ويحرك النفوس الشحيحة إلى البذل والعطاء ويسوقها بعضا الترغيب والترهيب إلى أداء الواجب طوعاً وإلا سيقت إليه بعضا القانون وسيف السلطان كرها.

الغاب الأخرى:

روى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك». ثم تلا النبى ﷺ الآية: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (1).

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «م من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى فيها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

(1) سورة آل عمران: 180 - الشجاع الحية الذكر، والأقرع: الذى لا شعر له لكثرة سمة وطول عمره، الزبيبتان: نقطتان سوداوان فوق العينين وهو أحبب الحيات.

حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله: فلإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاعٍ قرقرٍ أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطوّه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم، لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاعٍ قرقرٍ أوفر ما كانت لا يفقد منه شيئاً ليس منها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطوّه بأظلافها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار...».

ولقد رأهم رسول الله ﷺ في صورة مذرية مقززة في ليلة الإسراء ففي الحديث الذي رواه البزار عن الربيع بن أنس بعد أن ذكر صورة المجاهدين في سبيل الله ومشهد تاركى الصلاة قال: ثم أتى على قوم على أديبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم ورضف جهنم . قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أم والههم، وما ظلمهم الله، وما الله بظلام للعبيد⁽¹⁾.

(1) الوقاع: قطع بالية مكتوب عليها تقصيره في حقوق الله كما ورد في النهاية. والضريع: نبت بالحجاز له شوك كبير ويقال له: الشيرق والزقوم: أطعمه كريمة في النار، والرضف: الحجارة المحماة على النار واحد ٥٠ رضة.

العقوبة الدنيوية لماعى الزكاة:

أيها المسلمون: ولم تقف عقوبة مانعى الزكاة عند هذا الحد من الوعيد بالعذاب الأخرى بل جاء الوعيد بالعقوبة الدنيوية لكل من بخل بحق الله تعالى وحق الفقير فى ماله.

قال عليه الصلاة والسلام: «ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بلسنين»⁽¹⁾.

والسنين جمع سنة وهى المجاعة والقحط.

وفى حديث آخر يقول ﷺ: «ما خالطت الصدقة - أو قال: الزكاة - مالا إلا أفسدته» رواه البزار والبيهقى.

وهذا الحديث يحتمل معنيين كما قال المنذرى فى الترهيب والترهيب:

الأول: أن الصدقة بمعنى الزكاة ما تركت فى مال ولم تخرج فيه إلا كانت سبباً فى هلاكه وفساده، ويشهد لهذا المعنى ما ورد فى حديث آخر "ما تلف مال فى بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة" رواه الطبرانى فى الأوسط.

الثانى: أن الرجل يأخذ الزكاة وهو غنى عنها، فيضعها فى ماله فيهلكه وبهذا فسرہ الإمام أحمد - رضى الله عنه -.

هذا وإن مانع الزكاة يعد منافقاً بشهادة رسول الله ﷺ حيث يقول: «ظهرت لهم الصلاة فقبلوها وخفيت لهم الزكاة فأكلوها أولئك المنافقون» رواه البزار.

الزكاة حصن للمال وشكر للإنعام:

أيها المسلمون إن الله - تعالى - وعد المنفقين من أموالهم بالخلف وحفظ المال كما قال ﷺ: «يا ابن آدم أنفق أنفق» رواه البخارى.

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى ورواه الحاكم ورواه ثقة.

وحسبك أيها المزكى دعاء رسول الله ﷺ «اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً» رواه البخارى.

وقال سبحانه {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سورة 39] وقال عز من قائل: {وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ} [البقرة: 272].

فأنت تجد وعد الله الصادق أن يحفظ للمنفق ثواب إنفاقه يضاعف له خيراته وهو لا يخلف الميعاد.

وعن الحسن - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْإِعْتِدَاءِ وَالتَّضَرُّعِ» (1). وعن جابر - رضى الله عنه - قال: قال رجل: يا رسول الله: أرأيت إن أدى الرجل زكاة ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ» (2).

والله - عز وجل - هو الذى فرض الزكاة فى هذا المال وهو الذى ملكه للأغنياء وحرم منه الفقراء، ولو شاء لسلبه منهم، فאלله يختبر الأغنياء بهذا المال فيأمرهم بتطهيره وذلك بإخراج زكاته إرضاء للفقراء وجلباً لمودتهم ومظهراً للتعاون بين فئات المجتمع الإسلامى.

عن الإمام على - كرم الله وجهه - قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وتمروا إلا بما صنع أغنيائهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً (3).

(1) رواه أبو داود فى المراسيل ورواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلاً. قال الحافظ المنذرى فى الترغيب: والمرسل أشبه.

(2) رواه الطبرانى فى الأوسط وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وصححه.

(3) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير، وروى موقفاً على كرم الله وجهه وهو أشبه.

قال ابن الجوزى - رحمه الله تعالى -: إن المراد من الزكاة ثلاثة أشياء: الابتلاء بإخراج المحبوب، التنزه عن صفة البخل المهلك، شكر نعمة المال حتى يتذكر إنعام الله عليه إذ هو المُعْطَى لا المُعْطَى فانتقوا الله أيها المسلمون، وأدوا زكاة أموالكم، وتعلموا فقه الزكاة بسؤال أهل العلم والفقه فإن ما وجب العمل به وجب العلم، وكذلك تعلموا فقه توزيعها كما أمر الله تعالى؛ حتى لا تقع فى غير موضعها فتكون باطلة وتجب إعادتها مرة أخرى. فقها الله تعالى وإياكم فى دينه، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين أجمعين.

* * * * *

التحذير من فتنة المال

الحمد لله /

الذى جعل المال زينة لدينه ودنياه، لتيسر به الأمور، وتقضى به المصالح، وتتم به الأعمال ، أحمده سبحانه وتعالى، وأسأله الغنى من فضله، والعزة بطاعته. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، جعل المال أداة تنفع وتضر ، وعرضاً يذهب ويجى. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى استخدم المال فى طاعة ربه ومولاه.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى العطوف، الزاهد فى حطام الدنيا ، الطيب فى الممات والمحيا، وعلى آله وصحبه الذين جاءتهم الدنيا وهى راغمة، وفتحت عليهم ممالك كسرى وقيصر ، فما زادهم ذلك إلا جوداً وكرماً، وإيماناً وشكراً، وبذلاً وإنفاقاً ، أولئك الذين صدقوا وأولئك

هم المتقون.

أما بعد

فيا عباد الله /

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:

{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 15، 16].

أيها المسلمون: المال زينة الدنيا، وعماد نهضتها، ومدار سعادتها ، به
يقضى الناس مصالحهم ويحققون أغراضهم.

والمال نعمة من نعم الله الكبرى، ومنة من المنن العظمى، وفضل من عند
الله - تعالى - يمتن به على من يشاء، ويسلبه ممن يشاء.

كما أن المال فتنة يختبر الله به الأغنياء، ويضل به كثيراً من عباده
الأغنياء ، ولذا يقول سيدنا عمر - رضى الله عنه - : "اختبروا الرجل
بالدينار والدرهم".

والمال يوزن به ثبات الإنسان، ويختص به دينه وعقله وخلقه وورعه وزهده
وتقواه؛ فمن صلح مع المال فهو مؤمن صادق، ومن فجر بالمال وطغى فهو
فاجر فاسق.

قال رسول الله ﷺ : «نعم المال الصالح للرجل الصالح»⁽¹⁾.

وعن كعب بن عياض - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«إن لكل أمة فتنة. وفتنة أمتي المال»⁽²⁾.

(1) رواه أحمد والطبرانى.

(2) رواه الترمذى.

وقد حذر الها- تعالى - من الانشغال بالمال عن الطاعة فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: 9].

وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ: 37].

وقد عد الله المال مع الشهوات والملذات، وأضافه إلى الحياة الدنيا ، ولا تساوى عند الله جناح بعوضة فقال جل شأنه: {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: 14]. وجعل الله ثواب الآخرة خيراً منها وأبقى فقال - سبحانه - : {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: 46].

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58].

وقد دعا رسول الله ﷺ على من جعل همه جمع المال وأسرف في حبه حتى شغله عن طاعة الله - سبحانه - فقال ﷺ : «تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم، وتعس عبد الخميصة (ثوب من حرير) إن أعطى رضى، وإن منع سخط ، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش (إذا دخلت فيه شوكة فلا أخرجها من موضعها)» (1).

(1) رواه الطبراني.

وكان ﷺ إمام الزاهدين في عرض الدنيا وما فيها ، فقد راودته جبال مكة أن تكون له ذهباً فأبى. وكان من دعائه ﷺ : «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً» (1).

وكان يقول ﷺ : «اللهم أحيى مسكيناً، وأمتى مسكيناً، واحشرنى فى زمرة المساكين» (2).

وهذا سيدنا عيسى - عليه السلام - سئل عن المال فقال: "لا خير فيه ، قيل: ولم يا نبي الله؟ قال: لأنه يجمع من غير حل ، قيل: فإن جمع من حل؟ قال: لا يؤدى حقه ، قيل: فإن أدى حقه؟ قال: لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء ، قيل: فإن سلم؟ قال: يشغله عن ذكر الله ، قيل: فإن لم يشغله، قال: يطيل عليه حسابه يوم القيامة".

فالحرص على المال مذموم من جميع الوجوه؛ لأنه يفسد دين المرء بسبب ما يربى في نفس صاحبه من الحرص عليه، وشدة المحبة، والطلب له فقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً للحرص على المال والجاه في الدنيا بذنبيين جائعين ضار بين يأتیان في الغنم، وقد غاب عنها رعاتها ليلاً فهما اكلان في الغنم، مفرسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذنبيين المذكورين في غياب رعاته إلا القليل.

يقول عليه الصلاة والسلام: «ما ذنبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» (3).

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والجاه

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذی.

(3) رواه أحمد، والترمذی.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

في الدنيا؛ فالحرص يضع زمانه الغالي، ويخطر بنفسه التي لا قيمة تعدلها ،
في الأسفار لجمع مال ينتفع به غيره كما قيل:

ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى :::: ولكن فقد الدين من أعظم الفقر
وقيل لبعض الحكماء: "إن فلانا قد جمع مالاً. فقال: فهل جمع أياماً ينفقه
فيها؟

قيل: لا. قال: ما جمع شيئاً".

وفي بعض الآثار: "الرزق مقسوم، والحرص محروم ، ابن آدم: إذا أفنيت
عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة".

وكان عبد الواحد بن زيد يقول: "الحرص حرصان: حرص فاجع،
وحرص نافع. فأما النافع: فحرص المرء على طاعة الله تعالى ، وأما
الفاجع: فحرص المرء على الدنيا، وهو مشغول معذب ، لا يسر ولا يلد
بجمعه؛ لشغله".

وعن حكيم بن حزام - رضى الله عنه - قال: "سألت رسول الله ﷺ
فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: "يا حكيم: إن هذا المال خضر حلو ؛
فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك
له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى "، قال
حكيم: فقلت: "يا رسول الله: والذي بعثك بالحق لا أرزأ (1) أحداً بعدك
شيئاً حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر - رضى الله عنه - يدعو حكيماً
ليعطيه العطاء. فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر - رضى الله عنه -
دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله. فقال: "يا معشر المسلمين: أشهدكم على حكيم
أنى أعرض عليه حقه الذى قسمه الله له فى هذا الفء فيأبى أن يأخذه ."

(1) يقال: مارزأ فلانا شيئاً أى ما أصاب من ماله شيئاً - لسان العرب.

فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفى⁽¹⁾.

فهذا هو حال أصحاب رسول الله ﷺ، وتلك نظرتهم إلى الدنيا فهم أوثق بما عند الله مما في أيديهم. فهم لا يقولون: إنا نحرص على المال ادخاراً لأولادنا خشية الفقر عليهم؛ لأنهم يعلمون أن الله - تعالى - هو الرزاق ذو القوة المتين.

وكذلك كان السلف الصالح - رضى الله عنهم أجمعين - من التابعين: فعن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال: يا أمير المؤمنين: صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك: تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار، وكان له ثلاثة عشر من الولد. فقال عمر رضى الله عنه: أقعدوني ، فأقعدوه. فقال: أما قولك "لم أدع لهم ديناراً ولا درهماً". فإنى لم أمنعهم حقاً لهم، ولم أعطهم حقاً لغيرهم، وإنما ولدى أحد رجلين:

إما مطيع لله - تعالى -، فالله - تعالى - كافيه: {إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: 196].

وإما عاص لله تعالى: فلا أبالى على ما وقع.

وروى: أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيراً. فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك. قال: لا. ولكنى أدخره لنفسى عند ربى، وأدخر ربى لولدى".

وهذا مصداق قوله تعالى:

{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً} [النساء: 9].

(1) رواه البخارى.

وقال يحيى بن معاذ: "مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرين بمثلهما للعبد فى ماله عند موته. قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله، ويسأل عنه كله".

وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاث: أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان، ويبقى واحد: يرجع أهله وماله، ويبقى عمله» (1). والله أعلم

* * * * *

فضل الإنفاق والجود والكرم

الحمد لله /

الذى لا يضيع أجر المحسنين، يحسن ويرغب فى الإنفاق، ويأمر بتفريج كرب المكروبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. لا تنفذ خزائنه ضاعف ثواب المتصدقين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ملجأ البائسين والملهوفين الذى كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا أموالهم فى سبيل الخير، وإسعاد المحتاجين.

أمـا بعد

فيا عباد الله /

(1) متفق عليه.

يقول الله تبارك وتعالى:

{مَنْ لِّى الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النقرة: 261].

عباد الله /

المال قوام الحياة، وأمل الإنسان ومبتغاه، هو أمل الخائف ورجاء للبائس، وعدة المرء وذخيرته، ورغبته ومطلبه.

نبذل فى جمعه كل جهد وتعب، ونعانى فى سبيله لئلا نكف ونصب.

فيجب أن نتعهده، ونحسن إنفاقه، فلا ننفعه إلا فى سبيل الخير، ووجوه البر. نعين الضعيف، ونواسى الجريح.

ولا ننفق المال فى الحرام، والفخر، والمباهاة.

عباد الله: يقول الله تعالى:

{آمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: 7].

فالله سبحانه يأمر من أعطاهم المال وجعلهم خلفاء ووكلاء عنه فى التصرف فيه بالإنفاق على المحتاجين والمعوزين، ويعدهم بالخلف مما ينفقون.

روى الشيخان عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان: فيقول أحدهما: "اللهم أعط منفقاً خلفاً"، ويقول الآخر: "اللهم أعط ممسكاً تلفاً"» (1).

ويقول الله سبحانه وتعالى:

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَرُّسِرَّةً لِلْئِسْرَى} [الليل: 5-7].

(1) رواه الشيخان.

والإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق، ويعيب على الشح والإمساك.

ولذلك حبيب إلى المؤمنين أن تكون نفوسهم سخية، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الشاغل الدائم، لا ينفكون عنه فى صباح أو مساء.

قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 274].

يقول ﷺ: (يا ابن آدم: إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك. وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى) (1).

وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى حين قرن النهى عن التنذير بأمر الإنفاق على القرابة والمساكين فقال تعالى: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} [الإسراء: 26].

وإذا كان الإنسان لا يملك شيئاً فليرد السائل ولو بكلمة طيبة.

قال تعالى: {وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا} [الإسراء: 28].

وقال جل شأنه: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى: 10].

ويبين رسول الله ﷺ فضل السخاء والكرم، ومنزلته فى الآخرة، ويظهر م
فى البخل والشح من البعد عن رضا الله - تعالى -، وقربه من النار والغضب،
فيقول النبى ﷺ: «السخى قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة،
بعيد من النار. والبخل: بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب
من النار. ولجاهل سخي أحب إلى الله - تعالى - من عابد بخيل» (2).

والإسلام يحث على تنشئة النفوس على فعل الخير، وتقديم العون للمحتاج،

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الترمذى.

وصنائع المعروف، وهذه التنشئة سمة لا يسعد بها الفقراء وحدثهم، بل يرجع أمانها واطمئنانها إلى الأغنياء أنفسهم، فتقيهم مصارع السوء.

يقول الله تعالى: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38].

{فَانْفِقُوا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 16].

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب الإنفاق، ويحث عليه: (فقد حدث أن رأى ﷺ جمعاً من الفقراء فشق عليه مرأهم . فجمع المسلمين ثم خطبهم فذكرهم بحق الإنسان على الإنسان، وخوفهم بالله واليوم الآخر وما زال بهم حتى جمعوا ما أغنى وستر.

عن جرير رضي الله عنه قال: (كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتأبي النمار (النمرة: بردة من صوف يلبسها الأعراب) أي: مشقوقي الثياب. عاينتهم من مضر. فتمعر: أي تغير وحزن - وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن. وأقام فصلى ثم خطب فقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ أَهَ □ □ □ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: 18]. ثم قال: ليتصدق رجل من ديناره. من درهمه. من ثوبه. من صاع بره. من صاع تمره. حتى قال: (ولو بشق تمره). قال: فجاءه رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها. بل لقد عجزت.

ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام، وثياب. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ كأن مذهبه " أى: صفحة مطلية بالذهب.

فقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجوره شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزاره شيء»⁽¹⁾.

وقد أفهم الإنسان أنه ليس له من ماله إلا ما تصدق به، وادخره لمعاده. ففي الحديث: (يقول العبد: ما لى. مالى. وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأفنى (أى: ملك) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركة لناس)⁽²⁾.

والبذل الواسع عن إخلاص ورحمة يغسل الذنوب، ويمسح الخطايا.
قال تعالى: {إِنْ تُبْذِرُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: 271].
وقال سبحانه وتعالى: {إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: 17].

وما من شيء أشق على الشيطان، وأقفل لوساوسه من إخراج الصدقات.
ولذلك يقذف في النفوس الوهن حتى يثبطها عن البذل: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 268].
وفي الحديث:

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

(ما يخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنه لحي سبعين شيطانا) ينهى عنها⁽¹⁾.

وليعلم كل مؤمن أن ما أنفقه الله - تعالى - هو الباقي، وما سواه هو الفلنى.
 روى عن عائشة - رضى الله عنها - : أنهم ذبحوا شاة. فقال النبى ﷺ ما بقى منها؟ قالت: ما بقى منها إلا كتفها. قال: بقى كلها إلا كتفها⁽²⁾.
 وهذا مصداق قول الله تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النحل: 96].
 وقال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: 39].
 والله تعالى أعلم.

استقبال شهر رمضان

الحمد لله /

ذي الجلال والإكرام، المتفرد بالتقرب إليه بالصيام، ولذلك اختص سبحانه جزاء الصيام بتسليم الجزاء بنفسه، وقال في الحديث: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به)⁽¹⁾. وأشهد أن لا إله إلا الله يقبل شفاعة الصيام والقرآن في أخراه ، لمن هذب نفسه ، وأصلح حاله في دنياه . وقد قال رسول الله ﷺ : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربي منعته الطعام والشهوة بالليل فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان «

(1) رواه الحاكم فى المستدرک.

(2) رواه الترمذی.

(1) رواه البخاري.

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان فيقول: «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم».

اللهم صل على سيدنا محمد الذي وهبت له الفضائل فنالها، وآتيته الحكمة فقالها، وعلمته ما لم يكن يعلم، وكان فضلك عليه عظيما، وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد

فيا عباد الله:

اعلموا أن الصيام ركن من أركان الإسلام الخمسة، وعبادة بدنية روحية، جعل الله فيه سرا لم يوجد في غيره، فكل العبادات والأعمال يعملها العبد يرجو ثوابها لنفسه إلا الصوم فإن العبد يدع طعامه وشرابه وشهوته احتسابا لله تعالى، لا يبغي بذلك إلا وجه الله الكريم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك» (1).

فالصائم يفرح ساعة الإفطار لتوفيق الله له، ويشكره على معونته له في احتمال شدة الجوع، وحرمة العطش، والصبر عن سائر الشهوات لا يفرح

(2) رواه أحمد.

(1) رواه مسلم.

بانتهاه صومه، وإقباله على الطعام والشراب بنهم وشره. ويوم القيامة يفرح بالجزاء العظيم الذي أعده الله للصائمين.

فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»⁽²⁾.

فالصائم عندما يمسك بزمام نفسه، ويحرمها من الاستمتاع بشهوتي البطن والفرج وهي أمامه، ولو أراد أن يصيب منها لفعل. ولكنه يخاف مقام ربه، فيصبر و يتجلد ويكبح جماح نفسه، فيكون ثوابه يوم القيامة أن يحرم الله جسده على النار، ويأمر الله جنته بالتزوين لعباده المؤمنين الصائمين، وتستغفر لهم الملائكة

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي أما واحدة: فإنهم إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا. أما الثانية: فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك. وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة. وأما الرابعة: فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي. وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا. فقال رجل من القوم أهى ليلة القدر؟ فقال: لا. ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»⁽¹⁾.

ومن تكريم الله لهذا الشهر العظيم: غل الشياطين، وغلق أبواب الجحيم، وفتح أبواب الجنة، ومغفرة الله للمستغفرين، وقبوله التوبة من التائبين.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(1) رواه البيهقي.

عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب واحد الشهر كله، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب الشهر كله، وغلت عتاة الجن ونادى مناد من السماء كل ليلة إلى انفجار الصبح: يا باغي الخير يمم وأبشر، ويا باغي الشر أقصد وأبصر. هل من مستغفر يغفر له، هل من تائب يتب عليه، هل من داع يستجاب له، هل من سائل يعطي سؤله...» (2).

عليك أخي المسلم اغتنم هذه الفرصة العظيمة، فتخلص بها من أغلال الجسد وأسر الشهوة، وقد منحت فرصة شهر كامل لتتوب فيه، وتستغفر الله من ذنبك، ولا تدعها تفلت منك، فقد خسر وشقى من وافته فرصته هذه ولم يغتنمها، ولم يقبل هدية الله.

عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر فحضرنا. فلما ارتقى درجة قال: آمين. فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين. فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين. فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه قال: إن جبريل عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله. فقلت آمين، قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله. فقلت آمين. قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله فقلت: آمين» (3).

ولكي يكون الجزاء عظيما، والثواب جزيلا فعلى الصائم أن يتم صيامه فليس الصيام الإقلاع عن الطعام والشراب فقط، ولكن إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ويداك ورجلاك، وسائر جوارحك عن كل ما يغضب المولى - عز وجل -.

(2) الترغيب والترهيب.

(3) رواه ابن حبان في صحيحه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (1).

وفي مسند الإمام أحمد: " إن امرأتين صامتا، وأن رجلا قال: يا رسول الله: إن ها هنا امرأتين قد صامتا، وأنهما قد كادتا أن تموتا من العطش فأعرض، ثم عرضتا عليه فدعاهما. فقال لإحدهما: قبيئي فقأت قيقا ودمما وصديدا ولحما حتى ملأت نصف القدح. ثم قال للأخرى: قبيئي. فقأت من قيقح ودم وصديد ولحم عبيط (منتن) حتى ملأت القدح. ثم قال: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحدهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس" (2).

من صان نفسه في رمضان فلم يشرب فيه مسكرا، ولم يرم فيه مؤمنا بالبهتان، ولم يعمل فيه خطيئة، زوجه الله في كل ليلة مائة من الحور العين وبنى له قصرا في الجنة من ذهب وفضة، ويقاوت وزبرجد، لو أن الدنيا جمعت فجعلت في ذلك القصر، لم تكن فيه إلا كمربط عنز في الدنيا، ومن شرب فيه مسكرا، أو رمى فيه مؤمنا ببهتان، أحبب عمله سنة.

فاتقوا الله في شهر رمضان، فإنه شهر الله، ولا تبخلوا على الله فيه بالطاعة فقد جعل لكم أحد عشر شهرا تتعمون فيها وتتمتعون، وجعل لنفسه رمضان فأحسنوا والزموا الأدب.

(1) رواه البخاري.

(2) رواه أحمد.

الخطبة الثانية

من فقه الصيام:

للصوم ركنان : النية، وشرطها: كونها بالليل الليل قبل الفجر أو مع طلوعه، والكف عن مفطر من طلوع الفجر إلى الغروب.

وشرط وجوبه وصحته: (العقل - دخول شهر رمضان - النقاء من الحيض والنفاس).

ومن أفطر في نهار ناسيا: فعليه القضاء ويمسك.

ومن أفطر متعمدا من غير تأويل قريب ولا جهل: فعليه القضاء والكفارة. والكفارة تكون كالآتي على التخيير:

1- إطعام ستين مسكينا. كل واحد مد بمدّه ﷺ وهو الأفضل.

2- أو صيام شهرين متتابعين.

3- عتق رقبة مؤمنة كاملة.

أشياء يظنها الناس أنها تفطر:

القيء الغالب إذا لم يزدرد منه شيئا، وما سبق إلى الحلق من ذباب أو بعوض، أو غبار طريق، أو دخان حطب إذا غلب ولو تعدد استنشاقه أو غالب دقيق لصناعته، أو غبار كيل لنحو طحان أو مغربل، ولا قضاء في الريق المجتمع في الفم، ولا في بلع ما بين الأسنان، ولا يفطر من احتلم، أو احتجم، وتجوز المضمضة من العطش، السواك من غير مبالغة منهما، وكذلك الإصباح

بالجنابة، ويكره ذوق شئ إلى حلقه فإن مجه (طرحه) ولم يصل إلى حلقه منه شئ: فلا شئ عليه ويكره مضغ الطعام أو اللبان لطفل، مقدمات الجماع، التطيب نهارا.

* * * * *

فضائل شهر رمضان

الحمد لله /

جعل رمضان سيد الشهور، السعيد من عمر أوقاته بالطاعة، والشقي من حرم ثوابه بالمعصية.

وفيما أوحاه الله تعالى إلى نبيه موسى " إني أعطيت أمة محمد نورين: نور رمضان، ونور القرآن لكي لا تضرهم ظلمتان: ظلمة القبر، وظلمة يوم القيامة ".

وأشهد أن لا إله إلا الله، يحب من جاهد نفسه وهواه ولذلك شرع الصيام تربية للنفوس، وتزكية للتقوى والورع في القلب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، خير من صام وقام الليل حتى تورمت قدماه، ووجه المسلمين لأداء الصيام والقيام به على أكمل وجه فقال: «من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ كفر ما قبله»⁽¹⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»⁽²⁾.

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، الذي سبق السابقين وفضل الأولين والآخرين، وأرسلته رحمة للعالمين، وعلى آله وسلم أجمعين، وارحمنا

(1) رواه البيهقي، وابن حبان في صحيحه.

(2) رواه ابن ماجه، والنسائي وغيرهما.

بجاهه عندك يا حق يا مبين، وارض عن أصحابه وارحم أمته المؤمنين.

وبعد

فيا عباد الله:

إن شهر رمضان شهر الصبر، وهو شهر البر المضاعف والعطاء الممدود والخير الجزيل فيه يواس الله عباده ويبرهم، وينظر إليهم فيرحمهم ويغفر لهم، ويعتق رقابهم من عذابه بين يديه يوم القيامة.

{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 185]

وأكرم الله أمة محمد في رمضان بخمس خصال:

روى البيهقي بسنده " قال رسول الله ﷺ : «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي، أما واحدة: فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا. وأما الثانية: فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك. وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كل ليلة. أما الرابعة: فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي. أما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا. فقال رجل: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»⁽¹⁾.

عباد الله:

(1) رواه البيهقي بسنده.

إن الله جعل هذا الشهر موسماً للخيرات التي يتجلى بها على عباده الصائمين، ففي أول ليلة يستقبلونها منه، يتلقون نفحة كبرى، وهدية عظيمة: هو عفو الله وصفحه، وعطفه، ورحمته. فيتجاوز المولى عن سيئاتهم، ويمحو خطاياهم، ويسدد خطاهم، ورعاية الله ونظره إلى عبده من كبريات النعم، فما أعظم أن يعطى العبد براءة من النار التي هي بنس القرار! {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: 185]

خلاف أفواه الصائمين علامة تميزهم يوم القيامة، حيث تتحول رائحتهم التي تكرها النفوس في الدنيا إلى عطر شذي، ومسك فواح، وحينما يسأل الناس عنهم فيقال: هؤلاء الصائمون من أمة سيدنا محمد عليه السلام، وذلك لأنها رائحة، وإن كانت مستكرهة عند الناس في الدنيا، لكنها طيبة عند المولى، حيث كانت ناشئة عن طاعته، ابتغاء مرضاته. كما أن دم الشهيد يجيء يوم القيامة وجرحه يسيل دماً، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك، لأن الصيام كما كان سرا بين العبد وربّه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام يعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا، كما أن الصلاة وهي النور والضياء تظهر آثارها على المصلي يوم القيامة بعلامة يعرفون بها وهي واردة في صفة محمد وصحبه من المسلمين {سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح: 29]

كما أن أهل الوضوء يأتون يوم القيامة بعلامات تميزهم عن غيرهم كما جاء في الحديث الشريف: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»⁽¹⁾.

وكما أن غبار المجاهدين في سبيل الله زريعة أهل الجنة (نوع من الطيب مجموع من أخلاط) ومن الخصال: أن الملائكة تستغفر لهم في كل ليلة

(1) متفق عليه.

والاستغفار للمؤمن سفينة نجاته التي يعتصم بها من الغرق في بحر الذنوب،
والاستغفار أول أبواب التوبة.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله ﷺ : يا عائشة: إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فإن التوبة من الذنب الندامة والاستغفار (2).
وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «من سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكيف عن الذنوب» (3).

فإن الله تعالى رحيم، ورحمته وسعت كل شيء، غفار يغفر الذنوب جميعا إذا تاب العبد وصدق في توبته {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53].
وحين سأل أبو طویل رسول الله ﷺ : هل له من توبة من ذنوبه الكثيرة التي ارتكبها. أجابه صلوات الله وسلامه عليه: «تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن. قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. فلما زال يكبر حتى توارى» (1).

وأعظم من استغفار العبد استغفار الملائكة وهم عباد الله المكرمون الذين لا يرد لهم دعاء، ولا يخيب معهم رجاء، إنهم يقولون كما حكى الله عنهم {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (2).

(2) رواه أحمد.

(3) رواه أبو يعلى.

(1) رواه الطبراني والبخاري.

(2) غافر: 7.

كما أن الملائكة تدعو للمصلي ما دام متوضاً جالساً في مصلاه الذي صلى فيه، تقول: اللهم اغفر له. اللهم ارحمه، كما قال النبي ﷺ :
«الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث. تقول: اللهم اغفر له. اللهم ارحمه» (3).

ومن خصال الصائمين: أن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي.

والجنة تتشوق للمؤمنين الصائمين وتنتظر قدومهم إليها معززين مكرمين حين تسوقهم الملائكة إليها، فإذا جاءوا وجدوها مفتحة الأبواب {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: 73].

فإذا دخلوها قالت لهم الملائكة: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: 24].

قال مجاهد: هي أيام الصوم، فلما طابت قلوبهم بالإخلاص، وطابت أعمالهم فلم تتكرر بالمعاصي، طابت لهم الجنة. فلما أدركوا ذلك النعيم المقيم لهجت ألسنتهم بحمد الله. فقالوا: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [الزمر: 74].

{إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10].

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17].

ومن خصال الصائمين " أنه إذا كان آخر ليلة من رمضان غفر الله لهم جميعاً "، وقد بشر المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - أمته بالمغفرة، بسبب

(3) متفق عليه.

صيامهم وقيامهم، واستغفارهم، وقراءة القرآن، والمحافظة على القيام. يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»⁽¹⁾.

الصوم مكيال وميزان فمن وفى. وقِي له، ومن طفف فقد علمتم جزاء المطففين:

{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} [المطففين: 1، 2].

ولهذه الفضائل الكثيرة والخيرات الوفيرة في شهر الصوم كان السلف الصالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صيامنا، وقيامنا، وصلاتنا، وركوعنا وسجودنا، واستغفارنا، وأن يجعلنا من عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الصيام جنة

الحمد لله /

الذي شرع الصيام طهرة لعباده من الآثام، وجعله مفتاحاً للجنة دار السلام. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة من جاهد نفسه وهواه، وتأدب بآداب دينه ووقف عند حدود مولاه.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من دعا إلى الفضيلة، وحذر من الرذيلة. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي من أحبه فقد أحب الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، ومن صلى عليه فقد صلى عليه الله. وعلى آله وأصحابه، ومن دعا بدعوته وتمسك بسنته وهداه.

(1) رواه النسائي.

أمـا بعد

فيا أيها المسلمون:

إن الصيام من أفضل العبادات، وأنبل الفرائض وأبرها وأوفاهها بشئون النفس في الدنيا والآخرة، وجدير بالمسلمين أن يفهموا حقيقة الصيام، ويستفيدوا من أثره، ويتخلقوا بمنهجه، ويعيشوا بعبائمه فإلصائمه الحق في حصن ومأمن من الشيطان، فهو معتصم بالله، ومراقب لربه ومولاه، لا يلوث لسانه أو يده، ولا يقابل الفحش بمثله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. إني صائم»⁽¹⁾.

فالصيام يتم ويكمل بصيانة الجوارح السمع، والأذن، والعين، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل عن استرسالها في المخالفات، والوقوع في الشهوات وهذا هو سر الصيام المشار إليه بقوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (1).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»⁽²⁾.

فالصيام الذي يقبله الله تعالى، وينال به رضاه: أساسه فعل الواجبات، وترك المحرمات، وروحه مراقبة الله في جميع الحالات وغايته مخالفة النفس الخبيثة، وعصيان الشيطان الرجيم، ولا يتم ذلك إلا بكف جميع الأعضاء عن الحرام.

قال رسول الله ﷺ: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم

(1) رواه النسائي.

(1) البقرة: 183.

(2) متفق عليه.

حظه من قيامه السهر»⁽³⁾.

وسر هذا أن التقرب إلى الله بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات، وإلا كان كمن يترك الفرائض، ويتقرب بالنوافل ومعلوم أنه لن تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة.

قال سيدنا عمر - رضي الله عنه - : " ليس الصيام من الطعام والشراب ولكن من الكذب والباطل واللهو " .

فالصيام الحقيقي هو الذي لا تشوبه شائبة لغو أو فجور، وهو الذي يخرج بصاحبه من ظلمات النفس وعصيانها إلى نور الطاعة ورقبها. فيتألق نور الصوم في مشكاة قلبه، ويتحصن بالله من شياطين الإنس والجن، فلا تتوق نفسه للشر، وإنما تمنعه وتزرع في ضميره خشية الله.

قال ﷺ : «الصيام جنة ما لم يخرقها. قيل: بم يخرقها؟ قال: بكذب أو غيبة»⁽⁴⁾.

واعلموا عباد الله:

أن الإسلام ينهى عن الإسراف في الطعام والشراب في كل وقت، فكيف بشهر الصوم الذي شرع ليهذب أحكام البطون على الأرض، ويروضها ويضعها تحت طبيعة واحدة، وقانون واحد محكم متين، فإن كثرة الشبع تورث التخمّة، وتقعد بالهمة، وتجعل المرء متراخيا متثاقلا كسولا.

وقد قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

(3) رواه الطبراني.

(4) رواه النسائي.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابدا فاعلا، فثلاث لضعامه، وثلاث لشرابه، وثلاث لنفسه»⁽¹⁾.

وعن أبي جحيفة أنه تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال له: أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا⁽²⁾.

فعلى الإنسان المؤمن أن يقتصد في طعامه وشرابه حتى تتذهب نفسه وتضعف شهوته، ويستتير قلبه، وتقوى نفسه على التقوى. وذلك هو سر الصوم ومقصوده. فإن للجوع وخلو المعدة أثرا عظيما في تنوير القلب، وإزالة قسوته، وتنشيط الجوارح للعبادة والله تعالى يقول {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} [الأعراف: 31].

وقد ذكر العلماء أن دواء القلب من قسوته خمسة أشياء:

إخلاء البطن، وقراءة القرآن، والقيام في الأسحار بالتضرع والبكاء، والتهدج بالليل، ومصاحبة أهل الخير والصالح. فالأربعة التي بعد إخلاء البطن لا تتم إلا به فهو أيضا أصل لها، وإخلاء البطن حاصل بالصوم.

أيها المسلمون:

إن شهر الصيام هو شهر الخير والجود والكرم والإحسان. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة"⁽¹⁾.

(1) رواه النسائي، وابن ماجه.

(2) رواه الترمذي.

(1) رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ : «إن الله جواد كريم يحب الكرم»⁽²⁾. وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، ومن إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم.

واقتردى به الصحابة - رضي الله عنهم - فكانوا يؤثرون على أنفسهم، ويتقدمون بالخير ابتغاء وجه الله لا يريدون جزاء ولا شكورا، فكانوا يواسون الفقراء من إفطارهم، ويؤثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. فكان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين. وقد انتهى بعض السلف طعاما وكان صائما، فأحضر بين يديه ليأكله عند إفطاره، فسمع سائلا يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات، فقام فأخذ الصفحة فخرج بها إليه وبات طاويا. وجاء سائل إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه - وكان صائما - فدفع إليه رغيفا كان قد أعده لفطره، ثم طوى وأصبح صائما. وقال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - : أحب للرجل الزيادة في الجود في رمضان اقتداء بالرسول ﷺ، ولحاجة الناس فيه لمصالحهم ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.

فشهر رمضان شهر يجود الله فهي على عباده بالرحمة والمغفرة، والعق من النار فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل. والجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم والمباعدة عنها لأن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل أو نقص، وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل والصيام

(2) رواه الترمذي.

والصدقة لهما مدخل في كفارات الأيمان ومحظورات الإحرام وكفارة الوطء في رمضان.

روى ابن أبي الدنيا أن النبي ﷺ قال: «من أتى عليه رمضان صحيحا سليما، صام نهاره، وصلى وردا من ليله، وغض بصره، وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلواته في جماعة، وبكر إلى جمعه. فقد صام الشهر، واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب عز وجل»⁽¹⁾.

* * * * *

القرآن الكريم في رحاب رمضان

الحمد لله /

جعل القرآن هدى ونورا ومنهاجا ودستورا. وقال - عز من قائل -:

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.. أنزل الكتاب هاديا، والرسول داعيا ومناديا. قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله. الهادي البشير، الداعي النذير الذي أمره ربه أن ينوه بالقرآن بين أمته. فقال سبحانه: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ

بَعِيدٍ

{

[فصلت: 44].

(1) رواه ابن أبي الدنيا.

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تذوق بها قلوبنا حلاوة الإيمان، ونوفق بها إلى تلاوة القرآن، ونفوز بها بالتقى والأمان، وتسبيح الرحمن وفعل الإحسان. وعلى آله وسلم.

أما بعد

فيا أمة محمد عليه الصلاة والسلام:

يقول الله - تعالى - في محكم تنزيله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52] {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً} [النساء: 174].
عباد الله:

القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هو الهدى للمتقين، والموعظة لأولي الألباب الاعتبارين، إنه كلام رب العالمين أوحى به إلى خاتم المرسلين ﷺ، نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام. قال تعالى:

{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: 192: 195].

وكان النبي يتعبد بغار حراء قرب مكة المكرمة، فأتاه جبريل فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. فأخذه وضمه ضمّاً شديداً وأعاد عليه القول. فأعاد الرسول ﷺ الجواب. ثم قال له في الثالثة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 1: 5].

وقرأ النبي هذه الآيات الخمس. ثم رجع إلى بيته ترجف بوادره من نزول

الوحي وعظمته، وكانت الآيات الخمس أول ما أوحى إليه من قرآن.

ثم - لحكمة إلهية - فتر الوحي حتى اشتاق إليه النبي ﷺ أشد اشتياق ثم نزل جبريل إليه بعد هذه الفترة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر: 1:7].

واستمر نزول الوحي على الرسول ﷺ بالقرآن العظيم آيات آيات، وسورا سورا، حتى تم القرآن الكريم، وأكمل المولى الدين، وأتم النعمة على عباده المؤمنين فقال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

إخوة الإسلام:

نحن في هذه الأيام نعيش في رحاب شهر رمضان المبارك الذي شرفه الله، وخصه بمزيد التكريم والعناية.

فضل تلاوة القرآن في رمضان

وأعظم ما في هذا الشهر أنه:

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِّنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185].

ولقد كان النبي الأمين يكثر من تلاوة القرآن في رمضان، وكان جبريل يدارسه في كل ليلة منه.

عن ابن عباس قال: " كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان

فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة
» (1)

وعندما يجتمع للمؤمن في رمضان الصيام والقرآن يكونان شفيعين له يوم
القيامة، قال الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «الصيام والقرآن
يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام: أي رب منعه الطعام والشهوة.
فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعه النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان »
(2)

ولقد كتب الله - سبحانه وتعالى - الحفظ والحماية للقرآن من التغيير
والتبديل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9].

فقارئ القرآن يكون في معية السفارة الكرام البررة، فعليك أخي المسلم
بالإكثار من تلاوته، وتدبر آياته، ففيه المدد والأسرار والأنوار والبركات، وقد
بشر النبي قارئ القرآن بنجاته من النار وعذاب الله فقال: «اقرأوا القرآن فإن
الله لا يعذب قلبا وعي القرآن» (1).

وقراءة القرآن حسنة يتقرب بها العبد إلى مولاه، وثواب الحسنات عند الله
معلوم. قال النبي الكريم ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة
بعشر أمثالها لا أقول {الم} حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم
حرف» (2).

وفضل القرآن لا يقتصر على قارئه فحسب، بل يفيض على البيت الذي يقرأ
فيه فتعمه أنواره، وتنزل الرحمة على من فيه. قال المصطفى ﷺ: «البيت الذي

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه الإمام أحمد.

(1) رواه تمام وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

(2) رواه الترمذي.

يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض»⁽³⁾.

وأفضل ما ينجي به العبد ربه تلاوة كتابه، ففيه خير الدعاء، وطيب الذكر فمن شغل نفسه به كفاه الله كل مؤنة، وأعطاه بلا حساب ولا عدد.

ففي الحديث القدسي الذي يرويه النبي الأمين ﷺ عن رب العزة عز وجل. قال: «من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه»⁽⁴⁾.

فالمداومة على تلاوته توقظ الهمم، وتجلبوا الران عن القلوب.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد. فقيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن، وذكر الموت»⁽⁵⁾.

فالزموا إخوة الإسلام كتاب الله، وعمرؤا قلوبكم به، فلا علم إلا علمه، ولا خير إلا خيره، ولا هدي إلا هديه.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب»⁽¹⁾.

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة.. ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»⁽²⁾.

(3) رواه البيهقي في الشعب.

(4) رواه الترمذي.

(5) رواه البيهقي في الشعب.

(1) رواه الترمذي.

(2) متفق عليه.

عن سيدنا علي - كرم الله وجهه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم. قلت: يا رسول الله: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء، ولا يشعب منه العلماء، ولا يملأه الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا. من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»⁽³⁾.

فقارئ القرآن مع ربه وملائكته، ونوره وفضله، لا تنقطع عنه أمداد الله ولا عطاؤه تحوطه سكينته وتغشاه رحمته.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ، ثم جالت أخرى أيضا قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقامت إليها.

فإذا مثل الظلة فوق رأس فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. قال: فغدوت على رسول ﷺ فقلت: يا رسول الله: بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي. فقال عليه الصلاة والسلام: اقرأ يا ابن حضير. قال: فقرأت ثم جالت أيضا. ثم قال رسول الله ﷺ اقرأ يا ابن حضير. قال: فقرأت ثم جالت أيضا. ثم قال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير. قال: فانصرفت وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه. فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها.

(3) روى الترمذى بحوه.

فقال الرسول ﷺ : «تلك الملائكة تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»⁽¹⁾.

وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ في الحديث المشهور الصحيح: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»⁽²⁾.

قال تعالى: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78]. أي الملائكة تشهده.

قال شيخنا الجعفري رضي الله عنه في صفة الذين يتلونه حق تلاوته، ويعملون به: " كان القرآن لهم جليسا، وبعد الموت أنيسا، تالي القرآن في حضرة الأنس والأمان، تالي القرآن له الرحمة والغفران، وتالي القرآن موعود بشفاعته القرآن، تالي القرآن له العلم والعرفان، تالي القرآن يضىء به الزمان والمكان، تالي القرآن يعيش ويموت على الإيمان، تالي القرآن عدوه في الدنيا يهان، تالي القرآن رزقه مبارك وله رزقان، تالي القرآن تتبع جنازته سور القرآن، تالي القرآن يدفن وينير قبره القرآن".

اعلموا عباد الله أن لتلاوة القرآن واستماعه آدابا: فعلى من قرأ القرآن، واستمع إليه أن يتأدب في تلاوته، فالأبرار من صفتهم عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار، بما يفهمون من الوعد والوعيد، والخوف من رحمته ولطفه - أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء. كما قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

(1) رواه مسلم.

(2) رواه أبو داود.

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ { [الأنفال: 2].

{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } [الفرقان: 73].

أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها بصيرين بمعانيها. ويقول المولى في صفة المؤمنين الصادقين: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء: 107، 108، 109].

يقول عليه الصلاة والسلام في فضل من استمع للقرآن: " من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة " (1).

وإن من آداب التلاوة الإنصات، والإقبال، والتدبر، وعدم اللهو واللغو، ومما عمت به البلوى في زماننا هذا شرب الدخان حين تلاوة القرآن أو الاستماع إليه وهذا حرام.

فضل العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر، زكاة الفطر

الحمد لله /

الذي رفع الليالي بعضها على بعض درجات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في أيام دهره نفحات، يتجلى فيها بالمغفرة والرضوان والبركات. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرشدنا إلى مواسم الخيرات، وعلمنا كيفية الطاعات، اللهم صل على سيدنا محمد سيد السادات، ومنبع البركات، ومعدن الكلمات الطيبات، وسراج الحوالك والظلمات، وجلاء الكروب المدلهمات،

(1) رواه أحمد.

وعلى آله وسلم وأصلح لنا الأحوال والصفات.

أما بعد

فيا عباد الله:

يقول المولى عز وجل {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ { [القدر: 1: 4]

إنه عز شأنه بما له من العظمة، والحكمة البالغة، والخلق والتقدير ابتداءً إنزال كتابه من لدنه على رسوله ﷺ في ليلة القدر المباركة ذات الشرف العظيم.

وأول ما يطالعنا من قراءة هذه السورة المحكمة يشعرونا بعظمة المنزل والمنزل: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} { [القدر: 1]. والمعنى: أن الله تعالى أنزل كتاباً ذا قدر على نبي ذي قدر، في ليلة ذات قدر، على أمة ذات قدر. ومعنى القدر: الشرف العظيم. فمن قامها لله تعالى عامداً ذاكرًا غفر له ما تقدم من ذنبه. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» (1).

فليلة القدر في رمضان، ووقتها على جهة التحديد قد استأثر الله - تعالى - بعلمه وقد قرب لنا رسول الله ﷺ طريق الوصول إليها.

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «تحرروا ليلة القدر في

(1) رواه الشيخان.

الوتر من العشر الأواخر من رمضان»⁽²⁾.

ولقد رآها كثير من الصحابة في السبع الأواخر من رمضان، والدلائل تشير إلى أنها ليلة السابع والعشرين.

وقد ذكر أن أحد الصالحين كان يطوف بالبيت الحرام ليلة سبع وعشرين فرأى الملائكة في الهواء طائفين فوق رؤوس الناس.

وروى أن رجلا مقعدا دعا الله ليلة سبع وعشرين فأطلقه.

وحكى أن رجلا ظل أخرس ثلاثين سنة، فدعا الله ليلة سبع وعشرين فأطلقه. واعلم يا أخانا: أن الذي عليه الجمهور من علماء المسلمين أنها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، وقد أخفاها المولى عن عباده ليجدوا ويجتهدوا في تحصيلها.

روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال: " خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين. فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة".

وهذا الحديث ينبهنا إلى خطورة التشاحن والتخاصم، وأن ذلك يغضب الله تعالى، ويحجب عن المتشاحنين الرحمة والمغفرة، فقد حرم المسلمون من معرفة وقت ليلة القدر بسبب تشاحن رجلين منهم.

ولكن في إخفائها - كما أخبرنا بذلك الصادق ﷺ خير لنا حتى نحرص على إحياء ليالي العشر الأواخر من رمضان كلها.

فلقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله،

(2) رواه البخاري.

وأيقظ أهله، وجد وشد المنزر.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول: تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان " (1).

ففي إختفائها خير وتوسعة للعباد، وفتح لأبواب الاجتهاد. وقد قال أسلافنا - رضي الله عنهم -: " أخفى الرب أموراً في أمور لحكم: ليلة القدر في الليالي العشر الأواخر من رمضان. لتحیی جميع الليالي، وساعة الإجابة في الجمعة ليدعى في جميعها، والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على الجميع، والاسم الأعظم في أسمائه الحسنی ليدعى بالجميع، ورضاه في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات، وغضبه في معاصيه ليزجر عن الكل، والولى في المؤمن ليحسن الظن بكل المؤمنين، ومجئ الساعة في الأوقات للخوف منها دائماً، وأجل الإنسان ليكون على أهبة ". وعلى هذا يحصل ثواب ليلة القدر لمن قامها ولو لم يعلمها.

قال تعالى {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر: 3].

قال ابن مسعود رضي الله عنه " إن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك. فنزلت هذه السورة (2).

وروى الإمام مالك في رواية ابن القاسم: سمعت من أثق به يقول: إن رسول الله ﷺ أرى أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر " (1).

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البخارى.

(1) رواه مالك.

والألف شهر: ثلاث وثمانون سنة، وأربعة أشهر.

هكذا بلغت منزلة ليلة القدر، وقدرها وشرفها العظيم، فإن العبادة فيها وقيامها لله تعالى إيماناً واحتساباً يزيد في الفضل والثواب عن عبادة ألف شهر أما من حرم خيرها العظيم فقد حرم الخير كله.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: " دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم»⁽²⁾ .

قال تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر: 4].

روى عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل»⁽³⁾ .

وفي رواية: " أنها تسلم على كل عبد قائم يذكر الله عز وجل إلا على مشرك أو مشاحن، أو قاطع رحم، أو مدمن خمر، أو عاق لوالديه ".

قال تعالى {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: 5].

سلام وسلامة وخير كثير لا ينقطع عن القائمين إلى طلوع الفجر.

وإحياء تلك الليلة يكون بالصلاة، وتلاوة القرآن، والدعاء، والاستغفار ودراسة العلوم، والوعظ والإرشاد، ومواساة الفقراء والمحتاجين.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " قلت: يا رسول الله: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قل: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»

(2) رواه ابن ماجه.

(3) رواه أحمد.

وفي حديث جابر رضي الله عنه: «إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً» (2).

زكاة الفطر

أجمع العلماء على وجوب صدقة الفطر طهرة للصائمين، و طعمة للفقراء والمساكين عن كثير بن عبد الله المزني. عن أبيه. عن جده قال: سئل النبي ﷺ عن هذه الآية: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}. قال: أنزلت في زكاة الفطر (3).

وكان عمر بن عبد العزيز يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية. وروى ابن عمر قال: " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، و طعمة للمساكين " (4). وعنه أيضا قال: " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال: أغنوهم في هذا اليوم " (5).

ويشترط لوجوبها: الإسلام، والحرية، واليسار. فالمعسر حال الوجوب لا تجب عليه بلا خلاف. ويخرجها الإنسان عن نفسه، وعن تلزمه نفقته صغيرا أو كبيرا من زوجة وولد صغير، وبنت صغيرة أو كبيرة إلى الدخول، ووالدين فقيرين. وتجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان، أو بطلوع فجر يوم العيد وتستحب أن يخرجها الإنسان قبل صلاة العيد، لما روى ابن عمر رضي الله

(1) رواه الترمذی وصححه.

(2) رواه البيهقي.

(3) رواه ابن خزيمة.

(4) رواه أبو داود.

(5) رواه البيهقي.

عنهما أن النبي ﷺ : «أمر بزكاة الفطر أن تخرج قبل خروج الناس إلى الصلاة»
(6)

ولا يجوز تأخيرها عن غروب شمس يوم العيد، فإن أخرها أثم وعليه القضاء ويجوز تقديمها من أول يوم في رمضان عند الإمام الشافعي. وتخرج من غالب قوت أهل البلد، والغالب الآن القمح. فلا يجوز إخراج غيره، فمن أراد إخراج القمح فإن الكيلة تكفي عن ستة أشخاص عند المالكية.

ومن أراد إخراج القيمة فليخرج على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وليعلم أن الكيلة وسدس القدر عنده تكفي عن سبعة أشخاص، تعطى للفقير المسكين الذي لا يملك قوت يومه أو عامه، ولا تعطى لمن تلزمه نفقة المزكى.

ولا يجوز إعطاؤها المسحراتي نظير قيامه في السحور لإيقاظ الناس، وإنما يتقاضى أجره بعيدا عنها إلا إذا كان فقيرا فلا مانع من أن يعطى منها بالإضافة إلى أجره. ولا يجوز إعطاء الكافر منها، ولا من أي زكاة. ويجوز إعطاؤها كلها لفقير واحد ولو كان قريبا لكان أفضل، لأن الصدقة على القريب الفقير صدقة، وصلة رحم.

فاتقوا الله عباد الله:

وعليكم بإحسان وداع شهر رمضان، وإحياء ليلة العيد فلقد قال رسول الله ﷺ :
«من أحيأ ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»⁽¹⁾.

واغدوا إلى مصلاكم مكبرين مهللين، وعودوا من طريق آخر غير الذي ذهبتم منه، فإن الملائكة تقف على رؤوس الطرق تسلم على كل غاد ورائح.

(6) رواه البخارى.

(1) رواه الطبرانى.

وداع و توديع رمضان

الحمد لله /

ينيب على الصيام والقيام جنته دار الإنعام والإكرام. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في ملكه، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير من صام وقام، وبشر بغفران الذنوب لمن كمل صيامه وقيامه بتمام أيام رمضان، وقال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾، «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽²⁾، «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽³⁾.

اللهم صل على سيدنا محمد سيد السادات، ومنبع البركات، ومعدن الكلمات الطيبات، وسراج الحوائك والظلمات، وجلاء الكروب المذلهمات وعلى آله وسلم، وأصلح لنا الأحوال والصفات.

أما بعد

فيقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا

(1) رواه البخاري، وغيره.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) رواه البخاري ومسلم.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

يَجْمَعُونَ [يونس: 58] ". ويقول عليه الصلاة والسلام: «لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة» (5).

ومن هنا كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم يزدادون إقبالا إلى الطاعة كلما قرب رمضان من النهاية، فكانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم صيام رمضان. فكانوا يجتهدون في إتمام العمل وإتقانه، وإكماله، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده.

وهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}** [المؤمنون: 60] قال الإمام علي كرم الله وجهه: "كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل. ألم تسمعوا قول الله تعالى: **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** [المائدة: 27].

وذلك حرصا منهم على ما وعد الله - تعالى - به الصائمين من مغفرة للذنوب، وتجاوز عن السيئات، وعتق للرقاب من النار. فمما اختص الله به الأمة الإسلامية أنه: "إذا كان آخر ليلة من رمضان غفر الله لهم جميعا. فقال رجل من القوم الذين كانوا يجلسون مع رسول الله ﷺ مستفسرا: أهى ليلة القدر؟ قال: لا. ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم".

إنها بحق جائزة لا تشبه جوائز الأمراء إذا أكمل الصائمون صيام رمضان، وقيامه. فقد وفوا ما عليهم من العمل، وبقي ما لهم من الأجر، وهو المغفرة التي أعدها الله لهم.

ومن هنا كان الإمام علي - كرم الله وجهه - يقول: (ياليت شعري: من هذا المقبول فنهنيه، ومن هذا المحروم فنعزيه، ماذا فات من فاته خير رمضان، وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان).

(5) رواه الطبراني.

كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران. رب قائم حظه من قيامه السهر، ورب صائم حظه من الصيام الجوع والعطش. إن شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران فمنها: صيامه، وقيامه، وقيام ليلة القدر، وتفتير الصائمين، والذكر، والاستغفار، ودعاء الصائم في صومه وعند فطره، واستغفار الملائكة للصائمين.

فلما كثرت أسباب المغفرة كان الذي تفوته المغفرة فيه محروم غاية الحرمان. "بعد من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله قل: آمين. فقلت آمين (1) ".

فإذا لم يغفر له في رمضان فمتى يغفر لمن لم يغفر له، ومتى يقبل من رد في ليلة القدر متى يصلح من لا يصلح في رمضان، فكل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار فإنه يقطع ثم يرمى في النار. ومن فرط في الزرع في وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسارة: «شهر رمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار» (2).

فأوله رحمة وهي للمحسنين المتقين {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 56]. {فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156]. فيفاض على المتقين في أول الشهر خلع الرحمة والرضوان، ويعامل أهل الإحسان بالإحسان.

وأما أوسطه فالأغلب عليه المغفرة فيغفر للصائمين، وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغيرة فلا يمنعهم من المغفرة {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} [الرعد: 6].

وأما آخر الشهر فيعتق الله فيه من النار: من أوبقته الأوزار، واستوجب النار

(1) رواه ابن حبان.

(2) رواه ابن خزيمة.

بالذنوب الكبار.

وفى حديث ابن عباس: «لله فى كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله فى ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره»⁽³⁾.

ولما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبا على صيام رمضان، وقيامه أمر الله سبحانه عند إكمال العدة بتكبيره، وشكره. فقال سبحانه: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار، وصدقة الفطر. فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والاستغفار ترقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث.

قولوا كما قال أبوكم آدم: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: 23].

وقولوا كما قال موسى: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} [القصص: 16].

وقولوا كما قال ذو النون: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87].

وقريب من هذا أمر النبي ﷺ للسيدة عائشة - رضى الله عنها - فى ليلة القدر بسؤال العافية.

فالمؤمن يجتهد فى شهر رمضان فى صيامه وقيامه، فإذا قرب الشهر من النهاية وصادف ليلة القدر لم يسأل الله تعالى إلا العفو كالمسئ المقصر، ولذا كان صلة بن أشيم يحيي الليل كله ثم يقول فى دعائه عند السحر: " اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، ومثلي يجترئ أن يسألك الجنة ".

(3) رواه البيهقي.

وكان مطرف يقول: اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا. فاعف عنا.

* * * * *

توديع رمضان، وزكاة الفطر

الحمد لله /

الحي الباقي وتفنّى الأيام والدهور، الذي جعل إكمال الصيام ويوم العيد يوم فرح وسرور. وأشهد أن لا إله إلا الله الحليم الغفور، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذي هو رحمة ونور. صلى الله عليه صلاة نستجلب بها الرضا والحبور، والفرح بالله والسرور، ما استجاب الله كل عبد صبور، وما فتحت أبواب لأهل البر والبرور، وعلى آله وسلم ملء الأيام والأشهر والدهور، صلاة ننال بها قرباً إليه بلا حجاب ولا ستور.

أما بعد

فقد جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ ذكر خمس خصال أعطاها الله لأمته في شهر رمضان، وذكر الخامسة فقال: "وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً. فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر؟ فقال: لا. ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم " (1)

فهذه الليلة هي ليلة الجائزة، ولكنها ليست كجوائز الدنيا. بل إنها جائزة

(1) رواه البيهقي من حديث طويل.

عظيمة، فإذا أكمل الصائمون صيام رمضان وقيامه، ووفوا ما عليهم من العمل، وبقي ما لهم من الأجر وهو المغفرة، فإذا خرجوا يوم عيد الفطر إلى الصلاة قسمت عليهم أجورهم، فرجعوا إلى منازلهم، وقد استوفوا الأجر، واستكملوه.

كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : " إذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع من خلقه الله إلى الجن والإنس. يقولون: يا أمة محمد: اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل، ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي: ما جزاء الأجير إذا عمل عملا. فيقولون: إلهنا وسيدنا أن توفيه أجره. فيقول: إني أشهدكم إني قد جعلت ثوابهم من صيامهم، وقيامهم رضائي ومغفرتي. انصرفوا مغفورا لكم " (1). وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن آخر شهر رمضان يعتق الله فيه الرقاب من النار.

وقد جاء في الحديث الذي رواه سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: " لله في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره " (2).

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى ورحمته بالمؤمنين أن شرع لهم زكاة الفطر لتطهر صيامهم ما قد يحدث فيه من نقص تركية لصيامهم حتى يرفع إلى الله تعالى طاهرا مطهرا وقد قال الله تعالى: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}** [فاطر: 10].

وقد أجمع العلماء على وجوب زكاة الفطر. تطهيرا للصائمين وإغناء للفقراء والمساكين عن ذل السؤال في هذه الأيام المباركة.

(1) رواه البيهقي.

(2) رواه البيهقي.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر فقال: أغنوهم في هذا اليوم.. وفي رواية: أغنوهم عن طواف هذا اليوم " (3).

وعنه رضي الله عنه قال: " فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر من رمضان على الناس، وبعث رسول الله ﷺ مناديا ينادي في فجاج مكة: ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم، وهي طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين " (4).

وزكاة الفطر واجبة على كل مسلم يملك ما يزيد عن قوته وقوت من يعولهم، ونفقة بيته يوم العيد وليلته. ويخرجها المزكي عن نفسه، وعن تلزمه نفقته كزوجته، وأبنائه، وخدمه الذين ينفق عليهم ووالدين فقيرين، وبنت صغيرة أو كبيرة إلى الدخول.

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد، والحر، والذكر، والأنثى، والصغير، والكبير من المسلمين " (1).

وتعطى زكاة الفطر للفقير، والمساكين الذي لا يملك قوت يومه أو عامه. ولا تعطى لمن تلزمهم نفقته المزكي كالزوجة، والأبوين الفقيرين، ولا يجوز إعطاء شئ منها للمسحراتي نظير قيامه بإيقاظ الناس وإنما يتقاضى أجره بعيدا عنها. ولا يجوز إعطاء الكافر منها، ولا من أي زكاة. ويجوز إعطاؤها كلها لفقير واحد، وعلى الجملة فإن مصارف زكاة الفطر هي مصارف الزكاة التي جاءت في الآية الكريمة: **الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ** {إِنَّمَا

(3) رواه الدار قطنى و ابن عدى.

(4) أخرج الترمذى بنحوه.

(1) رواه الجماعة.

{حَكِيمٌ} [التوبة: 60].

وعن زياد بن الحارث قال: (أتيت رسول الله ﷺ فبايعته فأتى رجل فقال: أعطني من الصدقة فقال: "إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك"(2).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غني يغنيه، ولا يفتن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»(1).

وأفضل الصدقة الصدقة على أولي القربى إذا كانوا في حاجة إليها لما في ذلك من المودة والرحمة.

فعن سلمان بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة، وصلة»(2).

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا وداع شهر الصيام، وأحيوا ليلة العيد، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من أحيأ ليلتي العيد لم يمتم قلبه يوم تموت القلوب»(3).

واغدوا إلى مصالكم مهللين مكبرين، وعودوا من طريق آخر غير الذي ذهبتم منه، فإن الملائكة تقف على رؤوس الطرق تسلم على كل

(2) رواه أبو داود.

(1) متفق عليه.

(2) رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(3) روى نحوه الطبراني في الكبير والأوسط.

الحج

(أ) الآيات:

1- قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 96، 97].

2- وقال عز وجل: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: 26-29].

3- وقال عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 158].

4- وقال عز وجل: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ
أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ
إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {
[البقرة: 196].

5- وقال سبحانه وتعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا
أَفْضَيْتُمْ مِّنْ عَرَافَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ
مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ {
[البقرة: 198، 199].

ب) الأحاديث

الاستطاعة والنفقة فى الحج:

- 1- عن ابن عمر رضى الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا
رسول الله: ما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة"⁽¹⁾.
- 2- وقال - عليه الصلاة والسلام -: "تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما
يعرض له"⁽²⁾.
- 3- وقال أيضا ﷺ: قال الله - تعالى -: «إِنْ عَبْدًا صَحَحَتْ لَهُ جِسْمُهُ،
وَوَسَّعَتْ عَلَيْهِ فِي مَعِيشَتِهِ، تَمَضَى عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعوَامٍ لَا يَفِدُ إِلَى لَمَحْرُومٍ»⁽³⁾.
- 4- وقال أيضاً ﷺ: «مَنْ لَمْ تَحْبِسْهُ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ مَرَضٌ حَاطِسٌ أَوْ

(1) رواه الترمذى وحسنه.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه ابن حبان فى صحيحه.

سلطان جائر، ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»⁽¹⁾.

5- وقال ﷺ: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة»⁽²⁾.

6- عن جابر - رضى الله عنه -: قال رسول الله ﷺ: «ما أمر حاج قط. قالوا: وما الإعمار؟ قال: الافتقار»⁽³⁾.

7- وقال عليه الصلاة والسلام: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»⁽⁴⁾.

(1) رواه أحمد والبيهقي.

(2) رواه الطبراني في الأوسط.

(3) أخرجه البزار والبيهقي والطبراني في الأوسط.

(4) رواه الترمذي وصححه النسائي وغيرهما.

النفقة من الحلال فى الحج:

1- قال عليه الصلاة والسلام : «إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز (الركاب) فنادى: لبيك اللهم لبيك. ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال، وراحتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور. وإذا خرج بنفقة خبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك. ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك ... زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مأجور»⁽¹⁾.

2- وقال - عليه الصلاة والسلام - : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»⁽²⁾.

3- عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: كنت جا لسأ مع النبى ﷺ فى مسجد منى. فأتاه رجل من الأنصار، ورجل من ثقيف فسلما. ثم قالوا: يا رسول الله: جئنا نسألك. فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألان عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألانى فعلت. فقالا: أخبرنا يا رسول الله. فقال الثقيفى للأنصارى سل. فقال: أخبرنى يا رسول الله. قال: جئتنى تسألننى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت ومالك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن نحرك ومالك فيه مع الإفاضة. فقال: والذى بعثتك بالحق: لَعَنَ هذا جئت أسألك.

قال: فإنك إن خرجت من بيتك تؤم المسجد الحرام لا تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب لك به حسنة، ومحا عنك به خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف: فهو كعتق رقبة من بنى إسماعيل، وأما طوافك بين الصفا والمروة فهو كعتق

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(2) متفق عليه.

سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة: فإن الله تعالى يهبط إلى السماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول: "عبادى جاءونى شعناً غبراً من كل فج عميق يرجون جنتى، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها. أفيضوا عبادى مغفوراً لكم، ولمن شفعتم له".

وأما رميك الجمار فلك بكل حصة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات. وأما نحر ك فهو مذخور لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، ويمحى عنك بها خطيئة. وأما طوافك بالبيت بعد ذلك. فإنك تطوف ولا ذنب لك. يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى"(1).

4- وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من مسلم يلبي إلا لبي من عن يمينه وعن شماله من حجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا» (2).

5- وقال عليه الصلاة والسلام: «ينزل على البيت كل يوم ليلة مائة وعشرون رحمة: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين» (3).

6- وقال عليه الصلاة والسلام: «من استطاع الحج ولم يحج فليمت يهودياً أو نصرانياً» (4).

* * * * *

(1) أخرجه البزار وابن حبان والطبرانى.

(2) رواه الترمذى.

(3) رواه الطبرانى.

(4) روى الترمذى نحوه.

الحج على أداء فريضة الحج

الحمد لله /

الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله. من عصاه فقد عصى، ومن أطاعه فقد أطاع، الذي تشرفت بقدومه السماوات السبع وسائر البقاع.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد خير من حج واعتمر ولبى، صلاة ترزقنا بها حبك وحبه، وتكون لقلوبنا دواء وطبا، وتكون لوساوس الشيطان ردا وحربا، صلاة تجذبنا بها إلى حضرة القرب جذبا، صلاة نأمن بها بعدا وسلبا، وعلى آله وسلم.

أما بعد

فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه، عبادة العمر، وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين. فيه أنزل الله عز وجل قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدائها الكمال، ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال.

يقول الله تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 96، 97].

فقد جرت العادة بأن كل مالك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وملك السماوات والأرض لله الواحد القهار، فله أن يعظم ما يشاء، ويأمر بما يشاء ويريد، وقد اقتضت حكمته وإرادته تعظيم الأراضي المقدسة وزادها تشريفاً بأن ولد فيها سيد الكونين ﷺ، وانبعث منها نور الإسلام، فأشرق على قلوب من أراد الله هدايتهم، كما تشرق الشمس فيبدد نورها الظلام. ولعظم الكعبة وشرفها كانت تؤمها الملائكة حتى قبل آدم عليه السلام. كما أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بأن ينادي في الناس بالحج فقال: **{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}** [الحج: 27].

فنادى إبراهيم في الناس كما أمره ربه فسمعه أهل السماء والأرض، وأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء.

فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم - عليه السلام - فمن أجاب مرة حج مرة، ومن أجاب مرتين حج مرتين... وهكذا. ومن لم يجب لم يحج.

فقوله سبحانه **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ}** [آل عمران 97]. دليل على أن الحج فرض على كل مسلم ومسلمة.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»⁽¹⁾.

وروى الأئمة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا». فقال رجل: كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم. ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكرة مسائلهم

(1) رواه الإمام أحمد.

واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عنه فدعوه» (1).

وثبت أن النبي ﷺ قال له أصحابه: يا رسول الله: أحبنا لعامنا هذا أم للأبد؟ فقال: «لا. بل للأبد» (2).

وشروط وجوب الحج: الاستطاعة وهي النفقة، وأمن الطريق. فمن استطاع وتأخر عن الحج من غير عذر فهو من الآثمين فليستغفر الله تعالى وليبادر بأداء هذه الفريضة الغالية قبل أن يكون من المقبرين. روى الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله: الحج كل عام؟ قال: لا بل حجة. قيل: فما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة (3) وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. عن النبي ﷺ: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران 97].

قال: فسئل عن ذلك فقال النبي ﷺ: «أن تجد ظهر بعير».

ويجب الحج عند المالكية على الفقير الذي يستطيع المشي على الأقدام، وعلى الصانع كالنجار والحداد والنساج، والذي ينحت الحجر والرخام، وعلى المسكين الذي عادته أن يسأل الناس ما يأكله من خبز وطعام، ويجب على من عنده دكان، أو بيت، أو أرض، أو نخيل، أو ملابس يلبسها يستطيع أن يبيع شيئاً من ذلك كله ليؤدي فريضة رب العالمين.

وينبغي أن تكون نفقة الحج من مال حلال طيب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة فوضع رجله في الغرز (الركاب) ونادى: لبيك اللهم لبيك.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الطبراني.

(3) رواه الدارقطني.

ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور. وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك. ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك. زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك غير مبرور»⁽¹⁾.

ولقد كان السلف الصالح - رضي الله عنهم - يؤثمون من ترك الحج وهو مستطيع قادر، فعن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وطاوس: "لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج، ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه".

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: "من مات ولم يزك، ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا. وقرأ: {قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ} [المؤمنون: 99، 100] الآية.. قال: الحج".

وروى الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده سعة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية. ما هم بمسلمين! ما هم بمسلمين! "

فينبغي علينا معشر المسلمين أن نبادر إلى أداء هذه الفريضة، وألا نتوانى ونتكاسل، ونتعلل بالمشقة، ولا نبخل على الله بشئ من ماله الذي استودعنا إياه.

وما أحسن ما قاله الضحاك بن مخلد رحمه الله:

"إن كان شاب قوي صحيح ليس له مال فعليه أن يؤجر نفسه بأكله أو نفقته حتى يقضي حجه. فقال له رجل: كلف الله الناس أن يمشوا إلى البيت؟ فقال: لو أن لأحدهم ميراثا بمكة أكان تاركه؟ لا. بل يسرع إليه وينطلق ولو حبوا كذلك يجب عليه الحج".

(1) رواه الطبراني في الأوسط.

فأسرعوا عباد الله إلى بيت الله قبل أن تدرككم المنية، وتقفوا بين يدي الجبار الحسيب الرقيب.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :
«تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»⁽¹⁾.

واعلموا عباد الله أن رحمة الله واسعة فقد خفف عن عبده المريض مرضا شديدا متصلا بالموت، فيجوز الحج عنه بأجرة أو بغيرها. ويسقط به فرض الحج عن المحجوج عنه على رأي جمهور العلماء. وكذلك عن الميت بشرط أن يكون المؤدي قد حج عن نفسه أولا.

فقد روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول:
لبيك عن شبرمة. قال: «من شبرمة؟» قال: أخ لي. قال: «أحجبت عن نفسك؟» قال: لا. قال: «حج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة»⁽²⁾.

وعنه رضي الله عنه أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله: إن أُمِّي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «نعم. حجي عنها. أرايت لو كان عليها دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»⁽³⁾.

واعلموا عباد الله:

أن المصطفى ﷺ توعّد من تهاون بهذه الفريضة بالوعيد الشديد فقال - عليه الصلاة والسلام - : «من استطاع الحج فلم يحج فليمت يهوديا أو نصرانيا»⁽⁴⁾.

(1) رواه الإمام أحمد.

(2) رواه الدار قطنى.

(3) رواه البخاري، والنسائي.

(4) رواه الترمذى.

فيا حسرة على من دخل في هذا الوعيد، فمن لم يحج فقد ترك ركنا من أركان الإسلام، فكيف تحزن على نقصان مالك، ولا تحزن على نقصان دينك الذي هو أعز من المال والبنين.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما إلا غابت الشمس بذنوبه» (1).

وفي الحديث القدسي:

«يقول الله تعالى: إن عبدا صححت جسمه، ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم» (2).

قال عليه الصلاة والسلام: «الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والجهاد في سبيل الله سهم، وقد خاب من لا سهم له» (3).

وقال عليه الصلاة والسلام: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة». بدليل قوله تعالى: {وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} * وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ { (4).

* * * * *

(1) رواه الترمذي.

(2) رواه البيهقي وغيره.

(3) رواه البزار.

(4) رواه أحمد و الطبراني وغيره.

استقبال العشر الأول من ذى الحجة

الحمد لله /

الذى جعل فى أيام دهره نفحات ومواسم للخيرات، يتجلى فيها على عباده
بالنفحات والخيرات.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له يجزل الثواب لمن اجتهد فى فعل
الخيرات، وعمل الصالحات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى تقرب إلى ربه بالطاعات فى جميع
الأوقات.

اللهم صل على سيدنا محمد الذى طاف بالبيت وللحجر قبلاً، وشاهد الله - تعالى
- طول حياته وعليه أقبل، ونور القلوب بالإيمان وللکفر بدد وعطل، وعلى آله
وسلم.

أمـ بعد

فيا عباد الله /

يقول الله - تعالى - فى محكم كتابه:

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا
الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: 36].

جعل الله من شهور السنة الهجرية أربعة أشهر حرم الله فيها القتال والظلم،
ولقد عظمتها العرب، وجاء الإسلام فحفظ لها حرمتها ومكانتها، وهذه الأشهر
هى (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب).

وشهر ذى الحجة من أعظم الأشهر الحُرْم: فيه تؤدى شعيرة من أعظم
شعائر الإسلام وهى: حج بيت الله الحرام، وفيه عشرة أيام من أوله هى من

أفضل أيام السنة، فقد أقسم الله - تعالى - بهذه الليالي العشر توجيهاً للقيام فيها بطاعة الله تعالى فقال: {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر: 1، 2].

ففى هذا العشر ليلة ونهاره ا تهب نفحات رضا الله على من أجاب داعى الله سواء أكان بمكة أم مقيماً بين أهله.

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعنى أيام العشر - قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء» (1).

فالله - تعالى - يحب الأعمال الصالحة فى كل وقت ما دامت خالصة لوجهه الكريم، وأحب إليه ما كان فى العشر الأول من ذى الحجة، ففيها يرضى الله على عباده، ويفتح أبواب السماء أمام دعواتهم فمن أكرمه الله بحج بيته، وزيارة نبيه ﷺ يتفضل المولى عليه بالعفو والغفران، والصفاء والرضوان. ومن لم يكن له نصيب فى الحج فليشارك الحاج فى السعى إلى رضا الله ومضاعفة الحسنات بأنواع الطاعات ومنها: المحافظة على أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها وفى جماعة فى بيوت الله.

فقد قال النبى ﷺ: «من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة، وخطوة تكتب له حسنة، ذاهباً وراجعاً» (2).

ومن الطاعة فى هذه الأيام المباركة صيام الأيام التسعة صوماً كاملاً يترك به الإنسان كل ما يغضب الله، ويقبل على ما يحبه ويرضاه. عن حفصة أم المؤمنين - رضى الله عنها وعن أبيها - أن النبى ﷺ "كان لا يدع صيام

(1) رواه أحمد وأبو داود.

(2) رواه أحمد.

عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر⁽¹⁾. ومن لم يستطع فليصم يومى الاثنين، والخميس منها - أى من العشر - فقد قال - عليه الصلاة والسلام -: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم»⁽²⁾.

وليحرص كل مؤمن على صيام يوم عرفة الذى يكفر ذنوب السنة الماضية ويقى ذنوب السنة المقبلة.

ومن الطاعة قيام ليل هذا العشر ولو بصلاة الفجر والعشاء فى جماعة.

فقد قال النبى ﷺ: «من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله»⁽³⁾. فمن جمع فى الأيام المباركة بين الصيام والقيام فقد فاز برضا الله:

قال - عليه الصلاة والسلام -: «ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبده الله فيها من عشر ذى الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر»⁽⁴⁾.

وعليكم إخوة الإسلام بالإكثار من قراءة القرآن فى هذه الأيام العشر فقراءة القرآن أفضل عبادة أمة النبى ﷺ: قال عليه الصلاة والسلام: «أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن»⁽⁵⁾.

ويستحب أيضاً الإكثار من ذكر الله - تعالى - وقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ امتثالاً لقول النبى ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب لله العمل فيهن من أيام العشر فأكثرُوا فيهن من التسبيح والتهليل

(1) رواه أحمد والنسائى وأبو داود والطبرانى فى الكبير.

(2) رواه الترمذى وقال حسن غريب.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه ابن ماجه والترمذى وقال غريب.

(5) ضعفه السيوطى فى الجامع الصغير.

والتكبير» (1).

فأكثرُوا عباد الله من الذكر فى هذه الأيام المباركة فقد قال الله - تعالى - فى شأن الحجاج: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ} [الحج: 28].

فإن الأيام المعلومات هى أيام العشر عند جمهور العلماء.

فيا مَنْ حُرِّمَتْ من اللحاق بركب الحجيج، إذا أردت أن تتصل بهم بقلبك وروحك فأكثر من ذكر الله، فإن الذكر يرفع صاحبه إلى مقام الصادقين، ويسمو به إلى درجة السابقين الأولين.

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: "جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور - أى الكثرة من الأموال - بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يحجون بها ويعتَمرون ويجاهدون ويتصدقون، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما لو أخذتم به لحقتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدهم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرائهم إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين» (2).

والصدقة فى الأيام العشر تعود على مؤديها بالغنى، وغفران الذنوب، بل هى أفضل من حج التطوع: فقد قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: "لأن أعول بيتاً من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلى من حجة بعد حجة".
أى: حجة التطوع بعد حجة الفريضة.

وأيام العشر هى أفضل الأيام فى أفضل الشهور:

عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن كعب قال: "أحب الزمان إلى الله هى الأشهر الحرم، وأحب الأشهر الحرم إلى الله ذو الحجة، وأحب ذى الحجة إلى الله

(1) رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(2) رواه البخارى.

العشر الأول".

عن سعيد بن جبير - رضى الله عنه - أنه إذا دخل العشر اجتهد فيها
اجتهاداً عظيماً.

وروى عنه أنه قال: "لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر". إعجاباً وإجلالاً لها،
واعترافاً بفضلها وفضل قيامها.

فاتقوا الله عباد الله /

وجاهدوا أنفسكم، ولا تتبعوا الهوى فيضلكم عن سبيل الله، وابتعدوا عما
يغضب الله تعالى، وأطيعوا الله ورسوله لعلكم ترحمون.

قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه
الأيام العشر»، فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ:
«ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك
بشيء»⁽¹⁾. والله الموفق والمستعان.

* * * * *

فضل يوم عرفة والأضحية

الحمد لله /

من التجأ إليه فرح، ومن عامله ربح، وأشهد أن لا إله إلا الله.. من اجتهد في
عبادته عرفه سبحانه بإحسانه، ومنحه الطاعة، وجعل راحته في عبادته، والبعد
عن معصيته.

وهو القائل - سبحانه وتعالى - :

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17]، وأشهد أن سيدنا محمداً

عبد ورسوله، خير من عرف مولاه وتقرب إليه بالضحايا، ودعا إلى سبيله

(1) رواه الترمذى عن ابن عباس وقال حديث حسن صحيح غريب.

البرايا، ورغب في صيام يوم عرفة فقال عليه السلام «من صام يوم عرفة غفر له ذنب سنتين متتابعتين»⁽¹⁾.

اللهم صل على سيدنا محمد خير من جاهد في سبيل الله ودعا، وحج واعتمر وسعى، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـا بعد:

فيقول سبحانه وتعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج: 27].

لما أمر الله عز وجل إبراهيم - عليه السلام - أن يؤذن في الناس بالحج نادى "يا أيها الناس إن الله بنى بيتا فحجوه فأجاب الخلق جميعهم حتى النطف في أصلاب الرجال، وأرحام النساء".
في هذه الأيام المباركة يتوافد الحجاج على بيت الله لمبنيين دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام مؤملين في رضا الله عنهم، وتجاوزه عن سيئاتهم ومن أعظم هذه الأيام عند الله - عز وجل - (يوم عرفة).

وهو يوم العتق من النار لمن حفظ سمعه عن القبيح، ولمن صامه فأرضى ربه فغفر له ذنوبه السابقة.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه، وسنة خلفه، ومن صام يوم عاشوراء غفر له سنة»⁽¹⁾.

فيوم عرفة هو منتهى آمال الحجاج، وفيه ينالون غاية المنى.

(1) رواه أبو يعلى.

(1) رواه الطبراني في الأوسط.

والله تعالى ينظر إليهم بعين الرضا والعناية. فعن أنس - رضي الله عنه - :
قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تطول (تفضل) على أهل عرفات يباهي بهم
الملائكة يقول: يا ملائكتي: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا أقبلوا يضربون إلى
من كل فج عميق. فأشهدكم أنني قد غفرت لهم، وأجبت دعاءهم، وشفعت
رغبتهم ووهبت مسيئتهم لمحسنهم، وأعطيت لمحسنيهم جميع ما سألوني غير
التبعات» (2).

وفي لفظ آخر «فإذا أفاض القوم ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله
يقول: يا ملائكتي: عبادي عبادي وقفوا ينادون في الرغبة والطلب».

ثم يتجلى الله على عباده، وتعم رحمته فيشملهم بعفوه ومغفرته: فعن ابن
عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا كان يوم عرفة لم يبق
أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غفر له. فقيل: يا رسول الله: أَللْمعرف
خاصة أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة) (3).

وفي هذا اليوم العظيم يعتق الله تعالى من النار رقابا لا يعلم عددها إلا هو.
عن جابر - رضي الله عنه - قال: " ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة
ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا يباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول:
أتى عبادي شعثا غبرا ضاحين، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي، ولم
يروا عذابي. فلم ير أكثر عتقا من النار من يوم عرفة " (1).

وقد أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج، وأن من فاتته
فعليه حج من قابل، لقوله عليه السلام: (الحج عرفة) (2).

(2) رواه أبو يعلى.

(3) رواه أبو داود.

(1) رواه ابن حبان.

(2) رواه أحمد و الأربعة.

ويستحب الإكثار من الدعاء والتضرع لله عز وجل في هذا الموقف العظيم والإكثار من قول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير).

فقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبیون من قبلي لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»⁽³⁾.

وقد وردت دعوات نبوية جامعة دعا بها ﷺ يوم عرفة.

روى الترمذي عن علي - رضي الله عنه - قال: " كان أكثر دعاء النبي ﷺ في الموقف: «اللهم لك الحمد كالذي نقول، وخيرا مما نقول. اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي، ولك ربي ترائي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر، وشتات الأمر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما تهب به الريح»⁽⁴⁾.

وبعد هذه الخيرات العظيمة، والمنح الجليلة التي يفوز بها أهل عرفات فإن الشيطان يكون في أشد حالات الذل والهوان، ولا يجد سبيلا إلى هذه الأرواح التقية، والقلوب العامرة:

عن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رني الشيطان يوما هو فيه أصغر، ولا أدهر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى فيه من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا مارئي يوم بدر فإنه رأى جبريل يزعم الملائكة»⁽¹⁾.

(3) رواه الترمذي.

(4) رواه الترمذي.

(1) رواه الإمام مالك.

وقد حج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة حجة ودع فيها أمته، ولذلك سميت حجة الوداع. وقد خرج لها ﷺ من المدينة إلى مكة في جمع عظيم في أوائل ذي القعدة، وأحرم بالحج ولبي قائلا: «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، ولما دخل ﷺ مكة ورأى البيت الحرام قال: «اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبراً».

ثم طاف ﷺ بالبيت سبعا، واستلم الحجر الأسود، وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام، ثم شرب من ماء زمزم وقال: «ماء زمزم لما شرب له، وها أنا أشربه لعطش يوم القيامة»، ثم سعى بين الصفا والمروة، وبدأ بالصفا وقال: «أبدأ بما بدأ الله به» إشارة لقوله - تعالى - {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 158].

وتذكيرا بسعي السيدة هاجر وهي تطلب الماء لولدها إسماعيل عليه السلام. وفي اليوم الثامن من ذي الحجة توجه النبي ﷺ إلى منى فبات بها، وفي اليوم التاسع توجه إلى عرفة، ولما زالت الشمس في ذلك اليوم خطب في الناس خطبة عظيمة بين فيها من المبادئ والتعاليم ما به صلاح الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

ومما قاله فيها: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم.. من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله.. إن لكم على نساءكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن ألا

يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهيتن فلهن رزقهن، وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله».

وبعد يوم عرفة يذهب الحاج إلى المزدلفة حتى منتصف الليل ثم ينصرفون منها إلى المشعر الحرام، فيقف الحاج ويدعو ويقول:

" اللهم بحق المشعر الحرام، والبيت الحرام، والشهر الحرام، والركن، والمقام: أبلغ روح محمد مني التحية والسلام، وأدخلني دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ".

فإذا أصبح يوم النحر جمع الحاج بين التلبية والتكبير، ورمى الجمرات الثلاث في كل رمية سبع حصيات، إشارة إلى معادة الشيطان ورد كيده في نحره كما رماه إبراهيم عليه السلام، وابنه إسماعيل وزوجته هاجر، ويقول:

" الله أكبر على طاعة الرحمن، ورغم الشيطان، اللهم تصديقا لكتابك واتباعا لسنة نبيك ". عن جابر رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: «هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر أو غنيمة»⁽¹⁾.

يقول عليه الصلاة والسلام: «إن أول ما نبدأ به من يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر. فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك فهو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء»⁽²⁾.

وقد ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده الشريفة، وسمى، وكبر، ووضع رجله على صفاحهما.

(1) رواه الطبراني في الأوسط.

(2) متفق عليه.

ورغب فيها ﷺ بقوله: «من ضحى طيبة بها نفسه محتسبا لأضحيته كانت له حجابا من النار»⁽¹⁾.

وسأل زيد بن أرقم النبي ﷺ قائلا: ما الأضاحي؟ فقال: سنة أبيكم إبراهيم. قال: فما لنا منها؟ قال: بكل شعرة حسنة. قال: فما للصوف؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة⁽²⁾. فالأضاحي سنة النبي ﷺ، وسنة إبراهيم - عليه السلام - فإن الله تعالى قد شرعها له حين فدى ولده الذي أمره بذبحه قال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {

[الصفافات: 100: 111].

وروى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق دم. وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها، وأشعارها، وأظلافها. وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض. فطيبوا بها نفسا»⁽³⁾.

وروى البزار وغيره عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة: "يا فاطمة: قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك. قالت: يا رسول الله: ألنا خاصة أهل

(1) رواه الطبراني في الكبير.

(2) رواه أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم.

(3) رواه الترمذي.

البيت، أولنا وللمسلمين؟ قال: بل لنا وللمسلمين»⁽⁴⁾.

وروى الحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: " من وجد سعة لأن يضحى فلم يضح فلا يحضر مصلانا".

ولا يجوز أن تذبح قبل الصلاة: فعن جندب بن سفيان البجلي صاحب رسول الله ﷺ قال: شهدت الأضحية مع رسول الله ﷺ فلما قضى صلاته بالناس نظر إلى غنم قد ذبحت فقال: «من ذبح قبل الصلاة فليذبح شاة مكانها، ومن لم يذبح فليذبح على اسم الله»⁽¹⁾.

ولا يذبح إلا بعد ذبح الإمام. فقد صلى النبي ﷺ يوم النحر بالمدينة، فتقدم رجال فنحروا، وظنوا أن النبي ﷺ قد نحر، فأمرهم أن يعيدوا⁽²⁾.

ويحرم أن يبيع المضحى شيئاً من الأضحية، أو يعطي الجزار أجرته منها وقد قال ﷺ: «من باع جلد أضحيته فلا أضحية له»⁽³⁾.

ويسن له أن يأكل منها، ويتصدق منها، ويختارها سليمة من العيوب، حسنة المظهر، طيبة اللحم.

* * * * *

(4) رواه البزار وغيره.

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه الطحاوي عن جابر رضي الله عنه.

(3) رواه الحاكم عن أبي هريرة.

بين الجاهلية والإسلام (1)

الحمد لله /

الذى شرفنا وجعلنا من أمة حبيبه ومصطفاه، الذى اعتز بعبوديته له جل
علاه، واختار أن يكون نبياً عبداً لا نبياً ملكاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: 164].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله السعيد الذى أسعد الناس بسعده، العزيز الذى
أعز أمته بدينه ومجده.

الذى دلت أسماؤه الشريفة على فضائله المنيفة. القائل مخبراً عن نفسه:
"إن لى أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر، وأنا
الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي" (1).
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسائر أمته المشمولة بعنايته.

أما بعد

فما كان عليه العرب فى الجاهلية قبل المولد الشريف:

فيا عباد الله / إن العرب فى الجاهلية كانوا يعيشون عيشة الفوضى فحياتهم
ملئية بالبغضاء والفتن، وقلوبهم ملئية بالكفر والعقائد الفاسدة، قد كانوا يقدرون
الأوثان فى المعابد والبيوت، وحول الكعبة المعظمة، فكانوا يقدمون القرابين
لها... ويعتقدون فيها النفع والضرر.

(1) رواه البخارى ومسلم.

وقد أخبرنا الله - عز وجل - فى كتابه العزيز بقوله:

{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُكَمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 73، 74].

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأعراف: 194].

وكانوا يشربون الخمر التى هى أم الخبائث حتى تسيطر على عقولهم فلا يدرى أحدهم ما يقول، ولربما يقع الرجل على أمه، أو أخته فيزنى بها.

وكان من عاداتهم القبيحة "وأد البنات" ودفنهن أحياء خشية العرل، كما قص القرآن علينا فى قوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الفحل: 58، 59].

وكانت الدعارة فاشية بينهم وخاصة بين إمائهم فقد كانوا يقيمون لهن خياماً خارج بيوتهم يغشاهن فيها وكانت المظالم منتشرة ، القوى يستعبد الضعيف ويسخره وإن أبى يقتله، وكانت الحرب سجلاً بينهم تقوم على أقل الأسباب يقول شاعرهم مصوراً حياتهم:

ألا لا يجهلن أحد علينا	:::	فنجهل فوق جهل ال	جاهلينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً	:::	ونشرب غيرنا كدراً وطيناً	
إذا بلغ الفطام لنا رضيع	:::	نخ رله الجبابر ساجدينا	

وكانوا يفتخرون بالأحساب والأنساب، وصدق الشاعر حينما صور حياتهم كلها حين قال:

أتيت والناس فوضى لا تلم بهم :::: إلا على صنم قد هام فى صنم
وكان فاشياً بينهم أكل الربا، وعادة الأخذ بالثأر وهما من أقبح العادات.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

فكان من الحكم البالغة: أن يبعث الله خاتم النبيين ليقتضى على تلك المفسد، وينشر الهدى والرحمة بينهم فهو الصادق حينما قال: «إنما أنا رحمة مهداة» (1)

وقال أيضاً: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (2).

ولقد تحدث القرآن الكريم عن بعض البشائر بسيدنا محمد ﷺ مشيراً إلى ما جاء في التوراة والإنجيل عن نبوته ودعوته في قوله تعالى:

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف: 157].

لما جاء في التوراة والإنجيل بشائر نبوته ﷺ وحسبنا أن نذكر في ذلك ما روى عن ثعلبة بن هلال و كان من أحبار اليهود حينما سأله سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الهج عنه - وقال له: أخبرنى بصفات النبى ﷺ فى التوراة؟ فأجاب: "إن صفته فى توراة بنى هارون التى لم تغيّر ولم تبدل هى: "أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم وهو آخر الأنبياء، وهو النبى العربى الذى يأتى بدين إبراهيم الحنيف، معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة، يولد بمكة، وهو أمى لا يكتب، ولا يقرأ المكتوب، وهو الحماد يحمّد الله فى الشدة والرخاء، صاحبه من الملائكة جبريل، يلقى من قومه أذى شديداً، ثم تكون له الدولة عليهم فيحصدهم حصيداً، معه قوم هم أسرع إلى الموت من الماء المنحدر من رأس

(1) رواه البيهقى.

(2) رواه مالك فى الموطأ.

الجل إلى أسفل صدورهم أناجيلهم، وقربانهم دمائهم، ليوث بالنهار، ورهبان بالليل، وهو يرعب العدو مسيرة شهر. يباشر القتال بنفسه ثم يخرج ويحكم لا حرس ولا حجاب. الله يحرسه".

وكما قال الله تعالى مخبراً عن سيدنا عيسى - عليه السلام - أنه بشر به ﷺ حيث قال حاكياً عنه:

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الصف: 6].

ومن البشارات النبوية: قوله - تعالى - على لسان سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 129].

حينما أقاما البيت الحرام بمكة.

وهناك إشارة أخرى وردت في القرآن أنه جرى على لسان كل واحد من الأنبياء أن يؤمن به إذا كان في زمنه ﷺ كما قال تعالى:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: 81].

قال سيدنا علي بن أبي طالب وابن عباس - رضى الله عنهما -: "ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً - عليه الصلاة والسلام - وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد - عليهما الصلاة والسلام - وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه".

ومن البشائر أيضاً "حفر زمزم" التى حفرها جده عبد المطلب تمهيداً لاستقبال الحج فى ظل الإسلام، وقصة ذبح أبيه عبد الله وما دار حولها من الفداء.

ومن البشائر "قصة الفيل"، وقد نجى الله فيها الكعبة من جموع أهل الشرك التى رامت هدمها فعندما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة ركب عبد ال مطلب فى قريش إلى جبل "شابير" فاستدار نور النبى ﷺ فى وجه عبد المطلب كالهلال، وألقى بشعاعه على البيت الحرام مثل السراج. فلما نظر عبد المطلب لذلك قال: "يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر فوالله ما استدار هذا النور منى إلا وكان النصر لنا". فرجعوا.

ولما دخل رسول صاحب الفيل إلى مكة ونظر إلى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشياً عليه، فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه. فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب.

ثم إن الفيل لما نظر إلى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير، وأنطق الله - سبحانه وتعالى - الفيل فقال: "السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب".

وقد ذكر العلماء أن نور النبى ﷺ كان يضىء فى غرة جده عبد المطلب، وكانت قريش إذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب إلى جبل (ثبير) يستسقون به فيقيهم الله ببركة نوره ﷺ.

قال عليه الصلاة والسلام:

"أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" (1).

* * * * *

(1) رواه الترمذى.

بين الجاهلية والإسلام (2)

الحمد لله /

الذى اختار سيدنا محمداً لمحبتة، واختاره لنا رسولاً وأنزل عليه خير كتاب. وجعلنا به خير أمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. الذى أنقذ البشرية بميلاد خير البرية فأخرجهم من الظلمات إلى النور. {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} [المائدة 15، 16].

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المرنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

أمـا بعد

يقول الله - تعالى - فى كتابه العزيز وهو أصدق القائلين: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: 164].

عبد الله /

لقد أظننا شهر ربيع الأول ذلكم الشهر الكريم الذى ولد فيه خير الأنام ومصباح الظلام ومحطم الأصنام. وكلما هل شهر ربيع الأول فاحت أقطار الذكرى، وتلألأت أنوارها، وقبل الحديث عن مولده الشريف لابد من كلمة عن ما كان عليه العالم على وجه العموم، وما كان عليه العرب على وجه الخصوص، لنعلم كيف كان - الرسول ﷺ نعمة على هذا الوجود، وكيف كان رحمة للعالمين وكيف كان منقذاً للأولين والآخرين.

أيها الأخوة: لقد كان العالم قبل الإسلام يموج بالفتن والاضطرابات وقد انحط الإنسان إلى الدرك الأسفل فى ضعف العقل، وماذا بعد أن يعبد الإنسان مخلوقاً مثله، وماذا بعد أن يُقدس الإنسان الحجر والمدر، وأُضف إلى ذلك البغى والعدوان، والا استبداد والطغيان من الأباطرة والسلاطين والحكام، والفساد المنتشر فى كل ركن من أركان الدنيا كأهل الروم ييغون فى رعيتهم، أو كأهل الفرس فى كبر.

أتيت والناس قوضى لا تمر بهم :::: إلا على صنم قد هام فى صنم
وفى هذا يقول الحق جل علاه:

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31].

أما العرب فقد انتشرت فى جزيرتهم عبادة الأوثان فهم يقدسونها ويقربون إليها القرابين رجاء نفعها، ودفع ضررها.

ويلجأون إليها فى الشدائد، فإذا ظهر لهم أنها لا تضر ولا تنفع عادوا فيلجأون إلى الله.

وفى هذا يقول الله تبارك وتعالى:

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41].

ويقول عز وجل:

{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 73-74].

وبعد هذا قد شغفوا حباً بشرب الخمر، وتفننوا فى مجالها وأطلقوا عليها عدة أسماء تدل على شدة ولوعهم بها وافتتانهم بشربها فهى: الصهبا، والقهوة،

والمعتقة وابنة الكرم. وقد ماتت قلوبهم، وتبلدت مشاعرهم، وقست قلوبهم. فهي أشد صلابة من الحديد، وقد بلغت بهم القسوة أنهم كانوا يدفنون البنات أحياء خوفاً من لحوق العار، أو وقوع الفقر.

قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: 8-9].

وقال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء: 31].

وقد اعتبروا يوم ميلاد الأنثى يوم حزن وكدر، فإذا ولدت لأحدهم عبس وبسر.

قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل: 58].

وأكلوا الربا، وأكلوا مال اليتيم. وفي هذا يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 130].

ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْكُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: 10].

وأقروا الدعارة في فتياتهم وإمائهم، نصبوا لهذا الغرض الخيام خارج مكة لتقترب فيها الجريمة النكراء.

وفي هذا يقول الحق جل وعلا:

{وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 33].

وضاع العدل، وانتهكت الحقوق، والقوى يأكل الضعيف، والحروب تقوم بين القبائل لأتفه الأسباب.

أيها المسلمون:

إن الفجر الصادق تسبقه مقدمات، وإشارات، وإمارات تبشر بطلوعه.
وهكذا فجر النبوة سبقته إرهابات، وإشارات. فقد تشفع به آدم عليه السلام
ليقبل الله توبته بعد أكله من الشجرة.

قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 19].

فقال آدم: اللهم إنى أسألك بحق محمد عليك إلا غفرت لى.

فقال له ربه: كيف عرفت محمداً ولم يخلق بعد؟ فقال: يا رب حين خلقتنى
رفعت بصرى فوجدت مكتوباً على قوائم العرش: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".
عرفت أنه أحب مخلوق إليك؛ لأنك أضفت اسمه إلى اسمك. قال الله له: صدقت
يا آدم ما خلقت أحداً أحب إلى منه. من أجله خلقتك، ومن أجله خلقت الخلق، وإنه
آخر الأنبياء من صلبك".

وقد قال ﷺ: «أنا دعوة أبى إبراهيم، ورؤيا أمى آمنة، وبشرى أخى
عيسى»⁽¹⁾.

وحينما فرغ إبراهيم من بناء البيت دعا ربه قائلاً: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً
مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ}
[البقرة: 129].

فسويدهنا محمد من نسل إسماعيل. قال ﷺ: (أنا ابن الذبيحين)⁽²⁾. الذبيح الأول:
إسماعيل عليه السلام والذبيح الثانى: هو عبد الله والد النبی ﷺ.

(1) روى معناه أحمد والطبرانى.

(2) رواه الحاكم.

أما الذبيح الأول: "إسماعيل" فقد فداه الله بذبح عظيم أى: بكبش من الجنة. قال تعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات: 107].

وأما الذبيح الثانى: "عبد الله". فقد نذر والده عبد المطلب لإن رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح واحداً منهم، وقد وقع النذر على عبد الله والد النبى ﷺ. ولما هم عبد المطلب بذبحه، عارضت قري ش وقالت له: قدم ابنك وقدم عشرة من الإبل. ولم يزل عبد المطلب يضرب القداح على عبد الله، وعلى الإبل، وكانت تقع القداح على عبد الله حتى كملت الإبل مائة (100) خرجت عليها القداح، فذبحها، عبد المطلب، وفدا بها عبد الله والى النبى ﷺ.

وقد بشرت التوراة بمولده ﷺ قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ... الْآيَةِ} [الأعراف: 157].

وعن عطاء بن يسار. عن عبد الله بن عمرو بن العاص "أن رسول الله ﷺ موصوف فى التوراة بما وصف به فى القرآن.

"يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأُميين: أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب فى الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا: لا إله إلا الله. ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صماً، وقلوباً غلفاً" (1).

وقد بشر بسيدنا محمد ﷺ سيدنا عيسى - عليه السلام - وها هى بشارته ببعثته: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: 6].

(1) رواه البخارى.

ومن الإرهاصات التى سبقت الميلاد الشريف:

أن الله رد أصحاب الفيل عن البيت العتيق، وجعل كيدهم فى تضليل وكان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وزينها وزخرفها، وأراد أن يصرف الناس عن الكعبة إلى الحج إليها. ففشل فى ذلك. فتميز غيظاً، وأقسم ليهدم الكعبة، وجهاز جيشاً وسار إلى بلاد العرب.

ولما صار على مقربة من مكة أرسل إلى عبد المطلب رسولاً، ولما رأى رسول أبرهة النور الذى فى جبين عبد المطلب استدار كالهلال أخذ يخور كالثور وسقط مغشياً عليه.

وكانت قريش إذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب إلى جبل ثبير ليدعو لهم.

ولما جاء أبرهة بجيش يريد هدم الكعبة خرج عبد المطلب فى ركب من قريش إلى جبل (ثبير) فاستدار نور محمد ﷺ فى جبينه كالهلال. فقال لهم: ارجعوا فقد نصرتم.

ثم قالوا له: كيف عرفت ذلك؟ فقال: ما من مرة استدار هذا النور فى جبينى كالهلال إلا كان ذلك علامة النصر.

ولما وجه أبرهة الفيل نحو الكعبة: برك الفيل ولم يستطع القيام، وأنط قه الله تعالى: فقال: السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب.

إخوة الإيمان:

ه ذه هى بعض البشارات التى سبقت الميلاد المحمدى، وكانت بين يدى رحمته.

أيها المسلمون:

إن رسول الله ﷺ هو قدوتنا، وأسوتنا فعلينا أن ندرس سيرته، ونعلم ما كان عليه في حيات ه الواسعة المليئة بالجهاد بالتعرف عليه في صباه ، وفي شبابه، وفي كهولته، وحين كان أجيراً يرعى الغنم، وحين كان ثجراً كالعلم، ونتعرف عليه في حربه وسلمه، وفي يقظته ونومه.

قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21].

فلتقوا الله عباد الله /

واحتفلوا بميلاد رسولكم العظيم بالعمل بسنته، والسير على نهجه، وتطبيق شريعته.

ولينظر كل فرد منا إلى نفسه، وليكن صادقاً مع نفسه.

أين هو من رسول الله ﷺ ؟

والاحتيال برسول الله ﷺ عمل وقدوة، التزام وسلوك، جد وكفاح.

قال عليه الصلاة والسلام:

(أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) (1). أو كما قال.

* * * * *

ميلاد الرسول الكريم

الحمد لله /

الذي اختار محمداً ﷺ لمحبه، واختاره رسولا لنا، واختارنا أمة له. فهو خير نبي أرسل إلى أمة، وأمه خير أمة أخرجت للناس. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله خير الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه بصلواتك التي صليت عليه بها في مقام كان الله ولا شيء معه إلى أن خلقت محمد بن عدنان ولا شيء من الأكوان فكنت ولا إله سواك، وكان ولا مخلوق سواه، وعلى آله وسلم، وارزقنا اللهم رضاك ورضاه.

(1) رواه الشيخان.

أمـا بعد

فمن الوفاء لأبي الزهراء ﷺ أن نرفع من رسالته على طريق الحياة، مصابيح تضيء للبشرية الغياهب (الظلمات)، وتجلو للناس الخفايا، وتبصرهم بحل المشكلات لإنشاء المجتمع المثالي الفاضل. ومن الوفاء أن نذكر من وحي سيرته العطرة صلوات الله وسلامه عليه التي أنقذت البشرية جمعاء من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الذل إلى العز، ومن الظلم إلى العدل، ومن الوثنية إلى التوحيد، ومن الشك إلى اليقين، ومن التقاعد إلى العمل، ومن النقص إلى الكمال.

فقد كان مولده ﷺ نورا أضاء الدنيا كلها، وبدد الظلمات، ونشر الأمن والأمان في كل مكان.

ومن هنا كان من الواجب علينا نحن المسلمين أن نحتفل بذكرى مولده ﷺ. كما احتفل غيرنا من قبل من الأئمة الأعلام وسلفنا الصالح. فهم يعلمون أنهم مهما فعلوا لن يفوا ببعض ما وجب عليهم تجاه رسول الله ﷺ :

فها هو الإمام أبو شامة (شيخ الإمام النووي) يقول:

" ومن أحسن ما في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق لمولد الرسول ﷺ من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء شعور بمحبته ﷺ في قلب فاعل ذلك، وشكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسول الله ﷺ ".

ويقول الإمام السخاوي:

" ولم يزل أهل الإسلام في سائر الأقطار يعملون المولد، وتظهر عليهم بركاته".

وقال ابن الجوزي في شأن المولد: " من خواصه أنه أمان في ذلك العام ".

وقد استدلل الإمام ابن حجر الهيتمي على شرعية الاحتفال بالمولد بقوله ﷺ لما سئل عن صيام يوم الاثنين فقال " ذاك يوم ولدت فيه " (1).

وعندما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسأل عن ذلك. فقالوا: ذاك يوم نجى الله فيه موسى. فقال: نحن أحق بموسى منكم فصامه، وأمر بصيامه" (2).

وبهذين الحديثين استدلل الإمام السيوطي على شرعية الاحتفال بمولده ﷺ. إذن: فمن الواجب علينا أن نحتفل بمولده ﷺ وأن نتذكر سيرته، وأن نتناول من تاريخه الحافل ما تقر به أعيننا وتنصلح به أحوالنا، وننجو به من فتن زماننا، فهو غوث وغياث وضياء ونجاة لنا في الدنيا والآخرة.

وقد ولد رسول الله من أبوين قرشيين عظيمين بمكة المباركة، وهو نسب عظيم شريف. كما أخبر سيدنا محمد ﷺ بقوله: «أنا أشرفكم حسبا ونسبا، وأنا أعربكم، أنا قرشي».

وبين لنا سيدنا محمد ﷺ طريقة اصطفاؤه من الخلق فقال: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. فأنا خيار من خيار من خيار " (1).

وقال عليه الصلاة والسلام: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» (2).

وعندما حملت به أمه آمنة بنت وهب. أخت الأسود، وعمار، وعبد يغوث، لم تجد في حملة وحما ولا سقما، ولا متاعب، ولا آلاما وكانت كلما نامت سمعت

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

(1) روى مسلم بنحوه.

(2) روى البخارى فى الأدب بنحوه.

من يبشرها فيقول لها: هل أحسست أنك حامل بخير من حملت به الأمهات؟ فتستيقظ من نومها وهي سعيدة.

وقد حدث كثير من الثقات أنها ما كانت تمر بشهر من شهور حملها أو ليلة من الليالي دون أن تأتيها بشارات واضحة تعرف منها أنها ستكون أسعد أم منذ أن خلق الله المخلوقات، وفي الليلة التي شاء الله فيها هذا الأمر العظيم الذي يسعد الله به أهل الأرض: وقعت للسيدة آمنة مشاهدات ما أعظمها؟ فالأمهات يرين الكثير مما ينبئهن بعظم شأن من ينجبن من الرجال العظام ولا غرابة في ذلك: فقد رأت السيدة مريم عند ولادة سيدنا عيسى عليه السلام كثيرا من العجائب والغرائب، ولا ريب أن نبينا ﷺ أعظم الرسل وأكرمهم على الإطلاق، وأفضل الخلق عند الله.

فقد روى عثمان بن أبي العاص عن أمه - رضي الله عنها - قالت: " شهدت ولادة النبي ﷺ ليلا فلم أنظر من البيت إلا نورا، وإنني لأنظر إلى النجوم تدنوا حتى إنني لأقول: سيقعن علي. "

وعن الشفا أم عبد الرحم ن بن عوف - رضي الله عنها - قالت: " لما ولد الرسول ﷺ وقع على يدي فسمعت قائلا يقول: رحمك الله. "

وقد روى الحاكم بإسناد صحيح: " أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أُمِّي حين حملت بي أن نورا خرج منها فأضاء ما بين المشرق والمغرب) " (1).

وفي رواية أضاءت قصور الشام. وقد حقق العلماء أنها رأت هذا النور مرتين: مرة في المنام، وذلك حين حملت به، ومرة في اليقظة حين وضعته ﷺ

(1) رواه الحاكم.

وحين خرج ﷺ من بطن أمه خر ساجدا ثم رفع رأسه شاخصا ببصره إلى السماء، وفي هذا إشارة إلى علو قدره ﷺ.

يقول عبد المطل ب: " كنت عند البيت أصلح بنيانه فرأيت البيت يهتز ويتمايل، عجبت لما رأيت، ثم انطلقت إلى آمنة فنظرت إليها فلم أجد النور الذي تعودت أن أراه في وجهها منذ بدء حملها. فسألته عنه. فقالت: ولدته ولدا. فلما نظر إلى وجه حفيده أشرقت بصيرته، وأضاء قلبه، وألهمه الله عند رؤيته فقال: لأسمينه محمدا. فقيل له: كيف سميت به باسم ليس بأحد من أبناك وقومك. فقال: إني لأرجو أن يحمد به أهل الأرض كلهم. قالت آمنة: قد سمعت من يأمرني في النوم أن أسميه أحمد. فقال عبد المطل ب: هو محمد وهو أحمد ولعلهما بعض أسمائه. وكان ذلك الإلهام من إرهابات النبوة.

ومن أسمائه ﷺ التي تحدث بها:

" محمد، أحمد، نبي الرحمة، نبي التوبة، الحاشر، المقفى، نبي الملاحم (الغزوات) ".

وفي اليوم السابع من مولده السعيد أقام عبد المطل ب مأدبة تفوق الوصف، أطعم فيها أهله وعشيرته شكرا لله تعالى، ثم التمس له جده المرضعات، واختار الله له حليلة السعدية التي رأت من بركاته ﷺ ما لا يحصى ولا يعد، فكثرت عندها الزرع والضرع.

وشب ﷺ عندها لما بلغ شهرين كان يحبو إلى كل جانب، وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه، وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي، وفي خمسة حصل له القدرة على المشي، ولما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه، ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي بالسهم مع الصبيان.

وظل رسول الله ﷺ عندها إلى أن أتم أربع سنوات ثم سلمته إلى أمه آمنة وظل وفيها إلى السيدة حليلة طول حياته:

فقد وفدت إليه بعد زواجه بالسيدة خديجة رضي الله عنها تشكو إليه ضيق العيش، فكلّم لها السيدة خديجة فأعطتها عشرين رأساً من الغنم، وبكرات من الإبل. ومن سند سعادتها توفيقها للإسلام هي وزوجها وبنوها، وهاجرت، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع.

وهكذا كان مولده الشريف ﷺ نورا أضاء للبشرية كلها وصدق الله إذ يقول:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً} [الأحزاب 45-46]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: 15].

روى ابن عباس: " لما توفى عبد الله قالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما. فقال: أنا له حافظ ونصير ".

* * * * *

ميلاد الهدى والنور

الحمد لله /

الذى جعل ميلاد المصطفى ﷺ خيراً وبركة، وبعثته رحمة، وهجرته نصراً.
وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. شَرَفَ الأكوان بميلاد سيِّد ولد
عدنان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وُلِدَ فأشرقت الأنوار، وفاحت الأعطار،
وعَمَّ السرور سائر الأقطار. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه
الأمجاد الأخيار.

أمـا بعد

فيقول الله تعالى:

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: 164].

عباد الله /

كلما أقبل شهر ربيع الأول وهَلَّ هلاله الميمون المبارك احتفل
المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى ميلاد خاتم الأنبياء،
وإمام المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عرفاناً بقدره، ووفاءً بحقه، فهو
نبيُّ السعادة الذى أسعدنا، ورسول الخير والمحبة الذى أرشدنا.

والاحتفال بذكرى الميلاد الشريف بدعة حسنة محمودة، وأيام الاحتفال
فرصة لدراسة سيرته، وشرح أخلاقه وشمائله، وبذلك كله تهتاج الأرواح
لحضرته، وتهتز المشاعر لمحبتة.

يقول الإمام أبو شامة - شيخ الإمام النووي -: "من أحسن ما فى زماننا ما يفعل فى كل عام فى اليوم الموافق لمولده من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة، فإن ذلك على ما فيه من الإحسان للفقراء إشعار بمحبته ﷺ وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك، وشكراً لله على ما مَنَّ به من إيجاد رسول الله ﷺ. ويقول الإمام ابن الجوزى: "إنه أمان فى ذلك العام".

وقد احتفل الرسول ﷺ نفسه بيوم ميلاده، حيث عبر عن الاحتفال بصوم يوم ميلاده شكراً لله على نعمة وجوده: فقد سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "ذاك يوم وُلِدْتُ فيه" (1).

ولذلك الغرض صام يوم عاشوراء عندما قدم المدينة، وعرف من اليهود أن هذا اليوم هو الذى نجى الله فيه موسى، وأغرق فيه فرعون وقومه.

"فعندما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن سبب صومه؟ فقالوا: ذاك يوم صالح نجى الله فيه موسى. فقال: نحن أحق بموسى منكم؛ فصامه، وأمر الناس بصيامه" (2).

فبهذين الحديثين استدل الإمام السيوطى وابن حجر الهيتمى على مشروعية الاحتفال بالمولد.

وقد سبق بالاحتفال أئمة كبار أحبوا النبى ﷺ، وهاهو الإمام السبكي يجتمع عنده جمع كثير من العلماء، فتنشد أمامه المدائح النبوية، فيقومون إجلالاً وتعظيماً عند ذكر مولده ﷺ.

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

أيها المسلمون /

الاحتفال بالمولد الشريف مناسبة كريمة، وفرصة للتعرف على شخصية الرسول ﷺ الذي هو المثل الأعلى لنا في مراحل عمره وفترات حياته، وفي شبابه وفي كهولته، وفي كل طور من أطوار حياته درس بل دروس نافعة للمسلم، وفي قصة جهاده ما يكفى ويفى بما يحتاجه المسلم وهو يكابد عيشه، وهو يجاهد لإعلاء كلمة ربه.

قال - تعالى - في فوائد قصص الأنبياء:

{وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: 120].

وقال - تعالى -: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: 176].

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: 111].

أيها المسلمون /

ولد ﷺ لأبوين كريمين عظيمين بمكة المكرمة، وله نسب عربى شريف: يقول - عليه الصلاة والسلام -:

"إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم؛ فأنا خيار من خيار من خيار"⁽¹⁾.

(1) رواه مسلم.

ويقول: "خرجت من نكاح لنكاح، ولم أخرج من سفاح، لم يصبنى من سفاح الجاهلية شيء" (1).

وقد وُلِدَ ﷺ يتيماً: فقد توفى أبوه وهو فى بطن أمه، قال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى} [الضحى: 6].

وكان مولده ﷺ بمكة ليلة الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول.

وقد سبق الميلاد الشريف بُشْرِيَّات وإشارات: وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ فامتلاً الكون نوراً، وابتهجت الأملاك سروراً، وتداعى إيوان كِسْرَى، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف عام، وتنكست على رؤوسها الأصنام.

أمّا النور: فإشارة إلى أنه نبىُّ النُّور والعلم.

وأمّا تحطُّم الأصنام: فإشارة إلى أنه سيهلك العدى، ويلحق بهم الردى، وأما خمود نيران فارس: فإشارة إلى زوال الوثنية.

وأمّا تنكس الأصنام: فإشارة إلى أن هذا البيت سيتطهر منها بهذا المولود المبارك.

وقد حقق الله هذه الإشارات.

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: أَنْ وُلِدَ لَكَ غلام.

فأتى عبد المطلب فنظر إلى الوليد العظيم، وحدّثته آمنة بما رأت من إشارات وكرامات. وحمل عبد المطلب الوليد، ودخل به الكعبة، وقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه. ثم عاد بالوليد فدفعه إلى أمه.

وفى اليوم السابع أقام عبد المطلب مأدبة تفوق الوصف، وقد التمس له جده المرضعات على عادة الأشراف فى مكة.

(1) رواه ابن أبى شيبه فى مصنفه.

وقد اختار الله له حليلة السعدية، فكانت هى مرضعته.

حدث أن حليلة السعدية خرجت مع زوجها وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر يلتمس الأطفال ليرضعنهم، وكان ذلك فى سنة شهباء (سنة كرب وقحط لم يسبق لها مثيل).

قالت حليلة: خرجت ومعنا ناقة، والله ما تجود بقطرة، وما ننام ليلتنا من رضيعنا الذى معنا من شدة بكائه من الجوع، وما فى ثدى ما يغنيه ولا فى ضرع الناقة ما يغذيه، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج، وسرنا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما من امرأة وقد عرض عليها الرسول ﷺ فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم، وكذلك أنا. إنما كنا نرجو الخير من أبى الصبى. فكنا نقول: يتيم، وماذا عسى أن تصنع أمه، فكنا نكره أخذه لذلك.

فما بقيت امرأة قدمت إلا وقد أخذت رضيعاً، وبقيت وحدى لم آخذ أحداً. فلما أجمعن العودة قلت لزوجى: إنى لأكره أن أرجع بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً. والله لأذهبن إلى ذلك الصبى فلاأخذنه. قال لها زوجها: لا عليك أن تفعل عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت حليلة: فذهبت إليه فأخذته، وما حملنى على ذلك إلا أتى لم أجد غيره، ورجعت به إلى رَحْلى.

فلما وضعته فى حجرى جاد ثدى بما شاء الله حتى روى من اللبن، وشرب أخوه حتى روى، وما كان أخوه ينام وذلك من بكائه من الجوع.

ثم قام زوجها إلى الناقة فدرّت باللبن فحلب منها ما شاء وشرب، وشرب حتى امتلأنا شبعاً ورياً. فبتنا بخير ليلة وأصبحنا. فقال زوجى: يا حليلة اعلمى أنك قد أخذت فسحة مباركة. فقلت: إنى لأرجو ذلك.

فركبت الناقة فحملتُ الطفل بين يديّ. فسارت سيراً سريعاً حتى إن صواحبى ليقُلْنَ لى يا ابنة أبى ذؤيب: ويحك مهلاً أليست هذه ناقتك التى كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: هى. فيَقُلْنَ لى: والله إن لها شأنًا. وسرنا حتى قدمنا إلى بلادنا السعدية، وما أعلم أرضاً من أرض العرب أشدَّ جذباً منها، وكانت أغنام القوم تعود من المرعى جياً ما تجود بقطرة من اللبن، وتعود غنمى شباعاً تمتلئ لبناً فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة من لبن حتى كان القوم يقولون لغلمانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان من حياة اليتيم معنا. وكان يشبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، فقدمنا على أمه، ونحن أحرص على بقاءه معنا؛ لما نرى من بركته. فكلما أمه، فقلت لها: لو تركت طفلك عندى وقتاً أطول. فإنى أخشى صهباء مكة فرضيته. فرجعنا به فرحين مستبشرين. وبقي معنا سنتين أخريين حتى وقع له شقّ الصدر. ورجعت به حليلة إلى أمه، وكان أثناء تلك الفترة يرعى الغنم فى البادية مع أبناء حليلة السعدية⁽¹⁾.

أيها المسلمون/

لقد رسم القرآن الكريم لنا طريق الاحتفال بصاحب الذكرى سيدنا محمد ﷺ حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه، فقال:

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ} [الحشر: 7].

(1) ابن كثير فى البداية والنهاية وفى سيرة ابن هشام مختصراً.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

وحيث نهانا عن الإعراض عن منهجه المرسوم فى كتابه وسنة نبيه، قال - تعالى - :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: 1].

وحيث نهانا عن ندائه باسمه مجرداً كما ينادى بعضنا بعضاً حيث يقول:

{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63].

وبين لنا أن حكمه مقدّم على كلّ حكم، وقوله مقدّم على كلّ قول، وأن الإيمان لا يتحقق إلا بالنزول على حكمه والرضا بقضائه، فقال الله - تعالى - : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: 36]. وقال: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65].

فالاحتفال بمولده: عملٌ بسنته، وتنفيذ لحكمه، وتطبيق لشريعته، والتزام بنهجه، واقتفاء لأثره، وتعظيم وتوقير لحضرته.

قال رسول الله ﷺ :

(مثلّى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويقولون: ما أحسنه وأجمله ... لولا تلك اللبنة. فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم الأنبياء)⁽¹⁾.

* * * * *

(1) رواه أحمد بمعناه.

مولد النبي ﷺ

الحمد لله /

الذي جعل ميلاد المصطفى ﷺ خيرا وبركة، وشرفنا بأن جعلنا من أمة حبيبه ومصطفاه. الذي اعتز بعبوديته لله جل علاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. شرف الأكوان بميلاد سيد ولد عدنان. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، ولد فأشرقت الأنوار، وفاحت الأقطار، وعم السرور سائر الأقطار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد السعيد الذي أسعد الناس بسعده، العزيز الذي أعز أمته بدينه ومجده الذي دلت أسماؤه الشريفة على صفاته المنيفة. القائل مخبرا عن نفسه: " إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي " (1). صلى الله عليه وعلى آله وصحابه، وسائر أمته المشمولة بعنايته.

أما بعد

فيا عباد الله:

يقول الله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

[آل عمران: 164].

كلما أقبل شهر ربيع الأول، وهل هلاله الميمون المبارك احتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بذكرى مولد إمام المرسلين وخير خلق الله أجمعين،

(1) رواه البخاري ومسلم.

سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ عرفانا بقدره، ووفاء بحقه، فهو نبي السعادة الذي أسعدنا، ورسول الهدى والخير الذي أرشدنا.

والاحتفال بذكرى ميلاده ﷺ سنة محمودة، وعادة حسنة طيبة. يتدارس الناس فيها سيرته، ويعرفون فضله وأخلاقه وشمائله، فتشتاق الأرواح لحضرته، وتمتلئ القلوب بمحبته.

ولقد كان العالم في أشد الاحتياج إلى رسالته ﷺ فقد كان العهد بعيدا عن الناس ورسالات السماء فانحرف الكثير منهم إلى الوثنية، وعبادة مظاهر الطبيعة حتى الكتب السماوية التي بقيت امتدت إليها الأيدي بالعبث والتحريف والتغيير والتبديل ليوافق أهواءهم، ويخدم مصالحهم.

ولقد كان الناس في الجاهلية يعيشون في فوضى وعباداتهم ساذجة باطلة، يصنعون الأصنام بأيديهم ثم يعبدونها ويقدمونها ويعتقدون فيها الضر والنفع، كانوا يقتربون المنكرات ولا يتورعون عن الفواحش، يشربون الخمر حتى تسيطر على عقولهم وتطيش ألبابهم، فلا يدري أحدهم ما يقول ويفعل كانوا لا يرضون بالقسمة الإلهية: فإذا ولد لأحدهم أنثى دفنها وهي حية خشية العار والفقر، وقد سجل القرآن الكريم هذا التصرف الشائن فقال تعالى:

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل: 58].

وكانت القوة شريعتهم، وانتشرت المظالم فيما بينهم فكان القوي يستعبد الضعيف، وكانت الحروب الطاحنة تدور بينهم لأتفه الأسباب وكانوا يتفاخرون بالأحساب والأنساب، وانتشر بينهم أكل الربا، والأخذ بالثأر من غير بينة ولا دليل... وغير ذلك من أقبح العادات، وأرذل الخصال. فكان من حكمة الله تعالى ورحمته بخلقه أن بعث فيهم خاتم الرسل ﷺ ليقضي على الضلالة، ويحارب الجهالة. ويبدد الظلام، وينشر الهدى والنور.

قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ هُدًى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

[المائدة: 15، 16]

فهو الصادق عليه السلام عندما قال: «إنما أنا رحمة مهداة» (1) وقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (2) وسبق مولده الشريف بشارات عديدة كانت مكتوبة في التوراة والإنجيل.

قال - تعالى -: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: 157].

وقد روى عن ثعلبة بن هلال - من أحبار اليهود - حينما سأله سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قائلاً له: أخبرني بصفات النبي في التوراة؟ فأجاب: " إن صفته في توراة بني هارون التي لم تغير ولم تتبدل: هو أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم وهو آخر الأنبياء، وهو النبي العربي الذي يأتي بدين إبراهيم الحنيف، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة، يولد بمكة، وهو أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وهو الحماد يحمّد في الشدة والرخاء صاحبه من الملائكة جبريل، يلقي من قومه أذى شديداً، ثم تكون له الدولة عليهم فيحصدهم

(1) رواه البيهقي في الدلائل.

(2) رواه البيهقي في الشعب والحاكم.

حصيدا. معه قوم هم أسرع إلى الموت من الماء في انحداره من رأس
الجبل إلى أسفله. صدورهم أناجيلهم، وقربانهم دماؤهم، ليوث بالنهار،
ورهبان بالليل، وهو يرعب العدو مسيرة شهر، يباشر القتال بنفسه، لا
حرس ولا حجاب الله يحرسه.

وهو بشاره عيسى - عليه السلام -:

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الصف: 6].

وهو دعوة الخليل إبراهيم:

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 129].

وأخذ الله العهد والميثاق على الأنبياء قبله أن يؤمنوا به:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: 81].

ومن البشائر بمولده الشريف قصة زمزم، وحادثة الفيل، وكان نوره
يضيئ من غرة جده عبد المطلب وكانت قريش إذا أصابهم القحط يستسقون به
فيسقيهم الله ببركة نوره ﷺ وقد هيا الله له نسبا شريفا طاهرا، وأبوين عظيمين
كريمين، وبلدا طيبا محرما.

قال - عليه السلام - " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. فأنا خيار من خيار من خيار ⁽¹⁾. وقال: «خرجت من نكاح لنكاح، ولم أخرج من سفاح لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» ⁽¹⁾. وقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» ⁽²⁾.

وكان مولده العظيم بمكة ليلة الاثنين ثاني عشر ربيع الأول فامتلاً الكون نورا، وابتهجت الأملاك سرورا، وتداعى إيوان كسرى، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وتنكست على رؤوسها الأصنام، وهى الله لرسوله حياة فريدة ليست كغيره من البشر.

فقد ولد ﷺ يتيم الأب ولكن الله تعالى تولى تربيته وإعداده {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى: 6].

وبعد مولده بأيام قلائل تهيأ لفراق أمه حينما أخذته السيدة حليلة السعدية لترضعه في بلادها عند بني سعد في البادية، فتعود النبي ﷺ من صغره على مواجهة الحياة في غيبة الأب والأم ليحمل فيما بعد أعباء الرسالة ومسئولية الدعوة وهموم الأمة، وكان لنشأته في البادية حيث الطبيعة النقية والفطرة السليمة أثره في فصاحة لسانه وإعجاز بيانه. وهو القائل ﷺ «أوتيت جوامع الكلم» ⁽³⁾.

(1) زوى مسلم بنحوه.

(1) روى البخارى فى الأدب بنحوه.

(2) رواه الترمذى.

(3) رواه العسكرى فى الأمثال.

وقال: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد».

وروى ابن هشام " أنه ﷺ مكث عند حليلة السعدية ثلاث سنين ثم رجع إلى أمه، ثم خرجت به أمه آمنة بنت وهب إلى يثرب لتزور أخواله بها، وعند رجوعها من يثرب أدركتها المنية عند " الأبواء " فاحتضنته السيدة أم أيمن، ورجعت به إلى مكة، وله ﷺ آنذاك من العمر ست سنين، وثلاثة أشهر، وعشرة أيام.

وهكذا كانت نشأته الأولى ﷺ نشأة فيها من الشدائد والمحن التي لم يكن لها في نفسه الشريفة إلا أثر الصبر والاحتمال والهدوء والسكينة والاتزان.

قال ﷺ : «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويقولون: ما أحسنه، وما أجمله لولا تلك اللبنة. فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم الأنبياء»⁽¹⁾ ﷺ.

قال أبو أمامة - رضي الله عنه - :

"قلت يا رسول الله: ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام"⁽²⁾.

(1) في الصحيحين نحوه.

(2) رواه أحمد.

صور من إنسانية المصطفى ﷺ

الحمد لله /

الذي من علينا بخاتم أنبيائه، المبعوث ليتمم مكارم الأخلاق خاطبه ربه بقوله {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4].

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فلم يكن فظاً ولا غليظ القلب، ولكن كان رؤوفاً رحيماً. كما قال الله تعالى:

{حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أولى المؤمنين من أنفسهم وأبرهم من الوالد بولده. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي زكى أصله وفرعه، وخير طبع في الأمم طبعه، وأفضل دروع المجاهدين درعه، وأفضل الأصحاب والجموع صحبه وجمعه، الذي عم المسلمين نفعه. وعلى آله وسلم.

أمّا بعد

فمن أعظم جوانب العظمة في سيرة المصطفى ﷺ شمائله وأخلاقه فقد جمعت له مكارم الأخلاق مما يجدر بكل مسلم أن يقتدي به في أخلاقه، ويتأسى به في شمائله، وينهج نهجه في معاملته حتى يكون جديراً باتباعه وتشرفه بكونه من أمته. ولقد كان النبي من أحسن الخلق معاملة للناس. مما ورد في أحاديثه:

" عن أنس - رضي الله عنه - قال: " كان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة " (1).

(1) رواه ابن سعد.

وعنه قال:

" كان ﷺ يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له رداءه ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه بالجلوس إن أبى ويكنى أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بانتهاء أو قيام " (1).

وعنه:

" ما التقم أحد أذن رسول الله فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليسه له " (2).

وكان الرسول حريصاً على مشاعر أصحابه: فعن أنس - رضي الله عنه - قال: " كان النبي ﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشئ يكرهه " (3).

وكان يسأل عن أصحابه وعن أحوالهم ويزورهم ويلطف صبيانهم: عن أنس - رضي الله عنه - " كان النبي ﷺ يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح على رؤوسهم " (4).

وعنه قال - رضي الله عنه - : " كان النبي ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحدثهم، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسلمين، ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المضطر " (5).

وكان النبي حريصاً على قوة الصلة بينه وبين أصحابه، وكان لا يحب أن يحدث أحد عنهم بسوء أمامه، وكان يقول: " لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي

(1) رواه الدار قطني.

(2) رواه أبو داود وغيره.

(3) رواه أحمد وغيره.

(4) النسائي، وابن ماجه.

(5) رواه ابن ماجه، والترمذي.

شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم و أنا سليم الصدر " (6). وكان دائم الحرص على مودة أصحابه، ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم وكل شئون حياتهم. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: " كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة أقبل عليهم بوجهه فقال: هل فيكم مريض أعوده؟ فإن قالوا: لا. قال: هل فيكم جنازة أتبعها؟ فإن قالوا: لا. قال: من رأى منكم رؤيا فليقصها علينا " (1).

وكان ﷺ حريصاً على تذكير أصحابه بأنهم سواء، وأنهم أخوة، ولا فرق بينهم، ولا فضل لأحد على غيره. وقد ذكر الطبراني في مختصر السيرة: " أن رسول الله ﷺ كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة. فقال رجل: يا رسول الله على ذبحها. وقال الآخر: يا رسول الله علي سلخها. وقال آخر: يا رسول الله علي طبخها. فقال رسول الله: علي جمع الحطب. فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل. فقال: قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه " (2). وكان ﷺ لين الجانب. سديد النواصح. يعامل ضعاف المسلمين وصبيانهم بالرفق واللين. فعن سهل بن ضيف قال: " كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم " (3).

وعن أبي قتادة. قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم إلى الصلاة فأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه» (4).

(6) رواه الترمذی.

(1) رواه ابن عساکر.

(2) رواه الطبرانی.

(3) رواه الطبرانی.

(4) رواه البخاري.

وتمتد مظلة عطفه فتشمل الخدم الذين شرفوا بخدمته: عن أنس رضي الله عنه قال: " خدمت النبي عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعت له لم صنعت له؟، ولا لشيء تركته لم تركته؟ (5) . بل إن سمو أخلاقه ارتفع به عن رد الإساءة بمثلها. وكان النبي ﷺ يقابل الإساءة بالإحسان، وكان ذلك سببا في دخول كثير من الناس في دين الله أفواجا لما رأوه من أخلاقه النبوية المتمثلة فيه: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يطلب منه شيئا فأعطاه... فقال ﷺ : أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا ولا أجملت. فغضب المسلمون وقاموا إليه. فأشار الرسول عليهم أن كفوا. ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال: أحسنت إليك؟ قال: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال النبي الكريم ﷺ : إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أصبحت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم. قال: نعم. فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه. فزعم أنه رضى. أكذاك؟ قال: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. قال ﷺ : مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفورا. فناداهم صاحبها: خلو بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم. فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها، واستوى عليها. وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار " (1) . وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رجل: يا رسول الله اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فقال النبي الكريم ﷺ : ويحك فمن يعدل إذ لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أعدل، ونهى من أراد قتله (2) .

(5) رواه الشيخان.

(1) رواه البزار، والقاضي عياض في الشفا.

(2) رواه الشيخان.

وطبق المصطفى ﷺ هذا المنهج الأخلاقي الرائع في معاملته لأهل بيته الذين هم أولى الناس بحسن المعاملة ولين الجانب: فعن أبي هريرة قال: " قبل النبي الحسين بن علي، وعنده الأقرع بن حابس فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه الرسول فقال: «من لا يرحم لا يرحم» (3) .

" ودخل الحسن بن علي على النبي ﷺ وهو يصلي، وقد سجد فركب ظهره فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن. فلما فرغ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله قد أطلت سجودك؟! قال: إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله " (4) .

وكان النبي لا يفرق بين الذكور والإناث: فكان يحب ابنته السيدة زينب - رضي الله عنها - حبا شديدا.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله في فداء العاص بن الربيع (زوجها) بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت السيدة خديجة أدخلتها بها في زفافها على زوجها حين بنى بها عليها. قالت: فلما رآها الرسول ﷺ رق لها رقة شديدة، و قال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا. فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردوا عليها الذي لها " (1) .

وتأتي محبته إلى قمتها في حبه للسيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - وهو القائل: " فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها، وينصبني ما أنصبها " (2) .

(3) متفق عليه.

(4) رواه الترمذي.

(1) رواه أحمد.

(2) رواه أحمد عن عبد الله بن الزبير.

عباد الله:

علينا معشر المسلمين، وفي احتفالنا به ﷺ أن نقندي به في أخلاقه، وأن نطبق سنته قولاً وفعلاً، وأن نبعد عن أخلاق الجاهلية، والعادات السيئة التي نهى عنها الإسلام حتى نكون مستحقين بحق لقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: 110].

معجزات الرسول ﷺ

الحمد لله /

الذي أيد نبيه بالمعجزات الباهرات، وآتاه الآيات البينات.
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الذي أنزل على عبده محمد القرآن معجزة المعجزات وآية الآيات.
وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. القائل:

"ما من نبي إلا أوتى ما مثله آمن عليه البشر، وكان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"⁽¹⁾.
صلى الله - تبارك وتعالى - عليه، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا بالآيات، وصدقوا بالمعجزات. فرضى عنهم رب الأرض والسموات.

أمّا بعد

فيقول الله تعالى:

{قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء: 88].

(1) متفق عليه.

عباد الله:

ما من نبي أرسله الله للناس هادياً، وبعثه للخلق داعياً، إلا وأجرى على يديه من المعجزات ما يكفى للدلالة على صدقه فى ادعاء رسالته.

وقد كانت معجزات الأنبياء قبل رسول الله ﷺ معجزات حسية تراها العيون، ويقنع بها الحاضرون ، وهذه المعجزات تكفى للرسالات المحدودة المحددة بالزمان والمكان.

فكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة:

{وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} {فاطر: 24}.

ولما كانت رسالة النبي ﷺ عامة للإنس والجن إلى يوم القيامة؛ كانت معجزته القرآن الذى تحدى به الناس أجمعين فى سائر العصور والأزمان، تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن: {قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء: 88].

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله:

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود: 13].

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله:

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: 23، 24].

ووجوه إعجاز القرآن كثيرة:

منها ما يتعلق بالنظم والبلاغة، ومنها ما يتعلق بأخبار الأمم السابقة والقرون الأولى: فتحدث القرآن عن عاد وثمود، وأصحاب الأيكة وقوم ثُبُع، وعن فرعون

وقومه، وبنى إسرائيل... إلى غير ذلك من قصص السابقين.

ويقول تعالى:

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} [يوسف: 102].

ويقول تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آل عمران: 44].

ومن وجوه إعجاز القرآن إخباره بالمغيبات أى: إخباره بالأمور التى لم تقع بعد، ثم تقع كما أخبر:

ومن ذلك قوله - تعالى -: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر: 45] نزلت هذه الآية الكريمة بمكة قبل موقعة بدر بمُدَّةٍ كبيرة، وفيها بشارة للمسلمين المستضعفين بالنصر على قريش الأقوياء.

قال عمر بن الخطاب عندما نزلت هذه الآية: أئِ جَمَعَ هَذَا؟ فلما كانت غزوة بدر، ووجد جَمَعَ قريش يهزمون قال: "الآن فهمت معنى الآية".

ومن ذلك قوله تعالى: {الْمُ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الروم: 1-5].

أى: هزم جيش الروم فى أقرب أرضهم إلى فارس، وهم من بعد انهزامهم وغلبة الفرس لهم سيغلبون الفرس وينتصرون عليهم فى فترة لا تتجاوز بضعة أعوام، والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

قال المفسرون: "كان بين فارس والروم حرب فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فشقق ذلك عليهم وفرح المشركون بذلك؛ لأن أهل فارس

كانوا مَجُوساً ولم يكن لهم كتاب، والروم أصحاب كتاب.

فال مشركون لأصحاب رسول الله ﷺ : إنكم أهل كتاب والروم أهل كتاب، ونحن أُمِّيُونَ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم. فلنظهرنَّ عليكم.

فقال أبو بكر: لا يقرّ الله أعينكم. فأنزل الله قوله:

{وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ...} [الفتح: 27]. وقد التقى الجيشان في السنة السابعة من الحرب، وغلبت الروم الفرس وهزمتهم، وفرح المسلمون بذلك.

قال أبو السعود: وهذه الآيات من البينات الباهرات الشاهدة بصحة النبوة، وكون القرآن من عند الله - عزّ وجلّ - حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير ووقع كما أخبر.

وقد قال تعالى:

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: 27].

رأى النبي - صلى اله عليه وسلم - في منامه أنه دخل مكة وأصحابه، وطافوا بالبيت ثم حلق بعضهم، وقصّر بعضهم، فحدّث بها أصحابه، ففرحوا واستبشروا، فلما خرج إلى الحديبية مع الصحابة، وصدّه المشركون عن دخول مكة، ووقع ما وقع من قضية الصلح، فارتاب المنافقون وقالوا: والله ما حلقنا ولا قصّرنا، ولا رأينا البيت فأين هي الرؤيا؟ ووقع في نفوس بعض المسلمين شيء. فنزلت الآية.

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ... الآية} [الفتح: 1-3].

وهي تخبر بتحقيق رؤيا المصطفى ﷺ وأنهم سيدخلون المسجد الحرام، كما رأى لكن الآية لم تُحدّد زمن الدخول، بل أخبرت بمجرد وقوع الدخول وقد كان ذلك فعلاً: حيث دخل المسلمون مكة في العام التالي لصلح الحديبية.

ومن الآيات التي تخبر بالمغيّبات، وما يقع في المستقبل قوله - تعالى -:
{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: 1-3].

وقد نزلت قبل فتح مكة، وقد وقع الفتح بعد ذلك.

ومن هذه الآيات قوله تعالى:

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55].

أيها المسلمون/

وإذا كان القرآن هو آية الآيات، وكبرى المعجزات لرسول الله ﷺ فإن هناك معجزات أخرى.

ومن هذه المعجزات:

انشقاق القمر: كما قال تعالى: {اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آيةً يُعْرِضُوهَا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر: 1، 2].

ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال:

"انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ فوق الجبل وفِرْقَةٌ دونه.

فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»⁽¹⁾.

وفى رواية: "أن أبا جهل قال: هذا سحرٌ فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ننظرَ أَرَأَوْا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه مُنْشَقًّا. فقال الكفار: هذا سحر مستمر. ومن هذه المعجزات: مجيء الأشجار ساجدة لدعوته ﷺ:

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان بالحجون فرد عليه المشركون قال: اللهم أرني آية اليوم لا أبالي من كذبنى بعدها فأتى، فقيل: ادع شجرة فأقبلت تخط الأرض حتى انتهت إليه فسلمت عليه ثم أمرها فرجعت (2).

وكان النبي ﷺ جالساً مع أصحابه فجاءت طائفة ولمست عمامته بجناحها وهى تُصَوِّت. فقال النبي ﷺ لأصحابه مَنْ منكم فجع هذه فى بَيْضِها؟ فقال صحابى: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: اذهب ورد البيض مكانه⁽³⁾.

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أنه اقترض من يهودى تمراً إلى عام فلما جاء أوان السداد لم يرم البستان تمراً؛ لأنه كان يثمر عاماً وينقطع ثمره عاماً. فأراد سيدنا جابر أن ينظره اليهودى فلم يرض. فذهب إلى رسول الله ﷺ وشكى له أمر اليهودى. فقام ﷺ ومشى فى بستان جابر - رضى الله عنه - وجلس فى العريش ثم قام وتوضأ وصلى ركعتين، ثم أتى له جابر ببعض بسر من النخل ثم قال لسيدنا جابر: جذ واقض. فقام سيدنا جابر إلى نخله فوجده كله محملاً بالتمر. ففضى دين اليهودى. فلما رأى ذلك اليهودى أسلم.

وقال الإمام الشافعى - رضى الله عنه -: "ما من معجزة سبقت إلا كان لرسول الله ﷺ مثلها.

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البزار وأبو يعلى.

(3) روى أبو داود نحوه.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

فسأله سائل في المجلس: إن سيدنا موسى - عليه السلام - قد نبع له الماء من الحجر.

فقال الإمام الشافعي: قد نبع الماء من بين أصابعه الشريفة.

وفي هذا يقول الإمام الجعفي: "وهذا الماء من أفضل المياه، بل ومن مياه الجنة، والشاربون أفضل الخلق بعد الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وقد حصلت لهم بسبب هذا الماء بركات في أجسامهم، وفي أرواحهم، وفي ذرياتهم، وحرّم الله عليهم النار.

والجيش يروى بماء من أصابعه :::: والشاربون كرام منهم عمر
قال السائل للإمام الشافعي:

إن عيسى كان يبرئ الأكمه وهو وُلِدَ أعمى؟ فقال الشافعي: إن نبينا - عليه السلام - قد رد عين قتادة بعد أن قلعت؛ فعادت أحسن مما كانت.

قتادة ردت له عينه :::: فعاد بصيرا بنور يرى

يقول الإمام الجعفي - رضى الله عنه -:

"إن كان سخر لسليمان البساط، فقد سخر لنبينا عليه الصلاة والسلام
"البراق" وهو دابة من دواب الجنة. والبساط من الدنيا وشتان ما بينهما.

وإن قيل: إن عيسى - عليه السلام - في السماء الثانية، وإدريس في الرابعة،
فإن سيدنا محمداً عليه السلام قد رقى السماوات السبع ثم سار إلى سدره المنتهى.

وإن قيل: إن سيدنا سليمان عليه السلام أعطاه الله مَلَكًا ومالاً، فإن سيدنا محمداً -
عليه الصلاة والسلام - خيرَ الله بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة، وخيرَ الله بين أن
يكون نبياً مَلَكًا، أو نبياً عبداً لله تعالى. فاختر أن يكون نبياً عبداً لله تعالى.

وقد صارت جبال مكة ذهباً وعرضت نفسها عليه فزهد فيها.

وإذا كان الله سخر لسيدنا سليمان "الجن" فإن الله - تعالى - سخر لنبينا -
عليه السلام - الملائكة الكرام، فكانوا له جنوداً وأعواناً.

وإذا كان الله - تعالى - سخر الطير لسيدنا سليمان فإن الله - تعالى - سخر
لنبينا - عليه الصلاة والسلام - : الأشجار وهى جمادات.

أيها المسلمون /

هذه هى معجزات المصطفى ﷺ منها ما انفرد به دون المرسلين قبله كمعجزة
القرآن ومعجزة الإسراء والمعراج وانشقاق القمر، ومنها ما شابه معجزات الأنبياء
السابقين لبعثته؛ فأمنوا بتلك المعجزات، وصدقوا بهاتيك تلك الآيات لتردادوا إيماناً.
{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيمَانُ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: 124].

* * * * *

الإسراء معجزة كبرى

الحمد لله /

الذى شرف نبيه سيدنا محمد بمعجزتى الإسراء والمعراج؛ ليرفع له ذكره فى
العالمين، ويعلى شأنه فى الخالدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أسرى بفضله من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى لينال رفيع الدرجات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أطلعه الله على عجائب خلقه،
وغرائب كونه، وقد تشرفت بحضرته الأكوان فى ليلة الإسراء وكانت معجزة
من الله القادر على كل شئ فلا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء.

اللهم صل على سيدنا محمد كعبة القاصدين للفرج، وترويح النفس والأرج، إذ
هو أوجه شفيع أسرى به وعرج. اللهم فرج عنا فرجاً سريعاً نصل به إلى حق
بلا عوج، وعلو إلى أعلى الدرج.

وعلى آله وأصحابه الذين زادتهم معجزة الإسراء والمعراج قرباً على قرب
ويقيناً على يقين. أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب.

أما بعد

فى عبد الله:

يقول الله - تبارك وتعالى -:

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1].

لقد جعل اله لكل نبى معجزة يؤيده بها، وأظهر على أيدي رسله خوارق العادات، وبين بهم للناس أكبر الآيات.

ونبيناً ﷺ أيده ربه بمعجزات باهرات، وآيات بينات من أعظمها معجزة (الإسراء والمعراج).

فقد أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يبين للناس أن رسول الله ﷺ أعلى الأنبياء قدراً، وأرفعهم لدى الرحمن ذكراً، وأنه أفضل خلق الله على الإطلاق، فدعاه إلى ضيافته ورؤيته، وإلى قربه ومشاهدته.

ولقد جاءت هذه المعجزة الخالدة فى وقت عانى فيه النبى ﷺ من طغيان الكفار والمشركين، وعداوة الأهل والأقربين، ولكن رسول الله ﷺ كان يتحمل الأذى، ويصبر على الكيد، وقد ساعده على ذلك شخصيتان عظيمتان دافع كل منهما عنه وحماه.

وهما: عمه أبو طالب، وزوجه السيدة خديجة - رضى الله عنها - ولكن حكمة الله - تعالى - ومشيتته اقتضت أن يموتاً فى عام واحد فى السنة العاشرة من البعثة؛ ولذا سمي ذلك العام (عام الحزن). وأصبح الرسول ﷺ فى مكة فريداً وحيداً، واشتد عليه الأذى، وضيق المشركين عليه الخناق فهداه تفكيره إلى الذهاب إلى الطائف لعله أن يجد فيها نصيراً أو معيناً فكانت أشد وأنكى، عليه فقد أغرى به المشركون صبيانهم وعبيدهم فقفزوه بالحجارة حتى أدموا قدميه

الشريفتين، فعاد إلى مكة يردد هذه الكلمات فى ضراعة إلى الله تعالى وابتغال
قائلاً:

(اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى وهوانى على الناس. يا أرحم
الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى،
أم إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك غضب على فلا أبلى).

وبعد هذا البلاء المبين الذى تحمله رسول الله ﷺ كان جديراً بمكافأته على
صبره وتحمله بإكرام الله - تعالى - له وتقريبه منه، واتخاذة ضيفاً عنده.

فجاءت معجزة الإسراء والمعراج ⁽¹⁾ ؛ لتكون رحلة عظيمة جمعت فى
وقائعها ذكريات، وذكريات.

أسرى ليلاً برسول هـ و خاتم المرسلين فى شهر حرام هو (رجب)، من بلد
حرام هو (مكة) مولد المصطفى ﷺ، من مسجد حرام هو أول بيت وضع للناس،
وقبله الصلاة للمسلمين إليه تشد الرحال للحج كل عام، إلى بيت المقدس أولى
القبلتين، وثالث الحرمين ومهد الرسالات.

وكان ذلك فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب من السنة العاشرة من
بعثته ﷺ.

وكان نائماً فى بيت أم هانئ بشعب أبى طالب بمكة المكرمة، فانشق سقف
البيت، ونزل منه جبريل وميكائيل - عليهما السلام -، فترفقا برسول الله ﷺ،
وأيقظاه من نومه، وذهبا به إلى المسجد الحرام فشققا صدره الشريف، وغسلاه
بماء زمزم، وملاه من الحكم والأسرار والمعارف ثم أرجعاه كما كان بقدرة الله
تعالى بلا ألم ولا وجع، ثم جاءه جبريل - عليه السلام - بالبراق وهو دابة فوق
الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه.

(1) يُنظر فى تفسير الطبرى.

وقد كان الأنبياء السابقون يركبونه في مسرهم، فتهيأ رسول الله ﷺ واستعد لركوب البراق، وإذا البراق يضطرب ويتصبب عرقاً. فيخاطبه جبريل - عليه السلام - بقوله:

"تأدب أيها البراق فإنك في حضرة رسول الله ﷺ فوالله ما ركبك إنسان أكرم على الله منه" (الطبقات الكبرى لابن سعد).

فركبه ﷺ مسرجاً ملجماً فأخذ جبريل يوكابه، وميكائيل بزمومه وبدأت الرحلة المباركة بالروح والجسد في حال اليقظة بإجماع العلماء المحققين سلفاً وخلفاً.

فسار من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكشف الله له في ذلك المسرى عن كثير من الآيات الباهرة، والأسرار النادرة، وأراه صوراً ناطقة لأعمال العباد حتى يخبر أمته عنها ليتعظوا ويعتبروا.

1- فبينما هو في السير إذ رأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من النار كلما التفت رآه. فقال له جبريل - عليه السلام -:

"ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفت شعلته وخرّ لفيه".

فقال - عليه الصلاة والسلام -: بلى. فقال له: قل: «أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن».

فلنكب لفيه، وطفئت شعلته.

2- ثم أتى على قوم يزرعون في يوم، ويحصدون في يوم كلاً حصدوا عاد كما كان. فقال له يا جبريل: ما هذا؟ ف قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله

تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه.

3- ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم ب الصخر كلما رضخت عادت كما كانت. لا يفتر عنهم من ذلك شيء. وقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

4- ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام، يأكلون الضريع والزقوم، ورضف جهنم "جمرها". فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً ولكن أنفسهم يظلمون.

5- ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور، ولحم آخر نبيء خبيث، فجعلوا يأكلون من الخبيث النبيء، ويتركون اللحم النضيج الطيب. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة، فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها لا طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح.

6- ثم رأى رجلاً يسبح فى بحر من دم ويلقم الحجارة. فسأل عنه. فقال: هذا أكل الربا.

7- ومراً يقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم كلما أزالوا لحم وجوههم عاد كما كان ليذوقوا العذاب والألم والبأس فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء: المغتابون الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم.

8- وأتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة فلا يستطيع أن يردها.

9- ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا

يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها.

10 - ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرقتة فقال: ما ه ذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا قوله - تعالى -: {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [الأعراف: 86].

11- ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم.
فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون.

ثم سار حتى أتى مدينة بيت الم قدس فدخل من بابها اليماني، ثم نزل عن البراق وربطه بباب المسجد بالحلقة التي كانت تربطه بها الأنبياء.
ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثيرون، فعرف النبي ﷺ النبيين ما بين قائم وراكم.
ثم أذن سيدنا جبريل - عليه السلام -، وأقام الصلاة فقاموا صفوفاً ينتظرون من يؤمهم.

فلخذ جبريل بيده ﷺ فقدمه فصلى بهم ركعتين؛ لأنه ﷺ أفضلهم وإمامهم في الصلاة وغيرها.

ثم وبعد الصلاة أثنى كل نبي على ربه ثناء جميل، ثم أثنى النبي ﷺ. على ربه بأفصح لسان، وأعظم بيان. ثم أخذ النبي ﷺ من العطش أشد ما أخذه. فجاءه جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن. فاختر اللب. فقال له جبريل: اخترت الفطرة.

وفي رواية: (أن الآنية كانت ثلاثة، والثالث كان فيه ماء).

وبهذا تمت رحلة الإسراء.

ولقد استقبل المشركون خبر الإسراء والمعراج بالتكذيب والاستهزاء فقد عجزت عقولهم القاصرة عن تصور ذلك الحدث الجليل.

فعندما علم عدو الله أبو جهل منه بخبر الإسراء جمع له الناس حتى جلسوا إليهما. فقال أبو جهل: حدث قومك بما حدثتني به.

فقال رسول الله ﷺ: إني أسرى بى الليلة.

قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس.

قالوا: ثم أصرحت بين ظهرانيها؟ قال: نعم.

فلنكروا، وكذبوا، واستهزءوا قائلين: نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهر، ومنحدرأ شهر.

توعم أنك أتيت في ليلة، ثم طلبوا منه أن يصف لهم البيت وهيئته وموقعه، وكان فيهم من سافر إليه.

فلأخذ يصف لهم حتى التبس عليه الوصف، فجاء بالمسجد وهو ينظر إليه حتى أخذ يعد أبوابه باباً باباً.

ولما بل غ ذلك الحدث أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - صدقه وقال للمتعبين من صدق إيمانه وقوة يقينه:

"إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك. أصدقه بخبر السماء يأتيه في غدوه أو رواحه؛ فلذلك سُميَ (أبا بكر الصديق).

ثم سأل المشركون النبي ﷺ أن يخبرهم عن غيرهم التي كانوا ينتظرونها. فأخبرهم بخبرها وأتاهم على ذلك بالدليل القاطع ولكن أعينهم عميت عن رؤية الحق، وختم الله على قلوبهم فرموه بالسحر.

عن جابر - رضى الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال: «لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» (1).

* * * * *

فى بيان معراج النبى ﷺ

الحمد لله /

لأن إسرائه ومعراجه بحبيبه، وخير خلقه. إعلاءً لفضله، وزيادة لنوره وبقينه بوقية آياته تعالى، وعجائب ملكوته.

وأشهد أن لا إله إلا الهى، وحده لا شريك له: أرى رسولنا أنه معه وأن صفوة خلقه من أنبياء وملائكة أحباء له ليثبت فؤاده، ويسرى عنه ما أهمه من عداوة الكفار. وقال - تعالى -: {فَلْيَنِّ اللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحریم: 4].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وخطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر» (2).

اللهم صل على سيدنا محمد الذى صليت عليه بصلاة فاقت جميع الصلوات، وأنزلت علي الآيات البينات، وأيدته بالمعجزات الباهرات، وعرجت به إلى فوق سبع سموات، وفرضت عليه وعلى أمته خمس صلوات. وعلى آله وسلم.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذى.

أما بعد

في عباد الله /

يقول الله - تعالى -: {وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدٌ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ
بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ
الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ
لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ} [النجم: 1- 8].

بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة بالمسجد الأقصى انتهت رحلة
الإسراء، وبدأت رحلة المعراج⁽¹⁾، فنصب المعراج ليرقى عليه رسول الله ﷺ.
له مرقاة من فضة، ومرقاة من ذهب، وهو من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ عن
يمينه ملائكة، وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل حتى انتهيا إلى أبواب
السماء الدنيا.

فلستفتح جبريل باب السماء:

قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟
(وفى رواية): بعث إليه؟ قال: نعم.

قيل: مرحباً به وأهلاً، حياه الله من أخ ومن خليفة. فنعم الأخ ونعم الخليفة،
ونعم المجيء جاء ففتح لهما. وفي هذا دليل على مكانة النبي ﷺ فقد فتحت أبواب
السماء تشريفاً له، وأن النبي ﷺ معروف عند أهل السماوات.

ولذلك لما سألوا جبريل - عليه السلام - عمن معه فقال: محمد.

لم يقولوا: ومن محمد؟ بل قالوا: وقد بعث إليه؟

(1) ننظر رحلة المعراج في تفسير الطبرى.

ولما استفتح جبريل وقيل: من هذا؟ قال: جبريل.

ولم يقل: أن. فليتأدب المسلم بذلك الأدب العالي الرفيع.

1- ولقى في السماء الأولى آدم - عليه السلام - يستبشر ويضحك حين ينظر إلى أرواح أولاده أهل الجنة، ويحزن ويبكى حين ينظر إلى أرواح أولاده أهل النار.

2- ثم صعد إلى السماء الثانية: فاستفتح جبريل. ففتح له.

وقيل له مثلما قيل في المرة الأولى، وشاهد النبي ﷺ ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا - عليهما السلام -، فسلم عليهما فردا عليه السلام، ودعوا له بخير.

3- ثم صعد إلى السماء الثالثة: ولقى فيها يوسف الصديق - عليه السلام - وقد أوتى شطر الحسن.

4- وفي السماء الرابعة: وجد إدريس - عليه السلام -، وقد رفعه الله مكاناً علياً. فسلم عليه، فرد عليه السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم دعا له بخير.

5- ثم صعد إلى السماء الخامسة: وفيها هارون أخو موسى - عليهما السلام - فسلم عليه، ودعا له بخير.

6- ثم صعد إلى السماء السادسة: فلقى فيها موسى - عليه السلام - الذي كلمه الله تكليماً. فسلم عليه النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم دعا له بخير. وقال: (يزعم الناس أني أكرم بني آدم على الله من هذا بل هو أكرم على الله مني).

7- وفي السماء السابعة: شاهد النبي ﷺ إبراهيم الخليل - عليه السلام - مسنداً ظهره إلى البيت المعمور. فسلم عليه. فرد عليه السلام. ثم قال له: "مر أمتك

فلتكثّر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال: وما غراس الجنة؟ قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

وفى رواية: (أقرب أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأن غراسها "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر").

ورأى البيت المعمور، وإذا هو يدخل كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيمة وأنه بحزاء الكعبة.

ثم رفع إلى سدره المنتهى وهى: "شجرة نبق فى السماء السابعة ينتهى إليها ما يهبط من فوقها، وينتهى ما يصعد من الأرض إليها".

وفى شجرة النبق ثلاثة أوصاف: طعم لذيذ حلو، وظل ممدود دائم، ورائحة ذكية عطرة.

ويخرج من أصلها. أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

ثم تنقل ﷺ بين عجائب مخلوقات الله، ومشاهد صنعه البديع المتقن، ثم أخذ على الكوثر حتى دخل الجنة. فإذا فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فرأى على بابها مكتوباً:

"الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر".

فقال: يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده شيء، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة.

ثم عرضت عليه النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته:

1- فإذا فيها قوم يأكلون الجيف. فقال: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس. ثم رفع إلى سدره المنتهى. فتأخر جبريل. ثم رفع ﷺ لمستوى سمع فيه صريف الأقلام.

ورأى رجلاً مغيباً فى نور العرش. فقال: من هذا؟ أملك؟
قيل: لا. قال: أنبى؟ قيل: لا.

قال: من هو؟ قيل: هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب بذكر الله - تعالى -،
وقلبه معلق بالمساجد، ولم يستب لوالديه قط.

فوأى ربه - سبحانه وتعالى - فخرَّ النبي ﷺ وكلمه ربه عند ذلك وأعطاه
وأرضاه، وأعطى أمته، وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة.

ثم رجع النبي ﷺ حتى وصل السماء السادسة: حيث أخبر أخاه موسى - عليه
السلام - بما أعطاه ربه، وفرض عليه.

فنصح له موسى - عليه السلام - أن يسأل ربه التخفيف فى الصلاة.

وقال له: "خبرت الناس قبلك، وبلوت بنى إسرائيل، وعالجتهم أشد المعالجة
على أدنى من هذا، فضعفوا عنه وتركوه". وأشار جبريل إلى النبي ﷺ بالموافقة.

فراجع سريعاً حتى سأل ربه التخفيف. فوضع عنه وعن أمته خمساً. ثم رجع
إلى موسى عليه السلام فنصح له بأن يسأل ربه التخفيف. فلم يزل يرجع بين

موسى وبين ربه يحط عنه خمساً خمساً حتى قال له ربه: "هن خمس صلوات
كل يوم وليلة، كل صلاة بعشر، فتلك خمسون صلاة، لا يبدل ا لقول لى، ولا
يستنسخ لى، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت
عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيئاً، فإن عملها كتبت عليه سيئة
واحدة.

ثم رجع النبي ﷺ فلقىه موسى - عليه السلام - فنصح له أن يسأل ربه
التخفيف فقال: "قد راجعت ربي حتى استحبيبت منه، ولكن أَرْضَى وأسلم".

فنادى مناد: "أن قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي". فقال له موسى - عليه السلام -: اهبط باسم الله. ولذلك قال ﷺ مثنياً على موسى - عليه السلام -: "ونعم صاحب كان لكم"⁽¹⁾.

ثم هبط ﷺ حتى انتهى إلى الموضع الذي بدأ منه رحلته المباركة وكان ما كان من تصديق المؤمنين، وتكذيب الكافرين، والله متم نوره ولو كره الكافرون. وتبقى فرضية الصلاة في رحلة المعرا ج من فوق سبع سماوات دون غيرها من التكاليف دليلاً على عظيم فضلها، والمحافظة عليها يكون عظيم الفضل عند الله.

لذلك قال - عليه الصلاة والسلام -:

«واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»⁽²⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله)⁽³⁾ أى: فكأنما فقد أهله جميعاً.

فهى هدية الإسراء والمعراج التى تحول بين الإنسان وبين ارتكاب الآثام.

وقد قال الله - تعالى -:

{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

إن الصلاة تبعد الإنسان عن الرذائل، وتطهره من سوء القول، وسوء العمل.

(1) رواه الطبرانى والبخارى.

(2) رواه الحاكم وابن ماجه.

(3) رواه ابن حبان.

يقول - عليه الصلاة والسلام - فيما يرويه عن ربه:

"إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى، ولم يستطل بها على خلقى، ولم يبت مصراً على معصيتى، وقطع النهار فى ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب"⁽¹⁾.

فلتق الله أيها المسلم /

وحافظ على هذه الهدية الإلهية الثمينة: هدية الإسرء والمعراج تكن من الفائزين: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132].

يقول - عليه الصلاة والسلام -:

«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه - وسخه - شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»⁽²⁾.

ففى الصلاة الراحة والنعم يم بقرب الله عز وجل. ولذا كان - عليه الصلاة والسلام - يقول: «أرحنا بها يا بلال»⁽³⁾.

فداوم عليها أذى المسلم ولا تتركها، ولا تنهاون فى أدائها على وقتها فمن ترك الصلاة فقد خالف الخليقة كلها، وأخل بنظام العالم. ولذلك يحشر مع فرعون وهامان وجنودهما، وغيرهم من المتكبرين عن عبادة الله - تعالى -.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «من حافظ عليها - أى الصلاة - كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن

(1) رواه البزار.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو داود.

هجرة النبی - علیه الصلاة والسلام -

الحمد لله /

الذى أعزَّ الإسلام بالهجرة، وجعل ذِكْرَها عِظَةً وعبرة.
وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له نصر نبيه، وأنزل عليه سكينته،
وأيده بجنودٍ لم تروها.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله بعثه الله رسولاً ونبيّاً، ففتح به أعيناً غُمياً،
وآذاناً صماً، وقلوباً غُلْفاً.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد ما تهلّل فرحاً يوم فتح أمّ القرى، وما
تشرف به غار ثور وحرا، الذى ليلاً سرى، ونال من ربه الكرامة والقرى، ما
تقاطر دمع أحبابه شوقاً إليه وجرى، الذى به حقّ الحقّ وزال المرأ، ما جدّ إليه
حجيجٌ بالسرى. وعلى آله وسلم عدد ذرات الصخور والثرى.

أما بعد

فيا عباد الله /

كلما هلّ هلال المحرم تذكّر المسلمون هجرة سيد المرسلين، وخاتم النبيين،
والذكرى تنفع المؤمنين، وتشرح صدور المسلمين. وكلما أشرقت شمس المحرم
أشرقت قلوب المؤمنين بنور الهداية وبشاشة الإيمان.

حقاً إن الهجرة تذكرنا بإيمان النبی ﷺ وجهاده الشاق، وصبره الطويل، أمام
أعداء ألداء، وفجرة أشداء. يريدون أن يبقى عهد الظلم، وأن يطول ليل الباطل،
والمسلمون يومئذ فى قلة وذلة وضعف.

(1) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط.

ويتخطفهم الناس من حولهم، وقد مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟

فكانوا يسخرون من النبى ﷺ وأصحابه، ويؤذونهم بالقول والفعل.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} [المطففين: 29، 30].

فكانوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحرُّ. وكان بلال بن رباح قد أسلم، وصدق إسلامه فكان أمية بن خلف يخرج به إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فيقول - وهو فى هذا البلاء -: أَعْذِرْ. أَعْذِرْ. وكان بنو مخزوم يخرجون بعمَّار بن ياسر، وأبيه وأمه، وكانوا قد أسلموا جميعاً. فيعذبونهم وقت الظهيرة برمضاء مكة. فيمرُّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. فأما أمه فقتلوا وهى تأبى إلا الإسلام.

وقال خباب بن الارت - رضى الله عنه - لسيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: يا أمير المؤمنين قد رأيتنى يوماً، وأخذونى وأوقدوا لى ناراً ثم سلقونى فيها، ثم وضع رجل رجله على صدرى. فما اتقيت الأرض إلا بظهرى، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص.

ولم يسلم المصطفى ﷺ من إيذاء المشركين: فحاول عقبة بن أبى معيط أن يخنقه بردائه لولا مدافعة أبى بكر - رضى الله عنه - فقد أكبَّ عليه بوجهه وهو يبكى ويقول: أقتلون رجلاً أن يقول ربى الله.

وكانت امرأة أبى لهب تلقى القاذورات فى طريق النبى ﷺ فتوعدها الله بالعذاب الشديد، قال - تعالى -:

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد: 1-5].

وبالرغم من هذا كان النبي ﷺ يجد الحماية والعون من عمه أبي طالب.

ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ وأذته إيذاءً شديداً، فخرج ﷺ ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف لأنهم كانوا أخواله، فلما وصل إليها لم يجد عند ساداتها قبولاً بل أمروا سفهاءهم وعبيدهم أن يسبوه. حتى لجأ إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة. فجلس - عليه الصلاة والسلام - تحت شجرة من عنب يستريح ثم أخذ يدعو ويقول:

"اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي. لكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. من أن تنزل بي غضبك، أو تحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم" (1).

وهكذا رجع النبي ﷺ إلى مكة حيث الصد والضيق، منتظراً فرج الله القريب ثم رأى النبي ﷺ رؤيا عظيمة، ورؤيا الأنبياء وحى.

روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى (تفكيرى) إلى أنها اليمامة أو هجر. فإذا هى المدينة».

وكان ﷺ قد التقى بوفد من الأوس والخزرج، وعرض عليهم الإسلام؛ فآمن به نفرٌ منهم، وأرسل معهم النبي ﷺ من يعلمهم أمور دينهم، ثم عادوا فى السنة التى بعدها، وقد ازداد عددهم، فاجتمعوا بالنبي ﷺ وبايعوه، وعاهدوه على نصرة

(1) رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير.

الإسلام، وأن المدينة ستتشرف بقدومه ﷺ وأصحابه.

وهكذا تمت بيعة العقبة الثانية، وعند ذلك أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، والالحق بإخوانهم من الأنصار قائلاً لهم: «إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً به»⁽¹⁾.

وأخذت أفواج المهاجرين تتوالى على المدينة سراً إلا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فعندما أراد الهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، ومضى إلى الكعبة حيث كان المشركون مجتمعين حولها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلّى متمكناً، ثم وقف على حلقات المشركين واحدة واحدة فقال لهم: "شاهت الوجوه. لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه، أو ييتم ولده، أو ترمل زوجته. فليلقتى وراء هذا الوادى"⁽²⁾.

يقول على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -: فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم، ثم مضى لوجهه.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر الإذن من الله - تعالى - بالهجرة ولم يبق بمكة أحد من المسلمين مع النبي ﷺ إلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وبعض المستضعفين.

وكان أبو بكر - رضى الله عنه - يستعجل الهجرة فيذهب إلى النبي ﷺ ويستأذن منه، فيقول له: لا تعجل. لعل الله يجعل لك صاحباً.

فلما جاء الإذن بالهجرة، جاء ﷺ إلى بيت أبى بكر فاستأذن ودخل. ثم قال لأبى بكر: أخرج عنى من عندك؟ فقال: يا رسول الله إنما هما ابنتاى - عائشة وأسماء - فذاك أبى وأمى، فقال ﷺ: قد أذن لى فى الخروج

(1) ينظر سيرة ابن هشام.

(2) كنز العمال.

والهجرة. فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: الصحبة. تقول السيدة عائشة - رضى الله عنها -: فوالله ما شعرت قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ. ثم قال: يا نبي الله هاتان راحلتان كنت أعددتكما لهذا. وهكذا تجهز النبي ﷺ للخروج من مكة.

وقد أحست قريش بأمر النبي ﷺ وخافوا أن يخرج من بين أيديهم فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمر النبي ﷺ ثم اتفقوا على أن يخرجوا من كل قبيلة فتى شاباً جلدًا وسيطاً نسيباً ثم يعطوا كلاً منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فلا تستطيع بنو هاشم الأخذ بثأره.

وأخذ النبي ﷺ يجهز الرحلة، وأمر علياً بن أبي طالب أن يبني بيتاً في فراشه وقال له: أتاني جبريل - عليه السلام - فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت فيه.

فاستجاب على - كرم الله وجهه - لأمر الرسول ﷺ ضارباً بذلك مثلاً رائعاً في البطولة والتضحية والفداء.

وهكذا خرج رسول الله ﷺ من بيته والمشركون محيطون بالبيت، وقد عزموا على قتله عند خروجه للصلاة.

وخرج - عليه الصلاة والسلام - وأخذ قبضة من تراب الأرض ووضعها على رؤوسهم، وضرب الله على أعينهم فلم يروه.

قال - تعالى -:

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30]. فلم يروا شيئاً.

فلما خرج - عليه الصلاة والسلام - من مكة، ووقف على ربوة عالية ونظر إليها وإلى المسجد الحرام نظرة المحب المكره على الفراق.
قائلاً:

"علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك
أخرجونى منك ما خرجت"(1).

وسار النبى - عليه الصلاة والسلام - هو وصاحبه حتى انتهيا إلى
غار ثور، فأقاما فيه ثلاثة أيام، وكانت قريش قد جن جنونها، وأخذت
تبحث عن النبى ﷺ فى كل مكان حتى وصل بهم الأثر إلى الغار. فوقفوا
على باب الغار، وسمع النبى ﷺ وأبو بكر خفق أقدامهم. فقال أبو بكر: لو
أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا، فقال النبى ﷺ : يا أبا بكر ما ظنك باثنين
الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا.
وفى ذلك يقول الله - تعالى :-

{إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَلِيَّةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ} [التوبة: 40].

وهكذا سار النبى ﷺ ومعه صاحبه أبو بكر تحرسهما عناية الله. حتى وصلا
مشارف المدينة حيث استقبلهما المهاجرون والأنصار بالفرح والسرور.
طلع البدر علينا :: من ثنيات الوداع

قال - عليه الصلاة والسلام - : «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»(2).

* * * * *

(1) رواه أحمد.

(2) متفق عليه.

النبى فى دار الهجرة

الحمد لله الحكيم العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، بارئ الأمم، ومنزل النعم، ومزيل الهموم والتّقم، فى ذلك عبرة لمن اعتبر، وترك المعاصى وازدجر. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه، صلاة ملء أرضك وسمائك.

أما بعد

فيا أمة محمد - عليه الصلاة والسلام -:

بعد أن تمت هجرة المصطفى ﷺ ونجاه الله من كيد المشركين بالله، وصل هو وصاحبه الصديق إلى مشارف المدينة، حيث استقبلهما المهاجرون والأنصار بالفرح والترحاب، فنزلا فى قباء على مقربة من المدينة ⁽¹⁾، حيث أقاما فيها أربعة أيام. أسس النبى فيها أول دار إسلامية - مسجد قباء - الذى طهره الله وشرفه فقال فيه: {لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} [التوبة: 108].

ورد فى الصحيح أن الرسول قال: «صلاة فى مسجد قُباء كَعُمْرَةِ» ⁽²⁾. وصح أنه كان يزور مسجد قباء راكباً وماشياً.

وروى أنه لما بناه الحبيب ﷺ، ونزل على بنى عمرو بن عوف كان جبريل - عليه السلام - هو الذى عيّن له القبلة ووجهتها.

(1) ينظر فى قصة الهجرة: الرياض النضرة لأبى جعفر الطبرى.

(2) رواه الترمذى والحاكم وصححه.

وروى عن عبد الله بن بريدة في قوله - عز وجل -:

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأُغْدُوِّ
وَالْأَصَالِ رِجَالٌ...} [التور: 36-37].

قال: هي أربعة مساجد لم يبنهن إلا نبي، الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل -
عليهما السلام -، وبيت المقدس بناه داود وسليمان - عليهما السلام -، ومسجد
المدينة وقباء بناهما النبي ﷺ.

ولقد أسست على التقوى، وخرج العمل منها مُتَوَجَّاهً بقوله تعالى:

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الحج: 18].

وخرج الرسول من قباء حتى دخل المدينة راكباً ناقته، وكلما مرَّ على حَيٍّ
من الأنصار فرحوا به راغبين في نزوله عندهم، فيقول النبي - عليه الصلاة
والسلام - مُشِيرًا إلى ناقته -: خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ. حتى إذا أتى دار بني
مالك بن النجار بركت الناقة، فسأل النبي عن صاحب الأرض فقال معاذ بن
عفراء: هي يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو من بني النجار. وهما يتيمان
لي وسأرضيهما فاتخذة مسجداً. فأمر ﷺ أن تبنى مسجداً. وكان بناؤه باللبن.

وشارك الرسول أصحابه في بنائه، في حمل الطوب على كواهلهم.

فتضاعف حماس الصحابة للعمل عند رؤيتهم النبي ﷺ يعمل كأحدهم، ويكره أن
يتميز عليهم فقال قائلهم:

لئن قعدنا والرسول يعمل :::: لذاك منا العمل المضلل

فَبُنِيَ المسجد متواضعاً بسيطاً، فرشته الرمل والحصباء، وسقفه الجريد،
وأعمدته الجذوع، وفيه ربَّى الرسول خَيْرَ القرون ومؤدبي الجبابة.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

ومن بين أعماله المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث قال -
عليه الصلاة والسلام -: «تآخوا في الله أخوين أخوين» ⁽¹⁾. ثم أخذ بيد
سيدنا عليّ وقال: هذا أخى.

وكان حمزة بن عبد المطلب أخاً لزيد بن حارثة، وجعفر الطيار أخاً لمعاذ
بن جبل، وأبو بكر الصديق أخاً لخارجة بن زهير الخزرجي.
والهدف من المؤاخاة: صلة المسلمين بعضهم ببعض، وإذابة الفوارق بين
الطبقات، وفوارق النسب واللون، وإزالة العصبية الجاهلية فلا حمية إلا
بالإسلام.

فما كان إلا أن امتلأت قلوب المسلمين مهاجرين وأنصار بالإيثار والأخوة
والمواساة.

وضربوا بذلك أروع المثل في التعاون. فحرص الأنصار على الحفاوة
بالمهاجرين. فعرضوا عليهم ديارهم، وأموالهم، وأزواجهم بعد تطليقهن
واعتدادهنّ والكتابة عليهن.

موقف بعض المهاجرين من عرض الأنصار لهم:

بعض من المهاجرين لم يركن إلى عرض الأنصار له، ورفض أن يتقل
عليهم ما دامت لديه القدرة على العمل والكسب الحلال، فجدّوا في العمل والكفاح
والسعى إلى الرزق الحلال الشريف.

روى البخارى أنهم لما قدّموا المدينة آخى الرسول ﷺ بين عبد الرحمن بن
عوف وسعد بن الربيع. فقال سعد لعبد الرحمن بن عوف: إنّي أكثر مالاً فأقسم
مالي نصفين، ثم عرض عليه أن ينزل له عن إحدى زوجتيه فيطلقها فتعتد. ثم

(1) ذكره ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق.

يتزوجها عبد الرحمن.

ولكن عبد الرحمن كان أبى النفس، فلم يرض أن يعيش عائلة على كسب غيره ولديه القدرة على الكسب والعمل. فقال لسعد بارك الله لك فى أهلك ومالك. أين سوقكم؟

فدلّوه على سوق بنى قينقاع. فذهب إليها فما رجع إلا ومعه فضل إقطٍ وسمن، ثم تابع ذهابه إلى السوق.

ثم جاء يوماً إلى النبىِّ وعليه أثر الزينة. فسأله ﷺ عن حاله؟ فقال: تزوجت. فقال: كم سقت إليها؟

قال: نواة من الذهب.

وسجل القرآن هذه الروائع الأخوية الإيثارية. فقال - تعالى -:

{الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ فَإُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 8، 9].

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال: "أتى رجلُ النبىِّ فقال: يا رسول الله أصابنى الجَهُدُ.

فأرسل النبى إلى نسائه فلم يجد عندهنَّ شيئاً، فقال: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله لا تدّخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندى إلا قوتُ الصبية. فقال: إذا أراد الصبية العشاء فنوميهن وتعالى فأطفئ السراج، ونطوى بطوننا الليلة.

ثم غدا الرجل على رسول الله فقال النبي ﷺ : لقد عجب الله أو - ضحك - الله من فلان وفلانة. فأنزل الله تعالى:

{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9] "(1). ومن أمثلة الإيثار: ما ذكره القشيري قال:

قال ابن عمر: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله رأس شاة. فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا. فبعثه إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة بيوت. حتى رجعت إلى أولئك.

فنزلت {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9].

وقوله: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103].

(1) البخاري - الترمذي.

الخطبة الثانية

الحمد لله...

عباد الله /

إن أعظم عمل تم بالمدينة - بناء المسجد؛ لمكانته فى المجتمع الإسلامى فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، ومكان للصلاة.

{وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} [الأعراف: 30].

وهى من أعظم البقاع؛ لذكر الله فيها:

{فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور: 36، 37].

وهى أفضل الأماكن لتعليم القرآن، وليبيان سنة النبى القائل: "ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"(1).

وهى دار القضاء والإفتاء، والنبى ﷺ وأصحابه كانوا يقضون بالمسجد، وهى أعظم مكان لعقد الزواج حيث يغشاها كثير من المسلمين فيكون أدعى للمحافظة على الزواج، والإشهاد عليه.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه فى المساجد، واضربوا عليه بالدفوف»(2).

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه الترمذى وقال حسن غريب.

وهذا ما تكون عليه مساجد المسلمين المؤمنين الطاهرين: قبلة الأنظار. فيه
تحل مشاكل المسلمين، لا للصلاة فقط.

روى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه -: أنه مر بسوق المدينة فوقف
عليها فقال: يا أهل السوق: ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك
ميراث رسول الله يقسم وأنتم هاهنا، ألا تذهبوا فتأخذوا نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟
قال: فى المسجد.

فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا.
فقال لهم: مالكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه
شيئاً يُقسم.

قال لهم أبو هريرة: وما رأيتم فى المسجد أحداً؟!
قالوا: بلى رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرأون، وقوماً يذكرون الحلال
والحرام.

فقال لهم أبو هريرة: وَيَحْكُمُ فذاك ميراث محمد ﷺ (1).

* * * * *

غزوة بدر الكبرى

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله - تبارك وتعالى - على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط.

وبعد

أيها المسلمون /

لقد أودى النبى ﷺ فى نشر دعوة الحق إلى الدين القويم فخرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، واستمر المشركون فى إيذائه وصحبه.

فنزلت أول آية فى قتال المشركين:

{أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ - الآية} [الحج: 39، 40].

فصدع بالأمر الرسول ﷺ ولما بلغه خبر العير المقبلة من الشام لقريش فى صحبة أبى سفيان، وكان بها نحو أربعين رجلاً (40)، وفيها أموال كثيرة لقريش نذب المسلمين إليهم وقال: هذه عير قريش فيه أموالهم وإن الله قد أذن لى بالاستيلاء على تلك الأموال.

فأجاب قوم وثقل آخرون؛ لظنهم أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يرد حرباً.

فخرج ﷺ لثلاث ليال خلون من رمضان من السنة الثانية من الهجرة، واستخلف على المدينة أبا لبابة، وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ومعهم فرسان وسبعون بعيراً.

ولما بلغ أبا سفيان خروج النبى - عليه الصلاة والسلام - لطلب العير بعث إلى قريش يستنفرهم. فخرجت قريش بخيلها ورجلها فى خمسين وتسعمائة رجلاً، ومائة فرس، وسبعمائة بعير ولما جاء الخبر بمسير قريش. قال - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه: «إنا فاتتنا الأموال فلا بد من لقاء أهل مكة، وإن الله وعدنى إحدى الطائفتين إما العير، وإما النفير» وفى ذلك يقول رب العزة:

{وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ

تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: 7].

والتقى الجمعان على ماء بدر، ووجد الرسول - عليه الصلاة والسلام - من أصحابه إيماناً قوياً إذ يقول له المقداد بن الأسود:

"يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله ما نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون".

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ". وتوالى تأييد الأنصار للنبي - عليه الصلاة والسلام - ومبايعته على النصر والقتال.

فجعل الله من إيمان المؤمنين جُنَّةً، ومن خوفهم أَمَن، ومن ضعفهم قوة، ومن ذلتهم عزة، ومن قلتهم كثرة، ومن صبرهم نصرة.

وبنى الصحابة للرسول - عليه الصلاة والسلام - عريشاً قام فيه، وأخذ يتوجه إلى الله داعياً:

"اللهم هذه قریش قد خرجت بقضها وقضيضها، تحادك وتحادُ نبيك وتريد أن تقضى على هذه العصابة المؤمنة. اللهم فنصرک الذى وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم " وأخذ الرسول - عليه الصلاة والسلام - يعدل الصفوف بقضيب فى يده. فمر "بسواد بن غزية " وهو خارج من الصف، فضربه بالقضيب فى بطنه وقال: استقم يا سواد. فقال: أوجعتنى يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل فأفقدنى من نفسك.

فكشف الرسول - عليه الصلاة والسلام - عن بطنه. وقال: استقم يا سواد فاعتقه سواد وقبل بطنه. فقال له الرسول - عليه الصلاة والسلام -: ما حملك على ذلك؟ فقال: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدى جلدك. فدعا له بخير".

وأخذ حفنة من التراب، وقذف بها في وجوه المشركين قائلاً:
"شاهت الوجوه، اللهم أرعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم " فانهمزوا وأخذتهم
غاشية من الرهبة. وفي ذلك يقول ربُّ العزة: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً
حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: 17].

ثم قال الرسول ﷺ {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر: 45].
وقال محرضاً للجيش:

"والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر
إلا أدخله الله الجنة". فقال عمير بن الحمام وبهده تمرات يأكلها: بخ... بخ. ما بيني
وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه،
وقاتل حتى قُتل.

واشتد القتال، وحمى الوطيس، وأنزل الله فوجاً من الملائكة بشرى لهم:

{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ
بَنَانٍ
{ [الأنفال: 12].

وانتهت المعركة بهزيمة المشركين، وانتصار المسلمين بعد أن قتلوا منهم
سبعين، وأسروا سبعين.

وكان من بين القتلى: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف وغيرهم
من صناديد قريش.

واستشهد من المؤمنين ستة عشر رجلاً رضى الله عنهم.

وتم النصر لهذه الفئة القليلة من المؤمنين؛ لاتحاد صفوفهم، واتباعهم

الفضائل، وتركهم للرذائل، وتمسكهم بحبل الله، وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ (1).

فاتقوا الله أيها المسلمون:

وليكن فى هذا النصر المبين عدة لكم، والله يعدكم بنصره إذا جعلتم كتاب الله إمامكم، فامتلتم أمره ونهيه، واتبعتم سنة نبيكم. وصدق الله العظيم: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7].

من أخلاق الرسول ﷺ

الحمد لله /

يجب مكارم الأخلاق، ويكره الخصام والجدال والشقاق.
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يحب معالى الأمور وأشرافه،
ويكره سفاسفها.

وأشهد أن سيدنا محمد أ رسول الله الذى كمله ربه، وبالأخلاق جملة وأدبه.
فأحسن أدبه.

صلى الله - تبارك وتعالى - عليه وعلى آله وأصحابه الذين تخلقوا بأخلاقه
العظيمة واستنوا بسننه الكريمة. فرضى الله عنهم أجمعين.

أما بعد

فيقول الحق تبارك وتعالى:

{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4].

أيها المسلمون /

مهما قال القائلون، ومدح المادحون، وأبدع الواصفون فى وصف أخلاق

(1) تنظر غزوة بدر فى تاريخ الطبرى.

المصطفى ﷺ فلن يبلغوا معشار ما اشتملت عليه الآية من ثناء على خلقه. فقد وصفه ربه بأنه على خلق، وأن هذا الخلق عظيم. إذن فما هذا الخلق العظيم؟

تجيب عن ذلك السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وقد سئلت عن أخلاقه. فقالت: كان خُلُقُه القرآن. ثم قالت للسائل: اقرأ إن شئت العشر الأول من سورة المؤمنون فإن فيها أخلاق الرسول ﷺ {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

[المؤمنون: 1- 11].

فكل ما فى القرآن من خُلُق هو خُلُقُه. الحلم، والصبر، والعفو، والإحسان، والجود، والكرم، والتواضع، والرفق، واللين، والرحمة.

والأخلاق فى القرآن على درجات متفاوتة:

فمقابلة السيئة خلق. قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [الشورى: 40].

والعفو عن المسىء خلق أعلى وأكمل {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}

[الشورى: 40].

وقال تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

[آل عمران: 134].

وقد بلغ الحبيب المصطفى ﷺ فى الكمالات الخلقية ذروتها ونهايتها:

قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَهْتَ لَهْمُ} [آل عمران: 159]، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:

وقال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199].

وقد سأل النبي ﷺ جبريل - عليه السلام - عن معناها فقال: (لا أدري معناها وسأرجع إلى ربي فرجع. ثم عاد إليه. فقال له: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك).

وقال تعالى: {فَلَعَفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

وتتحدث السيدة خديجة عن أخلاقه التي جعلته عزيزاً كريماً لا يذل ولا يضام، ولا يلحقه أذى بين الأنعام، وذلك عندما فاجأه الوحي بغار حراء، وعاد إليها وحدثها ما رأى وقال لها: لقد خشيت على نفسي.

فقللت له رضى الله عنها: (كلا والله لن يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر).

فصلة الرحم: مودة ذوى القربى.

ومعنى (تحمل الكل) أى: تعين الضعيف.

ومعنى (تكسب المعدوم): أى تساعد الفقير.

ومعنى (تقري الضيف): أى تكرم الضيف.

ومعنى (تعين على نوائب الدهر) أى تعين من انقلب عليه الزمان، وأدبرت عنه الدنيا. فكان سخي اليدين بالعتاء، جواداً لا نظير له، إذا سئل أعطى، وإذا دعى أجاب.

ع ن جابر رضى الله ع نه : "ما سئل رسول الله ﷺ عن شىء قط.
فقال: لا" (1).

وعن أنس رضى الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود
الناس، وأشجع الناس" (2).

وعنه: "ما سئل رسول الله ﷺ عن شىء إلا أعطاه، فجاء رجل وهو صفوان
بن أمية، فأعطاه غنماً بين جبلين فخرج إلى قومه من قریش. فقال: يا قومى
أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر" (3).

وروى الترمذى: "أنه حمل إلي تسعون ألف درهم فوضعت على حصير
فقام إليها يقسمها، فما رد سائلاً حتى فرغ منها" (4).

أيها المسلمون /

هكذا كانت أخلاق الرسول ﷺ، وقد تجلت هذه الأخلاق وتمثل بها فى
المواقف الصعبة، وفى أحلك الظروف.

جاء أعرابى يطلب شيئاً فأعطاه النبى ﷺ ثم قال له مستفسراً متودداً. أحسنت
إليك؟ فقال الأعرابى: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار
إليهم الرسول أن كفوا. ثم قام، ودخل منزله، وأرسل إلى الأعرابى، وزاده.

ثم قال: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابى: نعم. جزاك الله عن أهل
وعشيرة خيراً. فقال النبى ﷺ: إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى من
ذلك شىء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من
صدورهم ما فيها عليك.

(1) منفق عليه.

(2) منفق عليه.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه الترمذى.

وتحدث الأعرابي إليهم. وطابت نفس أصحاب رسول الله ﷺ بقول الأعرابي.
فقال ﷺ ه ذا التعقيب:

"إن مثلى ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس، فما زادوها إلا نفوراً. فنادا هم صاحب الناقة: أن خلوا بينى وبين ناقتى، فإنى أرفق بها وأعلم.

فتوجه إليها صاحب الناقة بين يديها. فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار" (1).

وقد قيل له ﷺ وهو فى أشد المواقف حرجاً: لو لعنتهم فقال: (إنما بعثت رحمة، ولم أبعث لعناً) (2).

وكان إذا سئل أن يدعو على أحد، عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له بالهدايى والصلاح.

وفى يوم الفتح عفا ﷺ عن أهل مكة جميعاً عفواً شاملاً لم يسبق له مثيل، ولم تكن له سابقة. عندما قال لهم وكانوا تحت يديه! ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وكان ﷺ قائلاً تحت ظل شجرة، وقد علق سيفه بفرع من فروعها. فجاء رجل مشرك، وأمسك بالسيف، وأيقظ النبى ﷺ وقال: من يمنعك منى يا ابن عبد الله؟

قال: يمنعنى منك ربى. فطار السيف من يده وأخذه ﷺ وألقى المشرك على الأرض. وقال: من يمنعك منى يا عدو الله؟

(1) أخرجه النوادر.

(2) رواه مسلم.

فقال: يمنعنى منك حلمك. (وفى رواية: كن خير آخذ).

فعفا عنه ﷺ فجاء إلى قومه وقال لهم: جئكم من عند خير الناس⁽¹⁾.

عن أنس قال كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعربى فجذبه جذبة حتى رأيت صفح أو صفحة عنق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته فقال لي محمد أعطني من مال الله الذى عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء⁽²⁾.

أيها المسلمون /

الأخلاق هى ثمرة الإيمان، وهى أساس بناء الفرد الصالح، والمجتمع الفاضل.

وكان رسول الله ﷺ يهتف دائماً بحسن الخلق، وكان إذا نظر إلى المرأة قال: (اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى)⁽³⁾.

وبناء الأخلاق هو الهدف الأسمى من بعثته ﷺ : يقول عليه الصلاة والسلام: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)⁽⁴⁾. وفى رواية (إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق)⁽⁵⁾. وفى رواية ثالثة (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)⁽⁶⁾. وقال عليه الصلاة والسلام: (بعثت بالحنيفية السمحة)⁽⁷⁾.

وقد حثنا المصطفى ﷺ على حسن الخلق، ورغبنا فى التحلى بمكارم الأخلاق، وبين لنا أن أقرب الناس إليه أرقهم قلباً، وأحسنهم طبعاً، وأكرمهم

(1) رواه الحاكم وصححه.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه أحمد.

(4) رواه مالك فى الموطأ.

(5) رواه ابن سعد.

(6) رواه أحمد.

(7) رواه أحمد.

خلقا. فقد سئل ﷺ مرة: أى الناس أحب إليك؟ فقال: «أنفع الناس للناس» (1).
وسئل أيضاً ﷺ أى الأعمال أفضل؟ قال: «إدخالك السرور على مؤمن» (2).
فلتقوا الله عباد الله / وتخلقوا بأخلاق نبيكم، وتأدبوا بأدابه.

* * * * *

الرحمة

الحمد لله /

الحليم الكريم. العلى العظيم. الواسع فى إنعامه. العظيم فى إكرامه. الرؤوف
الرحيم. العزيز الحكيم.
وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. وسعت رحمته كل شىء، وعمت
كل مخلوق.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أنقى الناس، وأكملهم وأرحمهم
وأعدلهم، القائل: (إنما أنا رحمة مهداة) (3).

اللهم صل على سيدنا محمد نبي المودة الذى ألقيت عليه مودة منك، ورسول
الرحمة الذى هبطت إليه الرحمة منك، فهو نبي مودتك ورسول رحمتك، فهو
رحمة الله المرسله إلى سائر العوالم العلوية والسفلية، وفرج الله القريب للمنكسرة
قلوبهم من أهل النفوس المرضية، ورأفة الله لعباده المؤمنين الفائقة لرأفة
الأمهات على الذرية، وعلى آله وسلم وأصحابه أهل النفوس الزكية. صلاة تفتح
لنا بها أبواب رحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) رواه العسكرى بلفظ أى الناس أحب إلى الله.

(2) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(3) رواه البيهقى فى الدلائل.

أما بعد

عباد الله /

يقول الله تعالى: {قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: 12].

إن التراحم بين الناس فضيلة من أعظم الفضائل الإنسانية، وأجلها قدراً، وأبقاها أثراً، وأوفرها عند الله جزاءً وشكراً ، بها يسعد المجتمع الإنساني، ويسوده الأمن والاطمئنان والرخاء.

والرحمة: صفة من صفات الله - تعالى - جعلها مائة قسم، وأودع منها قسماً واحداً في الدنيا به يتراحم الخلق حتى تحنو به الدابة على ولدها، و ادخر تسعاً وتسعين في الآخرة:

كما قال - عليه الصلاة والسلام - : «جعل الله الرحمة مائة جزء، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (1).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال:

"قُدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب ثديها، إذا وجدت صبيّاً في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته. فقال رسول الله ﷺ : «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار». قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، قال: «فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها» (2).

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

وكثير من أسماء الله الحسنى تنبع من معانى الرحمة والكرم والفضل والعفو:

وقد جاء فى الحديث القدسى: (إن رحمتى سبقت غضبى)⁽¹⁾.

وتجاوز الله عن آثام البشر، وخطاياهم يسبق اقتصاصه منهم وسخطه عليهم، وبذلك كان أفضل الرحماء: {وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون: 118].

فكل ما نراه فى الأرض من تواد وتعاطف ورحمة ، إنما هو من أثر هذه الرحمة الإلهية.

وأرق الناس أفئدة. أوفرهم نصيباً من رحمة الله - تعالى - قال - سبحانه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156].

فهؤلاء المؤمنون هم الجديرون برحمة الله تعالى.

وما أقل حياء من عبدٍ يطمع فى رحمة الله بغير عمل، وكيف يجود الله برحمته على من بخل بطاعته؟

وقد وصف الله - تعالى - نفسه بالرحمة والرافة:

{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الحجر: 49]. {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ} [البقرة: 143].

ومن رحمة الله ورأفته بعباده أن أرسل إليهم رسولا ملأت الرحمة قلبه فكان أرحم الناس خلقا، وأوسعهم عطفاً ، وقد وصفه الله تعالى بهذه الرحمة فقال - سبحانه -: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

(1) رواه مسلم.

ويقول سبحانه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128].

وقد لازمته الرحمة في أصعب المواقف:

ففي غزوة أحد عندما حاول المشركون أن يقتلوه، وألجأوه إلى حفرة ليكب فيها، وجرح وجهه الشريف، ورأى زهرة أصحابه مضرجين في دمائهم. قيل له: ادع عليهم. فغلبته الرحمة، وجعلت نفسه الكريمة تلتمس لأعدائه العذر فدعا لهم ﷺ قائلاً: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

من أجل ذلك يحثنا ﷺ على الرحمة فيقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن - تبارك وتعالى - ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (1).

ويقول ﷺ في حديث آخر: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» وفي رواية زاد: «ومن لا يغفر لا يغفر له» (2).

ولقد سار أصحاب النبي ﷺ على هذا النهج الإسلامي القويم الذي وصفه القرآن الكريم: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29].

وعن أبي مسعود البدرى: كنت أضرب غلاماً لى بالسوط. فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود. فلم أفهم الصوت من الغضب. فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: "اعلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغلام. فقلت: لا أضرب بعد مملوكاً أبداً".

وفي رواية: "فقلت: يا رسول الله: هو حرٌ لوجه الله تعالى. فقال ﷺ: أما لو لم تفعل للفتحت النار أو لمستك النار" (3).

(1) رواه أحمد، وغيره.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه مسلم.

وقد أمر الإسلام بالتراحم بين المسلمين، فالمسلم يلقي الناس جميعاً بقلب عامر بالرحمة والعطف فهو يوسع لهم، ويخفف عنهم قدر ما يستطيع، قال ﷺ: (لن تؤمنوا حتى تراحموا. قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة)⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه -:

"أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له النبي ﷺ: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»⁽²⁾.

فالأيتام والمساكين من أولى الناس بالإحسان، وأحوجهم إلى العطف والرحمة. وقد نبهنا الإسلام إلى الرحمة بأولادنا والعطف عليهم:

فقد روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ "قبل الحسن والحسين ابنا على - رضى الله عنهم - وعنده الأقرع بن حابس التميمي؛ فقال له الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم قط؛ فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «من لا يرحم لا يرحم». وفى رواية قال له: «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك»⁽³⁾.

ومن الرحمة: العفو عن الخادم: فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له:

كم أعفو عن الخادم؟ قال: كل يوم سبعين مرة⁽⁴⁾.

ومن الرحمة المطلوبة: الرفق بالحيوان التى هى مخلوقات سخرها الله لنا.

وقد رأى عمر - رضى الله عنه - رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له: "ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً".

(1) رواه الطبرانى.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه البخارى.

(4) رواه أبو داود والترمذى.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة»⁽¹⁾.

وقال ﷺ : (دخلت امرأة النار في هرة - يعنى قطة - ربطتها فلم تطعمها، ولم من أخلاق الرسول ﷺ (2)

الحمد لله /

الذى مَنّ علينا بخاتم أنبيىءه، المبعوث لتتمة مكارم الأخلاق، وهو صاحب الخلق العظيم، والقدر العظيم، لما وصفه رب العزة فى كتابه الحكيم بقوله سبحانه وهو أحكم الحا لئمين: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل نبيى بللهدى ودين الحق فلم يجعه فظاً ولا غليظ القلب. قال سبحانه:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ أَدَّ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة فكشف الغمة.

فصلوات الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله بقدر ما ج اه دت لإنقاذ البشرية جمعاء.

صلّى الله عليك وعلى آلك وأصحابك فى كل لمحّة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

(1) رواه البخارى فى الأدب.

أمـا بعد

فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال:

"كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه: «اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى» (1).

وفى الحديث الشريف عنه - صلوات الله وسلامه عليه -: «إنما بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق» (2) - «إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق» (3) - «إنما بعثت
لأتمم صالح الأخلاق» (4).

قال ﷺ : «بعثت بالحنيفية السمحة» (5).

قالت السيدة خديجة - رضى الله عنها - عن ما فاجأه الوحي وحدث فهابه ﷺ
وقال لها: لقد خشيت على نفسى.

فقللت رضى الله عنها: "كلا واهن. ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل
الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتكرم الضيف، وتعين على
نوائب الحق" (6).

هكذا كان رسول الله ﷺ لم يسأل عن شىء قط ﷺ إلا وحقق رجاء م ن
رجاه: فعن جابر - رضى الله عنه - قال: "ما سئل رسول الله ﷺ ع ن
شىء قط. فقال: لا" (7).

(1) رواه أحمد وابن حبان.

(2) رواه مالك فى الموطأ.

(3) رواه ابن سعد.

(4) رواه أحمد.

(5) رواه أحمد.

(6) منقح عليه.

(7) منقح عليه.

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس، وأشجع الناس" (1).

وعنه رضى الله عنه -: " ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه. فجاء ذات يوم صفوان بن أمية فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه. وقال: يا قوم إن محمداً يعطى عطاء من لا يخاف الفقر" (2).

وروى أيضاً: "أنه حمل إليه ﷺ ألف درهم. فوضعت على حصير ثم قام إليها بقسمتها فما رد سائلاً حتى فرغ منها".

وجاءه أعرابى يطلب منه شيئاً فأعطاه ﷺ. ثم قال له: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابى: لا، ولا أجملت. فغضب المسلمون، وقاموا إليه فأشار إليهم الرسول ﷺ أن كفوا. ثم أقام ودخل منزله، وأرسل إلى الأعرابى وزاده ثم قال: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابى: نعم. جزاك الله من أهل ومن عشيرة خير أ. فقال النبى ﷺ: إنك قلت ما قلت. وفى نفس أصحابى شيء من ذلك. فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي. حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك. ويحدث الأعرابى وطابت أنفس أصحاب النبى ﷺ يقول الأعرابى فقال رسول الله ﷺ هذا التعقيب الرائع:

"وإن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كان له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفوراً. فناداهم صاحب الناقة: خلوا بين الناقة وبينى. فإنى أرفق بها وأعلم فتوجه إليه صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث ما قال الرجل

(1) مثنق عليه.

(2) رواه مسلم.

فقتلتموه ودخل النار" (1).

فصلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله، يا صاحب الصفح
والعفو يا من خاطبك ربك بقوله {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْجَاهِلِينَ} [الأع راف: 199]. {فَا عَفَّ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَشَأَ وَرَهُمْ فِي
الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

ولقد قيل له ﷺ يوم أحد: لو لعنتهم يا رسول الله (اللفار) فقال صلوات الله
وسلامه عليه: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا» (2).

وكان إذا سئل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له
بالحداية والصلاح.

وسئل مرة "أى الناس أحب إليك؟ فقال ما معناه: «أنفعهم للناس» (3).

وسئل أى الأعمال أفضل؟ فقال: «إدخال السرور على المؤمن» (4).
وقال - عليه الصلاة والسلام- : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً،
وأطفهم لأهله» (5).

وعفا رسول الله ﷺ عن أهل مكة عفواً شاملاً لم يسبق فى تاريخ
الأمة الإنسانية عندما قال لهم يوم فتح مكة وكانوا تحت يديه: ما تظنون
أنى فعلت بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم
الطلقاء.

(1) رواه البزار بسند ضعيف.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه العسكرى فى الأمثل.

(4) روى معناه الطبرانى فى الأوسط.

(5) منقق عليه.

ولكن ﷺ قائلاً تحت ظل شجرة، وقد علق سيفه بفروع من فروعها فجاء رجل مشرك وأمسك السيف، وأيقظ النبي ﷺ وقال له: من يمنعك مني يا ابن عبد الله؟ قال: يمنعني منك ربي.

فطار السيف من يد المشرك. وأخذه ﷺ وألقى المشرك على الأرض وقال: من يمنعك مني يا عدو الله؟ فقال المشرك: يمنعني منك حلمك⁽¹⁾.

وفى رواية: «كن خير آخذ». فعفى عنه ﷺ فلسلم. ثم ذهب إلى قومه وقال: جئكم من عند خير الناس⁽²⁾.

واقترض النبي ﷺ بئراً من حبر يهودى إلى أجل مسمى. فجاء قبل الأجل بيومين وقال: أعطني يا محمد فإنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل. فقام إليه عمر الفاروق بالسيف ليضرب عنقه.

فقلل له النبي ﷺ: مة لا يا عمر.

أنا وهو كنا أحوج منك إلى غير هذا تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضى. قم يا عمر أعطه حقه وزده عشرين صاعاً جزاء ما روعته. فأسلم الحبر. فقال له النبي ﷺ: لم أخرت إسلامك إلى هذا اليوم؟ قال: كنت أعلم خصال النبوة فيك إلا خصلتين: يسبق حلمك جهلك، ولا تزيد شدة الجهل عليك إلا حلاًماً.

وجاء أعرابي وشده من حاشية برده ﷺ حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ﷺ وقال: "أعطني من مال الله فليس المال مالك ولا مال أبيك ولا جدك.

(1) رواه الحاكم وصححه.

(2) م عنه متفق عليه.

فأطرق ﷺ لحظة ثم رفع رأسه. وقال: نعم. ليس الما ل مالى ولا مال أبى ولا جدى، ولكنى قبل أن أعطيك أقتص منك. فقال الأعرابى: لا. فقال النبى ﷺ: لم؟ قال: لأنك لا تقابل السيئة بالسيئة، ولكن تغفو وتغفر.

الخطبة الثانية

الحمد لله /

الذى أرسل خير رسول إلى خير أمة، بخير كتاب أخرجهم به من الظلمات إلى النور، أبان لهم به المنهج الصواب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. ه ازم الأحزاب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعى إلى شريعة ربه الكريم الوهاب.

صلّى الله - تبارك وتعالى - عليك وسلم سيدى يا رسول الله صلاة يحم خيها جميع المسلمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أرباب الخلق القويم وسلم عليهم فى كل وقت وحين.

وبع

علينا إخوة الإيمان أن نقتبس من أخلاق الرسول الكريم ﷺ م ا نغنى به حياتنا.

فعلينا أن نتعود الصفح والعفو حتى تغفر ذنوبنا فنكون ممتثلين بقول الله الكريم:

{وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [سورة النور: 22].

والمعنى: إن كنتم تحبون أن يغفر الله لكم فلتغفوا ولتصفحوا.

الهم اجعها من أهل العفو ... الخ الدعوات.

* * * * *

عها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت (1). (حُبُّ الله لِنَبِيِّهِ، وَحُبُّ
الصحابَةِ وتوقيرهم له)

الحمد لله /

رفع قدر نبيه ﷺ وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، وقال له مخاطباً
خطاب التشريف والتكريم:

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ} [الشرح: 1، 2، 3].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، اصطفى نبيه محمداً واجتباها،
وكلمه وناجاه، وقرببه وناداه:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ
وَسِرَاجاً مُنِيراً} [الأحزاب: 45، 46].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود
والحوض المورود، صلى الله - تبارك وتعالى - عليه وعلى آله وأصحابه الذين
عزّروه ونصروه وعظّموه ووقّروهم، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم
المفلحون.

أمّا بعد

فيقول الله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
تَقُومُ} [الطور: 48].

عباد الله /

ما خلق الله خلقاً أحبّ إليه من سيدنا محمد ﷺ، من أجله خلق الدنيا وما فيها،
وهو نور من نوره، وأول ما خلق نوره، وقد سجدت الملائكة لأبيه آدم؛ لأن

(1) متفق عليه.

نوره كان فى جبينه، ولم تأكل النار إبراهيم؛ لأنَّ محمداً كان فى صلبه.

ومن أجل النبىِّ ﷺ المُكْرَمَ المعظم، كرَّم الله أمته وجعلها خير الأمم، فقال - جلَّ شأنه -:

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...} [آل عمران: 110].

وجعلها شهداء على الناس يوم القيامة بعدلها وفضلها. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143].

ومن محبة الله تعالى له ﷺ أنه أنزل عليه القرآن، وهو خير الكتب وأفضلها، وأجمعها، وأقسم ببلده؛ لأنها أفضل البلاد. فقال: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد: 1، 2]. وقال: {وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين: 1-3].

وأقسم بحياته؛ لأنها أعلى حياة وأثمنها فقال - تعالى -: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: 72].

وأقسم بعصره؛ لأنه أشرف العصور. قال تعالى:

{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر: 1، 2].

قال بعض المفسرين:

"أقسم الله بزمانه؛ لأنه خير الأزمنة، وببلده الذى دُفِنَ فيه؛ لأنه خير البلاد. يقول عليه الصلاة والسلام: «اللهم كما أخرجتنى من أحب البلاد إلىَّ، فأسكنى أحب البلاد إليك»⁽¹⁾.

(1) أخرجه التقي الهنذى فى كنز العمال.

وجعل كل نسب ينقطع يوم القيامة إلا نسبه ﷺ يقول - عليه الصلاة والسلام -:
«كُلَّ نَسَبٍ وَصَهْرٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَصِهْرِي» (1).

ومن محبة الله - تعالى - له أنه جعله أول خلقه، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - حين سأله عن أول شئ خلقه الله تعالى؟ فقال له:
"أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" (2).

وجعله آخر المرسلين وخاتم أنبيائه، وختم بنبوته النبوات، وبرسالته الرسالات.

قال - عليه الصلاة والسلام -:

(فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحَلَّ لِنَبِيِّ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجَدًا، وَأُرْسِلَتْ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ) (3).

وقال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [سورة الأحزاب: 40].

ومن محبة الله له أنه لم يناده باسمه قط كما نادى الأنبياء من قبله بأسمائهم مجردة فقال:

{يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [الأعراف: 19]، {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ} [هود: 48]، {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} [هود: 76]، {يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى} [طه: 11-12].

(1) رواه ابن عساکر.

(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه.

(3) رواه مسلم.

{يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} [ص: 26].

{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم: 12].

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ... الْآيَةُ} [المائدة: 116].

هذه مخاطبة الله لسائر رسله وأنبيائه. بينما حين يخاطب النبي ﷺ يقول:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: 45].

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: 67].

{يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: 1، 2].

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر: 1-3].

ومن محبة الله له أنه جعل قبره روضة من رياض الجنة.

فقال - عليه الصلاة والسلام -:

«ما بين منبري وبين عائشة روضة من رياض الجنة ومنبري على

حوضي»⁽¹⁾.

ومن محبة الله - تعالى - له أنه أحياه في قبره ليردّ سلام من سلّم عليه فقال:

«ما من أحد يسلم على - وفي رواية (عند قبري) - إلا ردّ الله علىّ روحى فأردّ

عليه السلام»⁽²⁾.

ومن محبة الله - تعالى - أنه رفع العذاب والخسف عن أهل الأرض ببركته،

فقال - سبحانه -:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

[الأنفال: 33].

ومن محبة الله له أنه أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا به ﷺ إذا حضروا زمانه، قال - تعالى - : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: 81].

ومن محبة الله له: أنه ﷺ قد صلى عليه الله، وصلت ملائكته عليه، وما يزال وملائكته يصلون عليه:

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

ومن محبة الله له: أنه جعل أعمال أمته تعرض عليه فما وجد منها من خير حمد الله عليه، وما وجد من شرٍّ استغفر وفى هذا يقول - عليه الصلاة والسلام -: «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله تعالى، وإن رأيت شرّاً استغفرت لكم»⁽¹⁾.

ومن محبة الله - تعالى -: أنه أعطاه المقام المحمود، وهو شفاعته للخلائق لفصل القضاء فى يوم اللقاء يوم يقوم الناس لرب العالمين، قال - سبحانه - : {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً} [الإسراء: 79].

وبيان ذلك أنه: "لما طال على الناس زمن الوقوف، واشتدت عليهم الأهوال يطلبون من يشفع فى الانصراف عن ذلك الموقف ولو إلى النار.

(1) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وقال حسن.

فيأتون آدم - عليه السلام - ويقولون له: "أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأمر الملائكة بالسجود لك فاشفع لنا عند الله أن يصرفنا من هذا الموقف. فيقول: إن الله تعالى غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله، وإنه كان منى أمرٌ أوجب خوفي منه فلا جراً لى على الشفاعة. نفسى. نفسى. اذهبوا إلى نوح يشفع لكم. فيذهبون إلى نوح - عليه السلام - ويقولون له: أنت أول رُسُل الله بعد آدم، ورسالتك عامة، ومنزلتك عالية؛ فاشفع لنا.

فيقول لهم مقالة آدم، ويدلهم على إبراهيم.

فيأتون إليه ويقولون: أنت خليل الله؛ فاشفع لنا عنده. فيقول مثل ذلك. ويدلهم على موسى. فيقولون له: أنت كلیم الله فاشفع لنا عنده. فيقول لهم كذلك. ويدلهم على عيسى - عليه السلام - فيأتون إلى عيسى ويقولون له: أنت روح الله؛ فاشفع لنا عنده.

فيدلهم على سيدنا محمد. فيأتون إلى سيدنا محمد ويسألونه.

فيقول: أنا لها. أنا لها. فيسجد مدة

فيقول الله له: ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسلْ تُعط، وقلْ يُسمع لك. ثم يرفع رأسه ويحمد الله - تعالى - بمحامد يُعَلِّمُهُ الله إِيَّاهَا لم يحمد بها أحد قبله، ويشفع لأهل الموقف فى الانصراف؛ فيحمده الأولون والآخرون⁽¹⁾.

ومن تكريم الله له أنه نهى عن رفع الصوت عنده فقال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: 2].

وعن ندائه باسمه فقال:

(1) فى البخارى بمعناه.

{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور: 63].

واستنبط العلماء من ذلك أن حرمة ﷺ حياً كحرمة مَيِّتاً؛ فيحرم رفع الصوت عند روضته، ويحرم كذلك ذكر اسمه مجرداً من الرسالة أو النبوة، أو السيادة. كأن يقال: يا محمد.

وقد انبرى الإمام مالك للخليفة أبى جعفر بإنكار رفعه صوته عند قبره الشريف، أو فى المسجد النبوى الشريف.

فقد ناظر الإمام مالك أبا جعفر المنصور فى مسجد الرسول ﷺ فإذا بأبى جعفر المنصور يرفع صوته. فقال الإمام مالك: لا ترفع صوتك فى مسجد الرسول ﷺ فإن الله - تعالى - أدب أقواماً فقال:

{أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: 2].
وذم أقواماً فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات: 4].

ومدح أقواماً فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: 3].

فقال له المنصور: أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل القبر الشريف؟ قال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم.

أيها المسلمون /

لقد كان الصحابة يعرفون قدر نبيهم ويجتهدون فى بذل كل ما يليق بمقامه العالى، فكانوا يخفضون أصواتهم عنده، وإذا تكلم أصغوا وأحسنوا الاستماع كأن على رؤوسهم الطير، ويقولون له: فداك أبى وأمى، وإذا كانوا عنده لا ينصرفون إلا بإذنه.

فاتقوا الله، وعظموا نبيكم، واعرفوا فضله عليكم، وتمسكوا بكتاب ربكم، وأحيوا سنن نبيكم لعلكم ترحمون.

قال ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»⁽¹⁾.

* * * * *

لزوم محبته ﷺ

الحمد لله /

الذى أحبَّ نبيه ومصطفاه، محمداً بن عبد الله، وأحبَّ من أحبَّه وولاه. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له أعطاه فأرضاه، وبلغه من الخير مثاه. وأشهد أن محمداً رسول الله، الذى بمحبته تنال محبة الله، وفى طاعته طاعة الله.

صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وأصحابه الذين أحبوا النبىء الكريم فنالوا من العلم أنفعه، ومن الرزق أوسعاه، ومن العز أرفعاه، {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 5].

أما بعد :

فيقول الله تعالى:

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24].

(1) رواه مسلم.

عباد الله /

حُبُّ الرسول ﷺ إيمان ودين، وهو مُقَدَّم عند المؤمن على حُبِّ كُلِّ شَيْءٍ من مالٍ وبنين وإخوان وأهلين وأزواج وأقربين. فَيَحِبُّهُ يَتَحَقَّقُ الفوز والسعادة، والحسنَى وزيادة.

ولا يذوق طعم الإيمان، ولا يجد حلاوته إلا مَنْ سَكَنَ هذا الحُبَّ فى جنانه وقلبه، وسرى فى كيانه وَلَبَّه.

قال عليه الصلاة والسلام: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» (1).

بل لا يبلغ المرء الإيمان الكامل حتى يكون الرسول ﷺ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ التى بين جنبيه.

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال للنبي ﷺ: لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي التى بين جَنْبَيْ.

فقال له النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ». فقال عمر: والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التى بين جَنْبَيْ.

فقال له النبي ﷺ: «الآن يا عمر» (2).

يقول عبد الله التستري: "مَنْ لَمْ يَرَ وَلَايَةَ الرَّسُولِ ﷺ فى جميع أحواله، ولم ير نفسه فى ملكه لا يذوق حلاوة سنته. لأن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ» (3).

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه الإمام أحمد.

أيها المسلمون /

المُحِبُّونَ لِلْمُصْطَفَى ﷺ يَنَالُونَ قَرْبَهُ، وَيَحْظُونَ بِوَصْلِهِ: فعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنْ أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّتَ» (1).

وعن صفوان بن قدامة قال:

"هاجرت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله تَأُولِنِي يَدَكَ أَبَايَعُكَ. فَنَاولَنِي يَدَهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي أَحْبَبْتُكَ. فَقَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» (2).

وعن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنِ وَحُسَيْنٍ فَقَالَ: "مَنْ أَحَبَّنِي، وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَحَبَّ أَبَاهُمَا، وَأَحَبَّ أُمَّهُمَا: كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (3).

وعن ثوبان - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَاهُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اصْفَرَ وَجْهَهُ. فَقَالَ لَهُ: مَا بِكَ يَا ثَوْبَانُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَإِنِّي لَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى أَجِيءَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتِكَ فَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ دَخَلْتُهَا لَا أَرَاكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى:

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69]. فدعا به، فقرأها عليه (4).

(1) متفق عليه.

(2) مجمع الزوائد للهيثمي.

(3) رواه أحمد والترمذي.

(4) أخرجه الطبراني وأبو نعيم ينظر الدر المنثور للسيوطي.

قال عليه الصلاة والسلام: «من أحبني كان معي فى الجنة» (1).

أيها المسلمون/

لقد أحبَّ السلف الصالح النبي ﷺ حبًّا يفوق الوصف فهم لا يطيقون أن تصاب شعرة من جسده وهم أحياء يرزقون. وحسبهم حين يشتد عليهم البلاء أن الرسول ﷺ فى سلامة وعافية لم يمسه سوء.

عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أشدَّ أمتي لى حبًّا ناسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ» (2).

وروى أن امرأة من الأنصار - قُتِلَ أبوها، وأخوها، وزوجها يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ قالوا: بخير، هو بحمد الله كما تُحَيِّين. فقالت: أرنيه حتى أنظر إليه فلما رآته قالت: "كل مصيبة بعدك جلل" (3).

وسئل سيدنا على - كرم الله وجهه: كيف كان حُبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ. ولَمَّا احْتُضِرَ بلال - رضى الله عنه - نادى امرأته: وَاحْزَنَاهُ. فقال: واطرباه. غداً ألقى الأحبة. محمداً وصحبه.

ولَمَّا أخرج أهل مكة زيدا بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد: أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ لَضَرْبِ عُنُقِهِ، وَإِنَّكَ فِى أَهْلِكَ؟

فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه تصيبه شوكة وإنى جالس فى أهلى. فقال أبو سفيان: "ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كما يُحِبُّ أصحاب محمدٍ محمداً".

(1) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب.

(2) رواه مسلم.

(3) روى القصة الطبرى فى تاريخه.

أيها المسلمون /

للْحُبِّ علامات تدل عليه، وأمارات تكشف عنه، وقد أحب أصحاب الرسول ﷺ الرسول حباً عميقاً مازج دماءهم، وخالط أرواحهم، وقد عبروا عنه بالسنتهم وعواطفهم النابضة بمشاعر الودِّ.

وحبهم هذا فاق حبَّ الصديق لصديقه، والحبیب لحبيبه، والأخ لأخيه، وقد أَجْلَوْهُ ووقَّروهُ توقيراً فاق احترام الرعية لملوكها، وفَرَّقُ بين حبِّ الصحابة للنبي ﷺ وحبِّ الرعية للملوك.

فالحب الأول: حبٌّ عن رغبة ونابغ من القلب.

والحب الآخر: صادرٌ عن رهبة، ولا جذور له في الجنان واللبِّ.

قال عروة بن مسعود - رضى الله عنه -:

"لقد دخلت على الملوك، ويا قوم والله لقد وفدت على كسرى وقیصر فما رأيت ملكاً عظيماً يعظمه أصحابه كما يُعْظَمُ أصحاب محمد ﷺ. والله ما يحدون النظر إليه تعظيماً له، وما تَنَحَّ نَخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فَيَدْلُكُ بها وجهه وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على فضل وضوئه".

ومن علامات محبته:

اتباعه، والافتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بأدابه في عسره ويسره، وفي منشطه ومكرهه.

قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: 31].

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 71].

فمحببة الرسول محبةً لله، ومغفرة للذنوب، وسبيل للفوز والنجاة. قال أنس - رضى الله عنه -: "قال لى رسول الله ﷺ : «إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غشٍّ لأحد فافعل، وذلك من سنتى، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى، ومن أحبنى كان معى فى الجنة» (1).

ومن علامات محبته ﷺ : كثرة ذكره؛ فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، ومنها كثرة الشوق إلى لقائه، فإن من أحب شيئاً أحب لقاءه، ومنها تعظيمه وتوقيره عند ذكره، ومنها محبة من أحب النبي ﷺ ومحبة من هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، ومعاداة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم. فمن أحب شيئاً أحب من يُحبه.

قال تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: 23].

وقال رسول الله ﷺ : «آية الإيمان حبّ الأنصار، وآية النفاق بُغضُ الأنصار» (2).

أيها المسلمون /

ليكن حبكم لرسول الله ﷺ أكثر من حبكم لأموالكم وأولادكم وإخوانكم وعشيرتكم، وترجموا عن هذا الحبّ بالتمسك بسنته والتخلق بخلقها، وإقامة شرعه، والرضا بحكمه، وامتنال أمره واجتناب نهيه: {وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7] أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وصححه.

وقال عليه السلام: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى لحب الله، وأحبوا أهل بيتى لحبى» (3).

* * * * *

(1) رواه الترمذى وقال حسن غريب.

(2) رواه البخارى.

(3) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وصححه.

الأدب مع النَّبِيِّ ﷺ

الحمد لله /

الذى أحبَّ نبيَّه ومصطفاه، محمداً بن عبد الله، وأحبَّ من أحبَّه ووالاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعطى نبيه فأرضاه، وبلغه مُناه. وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذى بمحبته تُنالُ محبة الله، وفى طاعته طاعة الله.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد الذى حمَدَ الناس سيرته، وحفظ الله شرعته، وقوى فى الله عزيمته، وجعل أفضل الصلَّات صلَّته، وأشرف النبَّوات نبَّوته، وأعلى الرسالات رسالته، وأشرف الذُّريَّات ذريته، وجعل أعلى المنازل منزلته.

وعلى آله وسلم ما شاهد الزُّوَّار روضته، واغتتم الزائرون نظرتَه.

أمّا بعد

فيقول الله سبحانه:

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الفتح: 8، 9].

يأمرنا الله تعالى بتوقير النبي الكريم، واحترامه وإجلاله، وإعظامه والأدب معه؛ لأن من يوقره ويعظمه ﷺ إنما يُوقِرُ الإسلام ويعظمه، والله تعالى قد شَرَّفَ هذا النبيَّ وكرَّمه تكريماً وتشريفاً. فاق جميع الأنبياء والمرسلين. فجعل طاعته من طاعته: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: 80]. ومحبته موصلة إلى محبته {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: 31].

وزاده تشريفاً وقرباً فجعل من يبايعه مبايعاً لله - تعالى -:

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10].

فالله حاضرٌ معهم يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم. ومدح الهم تعالى - عباده الذين يُسَلِّمُونَ أمرهم لله ورسوله:

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: 51].

والمؤمن الحق هو الذى يجعل النبى ﷺ قدوته وإمامه، ويلجأ إليه فى كل أحواله {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} [الأحزاب: 6]. {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65].

والواجب على كل مسلم أن يعرف كيف كان الصحابة والتابعون والعلماء العاملون - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا يُعاملون مقام النبى ﷺ بما يليق به من الاحترام والتوقير، وهم قد فهموا وعقلوا قول الله - تعالى -: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور: 63]. وقوله: {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: 2].

وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: أنه سمع رجلين فى مسجد النبى ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً.

وقال العلماء: "يكره رفع الصوت عند قبره الشريف؛ لأن حرمة ﷺ حياً كحرمة منتقلاً فى قبره".

وقد جهل بعض العرب وتجرأوا، ورفعوا أصواتهم عند بابهِ ﷺ فكان أن وصفهم القرآن الكريم بعدم العقل.

عن زيد بن أرقم - رضى الله عنه - قال: اجتمع أناس من العرب. فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكاً نعش

فى جناحه. قال: فأتييت النبى ﷺ. فأخبرته بما قالوا. فجاؤا إلى حجرته ﷺ فجعلوا ينادونه وهو فى حجرته: يا محمد... يا محمد. فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات: 4].

لأنهم أغلظوا الخطاب ونادوه باسمه مجرداً، وكان ينبغى أن ينادوه بأشرف ما يجب أن ينادى به: يا رسول الله... يا نبى الله.

وقد روى أن أبا بكر - رضى الله عنه - لما نزلت هذه الآية قال: "يا رسول الله: لا أكلمك بعدها إلا كأخى السرار".

وروى أن عمر - رضى الله عنه - كان إذا حدث النبى ﷺ حدثه السرار، ما كان يُسمع النبى ﷺ. بعد هذه الآية حتى يستفهم. فأنزل الله فى مدح هؤلاء العارفين قَدَّرَ النبى ﷺ {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: 3].

وكان للنبى ﷺ مهابة بين أصحابه، وكانوا يغضون أبصارهم فى حضرته، ولا يحدون النظر إليه من فرط إجلالهم له.

يروى عن سيدنا عمر - رضى الله عنه - قال:

"وما كان أحد أحبَّ إلىَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ فى عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه".

وكان مجلس الصحابة حوله نموذجاً رائعاً فى المحبة، والتعظيم والتوقير: روى عن شريك رضى الله عنه قال: "أتيت النبى ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير".

وروى الترمذى عن أنس - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ كان يخرج أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما

ويبتسمان إليه، ويبتسم إليهما.

وفى حديث المغيرة بن شعبة: "وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر" - أى ضرباً خفيفاً ودقاً لطيفاً؛ تكريماً وتعظيماً وتشريفاً.

واعلموا عباد الله:

أن حُبَّ الصحابة للنبي ﷺ كان حُبّاً نابعاً من القلب، وصادراً عن الإيمان الخالص. لا عن رغبة أو رهبة أو غرض دنيوى.

فكانت منزلته عندهم تفوق منزلة الأكاسرة والقيصرة:

وقد قال عروة بن مسعود حين وجهته قريش إلى النبي ﷺ وقد رأى ما رأى من تعظيم أصحابه له. فقال: "يا معشر قريش إني جئت كسرى فى مُلكه، وقيصر فى مُلكه، والنجاشى فى مُلكه. فما رأيت مُلكاً فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه. والله ما يُحدون النظر إليه تعظيماً له، وإنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً، ولا يتنخم نخامة إلا يتلقوها فى أكفهم فدكَّوْا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وقد رأيت قوماً لا يُسلِّمونه أبداً.

أخى المسلم /

إنَّ حرمة النبي ﷺ فى حال انتقاله كحرمة فى حال حياته؛ فتوقيره، والأدب معه لازمان، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه، وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملته، وإكرامه فى آل بيته وعترته بزيارتهم واحترامهم وإجلالهم وتوقير صحابته وعدم الخوض فى سيرتهم، والاحتراس فى الكلام عليهم.

وهكذا كان سلفنا الصالح، وأئمتنا الأعلام يفعلون:

يروى أن سيدنا جعفر الصادق - رضى الله عنه - وكان كثير التبسُّم - فإذا ذكر عنده النبي ﷺ تغيَّر لونه، وكان لا يحدث عن النبي ﷺ إلا على طهارة.

كما أن الإمام مالكا - رضى الله عنه - كان يَمُرُّ ذات يوم فوجد أبا حازم - سلمة بن دنيا - وهو يحدث فجأزه. فلَمَّا سئل عن ذلك قال: إِنِّي لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيَّب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحَدَّثه. فقال له الرجل: وَدَدْتُ إِنَّكَ لم تتعنفال: إِنِّي كرهت أن أُحَدِّثَكَ عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

وقال عبد الله بن المبارك - رضى الله عنه -:

"كنت عند الإمام مالك - رحمه الله - وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه وَيَصْفَرُّ، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ. ومن توقيره ﷺ توقير أزواجه أمهات المؤمنين. {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6].

وكذلك توقير أصحابه فهم الذين نقلوا لنا سيرته ﷺ وشهدوا غزواته، وهم أفضل القرون وخيرها. فتوقيرهم وحبهم إنما هو من حُبِّ المصطفى ﷺ وتوقيره.

قال ﷺ: «اللَّهُ... اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَخَذُوهُمْ غُرَضاً بَعْدِي. فَمَنْ أَحْبَبَهُمْ فَبِحَبِي أَحْبَبَهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبْغَضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يَوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» (1).

* * * * *

(1) رواه أحمد والترمذى وقال حسن غريب.

زيارة قبر النبي ﷺ

الحمد لله /

الذي منَّ علينا برسوله، وهدانا إلى سواء سبيله، وأمرنا بتعظيمه وتمجيده وتكريمه وتبجيله، وفرض على كل مؤمن أن يكون إليه من نفسه، وجعل اتباعه سبباً لمحبة الله وتفضيله.

وأشهد أن لا إله إلا الله. القائل في محكم تنزيله.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} [النساء: 64].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

أما بعد

فيا عباد الله /

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام» (1).

أجمع علماء المذاهب الأربعة على أن زيارة قبره ﷺ سنة. وبعض العلماء قال: إنها واجبة. كما ذكره الشوكاني في "نيل الأوطار" وقد سافر الصحابة - رضوان الله عليهم - لزيارته ﷺ من بلاد بعيدة ومنهم سيدنا بلال بن رباح. "فقد رأى رسول الله ﷺ في النوم بعد ثلاثة أشهر من انتقاله إلى الرفيق الأعلى فقال له الرسول ﷺ: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما أن لك أن تزورنا؟ فسافر بعد هذه

(1) رواه مسلم.

الرؤيا من الشام إلى المدينة المنورة لزيارته ﷺ فلما وصل إلى القبر الشريف جعل يبكي عنده، ويمرغ وجهه عليه. فأقبل سيدنا الحسن والحسين - رضى الله عنهما - فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له: نشتهى نسمع آذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ فى المسجد.

فعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذى كان يقف فيه. فلما أن قال الله أكبر. ارتجت المدينة. فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها. فلما أن قال: أشهد أن محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن. وقالوا: أبعث رسول الله ﷺ؟ فما روى يوماً أكثر باكية ولا باكية بالمدينة بعده ﷺ من ذلك اليوم⁽¹⁾.

أحاديث فضل الزيارة:

- 1- قال - عليه الصلاة والسلام -: «من حج فلم يزرني فقد جفاني»⁽²⁾.
- 2- عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال ﷺ: «ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر»⁽³⁾.
- 3- وعن عمر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زارني لا تهمه إلا زيارتي كنت له شفيعاً أو شهيداً. ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله - تعالى - من الآمنين»⁽⁴⁾.
- 4- قال - عليه الصلاة والسلام - مبيناً فضل وثواب زيارته: «من حج إلى مكة ثم قصدني فى مسجدي كتب له حجتان مبرورتان»⁽⁵⁾.
- قال الإمام الجعفرى - رضى الله عنه -: «فمن حج ثم ذهب إلى خير الخلق حُباً وشوقاً واحتراماً له ﷺ كتب له ثواب بقدر ثواب حجتين. وهذا الثواب

(1) رواه ابن عساكر مختصراً وينظر فى سير أعلام النبلاء للذهبي.

(2) رواه ابن عدى والدارقطنى.

(3) رواه البخارى.

(4) رواه أبو داود.

(5) رواه الديلمى.

باعتبار أفضليته ﷺ عند ربه فلا فرق بين من زاره حياً، ومن زاره ميتاً: غير أن الذى زاره حياً يرى النبی ﷺ وهو يراه.

وأما الذى زاره ﷺ فى روضته الشريفة، فإن النبی ﷺ يراه ويسمع سلامه ويعرفه، ويرد عليه وهو لا يراه: قال - عليه الصلاة والسلام -: «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» (1).

5- يقول - عليه الصلاة والسلام -: «من حج فزار قبرى كان كمن زارنى فى حياتى» (2).

ولهذا دفن ﷺ فى الأرض، ولم يرفع إلى السماء؛ ليكون فى روضته التى أعدها الله تعالى له.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «ما بين منبرى وبين عائشة - رضى الله عنها - روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى» (3).

ولكى تزوره أمته وتسلم عليه، ويرد عليهم السلام، ويفرحوا بذلك وليشفع للزائرين له ﷺ وليصلى لربه، وتنزل البركة فى الأرض، ولتزداد الأمة إيماناً وحباً عند رؤية روضته الشريفة، ولتعرض عليه أعمال الأمة، فإن وجد خيراً شكر الله تعالى. وإن وجد غير ذلك استغفر لهم، وليرفع الله به العذاب والخسف عن أهل الأرض مصداقاً لقوله - تعالى -: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33].

روى أن أعرابياً جاء ليزور قبره ﷺ فأناخ ناقته خارج المسجد، ثم جاء إلى القبر الشريف، وسلم عليه ﷺ ثم قال: يا رسول الله: سمعنا عن الله - تعالى - وعقلنا أنه قال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ

(1) رواه الترمذى.

(2) رواه الدارقطنى.

(3) متفق عليه.

الرَّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً} [النساء: 64].

فاستغفر الله لى يا رسول الله. ثم أنشد هذه الأبيات:

يا خير من دفنت بالقاع حضرته	...	قطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه	...	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الحبيب الذى ترجى شفاعته	...	عند الصراط إذا ما زلت القدم

فراى أحد خدم المسجد النبوى - وكان نائما - النبى ﷺ فقال له: اذهب إلى الأعرابى خارج المسجد. وقل له: إن النبى ﷺ يقول لك: إن الله - تعالى - قد غفر لك.

وأما حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا»⁽¹⁾.

فبعض الناس يحرم شد الرحل لزيارته ﷺ، وزيارة المقابر وهذا خطأ منه فى فهم الحديث.

ولكن قال العلماء منهم: (الحافظ ابن حجر، والإمام النووى، والعسقلانى): "هذا الحديث يبين فضل المساجد الثلاثة، ويبين أن باقى المساجد متساوية فى الفضل؛ فلا يجوز لأحد أن ينتقل من مسجد إلى مسجد غير الثلاثة، فالمساجد متساوية فى حصول الثواب بالعبادة فيها. إلا المساجد الثلاثة:

فقد أخرج البخارى ومالك والبيهقى أنه ﷺ قال: «صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة - أى كمائة ألف - وصلاة فى مسجدى ألف صلاة، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة»⁽²⁾.

(1) رواه مسلم.

(2) أخرجه البخارى ومالك والبيهقى.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «من صلى فى مسجدى أربعين صلاة كتب الله له براءة من النار، وبراءة من النفاق، وبراءة من العذاب» (1).

وقد أخذ الفقهاء من حديث شد الرحال: أن الإنسان لو نذر أن يصلى ركعتين فى الجامع الأزهر جاز له أن يصليهما فى أى مسجد كان. أما إذا نذر أن يصلى ركعتين فى واحد من المساجد الثلاثة، فلا بد أن يهاجر إلى المساجد الثلاثة، فالحديث يتكلم عن فضل المساجد لا عن زيارة المقابر.

وهذا الحديث مبين ومفصل فى مسند الإمام أحمد - رضى الله عنه -.
أما زيارة المقابر فقد روى فى السنة الصحيحة أنه ﷺ زار قبور الصحابة - رضى الله عنهم - وقال: «كنت نهيتكم ن زيارة القبور ألا فزوروها» (2).

يعنى فزوروا قبور المسلمين. فزيارة المقابر دليلها قولى وفعلى، والعلماء يقولون: "ما وصل إلى الواجب كان واجبا، وما وصل إلى السنة فهو سنة أو كان سنة". فسفرك إلى الحج تثاب عليه ثواب الواجب، وسفرك إلى زيارته ﷺ سنة، فتثاب عليه ثواب السنة. والله أعلم.

* * * * *

(1) مجمع الزوائد للهيثمى.

(2) أخرجه الحاكم فى المستدرک.

محبّ أهل البيت رضى الله عنهم

الحمد لله /

الذى جعل آل البيت مصابيح الهدى وشجرة النور، ومهبط الرسالة ومنبع الرحمة، ومعدن العلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. القائل فى كتابه العزيز: **{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}** [الشورى: 23].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. القائل فى حديثه الصحيح: (لكل شىء أساس وأساس الإسلام حب أصحابى وأهل بيتى)⁽¹⁾.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تتور بها بصرنا وبصيرتنا، وتصلح بها ظاهرنا وسريرتنا. إنك على كل شىء قدير.

أمـا بعد

فيا عباد الله:

يقول المولى عز وجل:

{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [مريخ: 96].

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - فى سبب نزولها: (إن قوماً من شباب الأنصار فآخروا المهاجرين، وطالوا بالقول على قریش. فنزلت هذه الآية فى ذلك. على معنى: "أن تودونى، وتراعونى فى قرابتي، وتحفظونى فيهم".

يقول الإمام الشافعى - رضى الله عنه -:

يا أهل بيت رسول الله حبكمو	:::	فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكموا من عظيم القدر أنكمو	:::	من لم يصل عليكم لا صلاة له

وفى هذا إشارة إلى أن حب أهل البيت واجب على كل مسلم فهو أساس

(1) رواه البخارى.

الدين، وعماد اليقين.

يقول الإمام محيى الدين بن عربى - رضى الله عنه - :
رأيت ولانى آل طه فريضة ::: علي رغم أهل البعد يورثنى القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى ::: ببغته إلا المودة فى القربى
يقول البارئ جل وعلا:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: 96].

قال محمد بن الحنفية (ابن الإمام على): "إنه لا يبقى مؤمن إلا وفى قلبه ود لعلى، وأهل بيته".

ويقول الله تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103].

يقول الإمام جعفر الصادق فى تفسيرها: "نحن حبل الله".

فيجب علينا معشر المسلمين أن نود أهل بيته، ونحبهم ونتمسك بهم ونقتدى بهم. فذلك من كمال الإيمان. كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ حيث يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى تكون ذاتى أحب إليه من ذاته، وعترتى أحب إليه من عترته»⁽¹⁾. "العتره: القرابة.

ولننظر إلى قول الصديق - رضى الله عنه - الذى يفسر هذا القول فيقول:
"والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى من أن أصل قرابتى".

ومثله قول سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لسيده العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنهما -: "والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب".

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط.

يقول الإمام ابن كثير - رضى الله عنه - بعد أن أورد هذين الخبرين: "فحال الشيخين هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام"⁽¹⁾.

أيه المسلمون:

إن حب أهل البيت - رضى الله عنهم - هو من حب رسول الله ﷺ ومن أحب أحداً أحب كل ما نسب إليه.

يقول خير البرية ﷺ: (أحبوا هؤلاء يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي)⁽²⁾.

فالخطاب هنا لجميع المؤمنين: فنحن جميعاً مكلفون بمودة أهل البيت - رضى الله عنهم - فهم يستحقون هذا الحب؛ لأن الله - تع الى - أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً من الأزل.

قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب 33].

قال عمر ابن أبى سلمة - رضى الله عنهما -:

"نزلت هذه الآية فى بيت أم سلمة فنادى النبى ﷺ فاطمة، والحسن، والحسين. فجللهم بكساء، وعلى خلف ظهره ثم قال: اللهم هـ ولاء أهل بيتى. فلذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"⁽³⁾.

وعن أنس - رضى الله عنه -: "أن رسول الله ﷺ : كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة أهل البيت. إنما يريد الله ليذهب

(1) تفسير ابن كثير. الشفاء - عياض ج3 "علامة محبته".

(2) رواه البيهقى.

(3) رواه ابن مردويه والخطيب.

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»⁽¹⁾.

من أجل ذلك كله وجبت علينا مودة أهل البيت، ومحبتهم - رضى الله عنهم - فهم أحد الكنزين اللذين تركهما لنا رسول الله ﷺ : فعن زيد بن أرقم قال: "قام رسول الله فينا خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس: إنما أنا بشر مثلكم. يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب. وإنى تارك فيكم الثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله - عز وجل - واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه " ثم قال: وأهل بيتى: أذكركم الله فى أهل بيتى. قالها ثلاثاً"⁽²⁾.

تبين لنا من هذا الحديث: وجوب الاقتداء بأهل البيت فهم السنة الفعلية التى تركها لنا رسول الله ﷺ.

ولذا قرنهم بكتاب الله عز وجل:

فمن أحب أهل البيت لابد أن تظهر عليه آثار تلك المحبة التى هى الاقتداء والمودة، والصلة، والتعظيم، والاحترام، والقيام بأداء الحقوق الواجبة لهم شرعاً أتم قيام، والإحسان إلى فقيرهم دون تكليفه السؤال.

فقد دعا رسول الله صلوات ربى علي بالصرة لمن والاهم وأحبهم.

فقد روى أن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها - صنعت طعاماً فأعجبه، وجاءت به إلى النبى ﷺ ومعها الحسنان فقال لها: أين على؟ فقالت: بالمنزل.

فأمر بإحضاره. فجاء فأكل معه. ثم أدخلهم ﷺ تحت العباءة، ثم رفع يديه قائلاً: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، وعترتى. اللهم وال من والاهم، وعاد من عاداهم فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد: إن الله يهنئك بأهل بيتك.

(1) أخرجه الطبرى فى تفسيره بسنده.

(2) رواه مسلم.

ثم تلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

فليشر كل من أحب أهل البيت، وزارهم في روضاتهم بدعوة النبي ﷺ المقبولة بولاية الله لهم في الدنيا والآخرة. اللهم وال من والاهم.

وليشر ببشرى النبي في قوله: «من أحب هذين (وأشار إلى الحسن والحسين) وأباهما، وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» (1).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح: من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك» (2).

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: (حسين مني وأنا من حسين. أحب الله من أحب حسينا) (3).

ويقول عليه الصلاة والسلام في شأن الإمام الحسن: (اللهم إني أحبه فاحب من يحبه) (4).

ومما يدل على فضل أهل البيت رضى الله عنهم - قول الله - عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61].

قال المفسرون (5): "لم قرأ رسول الله الآية على وفد نجران، ودعاهم إلى المباهلة "الدعاء على الكاذب من أحد الطرفين". قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً.

(1) رواه أحمد والترمذى.

(2) رواه الحاكم.

(3) رواه ابن ماجه.

(4) متفق عليه.

(5) تحف الأحمدي للمباركفوري.

فلم خلا بعضهم إلى بعض قالوا للعاقب (وكان كبيرهم وصاحب رأيهم).

م ا ترى يا عبد المسيح؟ قال: لقد عرفتم يا معشر النصارى أن مجداً نبى مرسل، ولئن فعلتم ذلك لنهلكن.

وفى رواية: قال لهم: والله ما لآعن قوم قط نبياً إلا هلكوا عن آخرهم. فإن أيتيم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاح بلعم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأنقوا رسول الله وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشى خلفه، وعلى يمشى خلفها. والنبى يقول لهم: إذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال:

يا م عشر النصارى إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله. فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة. قالوا: يا أبا القاسم: قد رأينا ألا نباهلك، وأن نتركك على دينك، و تتكنا على ديننا. فعرض عليهم الإسلام فأبوا. ثم عرض عليهم الحرب فأبوا. ورضوا بالجزية فقال عليه السلام: (والذى نفسى بيده: إن العذاب تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً، ولا ستأصل الله نجران وأهلها حتى الطير على الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا). والله تعالى أعلم.

* * * * *

الإخلاص

الحمد لله /

الذى أمر عباده المسلمين بالإخلاص فى القول والعمل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. لا يتقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، ونقياً من شوائب الرياء وهو القائل - سبحانه -:

{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: 3]. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: "من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، و آتى الزكاة. فارقها والله عنه راض" (1).

اللهم صل على سيدنا محمد الأمر بالإخلاص فى العمل، الذى بالصلاة عليه يذهب الهم والكسل. وعلى آله وسلم، وأمنا الله م بجاهه من كل رَوْع ووجل.

أما بعد

فيقول الله تعالى: {وَمِا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} [البينة: 5].

إن صلاح النية، وإخلاص الفؤاد لرب العالمين يرفعان منزلة العمل الدنيوى ، فيجعله عبادة مقبلة، وإن خبث الطوية وسوء النية يحيطان بالطاعات، والأعمال الصالحات فيقلبانها معاصى شائبة، فلا ينال منها المرء إلا التعب والفشل والخسران المبين.

ولكى تصح النية، ويتجرد القلب من الهوى حدد لنا رسول الله ﷺ طريق قبول الأعمال فقال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال النيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن

(1) رواه: ابن ماجه.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» (1).

فما دمت قد أسلمت لله وجهك، وأخلصت نيتك فإن حركاتك وسكناتك،
نوماتك ويقظاتك تحتسب خطوات إلى مرضاة الله.

يقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إِنَّكَ لَنْ تَنْفَقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ
إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُهُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» (2).

فالإخلاص هو الطريق الموصل إلى مقام الرضا:

يقول الرسول الكريم ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ. فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ» (3).

ويقول الله تعالى في مدح العمل المخلص لوجهه الكريم: {وَسُجِّنَ بِهَا الْأَتَقَى *
الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ
الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: 17-21].

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله تعالى: "الإخلاص سرٌّ من سرى استودعته قلب من أحببته من
عبادى" (4).

فالإخلاص يضاعف ثواب العمل القليل فيعطى صاحبه الثواب الجزيل:

قال الإمام عليّ - كرم الله وجهه -: "لا تهتموا لقلّة العمل، واهتموا للقبول؛
فإن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: أخلص دينك يكفك العمل القليل" (5).

(1) متفق عليه.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه ابن ماجة والحاكم.

(4) ذكره القرطبى فى تفسيره.

(5) رواه الحاكم والبيهقى.

وقد مدح النبي ﷺ عباد الله المخلصين فقال: «إن الله يحب الأبرار الاتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يعرفوا. قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة» (1).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: "ظن أبي أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبي - علي الصلاة والسلام -: «إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم» (2).

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر مع المخلصين وعدم الالتفات إلى غيرهم. فقال سبحانه: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا} [الأنعام: 28].

وقد حذرنا الله تعالى من الرياء، وعدم إخلاص القول والعمل ، وبين أن ذلك إشراكاً لغيره في العمل، فقال سبحانه وتعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْ جُودِ لِقَاءِ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ لِنَفْسِهِ صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الأنعام: 110].

وقال - علي الصلاة والسلام -:

«إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليهم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» (3).

وقال ﷺ: إن الله تبلوك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضى بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي، قال:

(1) رواه الحاكم.

(2) رواه النسائي.

(3) رواه الترمذي.

بلى يا رب ، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له : كذبت وتقول له الملائكة : كذبت فيقول الله : بلى أردت أن يقال إن فلان قارئ فقد قيل ذلك، ويأتي بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تخرج إلى أحد ، فقال: بلى يا رب ، قال: فماذا عملت فيما آتيتك ، قال: كنت أصل الرحم وأتصدق ، فيقول الله له : كذبت، ويقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى : بل أردت أن يقال : فلان جواد فقد قيل ذاك ، ويأتي بالذى قتل في سبيل الله فيقول الله له: في ماذا قتلت فيقول أمرت بللجهد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله تعالى له : كذبت وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جري فقد قيل ذاك ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة⁽¹⁾.

وهذا مصداق قول اله تعالى:

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: 15، 16].

ورد في أخبار بنى إسرائيل:

"أن عابداً كان يعبد الله دهرًا طويلاً. فجاءه قوم فقالوا: إن هاهنا قوماً يعبدون شجرة من دون الهرتع الى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه، وقصد الشجرة ليقطعها، فقابلته إبليس اللعين في صورة رجل كبير السن ، فسأله عن وجهته، فعرف أنه يريد قطع الشجرة،

(1) رواه الترمذی.

فقال: تركت عبادتك، واشتغالك بنفسك، وتفرغت لغير ذلك.

فقال الراهب: إن هذا من عبادتى.

فقال إبليس: فإنى لا أتركك تقطعها ، ثم تصارعاً فصرع العابد إبليس وطرحه على الأرض، وقعد على صدره، فقال إبليس: أطلقنى حتى أكلمك ، فقام عنه، فقال له إبليس: يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك، وما تعبد به أنت وما عليك من غيرك، والله تعالى أنبياء فى أقاليم الأرض، ولو شاء لبعثهم إلى أهلها، وأمرهم بقطعها.

فقال الراهب: لابد من قطعها.

ثم تقاتلا ثانية. فغلبه الراهب، وقعد على صدره.

فعجز إبليس.

وقال له: هل لك فى أمر فصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع؟

قال: وما هو؟

قال: أطلقنى حتى أقول لك. فأطلقه.

فقال إبليس: أنت رجل فقير ولا شئ لك. إنما أنت لئلى على الناس يعولونك، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك، وتواسى جيرانك، وتستغنى عن الناس.

قال: نعم.

قال: فارجع عن هذا الأمر ، ولك على أن أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما.

فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها، ولا يضرهم قطعها شيئاً، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها. فتفكر العابد فيما قال إبليس، وقال لنفسه:

صدق الشيخ ، لست بنبي فيلزمى قطع هذه الشجرة، ولا أمرني الله بقطعها فأثون عاصياً بتركها. وعاد على الوفاء بذلك، وحلف له. فرجع العابد إلى متعبده. فبات. فلم أصبح رأى دينارين على رأسه. فأخذهما. وكذلك الغد. ثم أصبح اليوم الثالث، وما بعده فلم ير شيئاً فغضب، وأخذ فأسه على عاتقه. فاستقبله إبليس وقال له: إلى أين؟ قال: أقطع تلك الشجرة. قال: كذبت. ما أنت بقادر على ذلك، ولا سبيل لك إليها. فحاول العابد أن يصرعه. فأخذه إبليس، وصرعه حتى صار كالعصفور بين يديه. وقع إبليس على صدره. فقال العابد: يا هذا غلبتني. فخل عني، وأخبرني كيف غلبتك أولاً، وغلبتني الآن؟ فقال إبليس للعابد: لأنك غضبت أول مرة لله، وكانت نيتك الآخرة. وهذه المرة غضبت لنفسك، وكانت نيتك الدنيا فصرعتك".

وهذه القصة مصداق قوله تعالى: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: 83].

إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «إذا كان يوم القيامة جيء بالدنيا ، فيميز منها ما كان لله، وما كان لغير الله رمى به في جهنم»⁽¹⁾.

(1) رواه ابن ماجه.

الإخلاص وأثره في حياة الفرد والجماعة

الحمد لله /

الذى جعل الإخلاص سرّاً من أسرارهِ يهبه لمن أحب من عباده ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، يرعى المخلصين، ويبعد السوء والفحشاء عنهم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، قدوة المخلصين، وأول المسلمين ، وهو القائل ﷺ : «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راضٍ»⁽¹⁾.

اللهم صل على سيدنا محمد الأمر بالإخلاص في العمل ، الذى بالصلاة عليه يذهب الهم والكسل ، وعلى آله وسلم، وأمنّا اللهم بجاهه من كل روع ووجل.

أما بعد

عباد الله /

يقول الله تعالى فى محكم كتابه: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110].

أيها الأخ المسلم تأمل هذه الآية الكريمة فهى ترسم لنا الطريق الواضح، والنهج القويم، وهو طريق سهل ميسر على من شرح الله صدره للإسلام، وسار على الدرب الذى شقه الرسول ﷺ: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: 125].

(1) رواه ابن ماجه.

فطريق الإخلاص مفتوح لكل المؤمنين، ولكل الأعمال الصالحة ما دامت خالصة لوجه الله تعالى: مصداق ذلك قوله - سبحانه - :{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162- 163].

وكل شيء له ثمن، وكلما كان المطلوب عزيزاً كان ثمنه غالياً ، ولا شيء يعادل رضا الله تعالى، ولا مطلوب أعز من لقائِهِ.

إذن فلا بد أن يكون العمل من أجله صالحاً كله، والسعى للقائِهِ خالصاً جميعاً: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 11].

وألزم الله عباده بالعمل الصالح والمداومة عليه، وحثهم على الإخلاص والمسارة إليه.

وأول من وجه إليه هذا النداء هو صفوة الخلق سيدنا محمد ﷺ ليكون قدوة طيبة، وأسوة حسنة، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 2].

ثم قال عن بقية المسلمين:

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} [البينة: 5].

ومدح الله المخلصين فى محكم كتابه فقال سبحانه فى حق موسى - عليه السلام -:

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا} [مريم: 51].

وبين سبحانه وتعالى أن عاقبة المخلصين حميدة؛ لأنهم مع الله يرعاهم، ويحافظ عليهم، ويبعد السوء عنهم والفحشاء:

يقول سبحانه في حق نبيه يوسف - عليه السلام - : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 24].

والمخلصون في كنف الله يحرسهم من الشيطان فلا يستطيع أن يلهيهم عن ربهم: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: 82-83]. وإذا لازم العبد الإخلاص لله، وأتى ما أمر به من عبادات عاش في الدنيا سعيداً، وفارقها وهو عن راضٍ:

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راضٍ» (1).

وتقرر السنة الشريفة أن الإخلاص هو الإيمان:

عن أبي فراس - رضى الله عنه - قال: "نادى رجل فقال: يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: الإخلاص" (2).

والإخلاص لله سبحانه ببارك العمل، فيجعل قليله كثير البركة: عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال حين بعث إلى اليمن: أوصنى يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أخلص دينك يكفك العمل القليل» (3).

ولذلك: فإن الإمام على - كرم الله وجهه - قال عندما روى هذا الحديث: "لا تهتموا لقلة العمل، واهتموا للقبول".

(1) رواه ابن ماجه.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(3) رواه الحاكم.

والإخلاص قوة من الله تحمى المخلصين من عباده، ولو كانوا ضعفاء فى أبدانهم:

عن مصعب بن سعد عن أبيه - رضى الله عنه -: "أنه ظن أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : «إنما ينصر الله - عز وجل - هذه الأمة بضغفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم» (1).

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر مع المخلصين وعدم الالتفات إلى غيرهم من المرأئين، فقال - تعالى -:

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28].

ونية المرء إن كانت خالصة فى عمل جعلت ثوابه كاملاً، أما إن انحرفت عن الإخلاص بطل عمله، وخاب مسعاه: عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنية». وفى رواية: «بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» (2).

ورحمة الله واسعة، وأبواب القبول مفتوحة ؛ فإن عصى عبداً ربّه ؛ وقضى الشيطان منه وطره، ثم رجع إلى مولاه تائباً، وأصلح شأنه، واعتصم بربه، وأخلص العبادة له فهو مؤمن صادق الإيمان. قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ

(1) رواه النسائى.

(2) متفق عليه.

اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 146].

وإذا حرم العبد من الإخلاص في عمله أو قوله، وراعى الناس في ذلك كان منافقاً بين النفاق. قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُدَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} [النساء: 142، 143].

وليس لهم من الثواب شيء على أعمالهم حتى لو كان ظاهرها أنها لله:

عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟ فقال ﷺ: «لا شيء له». فأعادها ثلاث مرات. ويقول رسول الله ﷺ: «لا شيء له». ثم قال ﷺ: «إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه»⁽¹⁾.

وأكثر من ذلك فإن أعمالهم ترمى في النار:

عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - موقوفاً قال: (يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال: ميزوا ما كان لله فيميز، ثم يقول: ألقوا سائرها في النار)⁽²⁾.

كما أعد الله - سبحانه - الويل للذين لا يخلصون في صلاتهم، ويقصدون بها الناس فقال - سبحانه -: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [سورة الماعون: 4، 5، 6، 7].

(1) رواه أبو داود والنسائي والطبراني.

(2) رواه البيهقي في الشعب.

والمرأى ملعون فى السماوات والأرض:

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تزين بعمل الآخرة وهو لا يريد لها ولا يطلبها، لعن فى السماوات والأرض»⁽¹⁾.

والرياء يجز ويؤدى إلى الشرك أعاذنا الله منه: عن شداد بن أوس - رضى الله عنه - أنه سمع النبى ﷺ يقول: «من صام يرأى فقد أشرك، ومن صلى يرأى فقد أشرك، ومن تصدق يرأى فقد أشرك»⁽²⁾.

والله - سبحانه وتعالى - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم: فقد قال ﷺ: «إذا كان آخر الزمان صارت أمتى ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله خالصاً، وفرقة يعبدون الله رياء، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس، فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذى يستأكل الناس: بعزتى وجلالى: ما أردت بعبادتى؟ فيقول: بعزتك وجلالك، أستأكل به الناس. قال: لم ينفعك ما جمعت. انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذى كان يعبد رياء: بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى؟ قال: بعزتك وجلالك رياء الناس. قال: لم يصعد إلى منه شيء ؛ انطلقوا به إلى النار ... ثم يقول للذى كان يعبد مخلصاً: بعزتى وجلالى: ما أردت بعبادتى؟ قال: بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به، أردت به ذكرك ووجهك. قال: صدق عبدى؛ انطلقوا به إلى الجنة»⁽³⁾.

فاتقوا الله عباد الله:

وطهروا قلوبكم من النفاق، وخلصوا أعمالكم من الرياء ، وتأملوا حديث المصطفى ﷺ واعقلوه: (إن الله يحب الأبرار الاتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(2) رواه أحمد والحاكم والبيهقى وغيرهما.

(3) رواه الطبرانى فى الأوسط.

يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا. قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة⁽¹⁾.

والله تعالى أعلم.

* * * * *

(الخوف من الله تعالى)

الحمد لله /

من خافه سلم، وفاز بالجنة وغنم. قال - تعالى -: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [النازعات: 40، 41].

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. القائل في محكم كتابه: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ} [الرحمن: 46].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. القائل: «إِنْ أَعْلَمَكُمْ وَأَتَقَاكُمْ بِاللَّهِ أَنَا»⁽²⁾.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد كثير البكاء من خشيتك، وعظيم الرغبة في طاعتك ورحمتك الواسعة إلى خلقك، الذي جاءه جبريل الأمين بوحيك، وعلى آله وسلم واجعلنا اللهم من أهل عبادتك وحبك.

أمـا بعد

فيقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: 12].

(1) رواه ابن ماجه.

(2) رواه البخارى.

عباد الله /

يبين لنا الله - سبحانه وتعالى - جزاء عباده الذين يخشونه ويخافونه ولم يروه.

وهذا الخوف باب من أبواب الطاعة يصل بالعبد إلى رضا الله - تعالى -، ويمنعه من الوقوع فى المعاصى، ويؤمنه من عذاب الله يوم القيامة، وهذا مصداق قول الله - عز وجل - فى الحديث القدسى الذى يرويه النبى ﷺ عنه:

"وعزتى وجلالى: لا أجمع على عبد خوفين، ولا أجمع له أمنين فإن أمنى فى الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافنى فى الدنيا أمنت يوم القيامة"⁽¹⁾.
فالخوف من الله دليل على قوة الإيمان.

وقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى - به قال: {وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175].

وكلما ازداد المؤمن إيماناً، وأيقن بيوم الحساب ازدادت خشيته من الله، ولم يركن إلى عمله:

فعن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قال: قلت يا رسول الله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} [المؤمنون: 60] هو الرجل يسرق ويزنى؟ قال: لا. بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه"⁽²⁾.

(1) رواه ابن حمدان والبيهقى.

(2) رواه الترمذى وابن ماجه.

وقال - عليه الصلاة والسلام -:

"عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله" (1).

ومن السبعة الذين ذكر النبي ﷺ أَنَّ الله يظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (2).

ويقول الله عن حال أهل الجنة حينما يسأل بعضهم بعضاً: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} [الطور: 25، 26].

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلاً قط فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فغضى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم حنين - بكاء مع غنة وصوت -... (3).

واعلموا عباد الله /

أن الخوف صفة من صفات الأنبياء والمرسلين:

فكان - عليه الصلاة والسلام - أشد الناس خوفاً. روى الإمام مسلم أنه كان يصلى على طفل، فسمع قائلاً يقول هنيئاً لك، عصفور من عصافير الجنة. فقال: وما يدريك أنه كذلك؟ والله: إني رسول الله وما أدرى ما يُصنع بى، إن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلها لا يزداد فيهم، ولا ينقص منهم" (4).

فكيف لا يخاف المؤمنون كلهم، وهذا أفضل الخلق ﷺ يقول: «شيبتنى هود

(1) رواه ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب.

(2) متفق عليه من حديث أبى هريرة.

(3) أخرجه البخارى.

(4) رواه مسلم.

وأخواتها: سورة الواقعة، وإذا الشمس كورت، وعم يتساءلون» (1).

وذلك لما فى هذه السور من أهوال يوم القيامة.

ويقص علينا القرآن الكريم قصة سيدنا زكريا - عليه السلام - حينما دعا الله - سبحانه وتعالى - أن يهب له ولداً فكان خوفه سبباً فى استجابة الله له.

قال تعالى:

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 89، 90].

وكان الصحابة، والسلف الصالح - رضى الله عنهم - يقتدون بالأنبياء فى خوفهم وخشيتهم من الله:

فهذا سيدنا أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - كانت تُشم منه رائحة كأن كبده تشوى من شدة خوفه من الله - تعالى - وهو القائل: "لو أن إحدى قدمى فى الجنة، والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله".

وذلك لأن النبى ﷺ يقول: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» (2).

وكان سهل بن عبد الله يقول: "خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كلّ خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى فى قوله: {وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ}

(1) رواه الترمذى.

(2) رواه الشيخان.

[المؤمنون: 60].

ويقول يحيى بن معاذ:

"مسكينُ ابن آدم! لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة".

وقال ذو النون - رضى الله عنه -:

"من خاف الله تعالى ذاب قلبه، واشتد لله حبه، وصح له لبه".

وسئل يحيى بن معاذ: "من آمن الخلق غداً؟ فقال: أشدهم خوفاً اليوم".

وقيل للحسن البصرى - رضى الله عنه -: يا أبا سعيد كيف نصنع؟ نجالس أقواماً يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا أن تطير. فقال: والله إنك إن تخالط أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف".

وقال أبو سليمان الداراني: "ما فارق الخوف قلباً إلا خرب".

عباد الله /

إن من ينظر فى كتاب الله - عز وجل - بتدبر لابد أن تملأه الخشية والرهبة. ففى قوله - تعالى -:

{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 82].

عَلَّقَ الله - سبحانه وتعالى - المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن الوفاء بأحدهما.

وفى قوله تعالى:

{وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [سورة العصر: 1، 2، 3].

فيها أربعة شروط للخلاص من الخسران:

ويقول الله تعالى مذكراً إيانا بيوم القيامة وأهواله:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ

[لقمان: 33].

وأمر الله تعالى النبي ﷺ بوعد المسلمين وتذكيرهم بالقرآن وقال:

{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق: 45].

فالمؤمن الحق يقدم كل ما بين يديه في سبيل الله حتى يخفف عنه هول ذلك اليوم كما حدث في قصة الإمام عليّ - كرم الله وجهه -، والسيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - والتي ذكرها العلماء في تفسير قوله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان: 7].

وليس معنى خوف الإنسان من ربه أن يقنط من رحمته، فرحمته وسعت كل شيء. قال - تعالى -: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: 156].

وقال - سبحانه -: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53].

ولكن ينبغي أن يجمع المسلم في قلبه وفكره بين الرجاء في عفو الله ومغفرته وبين الخوف من عذابه وعقابه. وهكذا لا يتغلب الخوف على الرجاء ولا الرجاء على الخوف.

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال:

قدم على رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى إذ وجدت صبياً في السبى أخذته فالزقته ببطنها فأرضعته. فقال رسول الله ﷺ:

أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟ قلنا: لا والله. فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها" (1).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى سبقت غضبى» وفى رواية: «غلبت غضبى» (2).

وعن حنظلة - رضى الله عنه - قال:

كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب، وزرقت منها العيون، وعرفنا أنفسنا. فرجعت إلى أهلى فدننت منى المرأة، وجرى بيننا من حديث الدنيا، فنسيت ما كنا عليه من الخوف والرقعة. وأخذنا فى الدنيا. ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت فى نفسى: قد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقعة. فخرجت وجعلت أنادى: نافق حنظلة.

فاستقبلنى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فقال: كلا. لم ينافق حنظلة. فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة. فقال رسول الله ﷺ كلا لم ينافق حنظلة.

فقلت: يا رسول الله: كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت لها القلوب، وزرقت منها العيون، وعرفنا أنفسنا. فرجعت إلى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا، ونسيت ما كنا عندك عليه.

فقال - عليه الصلاة والسلام -: يا حنظلة: لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فراشكم، ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة" (3).

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه مسلم.

التوكل على الله

الحمد لله /

الحمد لله من توكل عليه كفاه:

{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 3].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمر المؤمنين بالتوكل عليه، فقال ﷺ: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: 23].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام المرسلين، وسيد المتوكلين. الذي يقول له رب العالمين:

{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [الزمل: 79].

صلى الهل تبارك وتعالى عليه، وعلى آله وأصحابه الذين فوضوا أمورهم إلى الله، وتوكلوا عليه فأعانهم على شئون دينهم، ودنياهم، وكلل سعيهم بالنجاح في أولاهم وأخراهم.

أمـا بعد

فيقول الله تعالى:

{إِنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: 2].

عباد الله /

التوكل على الله قوة تدفع إلى العمل، وطاقة لا حدود لها تملأ النفس بالجد وتطرد الكسل، وتجعل الإنسان يسعى إلى هدفه وهو ممتلئ بالبشر والأمل، ولهذا كان التوكل عوناً للأنبياء على أداء رسالاتهم، وإنجاح مهماتهم.

{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَأَلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَلْنُؤْتِكُمْ بَاسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } [إبراهيم: 9-12].

{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

{وَيَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفقان: 58].

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: 173 - 175].

جاء فى سبب نزول هذه الآيات:

أنه ما إن وصل المسلمون إلى المدينة بعد هزيمة أحد حتى جاءهم ناس يقولون لهم: إن أبا سفيان، وقریشاً قد جمعوا لهم واستعدوا لقتالهم. فندب الرسول ﷺ أصحابه للخروج لهم، فخرجوا، ولكنهم لم يجدوا أحداً، وكان معه بعض التجارة فباعوها وربحوا وكان المسلمون. كما ذكرت الآية غاية فى الشجاعة والقوة واليقين والثقة بالله، فلم يرهبوا عدواً، ولم يخشوا تهديداً. وكافلهم اهلقفاهم شر القتال، وأفاض عليهم نعمه وفضله.

أيه المسلمون:

التوكل: تفويض الأمر للوكيل، والرجاء: تعلق القلب بما عنده. فمن توكل على الله، ورجا الهتبع الى لم يكله الله إلى غيره. فما من رسول، ولا نبى، ولا ولى: لا وتوكل على الله تعالى، ورجا الله تعالى. وقوم سيدنا إبراهيم حين أرادوا إلقاءه فى النار جاءه جبريل - عليه السلام - فقال له: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. وأما إلى الله فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى. فعن ابن عباس أنه قال حسبى الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد - عليهما السلام - حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل⁽¹⁾. وما دام المؤمن قد وكل نفسه لربه فلا يكله إلى غيره، ويتولى الله جميع أمره.

(1) رواء البخارى.

أما إذا كان خوفه ورجاؤه للمخلوق فيخلى الله بينه وبين خلقه، قال عليه الصلاة والسلام: (إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه، ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يتسلط عليه أحد، وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى غيره) (1).

ويحصل بالتوكل عشر خصال:

- 1- سكون القلب إلى قضاء الله - تعالى - وقدره.
- 2- جمع هم القلب بعد شتاته.
- 3- حصول الشجاعة عند مقتضياتها.
- 4- الثبات في مواقف الفرار.
- 5- عدم النظر إلى ما يقع في المستقبل.
- 6- عدم الخوف والحزن والجزع.
- 7- عدم التوجه إلى الخلق بقلبه.
- 8- الرضا بما حصل.
- 9- خلو القلب من التعب والتدبير.
- 10 - تولى الله أمر المتوكل عليه.

أيها المسلمون:

حث الإسلام على الأخذ بالأسباب، وبين أنه لا بد للوصول إلى الغاية من وسيلة.

(1) رواه الحكيم الترمذی.

والأدلة على وجوب الأخذ بالأسباب متوافرة منها:

قوله تعالى:

{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [المك: 15].

يقول الإمام الجعفرى - رضى الله عنه -:

"التوكل على الله لا يُلغى الأخذ بالأسباب، ولا تترافى بينهما لقوله ﷺ: «ولو

توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً، وتعود بطاناً»⁽¹⁾. وقال عليه الصلاة والسلام: «وجعل رزقى تحت ظل رمحى»⁽²⁾.

فالأول: دعوة إلى التوكل لقوله (لو توكلتم)، وفيه السعى لقوله: (تغدو وتعود). فالغدو، والرواح سببان:

فالأول: سبب للرزق. والثانى: سبب للحفظ.

وقوله (جعل رزقى تحت ظل رمحى). فالرمح إنما يحصل له ظل إذا تحرك، وسار به حامله.

ففى الحديث حث على التوكل وهو حاله ﷺ فى قوله (تحت ظل رمحى). وفى قوله تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} [النح: 53] دعوة إلى العمل. وفى قوله: {وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} [النح: 53] معنى التوكل بتصديقه أن الرزق من الله تعالى، وأن النعمة منه، يقول الله - تعالى -:

{وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: 53].

ومن دعائه ﷺ: (اللهم اجعلنى ممن توكل عليك فكفيتها)⁽³⁾.

فتاء التوكل: تسليم. فلا بد أن يسلم أمره لله تعالى.

(1) رواه أحمد وغيره وصححه السيوطى.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه ابن أبى الدنيا.

وواوه: ولاية، ولاية الله تعالى له.

وكافه: كفاية: كفاية من الله - تعالى -:

{إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: 196].

وقال سبحانه: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3].

والله يحب أوليائه المتوكلين عليه فيعطيه ما يشاؤون في الدنيا والآخرة.

أيه المسلمون:

إن المتوكل على الله في حفظه، وكنفه، وتحوطه عناية الله في يقظته ونومه:

(يحكى): "أن رجلاً من العارفين كان نائماً تحت ظل شجرة في صحراء،

فرأى بعوض العارفين ضفدعا خرج من نهر صغير. فجاء عقرب فحمله

الضفدع، وذهب فوق النهر إلى إلى جهة الشرق التي فيها ذلك الرجل النائم تحت

الشجرة، فإذا ثعبان عظيم قاصد ذلك الرجل، فقابله العقرب فلدغه، فمات، ثم

رجع العقرب، وحمله الضفدع، ورجع به إلى مكانه الذي كان فيه، وكان العرف

قد قطع النهر ليرى ما يصنع العقرب والضفدع فشاهد هذه الأعجوبة، ثم جلس

بجوار العارف النائم حتى استيقظ من منامه.

فوجد ثعباناً عظيماً ميتاً بجواره، فأدهش منه. فقال له الذي هو جالس

بجواره: من أنت؟ قال: عبد متوكل على ربه.

فقال له: صدقت. ثم أنشد قول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها :::: فالمخاوف كلهن أمان

وفي صبيحة ليلة الهجرة أيقنت قريش أنها افتقدت رسول الله ﷺ وأخذت

تبحث عنه في كل مكان، وأنت بقصاص الأثر، واستطاعت أن تصل إلى الغار

الذي اختبأ فيه النبي ﷺ، وأبو بكر. ولما رأى أبو بكر أقدامهم بكى بكاءً شديداً.

فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ فقال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا،

فقال له ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما. يا أبا بكر: لا تحزن إن الله معنا». وفي هذا يقول الله تعالى: {إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَ لِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {

[التوبة: 40].

وكان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال: «بسم الله. توكلت على الله، ولا قوة إلا بالله» وإذا قال ذلك يقال له: «هديت، وكفيت، وحميت، وتنحى عنه الشيطان»⁽¹⁾.

ومن وصاياه لفاطمة الزهراء - رضى الله عنها -:

(يا فاطمة: إذا أمسيت، وإذا أصبحت فقولى: "يا حى يا قيوم: برحمتك أستغيث. أصلح لى شأنى كله، ولا تكلنى إلى نفسى، ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، ولا أقل من ذلك")⁽²⁾.

وفى الحديث القدسى: يقول الله تعالى لسيدها داود:

(يا داود تريد وأريد ويكون ما أريد فإن أردت ما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترد ما أريد عينتك فيما تريد ويكون ما أريد)⁽³⁾.

فانقوا الله عباد الله:

وأحسنوا التوكل على الله، ولا تحملوا هم الغيب فإنكم لا تدرون علم الغيب، وخذوا أنفسكم بما كلفتم به، وما أمرتم به بكل الطاقة والجهد، ثم ثقوا بأن عناية الله بكم وأنه معكم فى متقلبكم ومثواكم يسدد خطاكم، ويبارك مسعاكم،

(1) رواه الترمذى وحسنه.

(2) رواه النسائى.

(3) رواه الحكيم الترمذى فى نواذر الأصول.

وبيلغكم آمالكم ومناكم.

قال عليه الصلاة والسلام: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً، وتعود بطاناً»⁽¹⁾.

* * * * *

حسن الخلق

الحمد لله:

الذى دعا إلى التحلى بالفضائل، والتخلى عن الرذائل.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له: مدح نبيه ومصطفاه بقوله - عز من قائل -: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القم: 4].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله حيزت له الكمالات وانتهت إليه الفضائل.

اللهم صل على هذا النبی الذي كفى الأمم أمور دينها ودنياها، وبين لها سبيل سعدا وشقاها، ورفع شأنها وأعلاها، وبلغها من الجنة منهاها.

صلاة تستقيم بها النفوس من اعوجاجها، وتستتير بباهر أنوارها، ويذهب عنها ظلامها وفسادها، ويظهر عليها هدايتها وإرشادها. وعلى آله وسلم ما رجعت الأرواح إلى أجسادها يوم بعثها وميعادها.

(1) رواه أحمد وغيره وصححه السيوطي.

أما بعد

عباد الله /

أ) فضل الخلق الحسن وأنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام:

يقول الله - سبحانه وتعالى -:

{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34].

عباد الله /

إن الخلق الحسن صفة من صفات الأنبياء، والصديقين.

وخلق كريم من أخلاق المؤمن بين، وزينة الم سلم بين الناس. ولا يمكن الاستغناء عن الأخلاق بل هي من أصول الحياة التي يرضيها الإسلام، ويحترم ذويها.

عن أسامة بن شريك قال: "كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنها على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا أحد. إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: أحسنهم خلقاً"⁽¹⁾.

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً»⁽²⁾.

وسئل - علي الصلاة والسلام -: أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً"⁽³⁾.

وصا حب الخلق الحسن هو أقرب الناس إلى رسول اله ﷺ يوم القيامة:

عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : سم عت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأحبكم إلى، وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة؟ فأعادها مرتين، أو ثلاثاً. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أحسنكم خلقاً»⁽⁴⁾.

والخلق الحسن هو أثقل شيء يوضع فى الميزان يوم القيامة:

يقول - علي الصلاة والسلام -: «ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن إن الله يكره الفاحش البذىء، وإن صاحب حسن الخلق

(1) رواه الطبرانى.

(2) رواه الترمذى.

(3) رواه الطبرانى.

(4) رواه أحمد.

ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»⁽¹⁾.

فيرتغى للمسلم أن يكون حسن الخلق. كريم الطبع لين الجانب. فالجفاء وقسوة القلب، وغلظة الطبع ليست من صفات المسلم.

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «ليس المؤمن بلعان ولا طعان، ولا فاحش، ولا بذىء»⁽²⁾.

وقد أمر رسول الإسلام ﷺ بمعاملة الناس بخلق حسن:

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أوصنى يا رسول الله؟ فقال له: «اتق الله حيثما كنت». فقال: يا رسول الله زدنى. قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها». قال يا رسول الله: زدنى. قال: «خالق الناس بخلق حسن»⁽³⁾.

ب) الإسلام يأمر بحسن الخلق:

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يعفو عن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه. فقال - سبحانه - : {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199].

فسأل رسول الله ﷺ جبريل عن معناها.

فقال جبريل: حتى أرجع إلى ربى.

فرجع جبريل إلى ربه. ثم عاد فقال: يا محمد: إن الله أمرك أن تعفو عن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك"⁽⁴⁾.

ومن حسن الخلق: "كظم الغيظ وعدم الغضب".

(1) رواه الإمام أحمد.

(2) روى الترمذى نحوه.

(3) رواه الترمذى.

(4) ابن جرير.

"فقد أتى رجل النبي ﷺ من قبل وجهه فقال: يا رسول الله: أى العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق. ثم أتاه عن يمين ه فقال: أى العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق. ثم أتاه عن شماله فقال: أى العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق. ثم أتاه من خلفه فقال: يا رسول الله: أى العمل أفضل؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: مالك لا تفقه؟ حسن الخلق هو ألا تغضب إن اسقطعت⁽¹⁾.

عباد الله /

أعلموا أن حسن الخلق هو أفضل مكاسب الإنسان، وهو الأمر الذى لا يستطيع الناس أن يعيشوا بدونه، فبه قضاء المصالح والأمن والهدوء: يقول عليه الصلاة والسلام: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق»⁽²⁾.

ولذلك كان حسن الخلق شريعة العالم التى لا يختلف فيها أحد. فكل أصحاب الملل يقولون بحسن الخلق، ويثنون على صاحبه. وإنم الأمم الأخلاق ما بقيت ::: فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا وحسن الخلق مع الخلق، والخالق هو العمل بالدين كله. يقول - عليه الصلاة والسلام -: «البر: حسن الخلق. والإثم: ما حاك فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس»⁽³⁾.

فإن البر معاملة الخلق بالإحسان، ومن ذلك بر الوالدين، وطاعة الله الظاهرة: كإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. وطاعته - تعالى - الباطنة: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

(1) رواه محمد بن نصر المروزي فى كتاب الصلاة.

(2) رواه البزار، الحاكم وغيرهما.

(3) رواه مسلم.

يقول الله - تعالى -:

{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }

[البقرة: 177].

ج) ارتباط الخلق بالإيمان الحق والعبادة الصحيحة:

وهناك بعض الناس يستسهلون أداء العبادات المطلوبة، ويظهرون فى المجتمع بمظهر الحرص على إقامتها وهم فى الوقت نفسه يرتكبون أعمالاً يابأها الخلق الكريم والإيمان الحق.

وقد بين رسول الله ﷺ ارتباط الخلق بالإيمان الحق، والعبادة الصحيحة، وجعله أساس الصلاح فى الدنيا، والنجاة فى الآخرة.

وفى هذا ورد: "أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله: إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها. فقال: هى فى النار...

ثم قال: يا رسول الله: فلانة تذكر من قلة صلاتها، وصيامها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط (القطع من الجبن)، ولا تؤذى جيرانها. قال: "هى فى الجنة"(1).

(1) رواه أحمد.

أيها المسلمون:

إن الرجل المؤمن الذى يحرص على حسن الخلق فى معاملة الناس، ومعاملة الخالق - عز وجل - إنما يزيد من رصيد حسناته يوم القيامة وأما الرجل ذو الخلق السئ الذى يتعدى على حقوق الآخرين فإنه يبدد حسناته فلا يبقى منه شيئاً، ويصير مفلساً يوم القيامة.

سأل الرسول ﷺ أصح ابيه يوماً: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة، وزكاة، وصيام، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح فى النار» (1).

ذلك هو المفلس إنه كتاجر يملك فى محله بضائع بألف وعليه ديون قدرها ألفان. فكيف يعد هذا المسكين غنياً. فالمتدين الذى يؤدى العبادات، ولا يظهر أثرها على أفعاله. كيف يحسب هذا امراً تقياً؟

وقد روى أن النبى ﷺ ضرب لهذه الحالات مثلاً قريباً:

قال: «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» (2).

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البيهقى.

(د) خلق رسول الله ﷺ :

عباد الله:

اعلموا أن رسول الله ﷺ كان مثلاً أعلى للخلق الذي يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه الخلق السامي بسيرته العطرة.

عن عبد الله بن عمرو قال:

"إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً وكان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً»⁽¹⁾.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت:

"ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً. فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة أهوم فينتقم، وما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله"⁽²⁾.

وكان من دعائه ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق و النفاق وسوء الأخلاق»⁽²⁾.

* * * * *

(1) رواه البخارى.

(2) رواه مسلم.

(2) رواه أبو داود.

إلقاء السلام ورده

الحمد لله /

الحمد لله الملك القدوس السلام، وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له
وعد المؤمنين دار السلام، وجعل تحيتهم في الجنة السلام. حيث قال:

{دَعَاَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس: 10].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: (السلام قبل الكلام)⁽¹⁾.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، صلاة تتجدد وتدوم بدوام الة
الحى القيوم. تكشف بها عنا الهموم والغموم ، وسلم عليه ما دارت
الأفلاك والنجوم.

أمـا بعد

عباد الله:

يقول الله سبحانه: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً} [النساء: 86].

يأمرنا الله سبحانه في هذه الآية برد تحية من حيانا بمثلها أو أحسن منها
محافظة على المودة والمحبة.

ولقد جعل الإسلام السلام هو التحية المتعارفة بين المسلمين وهو من تحيات
الملائكة والأنبياء كما قال سبحانه:

{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ
بِعِجْلٍ حَنِيزٍ} [هود: 69]. "حنيز: مشوى".

(1) رواه الترمذی.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله آدم عليه السلام، قال: اذهب فسلم على أولئك (نفر من الملائكة جلوس). فاستمع ما يحيونك. فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله. فزادوا: ورحمة الله» (1).

وقد جعل السلام من خير الإسلام:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» (2).

وعن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أعجز الناس من عجز فى الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام» (3).

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار» (4).
يقول الإمام النووى معقّباً على هذا الحديث:

"قد جمع النبى ﷺ فى هذه الكلمات الثلاث خيرات الدنيا والآخرة: فإن الإنصاف يقتضى أن يؤدى إلى الله تعالى جميع حقوقه وما أمر به، ويجتنب جميع ما ينهاه عنه، وأن يؤدى للناس حقوقهم ولا يطلب ما ليس له، وأن ينصف نفسه فلا يوقعها فى قبيح أصلاً. وأما بذل السلام للعالم فمعناه لجميع الناس، فيقتضى ألا يتكبر على أحد، وألا يكون بينه وبين أحد جفاء يمتنع من السلام عليه بسببه، وأما الإنفاق من الإقتار فيقتضى كمال الوثوق بالله تعالى، والتوكل عليه، والنفقة على المسلمين إلى غير ذلك". أ. هـ.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الشيخان.

(3) رواه الطبرانى.

(4) رواه البخارى.

إخوة الإسلام:

اعلموا أن السلام من أسباب علو المنزلة ورفعة الشأن، لأن النفوس الصافية تزداد محبة وألفة فيما بينها وذلك بإفشاء السلام:

قال عليه الصلاة والسلام: «أفشوا السلام تعلوا» ⁽¹⁾. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «أفشوا السلام تسلموا» ⁽²⁾.

والسلام سبب من أسباب ذهاب الحقد والحسد، والبغضاء من القلوب:

عن ابن الزبير - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: "دب إليكم داء الأمم قبلكم: البغضاء والحسد، والبغضاء هي الحالقة ليس حالقة الشعر. ولكن حالقة الدين.

والذى نفسى بيده: لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أنبئكم بما يثبت لكم ذلك؟ أفشوا السلام بينكم" ⁽³⁾.

وإذا كان إفشاء السلام هو السبيل إلى تحقيق الحب الذى ننشده جميعاً لأنفسنا وأمتنا، فليكن هو تحيتنا التى نتبادلها ونعتز بها وخاصة أنها تحية الإسلام الذى هو دين الإسلام، الذى هو دين السلام، والسبب فى دخول دار السلام.

يقول المصطفى ﷺ: (يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" ⁽⁴⁾.

وهو من حق المسلم على المسلم:

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «حق المسلم على المسلم ست.

قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك

(1) رواه الطبرانى عن أبى الدرداء.

(2) رواه ابن حبان عن البراء بن عازب.

(3) رواه أحمد والترمذى.

(4) رواه الترمذى والحاكم وصححه.

فأجبه، وإذا استنصحك ف انصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فلتبعه»⁽¹⁾.

والسلام تحية أهل الجنة في الجنة: قال - تعالى
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ {
[الرعد: 23، 24].

{دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس: 10].

وأما عن صيغة السلام وثوابها:

فيحدثنا عمران بن حصين - رضى الله عنه - فيقول:

"جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم. فرد عليه ثم جلس. فقال النبي
ﷺ: «عشر». ثم جاء آخر وقال: السلام عليكم ورحمة الله. فرد فجلس. فقال :
«عشرون». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرد فجلس.
فقال: أى النبي ﷺ : «ثلاثون»⁽²⁾.

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه،
وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر»⁽³⁾. ويقول -
عليه الصلاة والسلام -: «تصافحوا يذهب الغلّ عن قلوبكم»⁽⁴⁾.

أما السلام على أهل المنزل: فقد أمرنا الله به في كتابه العزيز: {فَإِذَا
دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ { [النور:
[61].

(1) رواه مسلم.

(2) رواه أبو داود، الترمذى.

(3) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(4) رواه ابن عدى.

ويقول - عليه السلام - لسيدنا أنس بن مالك - رضى الله عنه -:
 "سلم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك ، وإذا دخلت بيتك فسلم على
 أهل بيتك يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار
 الأوابين قبلك"(1).

وأما عن آداب السلام:

فيقول ﷺ : «يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد،
 والقليل على الكثير»(2). وفي رواية البخارى: «والصغير على الكبير».
 ويقول: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة أو
 جدار أو حجر. ثم لقيه فليسلم عليه»(3).

ويستحب السلام إذا قام من المجلس، يقول - عليه الصلاة والسلام -:
 «إذا انتهى أحدكم من المجلس فليسلم. فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، فليست
 الأولى بأحق من الآخرة»(4).

أما عن أحكام السلام:

فيقول عليه الصلاة والسلام: «يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم
 أحدكم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدكم»(5).

وقد أجمع العلماء: على أن ابتداء السلام سنة كفاية للجماعة، وسنة
 عين للمفرد، وأن الرد فرض عين على المفرد، وفرض كفاية على
 الجماعة.

(1) رواه البيهقي في الشعب.

(2) متفق عليه.

(3) رواه أبو داود، عن أبي هريرة.

(4) رواه أبو داود.

(5) رواه أبو داود.

وأما عن الأحوال التى يكره فيها السلام:

يكره السلام على من تعلم أنه لا يرد السلام، ومجلس علم، كما يكره على المصلّى، أو المؤذن حين الأذان، أو إقامة الصلاة أو على من يأكل... إلخ.

متى يحرم إلقاء السلام؟:

يحرم إلقاء السلام على قاضى الحاجة (من يتبول)، أو صاحب بدعة (سيئة) كمن يلعب الميسر وكافر وسكران. وكذا السلام على الشابات الأجنبية. ويجب رد السلام على من يقرأ رسالة، أو خطاباً فيها لفظ (السلام عليكم ورحمة الله).

قال عليه الصلاة والسلام: «أفشوا السلام تسلموا» (1).

والله تعالى أعلم

احفظ الله يحفظك

الحمد لله /

القائم على كل نفس بما كسبت ومجازيها بما فعلت، مدبر الأمر بحكمته، ومنفذه بقدرته. وهو العلي العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. نواصي العباد بيده، يقلب قلوبهم كيف يشاء. فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه. وهو العليم الحكيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. خير من اعتمد بالله، وأذن لمشيئته، وفوض أمره له جل علاه.

اللهم صل على سيدنا محمد الذي توكل على مولاه. فلم يكله إلى سواه، وحفظ

(1) رواه ابن حبان.

عهد ربه، وبلغ شرعه وأداه، وما توانى في باطل محاه، أو حق أعلاه. فقال من ربه بغيته ومنه. ﷺ وبارك على آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد:

عن أبى العباس عبد الله بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: يا غلام / أو يا غليم: ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت: بلى يا رسول الله. فقال: (احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وإذا سألت فأسأل الله. وإذا استعنت فاستعن بالله. قد جف القلم بما هو كائن: فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه. واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا) ⁽¹⁾.

في هذا الحديث:

وصايا جامعة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين التي ينبغي للمسلم أن يعيها، ويعمل بها، ويحافظ عليها:

يقول عليه الصلاة والسلام (احفظ الله يحفظك):

أي احفظ حقوقه، وحدوده، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه، وأوف بعهده. فإن فعلت ذلك كنت من الحافظين لحدود الله تعالى الذين مدحهم في كتابه فقال عز من قائل: { هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } [ق 32: 33] ⁽¹⁾.

وقد فسر الحفيظ: بالحافظ لأوامر الله، والحافظ لذنوبه ليتوب منه.

(1) رواه أحمد.

(1) ق 32: 33.

ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله " الصلاة " :

فقد أمرنا بالمحافظة عليها فقال: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238] (2).

ومدح المحافظين عليها فقال: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: 11: 9] (3).

وقال النبي ﷺ :

(من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قرون و فرعون و هامان و أبي من خلف) (4).

ومما تجب المحافظة عليه: (الطهارة).

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222] (1).

وقال النبي ﷺ : «ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» (2).

وكذلك الزكاة، والصيام والحج لمن استطاع إليه سبيلا، فإنها عبادات لله تعالى. يجب المحافظة عليها. فهي من أركان الإسلام الخمسة.

ومما تجب المحافظة عليه أيضا: اللسان والفرج:

يجب على المسلم أن يحفظ لسانه، ويصونه عن جميع معاصيه كالكذب والغيبة، والنميمة، وقول الزور، والباطل، والفحش، والبذاءة ويحفظ فرجه، ويصونه: فيصونه عن جميع معاصيه وآثامه.

(2) البقرة: 238.

(3) المؤمنون: 11: 9.

(4) رواه أحمد.

(1) البقرة: من الآية 222.

(2) رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 30: 31] (3) ..

وذكر المولى فيمن أعد لهم مغفرة، وأجرا عظيما:

{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب: 35].

وفي الحديث: قال عليه الصلاة والسلام: «من يضمن لي ما بين لحييه، ورجليه أضمن له الجنة» (4) ..

المراد بما بين لحييه: لسانه.

المراد بما بين رجليه: فرجه.

وكذلك يحفظ المرء بطنه ورأسه: فيحفظ عقله من الضلالات، والأباطيل بأسرها، والمنكرات بأجمعها كالخرافات، والكف والودع: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً} [الإسراء: 36].

ويحفظ بطنه مما حرمه الله من سائر المطعومات، والمشروبات وفي حديث ابن مسعود مرفوعا: (... الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما

(3) النور: 30: 31.

(4) رواه البخارى.

وعى، وتحفظ البطن وما حوى⁽¹⁾.

ومما يجب حفظه: (الإيمان).

لأن الحلف بالله تعالى عظيم. فلا ينبغي للمرء أن يتهاون به: **{وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ}** [المائدة: 89]⁽²⁾.

فلا يحلف بالله كاذبا لحرمة، ولا يكثر من الحلف به أبدا تعظيما لاسم الله، ومنهم من كان يرى كثرة الحلف أمانة الجهل بعظمة الله وضعف هيئته في القلب.

وقد قيل: من حفظ أيمانه دل ذلك على دخول الإيمان في قلبه.

فإذا حفظ العبد ربه في كل ما أمره به، ونهاه عنه. حفظه الله في دينه، ودنياه. فضلا من الله ونعمة **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}** [البقرة: 152]، **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}** { [محمد: 7]. **{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}** [البقرة: 40].

فحفظ الله للعبد في دنياه: أن يحفظ له بدنه، وقوته، وعقله، وولده، وأهله، وماله مما يضر ويسوء:

وقد قيل: " من حفظ القرآن متع بعقله " . قال تعالى: **{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}** [التين: 5: 6].

ومن حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله في حال كبره، وضعف قوته. وكان بعض العلماء وقد جاوز المائة سنة، وهو ممتع بعقله وقوته فوثب يوما وثبة شديدة. فعوتب في ذلك فقال: " هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر " .

(1) رواه الترمذی.

(2) المائدة: من الآية 89.

وقد يحفظ الله العبد الحافظ له في ذريته بعد موته كما قال تعالى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} [الكهف: 82]. فقد حفظ: وحفظ أبوهما منهما: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9].

قال محمد بن المنكدر: "إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده، وولد ولده، وقريته، والدويرات التي حولها، فما يزالون في حفظ الله، وستره".

ومن حفظ الله للعبد في الدنيا: كفايته شر من يريده بأذى من الخلق: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق: 2] (1).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: 11]. "هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه وتركوه لأمر الله".

ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه من عباده: أن يجعل الحيوانات المفترسة المؤذية حافظة له من الأذى.

كما روى عن سفينة مولى النبي ﷺ قال: "ركبت البحر - السفينة - فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها. فطرحني اللوح في الأجمة: (مجتمع أشجار كثيفة) فيها أسد. فأقبل إلي أسد يريدني. فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله. فطأ رأسه، وأقبل إلي. فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق، وهمهم. فظننت أنه يودعني. فكان ذلك آخر عهدي به".

ومن حفظ الله للعبد في دينه: أن يحميه من العقائد الزائفة، والبدع المضلة، وأن يتوفاه على الإسلام. وقد علم النبي ﷺ البراء بن عازب أن يقول عند منامه: "اللهم

(1) الطلاق: 2.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

إن قبضت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" (1)

وعلم عمر أن يقول: " اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تطمع في عدوا ولا حاسدا " (2).

وكان عمر يقول: " اللهم اعصمنا بحفظك، وثبتنا على أمرك ".

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة: 257].

{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 3].

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36].

{وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: 196].

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فليُنظر كيف منزلة الله عنده؟ فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه؟» (3).

* * * * *

(1) رواه الشيخان.

(2) رواه ابن حبان.

(3) رواه الحاكم والبيهقي.

الصدق خير كله

الحمد لله /

جعل الصدق من صفات المؤمنين، ووعدهم عليه جنات النعيم.

قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُؤُوهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب: 35].

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له أمرنا أن نكون مع الصادقين فقال وهو أصدق القائلين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذي جاء بالصدق وهو إمام الصادقين والصدوقيين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فرضى الله عنهم ورضوا عنه.

أمـا بعد

فيقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}.

عباد الله /

الصدق خلق من أخلاق المرسلين، وصفة من صفات المؤمنين الكاملين وهو باب من أبواب الفوز والنجاة، وما يزال الرجل يصدق حتى يهديه الله إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب. فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»⁽¹⁾.

وقد أمرنا الله ﷻ أن نكون مع الصادقين الذين صدقوا مع الله، ومع رسوله، فأخلصوا العمل، وأخلصوا فى القول.

صدقوا ما عاهدوا عليه الله، وأوفوا بالعقود والعهود.

قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

وخاطب الذين آمنوا؛ لأن الإيمان يستلزم التقوى التى تدعو إلى كل الفضائل، ومنها: "الصدق" الذى مدح به المؤمنين فقال: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 23].

فالرجال المؤمنون يؤدون واجبهم، ويقومون بمهمهم ورسالتهم كما حددها لهم ربهم حتى يلقوا ربهم، ومنهم من قضى نحبه أى: لقي ربه، ومنهم من ينتظر لقاءه، وإذا كان المؤمن فى الآخرة لا ينتفع إلا بعمله فى المقدمة: سلامة القلب والصدق: قال تعالى:

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89].

وقال: {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [محمد: 21].

(1) منفق عليه.

وقال: {هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة: 119].

أيها المسلمون /

لما كان الصدق أجل صفة، وأعظم خلق وأساس كل الفضائل كان من صفات الأنبياء الأولى، وأحد أربعة من الصفات الواجبة لهم.

ج والأنبياء هم قدوتنا وأسوتنا فهم المثل الأعلى في كل خلق، والنموذج الأسمى في كل كمال بشري.

بالصدق مدح الله أنبياءه. تحدث بذلك في كتابه لتكون على شاكلتهم وننهج على منوالهم. قال تعالى:

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [مرج: 41].

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} {

[مرج: 54].

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [مرج: 56].

أيها المسلمون /

إذا كان الصدق فضيلة من أعظم الفضائل، فإن الكذب رذيلة من أقبح وأشنع الرذائل.

فهو آفة اللسان الكبرى، وزلة الإنسان، وسقطته المروعة وهو الوسيلة التي تؤدي إلى ظلام القلب.

قال عليه الصلاة والسلام:

(لا يزال العبد يكذب، ويتحرى الكذب فينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه) ⁽¹⁾.

وأما الصدق الذى يهدى إلى البر فهو قمة الخير التى لا يرقى إليها إلا أولوا العزم من الرجال.

(1) رواه مالك.

وحسبك هذه الآية الجامعة:

{لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177].

ويحذرنا النبي المصطفى ﷺ من الريب والظنون، وليس كالصدق طمأنينة، وليس كالكذب ريبة فيقول: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. إن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» (1).

وفي الصدق نجاة وسلامة، وفي الكذب خزي وندامة:

يقول عليه الصلاة والسلام:

«تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وإياكم والكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة» (2).

وقال عليه الصلاة والسلام:

«إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به» (3).

وعن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت:

(ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يكذب من أصحاب رسول الله ﷺ عنده الكذبة فما يزال في نفسه منه شيء حتى يعلم أنه قد أحدث توبة) (4).

(1) رواه أحمد والترمذي وصححه.

(2) رواه السيوطي في الجامع الصغير.

(3) رواه الترمذي وأبو نعيم.

(4) رواه البزار وأحمد بن حنبل.

والكذب من الرذائل التى لا تجتمع مع الإيمان فى قلب المؤمن، ولا مندوحة لمؤمن فى كذب أبداً.

سئل رسول الله ﷺ: أيلكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم». أيلكون بخيلاً؟ قال: «نعم». قيل: أيلكون كذاباً؟ قال: «لا» (1).

وعقوبة الكذاب عقوبة فظيعة تتلائم مع جريمة الكذب: قال عليه الصلاة والسلام: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فقالا لى: أما الرجل الذى رأيت يشق شذقه فكذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة» (2).

وكثير من الناس يكذب ليقال عنه: إنه ظريف، وذو ظل خفيف. ولكن النبى ﷺ حذر من هذا النوع من الكذب فيقول: «ويل للذى يحدث بالحديث فيضحك به القوم فيكذب، ويل له. ويل له» (3).

وقد ضمن ﷺ الجنة لمن حرص على الصدق فى كل أحاديثه حتى فى مزاحه. فقال عليه الصلاة والسلام: (أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحاً) (4).

وها هو رسول الله ﷺ يوصينا أن نلقن أولادنا الصدق وأن نربى أولادنا على تلك الفضيلة التى هى أم الفضائل كلها، ويحذرننا من تعويدهم على الكذب. حتى لا تغرس فيهم أقبح الرذائل، وبذلك نلقى بهم بأيدينا إلى التهلكة، ونقلب فطرتهم السليمة بقصد أو بغير قصد.

(1) أخرجه مالك والبيهقى.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه الترمذى.

(4) رواه أبو داود والترمذى وحسنه.

عن عبد الله بن عامر قال:

(دعتنى أمى يوماً ورسول الله قاعد فى بيتنا. فقالت: تعال أعطك. فقال لها: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال: أما إنك لو لم تعطي شيئاً كتبت عليك كذبة)⁽¹⁾.

وكثير من النساء ينادين أولادهن موهمين له م أنهن سيعطينهم شيئاً ولا يعطينهم، وتكرار هذا الفعل يعتاد الطفل، ويتعود الكذب. فقد رآه فى أمه مراراً، وسمعه أذناه، وشاهده بعينه، وشاهده من أكثر الملازمين له. وهن مكن الخضر، ومصدر الداء. فليتنق المسلم فى الذرية كى لا يضيعها بيده.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه -: "من قال لصبي هاك تعال ثم لم يعطه فهى كذبة"⁽²⁾.

وإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس فى قلبه، أو ما يخالف حاله يعد كذباً. فعن أسماء بنت يزيد قالت:

يا رسول الله: إذا قالت إحدانا لشيء تشتهي لا أشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ قال: «إن الكذب يئتب كذباً حتى الكذبة تكتب كذبية»⁽³⁾.

أيها المسلمون /

عليكم بالصدق كى تحل بساحتكم الخيرات والبركات، وتجنبوا الكذب فإنه ممحقة للبركة مضيع للربح والكسب.

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه أحمد والطبرانى.

وها هو النبى ﷺ يبين بركة الصدق فى البيع والشراء، وضرر الكذب فيه، فالصدق فى البيع يخلق البركة، ويسوق الخير إلى المشتري والبائع، والكذب يخلق الخسارة، ويذهب بالبركة والحفظ. يقول عليه الصلاة والسلام: «البيعان بالخيار ما لم يفترقا: فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربح ربحاً ماً. ويمحق بركة بيعهما» (1).

وصدق التاجر هو أول شرط لنجاحه، وأول سبب لرفعة شأنه ورفع درجته عند الله خالقه.

قال عليه الصلاة والسلام: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» (2).

كما أن الأيمان الكاذبة لترويج السلعة، وخداع المشتري بها تضع ح ظ الحالف فى آخرته، وتبعده عن حظيرة الرضوان إلا أن يتوب.

عن ابن أبى أوفى: أن رجلاً أقام سلعة فى السوق فحلف أنه قد أعطى فيها أكثر مما أعطى ليوثق فيها رجلاً من المسلمين. فنزل قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَآئِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: 77] (3).

فاتقوا الله أيها المسلمون /

وعليكم بالخلق الحميد، والفعل الرشيد، والرأى السديد لتحياوا الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة.

(1) رواه الطبرانى ونحوه متفق عليه.

(2) أخرجه الترمذى وحسنه.

(3) رواه البخارى.

قال عليه الصلاة والسلام: «كبت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب» (1).

والله أعلى وأعلم

* * * * *

الحياء فى الإسلام

الحمد لله /

الحمد لله جمل بالحياء من شاء من عباده، وكرمه تكريماً.
وأشهد أن لا إله إلا الله، شرف الإنسان بالحياء دون سائر الحيوان.
وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الهن كان أشد حياء من العذراء فى خدرها.
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سينا محمد صلاة تكشف بها الران عن قلوبنا،
وتيسر بها أمورنا، وتستتر بها عيوبنا، وتغفر بها ذنوبنا، وتقضى بها ديوننا،
وتزكى بها نفوسنا، وتنور بها أبصارنا وقلوبنا.
وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين استحيوا من الله حق الحياء فرضى الله
عنهم وأرضاهم.

أما بعد

فيا عباد الله /

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

وفى رواية: «فأفضلها: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق» (2).

(1) رواه أحمد والبيهقى.

(2) رواه الشيخان.

الحياء: خلق كريم، يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق، وينشأ من الخوف من الله تعالى، واستشعار مراقبته. فهو أمانة صادقة على طبيعة الإنسان يكشف عن قيمة إيمانه، ومقدار أدبه، وعندما ترى الرجل يتخرج من فعل ما لا ينبغى، أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق، فاعلم أنه حى الضمير. نقى المعدن. زكى العنصر. وإذا رأيت الشخص بليد الشعور. لا يبالى ما يأخذ أو يترك فهو امرؤ لا خير فيه.

وقيل: "من لا حياء فيه لا خير فيه"، "ومن كان الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه".

وقد وصَّى الإسلام أبناءه بالحياء، وجعل هذا الخلق الرفيع أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل:

قال عليه الصلاة والسلام: «إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء» (1).

وقد حث عليه الرسول الكريم ﷺ وبين أسبابه ومقوماته، وأوضح وسائله، وغاياته. حيث قال فيما رواه ابن مسعود عنه: استحيوا من الله حق الحياء. قلنا: إنا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله. قال: ليس ذلك.

الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا؛ فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء (2).

(1) رواه مالك فى الموطأ.

(2) رواه الترمذى.

والحياء والإيمان قرينان: فإذا وجد أحدهما وجد الآخر، وإذا رفع أحدهما رفع الآخر:

يقول عليه الصلاة والسلام: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً ؛ فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» (1).

وعلة ذلك: أن المرء حينما يفقد حياءه يتدرج من سيئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوى حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل:

وقد بين رسول الله ﷺ مراحل هذا السقوط الذي يبتدىء بضيايع الحياء، وينتهى بشر العواقب، حيث يقول ﷺ: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً ، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقوتاً نزع منه الأمانة ، فإذا نزع منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزع منه الرحمة، فإذا نزع منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً. فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزع منه ربة الإسلام » (2).

وقد مر النبي ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ليكفه عنه لما يزعم من أن فيه ضعفا ؛ فنهاه الرسول ﷺ وقال: «دعه فإن الحياء من الإيمان» (3).

ولذا كان رسول الله ﷺ أشد الناس حياء:

فعن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - قال: "كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه" (4).

(1) رواه الحاكم.

(2) رواه ابن ماجة.

(3) متفق عليه.

(4) رواه مسلم.

وأعلم أخى المسلم:

أن للحياء مواضع يستحب فيها:

فالحياء فى الكلام: يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش، وأن ينزه لسانه عن العيب، وأن يخجل من ذكر العورات. فإن من سوء الأدب أن تخرج الألفاظ البدئية من فم المؤمن غير عابئ بمواقعها.

يقول عليه الصلاة والسلام: «ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه».

ويقول فى حديث آخر ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» (1).

ومن الحياء فى الكلام: أن يقتصد المسلم فى تحدثه بالمجالس فإن بعض الناس لا يستحيون من امتلاك ناصية الحديث فى المجالس الجامعة، ولا يبالون بفائدة الحديث أو عدمها.

وقد كره الإسلام هذا الصنف من الناس:

قال عليه الصلاة والسلام: «من تعلم صرف الكلام ليستبى به قلوب الرجال، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» (2).

ولو تجسم الحياء لك ان رمز الصلاح والإصلاح، ولاختفت عيوب كثيرة تنتشر بين الناس:

عن عائشة - رضى الله عنها -: أن النبى ﷺ قال: «لو كان الحياء رجلاً لكان رجلاً صالحاً، ولو كان الفحش رجلاً لكان رجلاً سوءاً» (3).

(1) رواه الترمذى.

(2) رواه أبو داود.

(3) رواه الطبرانى.

ومن حياء الإنسان مع الناس أن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم، وأن يؤتى كل ذى فضل فضله - للصغير مع من يكبرونه فى السن، وللتلميذ مع من يعلمونه العلم فلا يرفع صوته فوق صوتهم ولا يمشى أمامهم.

يقول عليه الصلاة والسلام: «تواضعوا لمن تعلمون منه»⁽¹⁾.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»⁽²⁾.

وهناك نوع من الحياء غير مرغوب فيه: "وهو الذى يدفع السائل إلى الامتناع عن السؤال عما يجهله من العلم:

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها -:

"نعم النساء نساء الأنصار. لم يمنعن الحياء من أن يتفقهن فى الدين"⁽³⁾.

فالتفقه فى الدين لا ينبغى أن يستحيا فيه:

"فقد جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله "إن الله لا يستحى من الحق. فهل على المرأة غسل إذا احتملت؟ فقال: نعم. «إذا رأَت الماء»"⁽⁴⁾.

أما إذا سقطت صبغة الحياء عن الوجه فإن صاحبه يكون قد نزع عن نفسه كل فضيلة، ولا يتورع عن ارتكاب كل رذيلة!

قال عليه الصلاة والسلام: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»⁽⁵⁾.

وإذا كان الحياء مطلوباً ومحموداً فى الرجال فإنه للنساء أشد وألزم لما فيه

(1) رواه الطبرانى.

(2) رواه الترمذى.

(3) متفق عليه.

(4) رواه البخارى.

(5) البخارى عن ابن مسعود.

من موافقة طبعهن، وحفظ كرامتهن، وهو دليل على حسن التربية، وكمال الأدب:

فمن الشروط التى ينبغى أن يبحث عنها المسلم فيمن يريد لها زوجة له أن يتأكد من حياتها، حتى يضمن هذا الخلق الكريم فيها كزوجة تحمى شرفه، وتصون عرضه،

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم قصة نبي الله موسى - عليه السلام - عندما ورد ماء مدين، ووجد فتاتين لا تستطيعان الدنو من الماء لازدحام الرعاة عليه، فسقى لهما، ثم استراح تحت ظل شجرة. فذهبت الفتاتان، وأخبرتتا أباهما بما حدث، فأمرهما أن تدعوا ليشكره، ويثيبه على ما فعل.

وقد رأى موسى - عليه السلام - إحدى الفتاتين، وهى تمشى مشية كلها حياء، وأدب وخجل.

وروى عن أمير المؤمنين - رضى الله عنه - أنه قال:

"كانت تستتر بكم درعها. أى: قميصها، فهذه الفتاة الصالحة كانت جديرة بأن تكون زوجة لهذا النبي الكريم الحى الأمين".

وهكذا أخى المسلم:

فإن الحياء دليل على كمال الخلق وتمام العقل، وهو من مكارم الأخلاق التى يدعو إليها الإسلام، والتى هى من صفات الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والعلماء وكلاء الناس وفضلائهم.

ولنا فى رسول الله ﷺ قدوة حسنة - فقد كان أشد الناس حياء، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم أدباً.

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت:

"كان النبي ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا. ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون، أو يقولون كذا؟ ينهى عنه، ولا يسمى فاعله، وكان من حيائه ﷺ أنه لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكره عما اضطره الكلام إليه مما يكره"⁽¹⁾.

* * * * *

الرحمة

الحمد لله /

الحليم الكريم. العليّ العظيم. الواسع في إنعامه. العظيم في إكرامه. الرؤوف الرحيم. العزيز الحكيم.
وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. وسعت رحمته كلّ شيء، وعمت كلّ مخلوق.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أتقى الناس، وأكملهم وأرحمهم وأعدلهم، القائل: (إنما أنا رحمة مهداة)⁽²⁾.

اللهم صلّ على سيدنا محمد نبيّ المودة الذي ألقيت عليه مودة منك، ورسول الرحمة الذي هبطت إليه الرحمة منك، فهو نبيّ مودتك ورسول رحمتك، فهو رحمة الله المرسلّة إلى سائر العوالم العلوية والسفلية، وفرج الله القريب للمنكسرة قلوبهم من أهل النفوس المرضية، ورأفة الله لعباده المؤمنين الفائقة لرأفة الأمهات على الذرية، وعلى آله وسلم وأصحابه أهل النفوس الزكيّة. صلاة تفتح لنا بها أبواب رحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) الشفا - القاضي عياض.

(2) رواه البيهقي في الدلائل.

أما بعد

عباد الله /

يقول الله تعالى: {قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: 12].

إن التراحم بين الناس فضيلة من أعظم الفضائل الإنسانية، وأجلها قدراً، وأبقاها أثراً، وأوفرها عند الله جزاءً وشكراً ، بها يسعد المجتمع الإنساني، ويسوده الأمن والاطمئنان والرخاء.

والرحمة: صفة من صفات الله - تعالى - جعلها مائة قسم، وأودع منها قسماً واحداً في الدنيا به يتراحم الخلق حتى تحنو به الدابة على ولدها، و ادخر تسعاً وتسعين في الآخرة:

كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «جعل الله الرحمة مائة جزء، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (1).

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال:

"قُدم على رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى قد تحلب ثديها، إذا وجدت صبياً في السبى أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته. فقال رسول الله ﷺ : «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار». قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، قال: «فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها» (2).

وكثير من أسماء الله الحسنى تنبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو:

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

وقد جاء في الحديث القدسي: (إن رحمتي سبقت غضبي)⁽¹⁾.

وتجاوز الله عن أثام البشر، وخطاياهم يسبق اقتصاصه منهم وسخطه عليهم، وبذلك كان أفضل الرحماء: {وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون: 118].

فكل ما نراه في الأرض من تواد وتعاطف ورحمة ، إنما هو من أثر هذه الرحمة الإلهية.

وأرق الناس أفئدة. أوفرهم نصيباً من رحمة الله - تعالى - قال - سبحانه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156].

فهؤلاء المؤمنون هم الجديرون برحمة الله تعالى.

وما أقل حياء من عبدٍ يطمع في رحمة الله بغير عمل، وكيف يجود الله برحمته على من بخل بطاعته؟

وقد وصف الله - تعالى - نفسه بالرحمة والرفقة:

{نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الحجر: 49]. {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 143].

ومن رحمة الله ورأفته بعباده أن أرسل إليهم رسولاً ملأت الرحمة قلبه فكان أرحم الناس خلقاً، وأوسعهم عطفاً ، وقد وصفه الله تعالى بهذه الرحمة فقال - سبحانه -: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِظَ الْقَلْبُ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

(1) رواه مسلم.

ويقول سبحانه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128].

وقد لازمته الرحمة في أصعب المواقف:

ففي غزوة أحد عندما حاول المشركون أن يقتلوه، وألجأوه إلى حفرة ليكب فيها، وجرح وجهه الشريف، ورأى زهرة أصحابه مضرجين في دمائهم. قيل له: ادع عليهم. فغلبته الرحمة، وجعلت نفسه الكريمة تلتمس لأعدائه العذر فدعا لهم ﷺ قائلاً: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

من أجل ذلك يحثنا ﷺ على الرحمة فيقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن - تبارك وتعالى - ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (1).

ويقول ﷺ في حديث آخر: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» وفي رواية زاد: «ومن لا يغفر لا يغفر له» (2).

ولقد سار أصحاب النبي ﷺ على هذا النهج الإسلامي القويم الذي وصفه القرآن الكريم: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29].

وعن أبي مسعود البدرى: كنت أضرب غلاماً لى بالسوط. فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود. فلم أفهم الصوت من الغضب. فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: "اعلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغلام. فقلت: لا أضرب بعد مملوكاً أبداً".

(1) رواه أحمد، وغيره.

(2) رواه البخارى.

وفى رواية: "فقلت: يا رسول الله: هو حرٌ لوجه الله تعالى. فقال ﷺ: أما لو لم تفعل للفتحك النار أو لمستك النار"(1).

وقد أمر الإسلام بالتراحم بين المسلمين، فالمسلم يلقي الناس جميعاً بقلب عامر بالرحمة والعطف فهو يوسع لهم، ويخفف عنهم قدر ما يستطيع، قال ﷺ: (لن تؤمنوا حتى تراحموا. قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة)"(2).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه -:

"أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له النبى ﷺ: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»"(3).

فالأيتام والمساكين من أولى الناس بالإحسان، وأحوجهم إلى العطف والرحمة. وقد نهىنا الإسلام إلى الرحمة بأولادنا والعطف عليهم:

فقد روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ "قبل الحسن والحسين ابنا على - رضى الله عنهم - وعنده الأقرع بن حابس التميمي؛ فقال له الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم قط؛ فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «من لا يرحم لا يرحم». وفى رواية قال له: «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك»"(4).

ومن الرحمة: العفو عن الخادم: فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له:

كم أعفو عن الخادم؟ قال: كل يوم سبعين مرة(5).

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الطبرانى.

(3) رواه أحمد.

(4) رواه البخارى.

(5) رواه أبو داود والترمذى.

ومن الرحمة المطلوبة: الرفق بالحيوان التي هي مخلوقات سخرها الله لنا.
وقد رأى عمر - رضى الله عنه - رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له:
"ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً".

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم
القيامة»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة - يعنى قطة - ربطتها فلم تطعمها، ولم
تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت)⁽²⁾.

وقد تمحى كبائر الذنوب بسبب رحمة تغمر قلب الإنسان ولو نحو حيوان
ضعيف.

وقد جاء في الحديث: «أن امرأة بغياً - يعنى زانية - رأت كلباً في يوم حار
يطوف ببئر قد أولع لسانه من العطش فنزعت له موقها - أى خفها - فسقته -
فغفر لها»⁽³⁾.

* * * * *

(1) رواه البخارى في الأدب.

(2) متفق عليه.

(3) رواه مسلم.

العدل وأثره فى صلاح المجتمع

الحمد لله /

الحمد لله الحق المبين. القائل سبحانه وتعالى: {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: 71].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمر بالعدل والإنصاف. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمام العادلين، وسيد المنصفين الذى عم نوره الأنفس والآفاق، وأزال بعدله شؤم الظلم والشقاق، وأزال بحكمته عن القلوب الأعلاق، وأقام بهديه المودة والوفاق. صل الله عليه وسلم صلاة تيسر لنا بها الأسباب والأرزاق، ونلقى نورها فى الحياة ويوم التلاق. وعلى آله وسلم وعجل لنا بسريع لطفك وعطفك وحنانك يا لطيف يا ودود يا خلاق.

أمـا بعد

يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

{

[النساء: 135].

عباد الله /

يأمرنا الله عز وجل بالعدل في كل أمورنا صغيرها وكبيرها.
فالعدل هو استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ومقاديرها في غير
إسراف ولا تقصير، ولا تقديم ولا تأخير.
ولقد أمر الله تعالى بالعدل في القول فقال سبحانه: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا} [الأنعام: 152].

وأمرنا بالعدل في الأحكام بين الناس فقال سبحانه:
{وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء: 58].
ولقد كان رسول الله ﷺ من أشد الناس عدلاً فكان يحكم على نفسه بنفسه،
ويأمر غريمه أن يأخذ منه بحقه وهو قرير العين طيب النفس:
ففي يوم بدر: قام يسوى الصفوف بمحجن (قضيب من حديد) كان بيده فرأى
سواد بن غزية بارزاً عن الصف فدفعه بالمحجن في بطنه. وقال له: استقم يا
سواد.

فقال: لقد أوجعتني يا رسول الله، قد بعثك الله بالحق والعدل فمكني من
القصاص.

فكشف النبي ﷺ عن بطنه. وقال له: استقد يا سواد. (أى: خذ بحقك).

فقبل سواد بطنه الشريف ﷺ :

فقال له النبي ﷺ : ما حملك على هذا يا سواد؟

فقال: لقد حضر ما ترى، والموت قاب قوسين، وسنلقى العدو بعد قليل،
ولعلني أكون من الشهداء.

فدعا له النبي ﷺ وأثنى عليه خيراً.

إنه مثل رائع في تطبيق العدالة فصاحب الحق يأخذ بحقه ولو كان من رسول الله ﷺ وليس لأحد أن يتخطى العدالة، أو يزعم لنفسه أنه فوق القانون الإلهي.

فقد حدث: أن سرقت فاطمة المخزومية حلياً من بعض جاراتها ورفع أمرها إلى النبي ﷺ وعلم بذلك بن و مخزوم الأشراف ذوو الأحساب والأنساب، فكبر عليهم أن تقطع يد امرأة منهم وعز عليهم أن توصم بالسرقة امرأة منهم، ورأوا أن اشتهاه أمرها في المدينة عارٌ لا يطاق. فاحتالوا للخروج مما أوقعتهم فيه هذه المرأة من حرج ، فجاءوا إلى أسامة بن زيد، وكان معروفاً بحب النبي ﷺ له ولأبيه زيد ، وكلموه في أن يشفع للمرأة ألا ينفذ فيها العقوبة ، فذهب أسامة، وكلم رسول الله ﷺ في ذلك.

فغضب عليه الصلاة والسلام - وقال له: «أتشفع في حد من حدود الله؟». ثم جمع الناس فخطب فيهم فقال: «يا أيها الناس: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (1).

وقد جاءت السيدة فاطمة الزهراء إلى أبيها ﷺ وطلبت منه خادماً يعينها على مشقة الطحن بالرحى. فقال لها النبي ﷺ: «لا أعطيك خادماً، وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم من الجوع» (2).

(1) رواه البخاري.

(2) رواه أحمد.

وقد اقتدى الصحابة - رضى الله عنهم - بالنبي ﷺ :

فهذا سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقيم الحد على ابنه لا تأخذه في ذلك رافة في دين الله، وكان - رضى الله عنه - حريصاً على العدل في حكمه فعم بعدله سائر الرعية حتى بين أهل الذمة:

فعن سعيد بن المسيب - رضى الله عنه -:

"أن مسلماً ويهودياً اختصما إلى عمر - رضى الله عنه - فرأى عمر الحق لليهودى. ف قضى له به. فقال اليهودى: والله لقد قضيت بالحق. فقال: وما يدريك؟ فقال اليهودى: والله إنا نجد في التوراة: "ليس قاض يقضى بالحق إلا كان عن يمينه ملك، وعن شماله ملك يسدّدانه، ويوفّقانه للحق ما دام مع الحق، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه"(1).

فكان سيدنا عمر - رضى الله عنه - يقضى بين الناس بالحق. فقد تحققت فيه دعوة النبي ﷺ: «اللهم اجعل الحق على لسان عمر وقلبه»(2).

ومن أجل عدله كان الشيطان يخاف منه، ويسلك طريقاً غير طريقه،

يقول الإمام الجعفرى - رضى الله عنه - فى هذا المعنى:

يفر إبليس إن لاقاه فى طرق :: والجور والظلم من مرآه فى عدم
وهذا سيدنا أبو ذر الغفارى يمر عليه قوم بالربذة، فرأوا عليه حلة، وعلى غلامه مثلها تماماً.

فلما جلسوا للطعام. نادى أبو ذر غلامه، فأجلسه معه للطعام فعجبوا من معاملة أبى ذر لغلامه فقال: "إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليلبسه مما يلبس، وليطعمه

(1) رواه مالك.

(2) رواه أبو داود.

مما يطعم»⁽¹⁾.

وهذا عبد الله بن رواحة لما بعثه النبي ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم. فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم. فقال: "والله لقد جئكم من عند أحب الخلق إلى ولأنتم أبغض إلى من أعددكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضى لكم على ألا أعدل فيكم. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض"⁽²⁾.

وهذا قوله سبحانه وتعالى:

{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8].

والعدل والإنصاف ينبغى أن يكون هدف المسلم وشعاره في حياته كلها، فإذا كانت عنده أكثر من زوجة فعليه أن يعدل بينهما، وأن يجتهد قدر استطاعته في التسوية بينهما في الحقوق والواجبات حتى لا يقع في عذاب الجائرين على حقوق أزواجهن يوم القيامة ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»⁽³⁾.

والعدل في الحكم هو أعظم صور العدل، وأكبرها ثواباً عند الله تعالى لما له من أثر عظيم في إصلاح الراعى والرعية ؛ لذلك كان جزاء الحاكم العادل عظيماً، وثوابه عند الله جزيلاً،

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال:

قال رسول الله ﷺ : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين

(1) متفق عليه.

(2) انظر ابن كثير.

(3) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون فى حكمهم، وأهليهم وما ولوا» (1).

وأول السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «إمام عادل» (2).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام فى الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً» (3).

وليس العدل مقتصرأ على معاملتك للآخرين، ولكن يجب أن تكون عادلاً مع نفسك لا ترهقها بالرغبات والشهوات، ولا تهملها فتقصر عن الطاعات والعبادات، ولا تقسو عليها بالغضب والشدة:

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أوتيهن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود: العدل فى الغضب، والرضا والقصد فى الفقر والغنى، وخشية الله فى السر والعلانية» (4).

وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من والى ثلاثة إلا لقى الله مغلولة يمينه: فكه عدله، أو غله جوره» (5).

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا إن الله يحب المحسنين» (6).

والله تعالى أعلم

* * * * *

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(4) رواه الحاكم.

(5) رواه ابن حبان.

(6) رواه الطبرانى.

التعاون وأثره فى المجتمع

الحمد لله /

أمر عباده المؤمنين بالتعاون فيما بينهم لتحقيق السعادة لهم، فقال عز وجل:
{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له القائل: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}** [التوبة: 71].
 وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»⁽¹⁾.

صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وأصحابه الذين عاشوا فى تكافل وتراحم فأعطى غنيهم فقيرهم، وأعان قويهم ضعيفهم، وأنصفوا المظلوم من الظالم، وأخذوا له حق غير مستضعف ولا مضيع فرضى الله عنهم أجمعين.

أمـا بعد

فيقول الله تعالى:

{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2].

عباد الله /

الإنسان مدنى بطبعه يألف ويؤلف وهو يعتنى نفسه جزءاً من كل، وعضواً من جسد، ولا يقوم كيان الإنسانية إلا بتعاون الناس فيما بينهم.

فالتعاون ضرورة فى هذه الحياة: فالتاجر، والزارع، والطبيب والمعلم والمدرس، والمهندس: الجميع يعملون فى حقل الحياة، ولا تدور عجلة الزمان

(1) متفق عليه.

إلا بهم جميعاً.

ولقد أكد الإسلام على التعاون، ودعا إليه بصوت قوى: فقد أمرنا الله رب العزة فى محكم آياته، والنبي ﷺ قد دعا إليه، ورغب فيه فى أحاديثه الكثيرة التى تنثير فى الإنسان مواطن المروءة، وجوانب الإنسانية المهيبة.

فيقول عليه الصلاة والسلام: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، ومن يسر على مسلم يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه»⁽¹⁾.

والمؤمنون كشجرة واحدة كل مؤمن غصن منها، أو كجسد واحد كل منهم عضو فيه أو كبنيان واحد كل فرد لبنة فيه، والشجرة لا تكون شجرة ولا يتم النفع إلا بأعضائها، والجسد إذا تألم بعضه تألم كله، والبناء يتم أسك بلبناته، ولا يكون بناء ينتفع به إلا بوحداته.

وهو أبلغ تصوير لجماعة المسلمين فى ظل الإسلام دين الأخوة والمحبة والتآزر والتآلف والتعاون.

وفى هذا يقول النبى - علي الصلاة والسلام -: «مثل المؤمنين فى توادهم، وتعاطفهم، وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»⁽²⁾.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه»⁽³⁾.

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

وقد حرص الإسلام على وحدة الصف الإسلامي، وتكتل المسلمين واجتماع كلمتهم، وترابطهم فيما بينهم حتى تكون وحدته قوة لهم تدرأ عنهم الأخطار، وتحميهم من أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر ويتمنون لهم الذل والهوان والصغار.

ومن هاهنا نهى الإسلام عن النزاع، والشقاق، والخلاف، والانقسام، وشدد النكير على مثيري الفتنة، ودعاة الفرقة، وتوعدهم بلشد العقوبات. قال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46].

وقال تعالى:

{وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْوَةٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: 103].

وقال تعالى:

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115].

وقال ﷺ: «من خرج على الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»⁽¹⁾.

فبين - صلوات الله وسلامه عليه - أن الله يحب من عباده فعل الخير، ونفع الناس، وأن أقربهم وأحبهم من كان عوناً للناس، وأن أفضل الأعمال عنده، وأحبها إليه تنفيس الكرب، وإزالة الضرر.

وإن خدمة المسلمين والمساهمة في قضاء حوائجهم أفضل من نوافل العبادة.

(1) رواه مسلم.

عن عبد الله بن عمر: "أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أى الناس أحب إلى الله، ق ال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يتخلله على مسلم تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحب إلى من أن أعتكف فى هذا المسجد (مسجد المدينة) شهراً، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخ يه فى حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام» (1).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه كان معتكفاً فى مسجد رسول الله ﷺ فأثله رجل مسلم، ثم جلس. فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزيناً فقال: يا ابن عم رسول الله: لفلان على حق ولواء، وحرمة صاحب هذا القبر لا أستطيع أداء،

قال: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت.

قال: فانتقل ابن عباس. ثم خرج. فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا. وللفنى سمعت صاحب هذا القبر - والعهد به قريب - يقول (2): «من مشى فى حاجة أخيه، وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بي نه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين».

تأمل أيها المسلم:

كيف أن المسلمين كان يهتم بعضهم بأمر بعض، فحين رأى ابن عباس الرجل الذى دخل عليه وهو معتكف بالمسجد سأله عن سبب همه وحزنه، ولما

(1) رواه العسكرى.

(2) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم وصرحه.

عرف السريب قام بما يقدر من إزالة سبب كآبته وحزنه.
وتأمل كيف سما الإسلام بالخدمة العامة وجعلها من أفضل القربات إلى الله.
فهى خير من اعتكاف عشر سنين.
والاعتكاف عبادة جليلة القدر.

أيها المسلمون:

المؤمنون إخوة فهم فيما بينهم رحماء، وعلى الأعداء أشداء يقدمون
العون إلى من يحتاج إليه، وهم يغيثون الملهوف ويصنعون المعروف ،
وينصرون المظلوم، يقول عليه الصلاة والسلام: «انصر أخاك ظالماً أو
مظلوماً». فقال: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ فقال: «تحجزه
عن ظلمه فذلك نصره» (1).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل
ظلماً، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه» (2).

وقال ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» (3).

قال الإمام الحسين - رضى الله عنه -: "حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم
فلا تملوا هذه النعم فتعود نقماً".

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما
كأنوا في حوائج المسلمين ما لم يملوها فإن ملوها نقلها إلى غيرهم» (4).

(1) رواه البخارى.

(2) رواه الطبرانى فى الكبير.

(3) رواه الحاكم والبيهقى.

(4) رواه الطبرانى فى الأوسط.

أيه المسلمون /

لقد كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يتصرفون فى أيام الشدة، ووقت الحاجة، تصرف الإخوان المتحابين الذين يخاطبون غنيهم بفقيرهم، ويقتسمون طعامهم فيما بينهم، وكأن أغنيائهم يذلون من أموالهم بغير حدود، "أصاب الناس قحط عظيم على عهد أبى بكر - رضى الله عنه - فلم تنبت الأرض نباتاً، ولم تمطر السماء مطراً، واشتد بالناس الجهد والجوع. فذهب الناس إلى أبى بكر يطلبون منه أن يعمل على تفريج أزماتهم،

فقال لهم أبو بكر قول الـ واثق بالله - عز وجل -: فإنى أرجو من الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم، فلم آجاء آخر النهار جاء الخبر بأن عيراً لعثمان بن عفان وردت من الشام، وتصبح فى المدينة، فخرج الناس يتلقونها. فإذا هى ألف بعير موثوقة برا وزينة وزينياً. فأناخت فى باب عثمان، فلما جعلها فى داره، جاء إليه التجار،

فقال: ماذا تريدون؟ قالوا: إنك تعلم تعبنا ورقصنا من هذا الذى وصل إليك فإنك تعلم حاجة الناس إليك.

فقال: حباً وكرامة: كم ترحبوننى؟

قالوا: الدرهم درهمين. قال: أعطيت زيادة على هذا.

قالوا: أربعة. قال: أعطيت زيادة على هذا.

قالوا: خمسة. قال: أعطيت زيادة على هذا.

قالوا: يا أبا عمرو ما بقى أحد فى المدينة من التجار غيرنا فمن الذى أعطاك هذه الزيادة؟

قال: إن الله تبارك وتعالى أعطانى بكل درهم عشرة فهل تزيدوننى؟ قالوا:

لا.

قال : فإنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة على ا لفقراء
والمساكين".

فاتقوا الله أيها المسلمون:

وابذلوا العون لمن في حاجة إليه، ولا تنسوا الفضل بينكم وإياكم والنزعة المادية أن تتسلط عليكم، تلك النزعة التي لا تعرف رحمة، ولا مروءة، ولا حقاً لفقير، ولا نصرة، ولا إغاثة لملهوف.

وإن الإسلام دين التعاون، ودين الأخوة، ودين المحبة السابغة، والرحمة الشاملة،

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الأشعريين إذا أرسلوا في الغزو، أو قل طعامها عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم»⁽¹⁾.

أو كما قال ﷺ. والله تعالى أعلم

صلة الرحم

الحمد لله/

الحي القيوم، الذي لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يقول في كتابه العزيز، وهو أصدق القائلين: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء: 1].

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم النبيين والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، قال - وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقال - تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن

(1) رواه مسلم.

صلة الرحم صحبة في الأهل و مثرأة في المال و منسأة في الأثر (1).

اللهم صل على سيدنا محمد الذي يبدأ من لقيه بالسلام - ويصل الرحم ويربي الأيتام وعلى آله وسلم بعدد اللحظات والأيام

أما بعد

فيا عباد الله - إن الإسلام يهدف إلى بناء مجتمع متكافل متراحم متعاطف تسوده المحبة ويسيطر عليه حب الخير، مجتمع بعيد عن الحقد بعيد عن القطيعة. وصلة الرحم بين المسلمين من الأسس التي يبنى عليها ذلك المجتمع، لذلك نرى رسول الله ﷺ يذكر ذلك فيقول (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (2).

وصلة الرحم يتوقف عليها الالتحام والتعاطف بين الناس، لذلك عني القرآن الكريم عناية بالغة بشأن الرحم، فلا عجب أن نرى في القرآن الكريم ذكر الرحم مع ذكر الله في آية واحدة قال تعالى:

{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [البقرة:

235]. ففي هذه الآية الكريمة يأمرنا سبحانه وتعالى ويحثنا على صلة الرحم فهي تتضمن مزيدا من الاهتمام لأن الله سبحانه وتعالى عطف الرحم على لفظ الجلالة فيجب على الإنسان المسلم أن يتقي الله في رعاية أقاربه، وأن يكون الفعل خالصا لوجه الله تعالى لأنه رقيب مطلع على ما في القلوب قال تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة: 235].

وكذلك يأمرنا الله - تبارك وتعالى - بالإحسان إلى ذوي القربى بعد أمره بالإحسان إلى الوالدين حيث يقول عز من قائل:

(1) روى الطبراني بنحوه.

(2) متفق عليه.

{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: 36].

وكذلك نرى أيضا أن الله تعالى يذكر حقوق ذوي القربى بعد حق الوالدين
وذكر حق الوالدين بعد الأمر بعبادته وتوحيده - قال تعالى

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ} [البقرة: 83].

فمن هنا يتبين أن صلة الرحم فرض وواجب على كل مسلم ومسلمة {وَأُولُوا
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: 75].

وكما أوصانا الله تعالى بصلة الرحم كذلك يوصينا المصطفى ﷺ ونجده ﷺ
يجعلها من أمارات الإيمان بالله واليوم الآخر، وثمرة من ثمراته، فعن أبي هريرة
- رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم
ضيفه - ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله
وباليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

وصلة الرحم من أفضل الأعمال - وهي من صور بر الوالدين بعد موتهما
فعن مالك بن ربيعة الساعدي قال - كنا عند النبي ﷺ فقال رجل - يا رسول الله -
هل بقى من بر أبوى شئ بعد موتهما أبرهما؟ قال ﷺ (نعم - خصال أربع: الدعاء
لهما - والاستغفار لهما - وإنفاذ عهدهما - وإكرام صديقهما. وصلة الرحم التي لا
رحم لك إلا من قبلهما) (1).

ودلنا ﷺ على أن صلة الرحم تقرب العبد إلى الجنة وتبعده عن النار. عن أبي
أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن أعرابيا عرض للنبي ﷺ مسيره فقال -

(1) رواه البخارى فى الأدب.

أخبرني بما يقربني من الجنة ويبلعني من النار، قال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً - وتقيم الصلاة - وتؤتي الزكاة وتصل الرحم (2) .

مما سبق نجد أن الله تعالى يرفع درجة واصل الرحم ويعلي من قدره في الدنيا والآخرة لأنه أطاع الله ورسوله فتودد لأقاربه ولم يتكبر عليهم لا بماله ولا بجاهه ولا بمنصبه - حتى يكون هناك مجتمع متعاون متكافل - يعيش فيه الناس متحابين متراحمين في ذات الله سبحانه وتعالى.

ولنا في رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - الأسوة الحسنة حيث اختارهم الله تعالى من أرقى الطبائع - فلقد كانوا يجدون الإساءة من أقاربهم وذوي رحمهم عندما كانوا يدعونهم إلى طريق الخير والرشاد فكانوا يقابلون تلك الإساءة بالإحسان لا خوفاً منهم ولا طمعاً في منفعة لديهم ولكنهم كانوا يريدون هدايتهم من أجل مصلحتهم هم ومن هؤلاء الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سيدنا نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. كل هؤلاء كانوا من أبناء القوم الذي أرسل إليهم وبذلوا النصيحة نحو أقاربهم وتحملوا الأذى ولم يقطعوا أرحامهم.

وكذلك النبي محمد ﷺ تعرض لجميع أنواع الأذى والإساءة من قومه - ومع ذلك فقد كان يصلهم ويدعو لهم بالهداية، فيقول «اللهم أهد قومي أو اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». ولما حانت الفرصة للانتقام منهم عند فتح مكة سامحهم وقال لهم «أذهبوا فأنتم الطلقاء» (1). هكذا ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في صلة رحمه مع إساءتهم له.

ولقد كان لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قريب يجود عليه أبو بكر بكل أنواع المعروف ، إلا أن هذا الرجل أنكر ذلك المعروف ، فخاض مع

(2) رواه أحمد و نحوه متفق عليه.

(1) كما ذكره ابن هشام في سيرته.

الخائضين ، في حق السيدة عائشة - رضي الله عنها - في حادث الإفك حتى
برأها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات، بعد ذلك أقسم سيدنا أبو بكر أن
يقطع نفقته، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يقره على فعله هذا فأنزل قوله:

{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ }

[النور: 22]. فعندما سمع سيدنا أبو بكر رضي قول الله - تبارك وتعالى - قال: بلى
والله أحب أن يغفر الله لي ثم أعاد النفقة لقريبه هذا وحلف ألا ينزعها منه أبدا.

واعلم أيها المسلم أن من أكبر الكبائر أن يقطع الإنسان رحمه ولا يصل
قربته لأن صلة الرحم هي القرب من الله تعالى - وقطيعة الرحم معناها البعد
عن الله تعالى - وقطيعة الرحم ليست من صفات المسلمين - للحنها من صفات
الفاسقين الذين ضلوا عن الحق بقوله تعالى

{وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }
[البقرة: 27: 26].

فلقد وصف الله تعالى عملهم بأنه إفساد في الأرض ووصف مصيرهم بأنه
اللعنة وسوء الدار. ومما يدل على أن قطيعة الرحم إفساد في الأرض أن الله
سبحانه وتعالى وصفهم بقوله

{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } [محمد: 23: 22].

واعلموا أن رسول الله ﷺ قد قال أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة ولا يشم
رائحتها وقاطع الرحم تعجل له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة فعن أبي موسى
رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «ثلاثة لا يدخلون الجنة - مدمن خمر - وقاطع

رحم ومصديق بالسحر»⁽¹⁾.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: «يا معشر المسلمون اتقوا الله وصلوا أرحامكم ، فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، وإياكم والبغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من بغي وإياكم وعقوق الوالدين ، فإن ريح الجنة توجد من مسير ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا سبل إزار ه خلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين»⁽²⁾.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم.
أو كما قال عليه الصلاة والسلام

* * * * *

بر الوالدين

الحمد لله /

الذى أمر ألا تبتعدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، قال - وقوله الحق :-

{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء: 36].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى بتوحيد الله قد جاء، وهدى الخلائق إلى الملة الحنيفية السمحاء ، ذى الحلم والكرم والوفاء ، الذى ببركته يحصل الشفاء، وبالصلاة عليه ندخل فى زمرة السعداء ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين ساروا وراءه، واتبعوا طريقه. ففازوا بسعادة الدارين، وذلك هو

(1) أخرجه الحاكم وصححه.

(2) رواه ابن عساکر.

أما بعد

إخوة الإيمان:

فى القرآن الكريم آيات بينات تدعوننا، وتأمرونا نحن المسلمين أتباع سيد المرسلين أن نكون بارين بالوالدين:

يقول الله تعالى:

{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } [الإسراء: 23-24].

{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [البقرة: 83].
{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [البقرة: 83].

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: 8].
{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الأنعام: 151].

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: 14].

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ

لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: 15].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»⁽¹⁾.

عن علي ابن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: «لو علم الله من العقوق شيئاً أردأ من أف لذكرها ، فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار ، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة»⁽²⁾.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك»⁽³⁾.

ورأى ابن عمر - رضى الله عنهما - رجلاً قد حمل أمه على رقبتة وهو يطوف بها حول الكعبة. فقال: يا ابن عمر: أترانى جازيتها؟ قال: ولا بطلقة واحدة من طلاقاتها ، ولكن أحسنت إليها ، والله يثيبك على القليل كثيراً، والجنة تحت أقدام الأمهات.

قال - عليه الصلاة والسلام - : «من أمسى مرضياً لوالديه وأصبح، أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة، وإن واحداً فواحد، ومن أمسى وأصبح مسخفاً لوالديه أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان إلى النار، وإن واحداً فواحد .» فقال رجل: يا رسول الله: وإن ظلماه؟ فقال ﷺ : «وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه»⁽⁴⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه»⁽⁵⁾، وقال: «ثلاث دعوات

(1) رواه الترمذى.

(2) ذكره القرطبى فى تفسيره.

(3) متفق عليه.

(4) ذكره القرطبى فى تفسيره.

(5) رواه الحاكم والبيهقى.

مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده» (1).

ويقول ﷺ : «إن من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم ، يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه . ويسب أمه فيسب أمه» (2).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما تكلم مولود من الناس فى مهد إلا عيسى ابن مريم، وصاحب جريج». قيل: يا نبى الله: وما صاحب جريج؟

قال: «فإن جريجاً كان رجلاً راهباً فى صوم عة له، وكان راعى بقر يأوى إلى أسفل صومعته، وكانت امرأة من أهل القرية تختلف إلى الراعى. فأتت أمه يوماً (أم جريج) فقال ت: يا جريج وهو يصلى، فقال فى نفسه وهو يصلى: أمى، وصلاتى. فرأى أن يؤثر صلاته. ثم صرخت به الثانية. فقال فى نفسه: أمى، وصلاتى، فرأى أن يؤثر صلاته. ثم صرخت الثالثة فقال: أمى وصلاتى. فرأى أن يؤثر صلاته. فلما لم يجبها قالت: لا أملك الله يا جريج حتى تنظر فى وجه المومسات (العاهرات). ثم انصرفت. فأتى الملك بالمرأة بعد أن ولدت. فقال: ممن؟ قالت: من جريج. قال: أصاحب الصومعة؟ قالت: نعم. قال: اهدموا صومعته، وأتوني به. فضربوا صومعته بالفؤوس حتى وقعت. فجعلوا يده إلى عنقه بحبل ثم انطلق به. فمَرَّ على المومسات فرآهن فتبسمن ، وهن ينظرن إليه فى الناس. فقال الملك: ما تزعم هذه؟ قال: ما تزعم؟ قال: أن ولدها منك. قال: أنت تزعمين؟ قالت: نعم. قال:

(1) رواه الترمذى.

(2) رواه القرطبى فى تفسيره.

أين هذا الصغير؟ قالوا: هو ذا فى حجرها. فأقبل عليه "العابد" فقال:
 من أبوك؟ قال: راعى البقر. قال الملك: أنجعل صومعتك من ذهب؟ قال:
 لا. قال: من فضة؟ قال: لا. قال: فما نجعلها؟ قال: ردوها كما كانت.
 قال: فما الذى تبسمت؟ قال: أمر ا عرفته أدركتنى دعوة أمى. ثم
 أخبرهم»⁽¹⁾.

قصة أبى يزيد البسطامى:

"عندما أراد أبو يزيد الذهاب إلى بغداد لطلب العلم. أعطته أمه أربعين
 ديناراً، وعاهدته ألا يكذب، وأن يلتزم الصدق. وفى الطريق وجد فريقاً من قطاع
 الطرق. فنهبوا كل ما فى القافلة.

ثم سألوا: هل معك شىء. فقال: معى أربعون ديناراً.

وكان رث الثياب. فاستهانوا بقوله، ورجعوا إلى كبيرهم وأخبروه،
 بما حدث. فقال: علينا به. فلما ذهب إليه وسأله. فقال له مثل ما قال
 لإخوانه.

فقال: أما تعلم أننا سنأخذ منك ذلك المال. فقال: نعم ، فقالوا: فما حملك على
 ذلك؟!

لقد عاهدت أمى على الصدق، وإنى لأرجو أن أكون وفياً لعهدا.

وكان ذلك سبباً فى توبة الجميع ورجوعهم إلى الله.

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى
 آووا لمبيت إلى غار فدخلوه. فاتحدرت صخرة من الجبل. فسدت عليهم
 الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح

(1) متفق عليه.

أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران. .. فنأى
بى فى طلب شىء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما. فحلبت لهما
غبوقهما. فوجدتهما نائمين. فكرهت أن أغيق قبلهما أهلاً ومالاً ...
فلبست والقذح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر. فاستيقظا
فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك. ففرج عنا ما
نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه».

* * * * *

حق الأبناء على الآباء

الحمد لله /

الحمد لله الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، وألزمه أن يعمل بما يعلم، ومن عمل
بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
- فبين للناس الطريق القويم، وأرشدهم إلى الصراط المستقيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ﷺ القائل: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته: فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل
راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده
وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه. ألا فكلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته» (1).

اللهم صل على سيدنا محمد دليل الخيرات والأسرار، ومهبط البركات
والأنوار. الذى بمحبته سعدت الأخيار، وبنوره كل تقى استنار. وعلى آله
وأصحابه الطيبين الأطهار.

صلاة نال بها رضاك ورضاه يا عزيز يا غفار.

(1) رواه مسلم.

أم-أ بعد

في عباد الله:

اعلموا أن كل م ولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

فللطفل ينشأ كما يعود أبوه. وكما قال القائل:

وينشأ أناسىء الفتیان منا :::: على ما كان عوده أبوه
فلولادنا أمانة فى أعناقنا، ومن ثم وجهنا الشرع الحكيم إلى ما ينبغى أن
نربى عليه أولادنا.

والآيات القرآنية كثيرة ومنها:

"1" يقول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: 13]. إلى أن قال له: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ
بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا
تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }
[لقمان: 17- 19].

"2" ويقول أيضا:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحریم:
6].

"3" ويقول سبحانه:

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
لِلتَّقَوَى } [طه: 132].

"4" ويقول عز وجل:

{وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة (130 - 132)].

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يشكو إليه عقوق ابنه. فأحضر عمر - رضى الله عنه - الابن وأنبه على عقوقه لأبيه. فقال الابن: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى. قال: فما هى يا أمير المؤمنين؟

قال: أن ينتقى أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتابة (القرآن).

فقلل الابن: يا أمير المؤمنين: إنه لم يفعل شيئاً من ذلك:

أما أمى: فإنها أمة زنجية كانت لمجوسى.

وقد سمانى (جعلاً) أى - خنفساء -، ولم يعلمنى فى الكتاب حرفاً واحداً.

فللتفت أمير المؤمنين إلى الرجل وقال له: أجئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسىء إليك.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصى الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي فذلك وقاية لهم من النار» (1).

ومن حقوق الأبناء على آبائهم أن يختاروا أمهاتهم لقول النبى ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» (2).

(1) رواه ابن جرير.

(2) رواه ابن ماجة.

ولقوله - عليه الصلاة والسلام - : «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (1).

الحق الثاني: (التعوذ بالله من الشيطان الرجيم إذا أتى أحدكم أهله حتى لا يشارك الشيطان في نطفة الولد):

عملاً بقول النبي ﷺ : «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله. اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا. فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً» (2).

الحق الثالث: (أن يؤذن في أذنيه بعد ولادته): عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: "رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن على حين ولادته فاطمة بالصلاة" (3).

قال جماعة من علماء الشافعية:

يسرتحب أن يؤذن في أذنه اليمنى، ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى لقول النبي - عليه الصلاة والسلام - : «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان "قرينة من الجن"» (4).

ومن السنة: التحنيك بالتمر للمولود:

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: "كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ويحنكهم".

وفى رواية: "فيدعو لهم بالبركة" (5).

(1) رواه الشيخان.

(2) منفق عليه.

(3) رواه الترمذى، وأبو داود.

(4) رواه أبو داود والترمذى.

(5) رواه أبو داود.

الحق الرابع: (أن يتخيروا اسماً حسناً).

لقول النبي ﷺ : (إنكم تدعون يوم القيام ة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم) (1).

وقال عليه الصلاة والسلام:

(إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل: عبد الله، وعبد الرحمن) (2).

ولقول النبي ﷺ :

(تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث، وهمام، وأقبحها: حرب ومرة) (3).

وم ن السنة أيضاً: أن يسمى المولود فى اليوم السابع من ولادته لأن رسول الله ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى والعق عنه - أى العقيقة.

وقد علق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين لعشياً كبشاً.

ومن السنة أيضاً: (أن يختنه ذكراً كان أو أنثى).

لقول النبي ﷺ : «الختان سنة للرجال. مكرمة للنساء» (4).

الحق الخامس: - (أن يعلمه القرآن).

لقول النبي ﷺ : «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب، والسباحة، وأن لا يرزقه إلا طيباً» (5).

(1) أبو داود.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أبو داود، والنسائي.

(4) رواه أحمد والبيهقى.

(5) رواه البيهقى.

وعن علي - كرم الله وجهه - : أن النبي ﷺ قال: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن. فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفیائه) (1).

ومن السنة: (أمره بالعبادات وهو في سن السابعة): لما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص. عن رسول الله ﷺ قال: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) (2). "وأن يفتح عليه بكلمة - لا إله إلا الله - عند بداية الكلام": لما روى عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: (افتحوا على صبيانكم أول كلمة - بلا إله إلا الله) (3).

والسر في ذلك لتكون كلمة التوحيد، وشعار الدخول في الإسلام أول ما يقرع سمع الطفل، وأول ما يفصح بها لسانه.

وكذلك: أن يؤدبه بالأدب الإسلامي لقول النبي ﷺ : «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم» (4).

وعن عبد الله ابن عامر - رضى الله عنه - قال: "جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا، وأنا صبي صغير فذهبت لألعب. فقالت أمي: يا عبد الله تعال حتى أعطيك. فقال رسول الله ﷺ : «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: تمرأ. فقال: «أما إنك لو لم تفعلی كتبت عليك كذبة» (5).

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: (أخذ الحسن بن علي - رضى الله عنه - تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه. فقال رسول الله ﷺ : «بخ. بخ. إرم

(1) رواه الطبرانی.

(2) رواه الحاكم، وأبو داود.

(3) رواه الحاكم.

(4) رواه ابن ماجه.

(5) رواه أبو داود.

بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة» (1).

ونستطيع أن نرى من وصية رسول الله ﷺ لابن عباس - رضى الله عنهما - وهو غلام صغير كيف يربى الرسول ﷺ أبناء الأمة الإسلامية، وكيف يغرس فيهم العقيدة التى تخلق من الغلام رجلاً، ومن الجبان شجاعاً، ومن الضعيف قوياً ليفخر به الإسلام.

عن ابن عباس قال: لئن خلف النبى ﷺ فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام، وجفت الصحف» (2).

والله تعالى أعلم

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

الحمد لله /

الحمد لله القدير على كل شيء، الخبير بكل شيء.
وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. بيده الأمر كله ومنه الخير كله، ولا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله. الذى أَرْضَى الله - تعالى - ولم يبال بإغضاب سواه فى رضاه - جل علاه -.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذى.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ما انتصر الشرع وعم النفع. صلاة
تملاً الأراضين، والسموات السبع. صلاة تبارك لنا بها كل فرد وجمع. وعلى آله
وصبحه الذين جاهدوا لنصر الدين والشرع، ولم يبالوا بسخط الناس في رضا الله
- تعالى - فكان لهم نصيراً، وفازوا فوزاً عظيماً. أولئك حزب الله ألا إن حزب
الله هم المفلحون.

أما بعد

عباد الله /

روى الترمذى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: قال رسول الله ﷺ :
«من أَرْضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله
كفاه الله مؤنة الناس».

عباد الله /

ربنا المحيط بنا، القريب منا. المالك لنا. المدبر العليم الحكيم. بيده الملك
والسلطان، والعز والإسعاد. وكل مخلوق في ظل رحمته، وتحت تصرفه:
{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِ
مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 26].
ذلكم الله بيده قلوبنا يصرفها كيف يشاء، وهو الذى يملك الخير كله والنفع
كله والضرر كله.

فهل يليق بنا أن نسوى به الناس؟ فضلاً عن أن نرضيهم ونسخطه . فمهما
كثر مالهم، وعظم جاههم، واشتدت قواهم. فما هم إلا عبيد فقراء إلى الله - تعالى
-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} [فاطر: 15- 17]. ولذلك التزم الصحابة
- رضى الله عنهم - إرضاء الله وحده في تصرفاتهم، ولم يبالوا بسخط الناس ولو

كانوا آباءهم أو أمهاتهم: فهذا هو ذا سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - يقول: "كنت رجلاً براً بأبى. فلما أسلمت قالت: يا سعد: ما هذا الدين الذى قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا أكل أو أشرب حتى أموت فتعير بى. فيقال: يا قاتل أمك.

قلت: لا تفعلى يا أمه. فإنى لا أدع دينى لهذا الشئ.

قال سعد: فمكثت يوماً لا تأكل. فأصبحت وقد جهدت.

قال: فمكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل. فأصبحت وقد اشتد جهدها. قال: فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس. فخرجت نفساً نفساً ما تركت دينى هذا الشئ. إن شئت فكلى، وإن شئت فلا تأكلى.

فلما رأت ذلك أكلت. فأنزل الله قوله تعالى:

{وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: 8].

وهذا أبو عبيدة عامر بن الجراح ذلكم الصحابى الجليل الذى كان بطلاً عظيماً من أبطال المسلمين المجاهدين، وكان أبوه فارساً مغوراً من أساطين المشركين، وقد غاظه اعتناق أبى عبيدة للإسلام، وترك دين الأصنام، و اتباع رسول الله ﷺ فحرص على قتل ولده، وقد تصدى له فى غزوة أحد محاولاً قتله ولكن الابن البار حول سيفه عنه مجاهداً غيره، فعمل ذلك الأب على قتل ولده، فالتقى به مرة ثانية، فوجه إليه ضربة قاسية فلم تصب أبا عبيدة بسوء، وبعد عنه أبو عبيدة، ولكن ذلك الأب المصمم على قتل ولده أخذ يبحث عنه حتى التقى به مرة ثالثة، والغيط الشديد باد عليه. فرأى أبو عبيدة حينئذ أن أباه فى تصدى ه له وإصراره على قتله من أجل الإسلام ، لا يرجع عن عداوة الإسلام وكرهه انتشار دعوته بين الناس. فقابل أباه، ولم يعرض عنه كما أعرض سابقاً، ولكنه أهوى على أبيه بسيفه فقتله إرضاءً لله تعالى، ونصرة لدينه، وهذه ساعة من ساعات التاريخ الفاصلة اهتزت لها السماوات، وسجلتها الملائكة فى سجلات

الشرف والإحسان.

ونزل جبريل على الرسول ﷺ بقول الله - تعالى - المبشر لأبى عبيدة بالرضوان وجنات تجرى من تحتها الأنهار:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة: 22].

وقد سرقت امرأة مخزومية فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه. فكلم النبي ﷺ فيها فقال له النبي ﷺ يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله - عز وجل - ثم قام النبي ﷺ خطيباً فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه. والذي نفسي بيده: لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها فقطع يد المخزومية» (1).

وهكذا كان ﷺ يرضى ربه ولا يبيالى بسخط الناس.

وكيف لا. وهو القائل: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» (2).

وهذا مصداق قول الله تعالى في حقه ﷺ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 65].

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } {

(1) رواه البخارى.

(2) رواه الحاكم.

فاتقوا الله عباد الله:

واستحيوا من الله، ولا تتركوا الطاعة، ولا تفعلوا المعصية من أجل الناس، ولا تكونوا ممن يتقربون إلى عظماء الدنيا بفعل ما يحبون، وإن أغضبوا رب العالمين، يرجون من وراء ذلك جاهاً أو مالاً أو وظيفة أو شيئاً ما من حطام الدنيا الفانى، وغفلوا عن أن المعطى فى الحقيقة وهو الله وحده قد يحرمهم ما أرادوا مع حرمانهم من فضله؛ فلا دنيا يصيبون ولا آخرة يكسبون: يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} [التوبة: 62].

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «لا يحقرن أحدكم نفسه. قالوا: يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أن لله عليه مقالاً ثم لا يقول فيه. فيقول يوم القيامة: ما منعك أن تقول فى كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول: فإياى كنت أحق أن تخشى»⁽¹⁾.

ويقول ﷺ: «من طلب محامد الناس بمعاصى الله عاد حامده من الناس له ذاماً»⁽²⁾.

ولنا فى الصفوة من خلق الله أسوة حسنة: فقد أسخط رسول الله ﷺ قومه بإرضاء ربه، فحارب شركهم فانتصر فقال مقالته المشهورة: (والله: لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه).

وكذلك أبوه إبراهيم - عليه السلام - من قبل أسخط عمه وقومه عبدة الأصنام، وأرضى ربه بتوحيده وطاعته، وتكسيه للأصنام. يقول الله تعالى:

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا

(1) رواه ابن ماجه.

(2) مجمع الزوائد للهيثمى.

فَنَظَّلَ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ [الشعراء: 69-78].

فاتقوا الله عباد الله:

واعلموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، وهو الذى يرضى عن أَرْضَاهُ، ويرضى قلب من أسخطه إرضاءً لله حتى يكون حامداً له لا ذاماً. قال ﷺ: «من أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه، ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه، حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينه» (1).

ويقول سلاله آل بيت النبى ﷺ الإمام الجعفرى - رضى الله عنه:

والمنا فى الدنيا تراهم أخوة	...	وقلوبهم شتى وإن قد أجمعوا
فإذا أردت رضاءهم فعليك أن	...	ترضى الإله فإنه لك أس
إن أنت أرضيت الإله رأيته	...	ملأ القلوب مودة لا تدف

مرع
ع -

والله تعالى أعلم

* * * * *

(1) رواه الطبرانى.

عيادة المريض

الحمد لله /

حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان
وشفاؤها، ونور الأبصار وضيائها.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد

عباد الله /

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «حق
المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع
الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»⁽¹⁾.

وقد أمر النبي ﷺ بعيادة المريض فى قوله: «أطعموا الجائع، وعودوا
المريض، وفكوا العانى»⁽²⁾.

وقد زار ﷺ المريض: فعن زيد بن أرقم. قال: "عادنى رسول الله ﷺ من وجع
كان بعينى"⁽³⁾.

فعيادة المريض سنة قولية وفعلية.

"ثواب عيادة المريض":

لقد بين لنا عليه الصلاة والسلام ثواب عيادة المريض:

عن ثوبان - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إن المسلم إذا عاد

(1) رواه الشيخان.

(2) رواه أحمد، البخارى.

(3) رواه أحمد، وأبو داود.

أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع ، قيل: يا رسول الله: وما خرفة الجنة؟ قال: جناها» (1).

معنى خرفة الجنة: ثمرة الجنة النضجة.

ومعنى "جناها": أى يؤول به ذلك إلى الجنة، واجتناء ثمرها.

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف فى الجنة» (2).

"الخريف: الثمر المخروف أى: المجتنى".

آداب عيادة المريض:

يستحب لعائد المريض أن يدعو له بالشفاء؛ لحديث عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أن أباها قال:

"اشتكت بمكة. فجاءنى النبى ﷺ يعودنى، ووضع يده على جبهتى، ثم مسح صدرى وبطنى. ثم قال: «اللهم اشف سعدا، وأتمم له هجرته» (3).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم أن يشفيك. إلا عافاه الله من ذلك المرض» (4).

وكان - عليه الصلاة والسلام - يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس ، أذهب البأس، اشف أنت الشافى لا شفاء إلا

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الترمذى.

(3) رواه أبو داود والبيهقى.

(4) رواه أبو داود.

شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما» (1).

وكان ﷺ إذا دخل على من يعود له قال: «لا بأس طهور إن شاء الله» (2).

ومن السنة أن يطيب العائد نفس المريض عملاً بقول النبي ﷺ: «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يرد شيئاً، وهو يطيب نفس المريض» (3).

وكما يدعو العائد للمريض يستحب له أن يطلب من المريض الدعاء لقوله ﷺ: «عودوا المرضى، ومروهم فليدعوا لكم فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور» (4).

ومن آداب العيادة: "أنك إذا كنت عند المريض وأردت أن تخفف آلامه، أو تقلل من شكواه. فذكره إن رأيته منه تقبلاً للتذكرة بقول رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه (أى: يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها» (5).

وذكره بقول المصطفى ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» (6).

وبقول النبي ﷺ: «إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع» (7).

وبقول الله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ البقرة:

(1) رواه الشيخان.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه الترمذى وابن ماجه.

(4) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(5) رواه الشيخان.

(6) رواه البخارى.

(7) رواه أحمد.

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضى الله عنه - قال:

"عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار ، فأكب عليه يسأله ، قال: يارسول الله: ما غمضت منذ سبع ليالٍ، ولا أحد يحضرني ، فقال رسول الله ﷺ : أى أخى: اصبر ، أى أخى: اصبر ر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها"(1).

وإذا رأيت تواكلاً من المريض، وعدم الأخذ بأسباب الشفاء فقل له: "كان من هدى النبي - عليه الصلاة والسلام - التداوى فى نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله:

يقول أسامة ابن شريك: "أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأن على رؤوسهم الطير. فسلمت، ثم قعدت.

فجاء الأعراب من هاهنا، وهاهنا. فقالوا: يا رسول الله: أنتداوى. فقال: تداووا فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواء. غير داء واحد: الهرم"(2).

وقال ﷺ : «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا، ولا تتداووا بحرام»(3).

ونهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث:

وقد سأل طارق بن سويد النبي ﷺ عن الخمر.

فنهاه. ثم سأله فنهاه. فقال له: يا نبي الله إنها دواء.

(1) رواه ابن أبي الدنيا.

(2) رواه أحمد وأبو داود.

(3) رواه أبو داود.

قال النبي ﷺ: «لا. ولكنها داء» (1).

"حكم عيادة الذمي":

قال جمهور العلماء بجواز عيادته إذا رجا منها مصلحة له، أو للعائد أو كان جاراً له لحديث ثابت عن أنس - رضى الله عنه -:

"أن غلاماً من اليهود مرض ، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه ، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه، وهو عند رأسه. فقال له أبوه: أطع أبا القاسم.

فأسلم، فقام النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار» (2).

كيفية صلاة المريض:

قال العلماء: إذا حصل للمؤمن عذر من مرض أو غيره لا يستطيع معه القيام، أو خاف بالقيام حدوث مرض، أو زيادته، أو تأخر شفائه فليصلي مستنداً إلى حائط، أو عمود أو حبل ، وإذا لم يستطع الركوع والسجود. فليومئ برأسه للركوع والسجود، ويجعل إيماءه للسجود أخفض من الركوع وجوباً.

فإن تعذر القيام مستنداً جلس مستقلاً - أى بدون استناد - وجوباً. فإن عجز عن الجلوس مستقلاً استند لشيء وجوباً، وإن لم يقدر على الجلوس مستنداً اضطجع على جنبه الأيمن ووجهه للقبلة، ويومئ للركوع والسجود برأسه.

فإن عجز عن الأيمن اضطجع على جنبه الأيسر ندباً.

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البخارى.

فإن لم يستطع فعلى ظهره ندباً، فإن لم يقدر استلقى على بطنه، ورأسه للقبلة وجوباً، ويومئ برأسه للركوع والسجود، وحسر عمامته عن جبهته وجوباً فى جميع الحالات.

ومن قدر على القيام والجلوس فقط، دون الركوع والسجود مثل من به وجع فى ظهره. فإنه يومئ للركوع من قيام، وللسجود من جلوس.

ومن قدر على صلاة ركعة من وقوف، ثم عجز بعد ذلك عن القيام فإنه يصلى ركعة من قيام ثم يتم صلاته جالساً.

ومن عجز عن جميع الأركان أ تى بالنية: بأن ينوى الدخول فى الصلاة ويستحضرها بقلبه مع إيماء بطرف، أو إصبع، ووجبت الصلاة بما قدر عليه، ولا يؤخرها عن وقتها ما دام المكلف فيه عقله.

لقول النبى ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (1).

وعن عمران بن حصين قال: "كانت بى بواسير ، فسألت النبى ﷺ عن الصلاة. فقال: صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنبك" (2).

أما عن وضوء المريض فإنه إذا لم يستطع الوضوء، أو لم يجد من يوضئه فإنه يتيمم وجوباً على حجر أو حائط أو تراب طاهر.

* * * * *

(1) متفق عليه.

(2) رواه الجماعة إلا مسلم، وزاد النسائى: "فإن لم تستطع فمستلقياً لا يكلف الله نفساً إلا وسعها".

اتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس

الحمد لله /

الحمد لله رب العالمين. الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير فهو الأول بغير بدء، والآخر بغير انتهاء. سبحانه!. سبحانه!

نفوذ بالإيجاد والإعدام فكل شىء منه وإليه المرجع والمآل،
وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. يدبر الأمر يفصل الآيات لعلم
بلقاء ربكم توقنون.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذى با لصلاة عليه ندخل فى لطف الله
السريع الذى به كل أمر يهون.

فللهم أدخلنا به فى حفظك المنيع الذى من دخل فى دوائته فهو المحفوظ
المكنون.

وعلى آله وسلم واجعلنا اللهم من أهل عونك يا قوى يا معين.

أما بعد

عباد الله/

يا أتباع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: فإذا كنا فى
الجمعتين الماضيتين قد فقهننا، وعقلنا قول النبى الكريم ﷺ: «حق المسلم على
المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة،
وتشميت العاطس»⁽¹⁾.

(1) منفق عليه.

أما عن اتباع الجنازة:

فإن النبي ﷺ أوصى أبا ذر فقال له: "زر القبور تذكر بها الآخرة، و اغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو م وعظمة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير"(1).

ويقول عليه الصلاة والسلام: (عودوا المريض، وامشوا مع الجنائز. تذكركم الآخرة)(2).

ويقول عليه الصلاة وأتم السلام: «من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراطان أصغرهما مثل جبل أحد، أو أحدهما مثل أحد»(3).

وروى مسلم عن خباب - رضى الله عنه - قال: "يا عبد الله بن عمر: ألا تسمع ما يقول أبو هريرة: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «م ن خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر. كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أحد». فأرسل ابن عمر خباباً إلى عائشة - رضى الله عنها - يسألها عن قول أبى هريرة، ثم يرجع عليه فيخبره بما تقول.

فقل: قالت عائشة: صدق أبو هريرة.

فقل ابن عمر - رضى الله عنهما -: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة"(4).

ومن الآداب التى يجب علينا أن نتبعها، والتى علمتنا إياها تعاليم الإسلام السمحة، وبينها لنا الرسول الكريم ﷺ :

(1) رواه الحاكم.

(2) رواه أحمد والبخاري.

(3) رواه البخاري، ومسلم.

(4) رواه مسلم.

استحباب الإسراع بالجنائز:

فقد قال عليه الصلاة والسلام:

«أسرعوا بالجنائز فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» (1).

وروى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: "كان النبى ﷺ يقول: «إذا وضعت الجنائز فاحتملها الرجال على أعناقهم. فإن كانت صالحة قالت: قدمونى. وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها! أين تذهبون بها. يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق» (2).

ويستحب تعجيل قضاء الدين عن الميت:

قال عليه الصلاة والسلام: (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) (3).

كما يستحب الدعاء للميت بعد الدفن:

فقد كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيك، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل» (4).

وأما عن إجابة الدعوة:

فإن النبى ﷺ يقول: «إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب. فإن شاء طعم، وإن شاء ترك» (5).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله،

(1) منفق عليه.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه الترمذى.

(4) رواه أبو داود.

(5) رواه مسلم.

ومن دخل على غير دعوة دخل سارقاً، وخرج مغيراً أو مختطفاً» (1).

وأما عن تشميت العطاس:

فإن النبي ﷺ يقول: «إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب. فإذا عطس أحدكم فحمد الله - تعالى - لئان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع. فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان» (2).

وقال عليه الصلاة والسلام:

(إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله. وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فإن قال له يرحمك الله. فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم) (3). أى: شأنكم. وعن أنس - رضى الله عنه - قال: "عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر. فقال له الذى لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست فلم تشمتنى. فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: ه ذا حمد الله تعالى، وأنت لم تحمد الله تعالى) (4).

ه ذا ودينزل الحنيف يعلمنا الآداب التى يجب علينا أن نسير على هديها:

ومنها: آداب العطاس والتثاؤب:

فقد قال أبو هريرة - رضى الله عنه -:

"كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه، وخفض أو غض بها صوته" (5).

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه البخارى.

(4) رواه البخارى.

(5) رواه أبو داود والترمذى وقال صحيح.

وقال ﷺ : «إن الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس» (1).

وإذا تكرر العطاس متتابعاً فالسنة: أن تشمت العطس ثلاثاً.

وعن سلمة بن الأكوع قال:

"عطس رجل عند رسول الله ﷺ وأنا شاهد فقال رسول الله ﷺ : يرحمك الله.

ثم عطس الثانية، والثالثة. فقال له الرسول ﷺ يرحمك الله هذا رجل مزكوم" (2).

ومن السنة أن يضع المتثائب يده على فمه:

قال عليه الصلاة والسلام: «إذا تثاوب أحدكم فليمسك يده على فمه فإن الشيطان يدخل» (3).

وأيضاً يضع يده اليمنى ظاهراً أو باطناً، ويضع ظاهر اليسرى فقط. والعلة فى الحمد بعد العطاس.

هـ: أن الله عز وجل عافاه مما قد يؤدى به العطاس إلى اضطراب بعض الأعضاء فى جسم الإنسان نظراً لأن العطاس يحرك كل عرق فى الجسد.

فلذا عطس الإنسان ووجد نفسه فى عافية فليحمد الله - سبحانه وتعالى - على ما منحه الله إياه من صحة وعافية.

والله تعالى أعلم

* * * * *

(1) رواه ابن السنى.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه مسلم.

آداب الاستئذان والزيارة في الإسلام

الحمد لله /

يحب الطائعين الممتثلين لأوامره، المجتنبين لنواهيه وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له في ملكه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله. قال في حديثه الشريف: (من سبق طرفه استئذانه فقد دمر)⁽¹⁾.

صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا طريقه فكانوا من المفlichen.

أما بعد

فيا عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [النور: 27-29].

عباد الله /

يؤدبنا اله - عز وجل - في هذه الآيات بآداب جليلة، ويدعونا إلى التخلق بكل أدب رفيع: فيأمرنا بالاستئذان عند إرادة الدخول إلى بيوت الغير بالتلطف عند طلب الاستئذان، وبالسلام على أهل المنزل؛ لأن ذلك مما يدعو إلى المحبة والوئام.

وبينها عن الدخول بغير إذن؛ لئلا تقع أعيننا على ما يسوء أهل المنزل. فينبغي للزائر أن يستأذن عند دخول بيت من بيوت المسلمين ثلاث مرات. فإن أذن له، وإلا انصرف.

(1) أخرجه القرطبي في تفسيره.

كما ثبت في الصحيحين:

"أن أبا موسى الأشعري - رضى الله عنه - استأذن على سيدنا عمر - رضى الله عنه - ثلاثاً - فلم يؤذن له. فانصرف. ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ انذروا له. فطلبوه. فوجدوه قد ذهب.

فلم جاء بعد ذلك (أبو موسى) قال: ما أرجعك؟ قال: إني استئذنت ثلاثاً. فلم يؤذن لى. وإني سمعت النبي ﷺ يقول: (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له. فليصرف).

فقال عمر: لتأتيني على ه ذا بيينة، وإلا أوجعتك ضرباً.

فذهب أبو موسى إلى ملا من الأنصار فذكرو لهم ما قال عمر.

فقالوا: لا يشهد لك إلا أصغرنا. فقام معه سيدنا أبو سعيد الخدري. فأخبر عمر بذلك.

فقال عمر: ألهانى عنه الصفق بالأسواق.

وفى رواية: (أن سيدنا عمر قال لأبى موسى: إني لم أتهمك ولكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ فأردت أن أتثبت) (1).

وهذا سيدنا أنس بن مالك:

يروى "أن النبي ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال: السلام عليك ورحمة الله. فقال سعد: و عليك السلام ورحمة الله. ولم يسمع النبي ﷺ حتى سلم ثلاثاً. ورد عليه سيدنا سعد ثلاثاً، ولم يسمعه. فرجع النبي ﷺ فانتبه سعد. فقال: يا رسول الله: بأبى أنت وأمى: ما سلمت تسليمة إلا وهى بأذنى. ولقد رددت عليك لم أسمعك وأردت أن أستكثر من سلامك، ومن البركة.

(1) رواه الشيخان.

ثم أدخله البيت: ففرب إليه ذبيبا. فأكل نبى الله ﷺ فلم ا فرغ قال: (أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون)⁽¹⁾.

كيف يقف المستأذن على الباب:

من الآداب الشرعية فى الاستئذان: ألا يقف الزائر أمام الباب أو فى جهة الباب، ولكن يجعله عن يمينه أو شماله: فعن عبد الله بن بشر قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر. فيقول: السلام عليكم."⁽²⁾.

فقد صح أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ يستأذن فقام على الباب. (أى: مستقبل الباب).

فقال له النبى ﷺ: «هكذا عنك أو هكذا (أى: يميناً أو شمالاً) فإنما الاستئذان من النظر»⁽³⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سرق طرفه استأذنه فقد دمر»⁽⁴⁾.

فيجب على المسلم أن يلتزم بهذا الأدب فى عصرنا هذا فإن البيوت ولو كانت مغلقة. فإن الطارق إذا استقبلها بوجهه فإنه قد يقع نظره عند فتح الباب على ما لا يجوز، أو ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه.

فى الصحيحين: عن النبى ﷺ: «لو أن امراً أطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقت عينيه ما كان عليك من جناح»⁽⁵⁾. أى: دم عينيه هدر لا دية لهما).

(1) رواه أحمد.

(2) رواه البخارى فى الأدب.

(3) رواه أبو داود.

(4) أخرجه القرطبى فى تفسيره.

(5) رواه الشيخان.

كيف يرد المستأذن على صاحب المنزل؟:

ينبغى للمستأذن إذا رد عليه أهل المنزل أن يذكر اسمه ولا يقول: أنا. أنا ؛ لكرَاهة ذلك، أو لكرَاهة النبى ﷺ ذلك فعن جابو بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: أتيت النبى ﷺ فى دين كان على أبى. فدققت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. قال: أنا. أنا. كأنه كرهه⁽¹⁾.

وإنما كره ذلك ؛ لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التى هو مشهور بها، وإلا فكل أحد يعبر عن نفسه "بأنا" فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذى هو مقصود بالاستئناس فى الآية.

ويربغى للزائر بعد ذكر اسمه أن يبدأ بالسلام كما قال عليه الصلاة والسلام: «السلام قبل الكلام»⁽²⁾.

وسبب نزول ذلك: "عن عدى بن ثابت - رضى الله عنه - أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله: إني أكون فى منزلى على الحال التى لا أحب أن يرانى أحد عليها لا والد، ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحال. فنزلت الآية"⁽³⁾.

الاستئذان على الأقارب والمحارم:

ومن الآداب السامية: أن يستأذن الإنسان على المحارم والأقارب.

لما روى أن رجلاً قال للنبى ﷺ : «أستأذن على أمى؟» قال: نعم. قال: إنها ليس لها خادم غيرى أفأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال عليه الصلاة والسلام: «أتحب أن تواها عريانة؟» قال الرجل: لا. قال: «فأستأذن عليها»⁽⁴⁾.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذى.

(3) أخرجه الطبرى فى تفسيره.

(4) أخرجه الطبرى فى تفسيره.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه:

إذا دخل الرجل بيته يستحب له أن يتنحى، أو يحرك نعليه لما جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : «أنه يكره أن يطرق الرجل أهله طروقاً» وفى رواية: «ليلاً يتخونهم» (1).

الحالات التى يباح فيها الدخول بغير إذن:

هناك حالات اضطرارية تبيح الدخول بغير إذن، وذلك إذا عرض أمر فى دار من حريق أو هجوم سارق، أو ظهور منكر فاحش. كما نبه على ذلك العلماء.

وهناك أماكن عامة يدخل فيها الإنسان بغير إذن مثل: البيت المعد للضيوف، وأماكن البيع والشراء، ومنازل الأسفار والفنادق، وكل ما فيه مصلحة عامة للمسلمين.

استئذان الخدم والصبيان:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور: 58].

بين الله - عز وجل - فى هذه الآيات : الأوقات التى يجب على الأطفال الاستئذان فيها وهى:

1- وقت الفجر: أى قبل صلاة الفجر.

2- وقت الظهر.

(1) رواه أحمد.

3- بعد العشاء.

وإنها خص هذه الأوقات الثلاثة؛ لأن أهل المنزل فى ذلك الوقت يتهيأون للنوم. لما روى أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج. إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه. وقت الظهر ليدعوه فوجده نائماً قد أغلق عليه الباب. فدق عليه الغلام الباب. فناداه. ودخل. فاستيقظ سيدنا عمر، وجلس. فانكشف منه شيء. فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا، وخدمنا عن الدخول فى هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجداً شكراً لله - سبحانه وتعالى - (1).

عباد الله /

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين حيث أمرهم ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم دون استئذان؛ لأن الرجل فى الجاهلية كان إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول:

حييت صباحاً، وحييت مساءً. وكان ذلك تحية القوم بينهم، وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول: قد دخلت، ونحو ذلك.

فيشرق ذلك على الرجل، ولعله يكون مع أهله.

فغضب الله ذلك كله فى ستر وعفة، وجعله رقبياً بريئاً من الدنس والدرن.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: 27].

قال عليه الصلاة والسلام:

(من سبق طرفه استئذانه فقد دمر) (2).

(1) أخرجه القرطبى فى تفسيره.

(2) أخرجه القرطبى فى تفسيره.

والله تعالى أعلم

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله /

الحمد لله الذي جعل أمة الإسلام خير الأمم، وأنعم عليها بالشرع الشريف ومكارم الأخلاق ، وطهارة الذمم، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى الله كما أمر الله. القائل في حديثه الصحيح: - (يا أيها الناس: إن الله سبحانه يقول: "لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)⁽¹⁾.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة تكشف بها الران عن قلوبنا، وتيسر بها أمورنا، وتستتر بها عيوبنا، وتغفر بها ذنوبنا، وتقضى بها ديوننا، وتزكى بها نفوسنا، وتنور بها أبصارنا وقلوبنا، وعلى آله وأصحابه ذوى العدل والفضل والعلم والعرفان.

أما بعد

فيا عباد الله:

يقول الله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

إخوة الإسلام:

إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو

(1) أخرجه أحمد والبيهقي.

الذى بعث الله به النبيين، وهو المهم الذى لو طوى بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وظهر الفساد، وشاعت الجهالة، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد.

والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر واجب كفاى على من قدر عليه من المسلمين وعلم أحكامه.

فقد بين الله تعالى أن الفلاح منوط به. حيث قال تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المائدة: 78، 79]. أما إذا تقاعس عنه الخلق أجمعون عم الحرج، واتبعت الشهوات، وظهر الفساد فى البر والبحر.

ولقد لعن اله تعالى الذين كفروا من بنى إسرائيل؛ لأنهم هجروا الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر. قال الله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: 78، 79].

وقال تعالى: {لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: 63].

وقد أهلك الله من الأمم السابقة من كانوا يهجرون الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود: 116].

وعن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال فى خطبة خطبها: "أيها الناس: إنكم تقرأون هذه الآية وتوولونها على خلاف تأولها:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة: 105].

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم عملوا بالمعاصي، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعصمهم الله بعذاب من عنده» (1).

وقد سأل أبو ثعلبة الخشني رسول الله ﷺ عن تفسير هذه الآية: فقال: "يا أبا ثعلبة مر بالمعروف، وانه عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأى برأيه. فعليك بنفسك، ودع عنك العوام. إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم.

قيل: بل منهم يا رسول الله. قال: لا. بل منكم.

لأنكم تجدون على الخير أعواناً، ولا يجدون عليه أعواناً" (2).

وقد أمرنا النبي ﷺ بأن نأمر بالمعروف، وأن ننهي عن المنكر، فقال - عليه الصلاة والسلام -: "لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم. ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لكم" (3).

أي: تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم.

عباد الله /

أعلموا أن الله تعالى قد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71].

(1) رواه الترمذي وغيره.

(2) رواه أبو داود ولترمذي.

(3) البزار، الطبراني.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: 110].

فبين الله تعالى أن الأمة المحمدية خير أمة أخرجت للناس؛ وذلك بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، وهو سبب النجاة من مقت الله تعالى، وعذابه في الدنيا والآخرة. قال تعالى:

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَّيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: 165].

وقد قرن الله تعالى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بأركان الإسلام دليلاً على أهميته، فنعت به الصالحين، والمؤمنين. فقال سبحانه: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: 41].

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لمن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ولمن هجر ذلك:

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم، وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» (1).

عباد الله /

اعلموا أن الخير في زماننا هذا أصبح شحيحاً، وأصبحت التقوى عزيزة

(1) رواه البخاري.

وأصبح المعين على التقوى قليلاً، وأصبح المعين على معصية الله كثيراً ففي هذا الزمن كثرت المنكرات فمن ذلك: ترك الصلاة من المسلمين البالغين، ولا أحد يأمرهم بها، ولا ينهاهم عن تركها وبخاصة النساء ، فالنساء فى هذا الزمن أكثرهن لا يصلين، وظن أزواجهن أنهم ناجون ولا شأن لهم بهن، ولكنهم مخطئون واهمون، فهناك يوم القيامة مقاضاة.

يقول العاصى: يا رب هذا عبدك رآنى ولم ينهنى ومن باب أولى زوجة الإنسان.

واعلموا عباد الله /

أنه ليس أى إنسان يستطيع الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر فلا بد من العلم بحدود الله وأوامره ونواهيه حتى يقدر على إرشاد العباد وتبصيرهم ، والمنكرات فى زماننا كثيرة، ونشير إلى أمثلة منها:

منكرات المساجد: إساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود، واللحن فى القراءة، والكلام فى المسجد لغير علم أو إصلاح الصلاة.

منكرات الأسواق: منها: الكذب فى المراجعة، وإخفاء العيوب، والربا.

منكرات الشوارع: تضيق الطريق، وربط الدواب على الطريق بما يؤذى الناس، ورش المياه القذرة بما يوقع الأذى للمارة.

منكرات عامة:

الإسراف فى الحزن بإقامة السرايدات الفاخرة، والإسراف فى الفرح بإقامة الزينات الباهرة، والإسراف فى المهور، وتكليف الناس ما لا يطيقون. وغير ذلك كثير... الخ.

قال عليه الصلاة والسلام: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر. أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم» (1).

وقال ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو ذكراً لله تعالى» (2).

* * * * *

الإصلاح بين الناس

الحمد لله /

أمر المؤمنين بالإصلاح بين المتخاصمين منهم؛ ليكون في ذلك صلاح حالهم، واجتماع كلمتهم. فقال سبحانه: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال: 1].

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له: نهى عن التنازع، والاختلاف، والخصومة، والشقاق. فقال: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46].

وأشهد أن سيدناً محمداً عبده، ورسوله. نبي المودة الذي ألقيت عليه مودة منك، ورسول الرحمة التي هبطت إليه الرحمة منك.

فهو نبي مودتك، ورسول رحمتك، المعزز بعزتك، والمؤيد بنصرتك وقوتك، والمبين لكتابك وشريعتك، والهادي لخليقتك وأهل طاعتك، والمبشر للمؤمنين بنعيمك وجنتك، والناصر لحزبك ودعوتك ، عليه منك أفضل صلواتك، وأتم تسليماتك، وعلى آله ملء أرضك وسماواتك.

(1) البزار والطبراني.

(2) رواه الترمذي وابن ماجه.

أم - بعد

عباد الله /

روى البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد:

"أن أهل قباء - ضاحية من ضواحي المدينة - اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة.

فقال رسول الله ﷺ: «أذهبوا بنا نصلح بينهم»⁽¹⁾.

وقال أنس بن مالك - رضى الله عنه -:

"بينما رسول الله ﷺ جالس بين أصحابه إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه.

فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى؟ قال:

"رجلان من أمتى جثياً - بركا على ركبتيهما - بين يدي رب العزة.

فقال أحدهما: يا رب خذلى مظلمتى من أخى.

فقال الله: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شىء؟

قال: يارب: فليحمل من أوزارى.

وفاضت عينا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بالبكاء.

ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم.

فقال الله للطالب: ارفع بصرك فانظر.

فرفع فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ.

لأى نبي هذا؟ أو لأى صديق هذا؟ أو لأى شهيد هذا؟

قال: لمن أعطى الثمن. قال: يا رب ومن يملك ذلك؟

قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟

(1) رواه البخارى فى صحيحه.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

قال: بعفوك عن أخيك. قال: فإنى قد عفوت عنه. قال: فخذ بيد أخيك، وأدخله الجنة.

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم. فإن الله يصلح بين المسلمين» (1).

عباد الله /

إن عملاً يعملُه الهف سبحانه - بنفسه ويصف أثره بقوله: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} [النساء: 128] لا يشك عاقل فى عظمته، وروعته، ولأهمية الصلح بين الناس كثرت الأوامر من الله به فى أكثر من آية فى كتابه العزيز، وحسبنا قوله تعالى:

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 9، 10].

ولقد استجاب السلف الصالح - رضى الله عنهم - لأمر الله بالإصلاح بين المتخاصمين. فما كان يطول بينهم خصام.

وتمسكوا بقوله تعالى:

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: 103].

ولقد وقى الله المسلمين من شر العداوة التى ابتلى بها اليهود والنصارى، فضعفت قوتهم، ووقعت العداوة والبغضاء بينهم إلى القيامة:

(1) رواه الحاكم، البيهقى.

{وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: 64].

ولا شك أن الاتحاد قوة، والتفريق ضعف:

قال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم. مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (1).

وأيضاً عنى الإسلام بالتحذير من أسباب التفريق والاختلاف:

قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يَبِغْ أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره. التقوى هاهنا ويشير ﷺ إلى صدره (ثلاثاً). بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» (2).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا. وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (3).

قال الله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: 40].

عن عائشة - رضى الله عنها - عن رسول الله ﷺ قال: «عفوا تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناءكم، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد على الحوض» (4).

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخارى، مسلم.

(4) رواه الطبرانى فى الأوسط.

ولأن الإصلاح بين الناس هدف عظيم فيجوز لمصلح أن يكذب فى سبيل الإصلاح: يقول عليه الصلاة والسلام: «ليس الكاذب من أصلح بين الناس. فقال خيراً أو نعى خيراً»⁽¹⁾.

ولقد دعانا النبى ﷺ إلى الإصلاح بين الناس شكراً لله، وصدقة نتقرب بها إليه فقال - عليه الصلاة والسلام - : «كل سلامى - عضو - من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه شمس، تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»⁽²⁾.

وقد عنى الإسلام بالصلح بين الزوجين؛ لأنهما أساس الأسرة التى هى أساس المجتمع فقال - سبحانه -: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: 35].

قال ﷺ : «من أصلح بين الناس أصلح الله - تعالى - أمره، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة، ويرجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه»⁽³⁾.

فإصلاح ذات البين من أسباب تماسك المجتمع وترباطه، وهى تجارة لن تبور:

قال عليه الصلاة والسلام لأبى أيوب الأنصارى: «ألا أدلك على تجارة؟» قال: بلى، قال: «صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا»⁽⁴⁾.

وفساد ذات البين، وترك الخصام والشقاق يستفحل بين الناس من أسباب فساد المجتمع، وتفكك أواصره:

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البخارى، مسلم.

(3) رواه الأصبهاني.

(4) رواه البزار عن أنس.

قال ﷺ : «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟»
قالوا: بلى. قال: «إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول
تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»⁽¹⁾.

فاتقوا الله:

وأصلحوا بين الناس وبينكم، واحذروا الإفساد بين المتحابين.

وما أحسن قول القائل:

إن الفضائل كلها لو جمعت رجعت بأجمعه إلى شيني من
تعظيم أمر الله جل جلاله والسعى في إصلاح ذات البين .

قال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، وتعاطفهم
مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى»⁽²⁾. والله تعالى أعلم

* * * * *

(1) رواه الترمذی.

(2) متفق عليه.

التوسط والاعتدال فى الأمور

الحمد لله /

على نعمائه، والشكر له على سائر آلائه. ربنا لك الحمد حمداً يوافى نعمك
ويكافئ مزيدك. كما خصصتنا بنعمك، وتداركتنا بإحسانك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

قال وقوله الحق: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، وجه أتباعه
للوسطية والاعتدال فى جميع شئون الحياة الدنيوية والأخروية.

فصلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله. يا من بعثت رحمة للعالمين
صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك الهداة المهديين.

أمـا بعد

فيا إخوة الإيمان:

إن ديننا الحنيف يدعونا إلى الاعتدال والتوسط فى جميع الأمور، وينهانا عن
الغلو والتشدد المفسد للدين. وقد ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «خير
الأمور أوسطها»⁽¹⁾.

وقيل لابن عباس: إن العرب تقول: حبُّ التناهى شطط. خير الأمور الوسط.
فهل هذا موجود فى القرآن؟

(1) أخرجه البيهقى فى الشعب مرسلأ.

قال: نعم، فى أربعة مواضع:

1- فى قوله تعالى فى وصف بقرة سيدنا موسى - عليه السلام -: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} [البقرة: 68].

أى: وسط بين الكبر والصغر فى السن.

2- وفى قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء: 29]. أى: فتوسط بين الأمرين فى الإنفاق.

3- وفى قوله تعالى:

{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: 110]. وهذا السبيل هو الوسط فى القراءة.

4- وفى قوله - تعالى - فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين:

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67]. أى: وسطا فى المعيشة.

ومن هنا ندرك أن ديننا الحنيف دين اعتدال وتوسط. يربط الإنسان بربه وبالناس من حوله، وبوطنه الذى يعيش فيه فلا إفراط ولا تفريط، ولا انحراف ولا زيغ. دين لا يعرف التشدد أو المغالاة: عن أنس - رضى الله عنه - قال:

"جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها "عدوها قليلة" فقالوا: أين نحن من النبى ﷺ؟ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال:

أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له. لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني⁽¹⁾.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه -: عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»⁽²⁾.

فخذوا عباد الله من دنياكم لآخرتكم، واحذروا المغالاة والتشدد فخيركم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم، ومن آخرتهم لدنياهم.

ففى الحديث الشريف، قال - عليه الصلاة والسلام -: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، والآخرة للدنيا. ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه»⁽³⁾.

قد ورد أن عيسى بن مريم عليه السلام لقي رجلاً فقال: ما تصنع قال: أتعبد. قال: من يعود عليك؟ قال: أخى. قال: أخوك أعبد منك.

وفى هذا دعوة إلى العمل الجاد البناء الذى يعود بالخير على الوطن والمواطن واعلموا عباد الله: أن الله بعث نبيه بالحنيفية السمحة، ولم يبعثه بالرهبانية المبتدعة كما أخبرنا ﷺ بقوله: «إنما بعثت بالحنيفية - السمحة ولم أبعث بالرهبانية البدعة.. فكلوا اللحم وانتوا النساء وصوموا وأفطروا وصلوا وناموا فإني أمرت بذلك»⁽⁴⁾.

(1) متفق عليه.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه ابن عساكر والديلمى بمعناه.

(4) رواه الطبرانى.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق فإن المُنبَتَّ لا أرضا قطع، ولا ظهراً أبقى» (1).

معنى "أوغل": ادخل

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «يسرّوا ولا تعسرّوا، وبشّروا ولا تنفروا» (2).

فلاحظوا كلّ هذا إخوة الإيمان؛ حتى تكونوا من أهل الوسطية والاعتدال، واحذروا المتنطعين المغالين المتشددین فی الدين. فقد قال ﷺ: «هَلْكَ المتنطعون» قالها ثلاثاً (3).

وعن أبي مسعود الأنصاري - رضى الله عنه - قال: "قال رجل: يا رسول الله: إنى لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذ ثم قال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجز فإن خلفه الضعيف، والكبير وذا الحاجة» (4).

ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - أطول الناس صلاة إذا صلى بنفسه حتى أنه كان يقوم الليل فيطيل القيام حتى تتورم قدماه، ولكنه كان أخف الناس صلاة إذا صلى بالناس مراعيّاً ظروفهم، وتفاوتهم في الاحتمال.

لذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم بنفسه فليطول ما شاء» (5).

(1) رواه البزار عن جابر.

(2) رواه أبو داود وصححه السيوطي.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه البخاري.

(5) رواه البخاري.

ويقول - عليه السلام - فيما رواه أنس: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»⁽¹⁾.

(1) رواه البخاري.

الخطبة الثانية

عدم التفريط في الطاعة:

قال - عليه الصلاة والسلام - : «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» (1).

قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - : "ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه" (2).

وقال الإمام الحسن البصري في الحث على العمل وعدم التفريط: "ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قوماً غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم. وقعدوا وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا. فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل". والله تعالى أعلم.

التوسط والاعتدال من شعائر الإسلام

الحمد لله /

بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له: أمر عباده بالتوسط والتدبير، ونهاهم عن الإسراف والتبذير. فقال - سبحانه وتعالى - :

{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

(1) رواه الطبراني في الكبير.

(2) رواه البخاري.

مَحْشُورًا {الإسراء: 29}.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله. القائل: "من فقه الرجل قصده فى معيشتة"⁽¹⁾.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذى جاء بالإسلام والإيمان، والعدل والإحسان وعلى آله وسلم، وارضى عن أهل بيته أعم الرضوان.

أمـا بعد

فيقول الله - تبارك وتعالى - فى محكم كتابه وهو أصدق القائلين:

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} {الأعراف: 31}.

هذه آية صادقة من كتاب الله تبارك وتعالى يأمرنا فيها بالتوسط والاعتدال فى كل شىء حتى فى الطعام والشراب وهما أهم ضرورات الحياة. ولقد مدح الله - تعالى - عباده المؤمنين بالتوسط فى الإنفاق فلا تقتير ولا إسراف.

فقال - سبحانه -:

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} {الفرقان: 67}.

وفى التوسط فى الإنفاق خير العباد ومصلحتهم، ودفع للفقر والحاجة عنهم، فإن الدنيا لا تدوم على حال، وحاجات الحياة لا تنتهى.

وينبغى للمرء ألا ينظر إلى نفسه فقط بل إلى أولاده وأهله ومن هم فى كفالته، وأن يجعل للفقراء والمحتاجين نصيباً فى مال الله الذى بين يديه، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط.

(1) رواه أحمد.

وعلى الإنسان أن يعلم أنه مخلوق فى هذه الحياة الدنيا لغاية عظمى أسمى من مجرد إنفاق المال، وامتلاء البطون، وارتداء الفاخر من الثياب، ولكن ثواب المؤمنين وجزاؤهم وتنعمهم إنما هو مدخر لهم فى الحياة الباقية الخالدة.

قال الله - تعالى -: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد: 12].

فالمؤمن الصادق هو الذى يقسم رغباته بين دنياه وأخراه، فالدنيا وسيلة إلى الآخرة، وليس من يعمل للآخرة كمن يجعل الدنيا همه ومبلغ علمه.

قال تعالى: {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [البقرة: 200، 201، 202].

وقد نُصح قارون بأن يعتدل فى حياته، ويقتصد فى طلب الدنيا، ويعمل حساباً للآخرة:

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 77].

إن الإسلام يوصى المرء ألا يكون عبد بطنه يعيش فى الدنيا ليأكل ويغدو ويروح، وليس له هم إلا أن يجمع على مائدته ألوان الطعام.

إن فى قلة الأكل منافع كثيرة منها:

أن يكون الإنسان أصح جسماً، وأجود حفظاً، وأزكى فهماً، وأقل نوماً، وأخف نفساً.

وكثرة الأكل مفسدة للمعدة، مجلبة للنوم والخمول، والأمراض المختلفة وقد بين لنا ﷺ هذا المعنى فقال: «ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (1).

ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني ماهر، فقال لعلّ بن الحسين - رضى الله عنه -: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان.

فقال له على - رضى الله عنه -: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا.

فقال له: ما هي؟ فقال: قوله - عز وجل -:

{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} [الأعراف: 31].

وروى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أضاف رجلاً كافراً، فأمر له بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها، حتى شرب حلاب سبع شياة. ثم إنه أصبح فأسلم فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أخرى فلم يستتمه. فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء» (2).

لأن قلب ذلك الرجل لمّا تنوّر بنور التوحيد نظر إلى الطعام بعين التقوى على الطاعة فأخذ منه قدر الحاجة، وحين كان مظلماً بالكفر كان أكله كالبهيمة ترتع حتى تُثَلّط - تنزل الروث -.

وكلما أسرف الناس في الأكل والشراب كلما فترت همهم، وخارت قواهم عن النهوض للعبادة، وكان ذلك دليلاً على عدم تفكيرهم في يوم القيامة وأهواله.

(1) رواه الترمذی.

(2) أخرجه الحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب.

روى ابن موسى من حديث عوض بن أبي جحيفة عن أبيه قال: "أكلت ثريداً بلحم سمين فأتيت النبي ﷺ وأنا أتجشى فقال: اكفف عليك من جشائك أبا جحيفة؛ فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة"⁽¹⁾. فما أكل أبو جحيفة بملء بطنه حتى فارق الدنيا، وكان إذا تغذى لا يتعشى، وإذا تعشى لا يتغذى فقد أفاق من غفوته.

وعلى المرء أن يعود نفسه على شيء من الحرمان، وألا يطاوعها في شهوتها روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت»⁽²⁾.

وقال لقمان لابنه:

"يا بني لا تملأ بطنك من طعام فإنه إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة". ولا يمنع هذا التهذيب والترشيد للطعام والشراب حق الإنسان في الاستمتاع بما أحل الله له. قال - تعالى -:

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا
وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: 93].

وكان الرسول ﷺ والصحابة معه ينزلون عند قوله - تعالى -:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [المائدة: 87].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «كلوا واشربوا، والبسوا، وتصدقوا، في غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته

(1) رواه الطبراني في الأوسط.

(2) رواه ابن ماجه وضعفه السيوطي في الجامع الصغير.

على عبده» (1).

والاعتدال في الملبس مطلوب. فيكره أن يتباهى الرجل بملابسه أو يختال فيها. فليس ذلك دليلاً على كمال، أو حسن خلق، فربّ أمرىء لا تساوى ثيابه درهماً، وقيمته في نفسه تزيد على قناطر مقلطرة من الذهب والفضة. قال - عليه الصلاة والسلام - : «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره» (2).

فما وجدت الثياب إلا لتستر العورات، وتحفظ الأبدان. فمن اتخذها وسيلة للشهرة، وبالع في تكلفتها وتجميلها، عرّض نفسه لعقاب الله في الآخرة. قال رسول الله ﷺ : «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، وألهب فيه ناراً» (3).

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة: عن أبي بريدة قال: "دخلت على عائشة - رضى الله عنها - فأخرجت إلينا كساءً ملبدًا - مرقعاً - وإزاراً مما تصنع اليمن، وأقسمت بالله: لقد قبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين" (4).

وكذلك كان آل بيته الكرام يفعلون في البساطة والتواضع والتخشن.

روى عن جابر قال: "حضرنا عرس عليّ وفاطمة فما رأينا عرساً كان أحسن منه، حشونا الفراش - يعنى من الليف - وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش" (5).

وليس معنى هذا أن الإسلام يأمرنا بلبس المرقعات، أو اتخاذ الحقير من اللباس، ولكن المطلوب هو التوسط والاعتدال، ولبس كل إنسان ما يناسبه.

(1) رواه ابن جرير.

(2) رواه الترمذى.

(3) رواه ابن ماجه.

(4) رواه البخارى.

(5) رواه البزار.

سأل رجل عبد الله بن عمر: ما ألبس من الثياب؟ قال: ما لا يزدريك فيه الفقهاء، ولا يعيبك به الحكماء.

وأيضاً فإن الإسلام نهى عن الإسراف فى الأثاث، واتخاذ الطنافس والزخارف فى البيوت، ومن ثم حرم الإسلام أوانى الذهب والفضة ومفارش الحرير والديباج.

عن حذيفة قال: "نهى رسول الله ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه" (1).

إن التوسط أساس الحياة الإسلامية الكريمة، وإن الانغماس فى الشهوات ومباهج الدنيا من أكبر خطر على المؤمنين. قال - عليه الصلاة والسلام -: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» (2).

* * * * *

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البخارى.

الحث على التقل من الدنيا

الحمد لله /

الذى يحب من زهد فى دنياه، ورغب فى أخراه.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. نبى الزهد فى دار الغرور. الذى من تبعه نال تجارة لن تبور، ودخل الجنة ذات الحور والقصور. صلاة نستجلب بها الرضى والحبور، والفرح بالله والسرور.

وعلى آله وأصحابه وسلم ملء الأيام، والأشهر، والدهور.

أما بعد:

فيا عباد الله /

يقول العزيز الحكيم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [فاطر: 5].

إن الله عز وجل يأمرنا فى هذه الآية بعدم الاغترار بالدنيا، فإن من غرته دنياه. أفسدت علي أخراه.

ولذا حث رسول الله ﷺ على عدم الركون إليها، وعدم الاستزادة منها أكثر مما يكفى المؤمن:

قال عليه الصلاة والسلام: «ينادى مناد دعوا الدنيا لأهلها، دعوا الدنيا لأهلها: من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر»⁽¹⁾.

وهذه وصيته عليه الصلاة والسلام لسيدنا عبد الله بن عمر كما يرويه بنفسه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر

(1) رواه البزار.

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".

يقول الإمام النووي فى تفسيرها:

أى: "لا تركز إلى الدنيا، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه".

ولقد أحسن القائل حيث قال:

إن لله عبداً فطنا	:::	طلق وا الدنيا وخ افوا الفتنا
نظر وا فيها فلما علموا	:::	أنه ليس ت لحي وطن
جعلوها لجة واتخذوا	:::	صال ح الأعمال فيها سفنا

ولقد أكد الرسول - عليه الصلاة والسلام - عدم الميل إلى الدنيا، وسرعة زوالها: فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:

"نام رسول الله عليه السلام على حصير فقام، وقد أنثو فى جنبه قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لنا وطاء؟ فقال: "ما لى وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"(2).

فلم يرض رسول الله عليه الصلاة والسلام بالتزود منها، والتنعيم فيها حتى أنها عرضت عليه فأبأها.

كما روى الإمام الترمذى عنه - ع ليه الصلاة والسلام - أنه قال: «عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً. قلت: لا يا رب ولكن أشبع يوماً، وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك» (3).

(1) رواه البخارى.

(2) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه.

(3) رواه الترمذى.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

ولقد حقر الرسول من شأنها، وأخبر بأنها لا تساوى جناح بعوضة. فقال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» (1)

وروى عن الضحاك بن سفيان أنه قال: أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ضحاك: ما طعامك؟» قال: يا رسول الله اللحم واللبن. قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قال: إلى ما قد علمت. (أى: إلى أبوال وعذرات) قال: «فإن الله - تعالى - ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا» (2).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: مر النبي - عليه الصلاة والسلام - بشاة ميتة قد ألقاها أهلها. فقال: «والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» (3).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة فى اليم فلينظر بم يرجع» (4).

وانظر إلى قول الله - عز وجل - كيف شبه الدنيا فى سرعة زوالها بالزرع الذى اخضر ثم يبس، وذرتة الريح:

قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا } [الكهف: 45].

فهى لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر: كما قال الله تعالى:

{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي

(1) أخرجه ابن ماجة والحاكم.

(2) رواه أحمد.

(3) روى النسائى بنحوه.

(4) رواه مسلم.

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ
حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
مَتَاعُ الْغُرُورِ { [الحديد: 20].

ولذا أمر بعدم النظر إلى متاع الأغنياء وأموالهم فإنه فتنة لهم كما قال تعالى:
{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [طه: 131].

وقال تعالى:

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَا
ب} [آل عمران: 14].

ولذا دعا النبي - عليه الصلاة والسلام - بالتعاسة، وعدم الفلاح في الدنيا
والآخرة على من اشتغل بها، وعبد الدنيا والدرهم واشتغل بهما عما يرضى الله
عز وجل:

فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «تعس عبد
الدينار، والدرهم، والقטיפه، والخمي صة. إن أعطى رضى، وإن لم يعط لم
يرض» (1).

ولذا حث - عليه الصلاة والسلام - على الزهد فيها، وجعله علامة على حب
الله - عز وجل -:

فعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي - رضى الله عنه - قال: جاء رجل
إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبنى

(1) رواه البخارى.

الناس؟ فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الهل، فزهد فيما عند الناس يحبك الناس»⁽¹⁾.

فعلى المؤمن أن يجعل الآخرة كل هممه، ولا يشتغل بدينه إلا بمقدار الضروريات من مسكن يؤويه، أو ثياب يوارى بها عورته، أو رفقة على أهله وأولاده.

قال عليه الصلاة والسلام: «من أصبح معافى فى بدنه. آمناً فى سربه. عنده قوت يومه: فكأنما حيزت له الدنيا. يا ابن آدم يكفك منها ما سد جوعتك، ووارى عورتك»⁽²⁾.

وعن عبد الله بن الشخير - رضى الله عنه - قال: "أنيت النبى ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر. قال: يقول ابن آدم: مالى. مالى. وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت".
وفى رواية (فأبقيت)⁽³⁾.

فالدنيا وما فيها فتنة للإنسان المؤمن كما قال - علي الصلاة والسلام -: «لكل أمة فتنة. وفتنة أمتى المال»⁽⁴⁾.

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال صلى رسول الله ﷺ العصر. ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه. وكان مما قال: «أما بعد: فإن الدنيا خضرة حلوة. وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء»⁽⁵⁾.

(1) رواه ابن ماجه.

(2) رواه الطبرانى.

(3) رواه مسلم و الترمذى والنسائى.

(4) رواه الترمذى وقال حسن صحيح غريب.

(5) رواه البيهقى فى السنن الكبرى.

من أجل ذلك لعن رسول الله ﷺ الدنيا، وما فيها: فعن أبي هريرة - رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه وعالما ومتعلماً» (1).

وقال سيدنا عيسى عليه السلام: "الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً".

وقال عليه الصلاة والسلام: «منهومان لا يشبعان: منهوم فى علم لا يشبع، و منهوم فى دنيا لا يشبع» (2).

فحب الدنيا، والمال يفسدان دين المرء:

قال عليه الصلاة والسلام: «ما ذنبان جائعان أرسلا فى غم بأفسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه» (3).

ويقول الحسن البصرى - رضى الله عنه -:

"يا ابن آدم: طأ الأرض بقدمك فإنها عما قليل قبرك، واعلم أنك لم تنزل فى هدم عمرك منذ أن سقطت من بطن أمك".

وقد شبه الحكماء حال الدنيا وأهلها والزاهدين فيها بحال طعام صنعه صانعه من السكر وعجنه بالسم بحضور بعض الناس دون بعض ثم وضعه بين يدي من أبصره فى حال صنعه، ومن لم يبصره فإن من أبصره وعلم ما فيه من الآفات لا يقرب منه. ومن غاب عنه ذلك اغتر بما فيه من الحلاوة، وحرص عليه:

فحلاوة الدنيا لجاهلها ::: **ومرارة الدنيا لمن عقلا**

وقد وقف الإمام على - كرم الله وجهه - فى محرابه ذات ليلة قابضاً على لحيته يتململ تململ الملسوع ويكى. ويقول:

(1) رواه الترمذى وقال حسن غريب.

(2) رواه الحاكم.

(3) رواه ابن حبان فى صحيحه.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

"يا دنيإى إىلك عنى. غرى غىرى إىلى تعرضت أم إىلى تشوقت هىهات هىهات.
لقد باىنتك ثلاثاً. عمر ك صغىر، وخطر ك حقىر. آه من قلة الزاد، وبعد السفر،
ووحشة الطرىق".

قال الشافعى - رضى الله عنه :-

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها	...	وسى ق إىنا عذبها وعذابها
فما هى إلا جيفة مستحيل	...	علىها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلباً لأهلها	...	وإن تجتذبها نازعتك كلابها

* * * * *

الإسلام والعلم

الحمد لله /

حث على التعلم والمعرفة، وجعل شريعة الإسلام تقوم على العلم فى كل ما
تدعو إىله.

سبحانه لا نحصى ثناء عىله. علم الإنسان ما لم يعلم، وأنعم عىله بالسمع
والبصر والفؤاد لىهتدى بها إىلى ما ىنفعه من العلم.
لئما قال سبحانه:

{وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 78].

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شرىك له، وأشهد أن سىدنا محمداً عبده
ورسوله سىد العلماء والعارفىن الذى من الله به على الوجود لىعلمه الكتاب
والحكمة، وىرشده إىلى مواطن السعادة والخىر صلى الله عىله وعلى آله،
وأصحابه الهداة المهدىىن "أولئك الذىن هداهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب".

أما بعد

أيها المسلمون /

إن ديننا الحنيف قد حثنا على طلب العلم، وإعمال العقل والبحث والتفكير في كل ميدان من ميادين المعرفة.

فشريعة الإسلام قائمة على العلم وداعية إليه في كل أمر من أمور الحياة. ومعجزة رسول الإسلام كانت كتاباً يتلأأ بالعلم الصحيح، والمعرفة الحقة. وفي أول آية نزلت منه: "دعوة إلى التعلم، وتقديس لشأن المعرفة وتنويه بقيمة القلم والقراءة؛ لأنها سلم المعرفة، وطريق الوصول إلى العلم. قال تعالى:

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 1- 5].

وقد أقسم الله بالقلم؛ لما له من عظيم الأثر في محو الأمية، ورفع مستوى الثقافت والمعرفة فقال سبحانه: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: 1]. وقد كرم الله الإنسان على سائر الحيوانات بالعلم. فالعلم من خصائص الإنسان، فإذا تخطى عنه فقد تخطى عن إنسانيته.

ولما كان العلم يسمى بالإنسان، ويرفع قدره: فقد أمر الله الملائكة بالسجود لأدم عليه السلام لما فضل به عليهم من العلم والمعرفة. ورسول الله ﷺ كان قدوة الداعين إلى التعلم بأقواله، وأفعاله حتى جعل التعلم فريضة لازمة لكل فرد فقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»⁽¹⁾.

(1) رواه البيهقي والطبراني وصححه السيوطي.

وفى توجيهه رسول الله ﷺ الناس إلى طلب العلم بين لهم شرف السعى إليه، والجزاء المنتظر لهم يوم القيامة فقال: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع» (1).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» (2).

ومن أفعاله ﷺ في الدعوة إلى التعلم أنه حرر بعض أسرى بدر على أن يعلموا طائفة من المسلمين القراءة والكتابة.

وعلى هذا النهج النبوي الكريم سار الأصحاب والسلف يوجهون النشء إلى التعلم؛ لينشأوا صالحين لأنفسهم وللأمة التي يعيشون بينها.

يقول مصعب بن الزبير لابنه: "تعلم العلم فإن يكن لك مال يكن لك جمال، وإن لم يكن لك مال كان لك مالاً".

ويقول عبد الملك بن مروان لبنيه: "يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطاً سدتهم، وإن كنتم سوقة عثرتهم".

أيها المسلمون /

إن ديننا الحنيف ينادي أمته، ويحثها على السبق في كل مضمار حذراً من ضليعتها وتأخرها.

يقول سبحانه وتعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر: 9].

ولقد لك ان المسجد في عهد سيدنا رسول الله ﷺ مكاناً للعلم والتعليم،

(1) أخرجه أحمد والحاكم وابن حبان.

(2) رواه مسلم.

والذاكرة، والوعظ والإرشاد، وقد أخبرنا ﷺ بذلك صراحة فقال:

(من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله)⁽¹⁾.

وقد كان المسجد الشريف هو المدرسة، والجامعة التي تشرفت بجـ لوس صاحب الفضل المتتابع على كافة أفراد هذه الأمة سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - ليعلم أصحابه، وينفعهم ويرشدهم.

وكان إذا جلس - صلوات الله وسلامه عليه - أحاط به أص حابه من كل جانب، وتحلقوا عليه في شكل دائرة كالنجوم التي تحيط بالبدر ليلة الكمال.

وقد أخرج أبو نعيم في آداب العالم والمتعلمين، والديلمي عن أبي هريرة - رضى الله عنه -: "إذا جلستم إلى العالم أو العلم فادفءوا، وليجلس بعضكم خلف بعض، ولا تجلسوا متفرقين كما يجلس أهل الجاهلية".

وكان لقمان يقول لابنه: (يا بنى جالس العلماء، وزاحمهم بركبتك).

ولئن للنساء أيام مخصوصة كما جاء في الحديث: (أن النساء قلن لرسول الله ﷺ : غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرجال فاجعل لنا يوماً م ن نفسك. فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن)⁽²⁾.

وقد أثنت السيدة عائشة - رضى الله عنها - على نساء الأنصار قائلة:

"نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من أن يتفقهن في الدين".

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يميل على و احدة من زوجاته الطاهرات في شرح مسألة، أو تفصيل مجمل، أو توضيح مشكل مما يتعلق بأمور النساء وأحوالهن.

وقد كان ينوب عن حضرة المصطفى ﷺ في العلم بعض أصحابه:

فقد جاء أن عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - كان يقول لأصحاب رسول

(1) رواه الحاكم.

(2) رواه البخارى.

الله ﷺ : تعالىوا حتى تؤمن بربنا ساعة. فيجلسون إليه، فيذكرهم العلم بالله والتوحيد فى الآخرة.

وكان يخلف رسول الله ﷺ بعد قيامه، فيجمع الناس ويذكرهم الله ويفقههم فيما قال ل رسول الله ﷺ فربما خرج إليهم رس ول الله ﷺ وهم مجتمعون عنده. فيسكتون فيقعد إليهم، ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه. ويقول عليه الصلاة والسلام: "بهذا أمرت " وممن كان ينوب عنه ﷺ ويحيل عليهم ويرسل إليهم عبادة بن الصامت فكان يعلم أهل الصفة القرآن.

ومنهم أبو عبيدة بن الجراح الذى أرسل إليه واحداً من الصحابة وقال له: دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك.

وكان ﷺ يبعث الفقهاء والقراء إلى الجهات يعلمون الناس، ويفقهونهم فى الدين، منهم: مصعب بن عمير أرسله رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل على أسعد بن زرارة. فكان يطوف على دور الأنصار يقرئهم القر آن، ويدعوهم إلى الله - عز وجل -.

ومنهم: معاذ بن جبل بعثه ﷺ قاضياً على الجند من اليمن، يُعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام.

وهناك من أصحاب رسول الله ﷺ. من كان يرتحل لطلب العلم.

فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده.

"أن رجلاً قدم من المدينة على أبى الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخى؟ قال: حديث بلغنى أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ ... قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: ما جئت إلا فى طلب هذا الحديث؟ قال: نعم.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله له به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر»⁽¹⁾.

وقد رحل جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - على بعير من المدينة الم نورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام - لعبد الله بن أنيس بمصر وبين لهم سبب رحلته إليه فقال: حديث في القصاص لم يبق أحد يحدث به ع ن رسول الله ﷺ غيرك أردت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت. قال عبد الله:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد عراة غرلاً (غير مختونين) بهما. قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء».

فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان: لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة. قلت: وكيف؟ وإنما نأتى الله عراة بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات⁽²⁾.

ولقد اعتنى النبي ﷺ بتعليم القرآن عناية عظيمة بالنسبة للصبيان والصغار من أجل أن تسرى روح القرآن في قلوبهم، ونوره في أفكارهم ومداركهم وحواسهم.

لئما اعتنى الصحابة - رضوان الله عليهم - والسلف الصالح من بعدهم بتعليم

(1) رواه أحمد.

(2) رواه البخاري في الأدب، والبيهقي.

الصبيان لما كان عليه المصطفى ﷺ.

فموا القائل - صلوات الله وسلامه عليه -:

«من علم ابنه القرآن نظراً غفر له، ومن علمه إياه ظاهراً - أي عن ظهر قلب - بعثه الله على صورة القمر ليلة البدر، ويقال لابنه: اقرأ».

فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الأب بها درجة إلى آخر ما معه من القرآن⁽¹⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهل الجنة بتعليم ولده القرآن في الدنيا»⁽²⁾.

وفي رواية عند الإمام الحاكم أنه يكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا قال: فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن⁽³⁾.

والله تعالى أعلم

* * * * *

(1) رواه الطبراني.

(2) رواه الطبراني.

(3) الترغيب والترهيب.

فضل الاستغفار وأسراره

الحمد لله /

الحمد لله. الملك الحق. العزيز الغفار. الذى بيده مقاليد السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، يستر ذنوب المذنبين حلماً وكرماً فهو الحليم الستار، وغفر ذنوب التائبين إليه فهو العزيز الغفار.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له، نصر المجاهدين وثبت أقدام المؤمنين، وقذف الرعب فى قلوب الفجرة الكافرين. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. الشافع المشفع. الذى بعثه فى الأميين ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ورفع به العذاب عن أهل الأرض، يقول - تعالى -: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} [الأنفال: 33].

وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذى أكثروا من الاستغفار بالأسحار فنالوا من الله عقبى الدار، فرضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.

أما بعد

فيقول الله فى محكم كتابه: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: 135، 136].

عباد الله /

المسلم حقاً هو الذى يراقب الله - تعالى - فى جميع أعماله، ويبعد كل البعد عن فعل المعاصى التى نهى الله عنها، وإذا استهواه الشيطان ونسى ذكر الله تعالى فارتكب معصية من المعاصى سارع إلى التوبة والندم وأكثر من الاستغفار حتى يتوب الله عليه ويبدل سيئاته حسنات، وقد أرشد الله المؤمنين إلى التوب والاستغفار فقال سبحانه: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل: 20]. وأمر النبى ﷺ بالاستغفار؛ ليكون مع عصمته قدوة لأمته ؛ ولأن الاستغفار عبادة، وهو ﷺ أعذب العابدین:

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: 1-3].

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: 19].

فكان ﷺ يكثر الاستغفار فى يومه وليلته، فهو القائل ﷺ : «والله: إني لأستغفر الله، وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»⁽¹⁾.

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: "كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: "رب اغفر لى، وتب علىّ إنك أنت التواب الغفور"⁽²⁾.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس: توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة»⁽³⁾.

(1) رواه البخارى.

(2) رواه أبو داود، والترمذى.

(3) رواه مسلم.

ولقد كان الأنبياء - عليهم السلام - يدعون الله تعالى أن يغفر لهم:

فهذا نوح عليه السلام - يقول:

{ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } [نوح: 28].

وجاء في دعاء إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَام:

{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 127، 128].

ومن دعاء سيدنا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام - أيضاً:

{ وَاللّٰهُ اَطْمَعُ اَنْ يَغْفِرَ لِيْ خَطِيئَتِيْ يَوْمَ الدِّينِ } [الشعراء: 82].

وفى دعاء هَارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَام -: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [الأعراف: 151].

وورد الدعاء من الملائكة بالاستغفار للمؤمنين: قال تعالى:

{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } [غافر: 7].

ويقول الله سبحانه وتعالى واعدوا المؤمنين بالمغفرة والرحمة:

{ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا }

[النساء: 110].

عباد الله /

اعلموا أن الاستغفار المطلوب شرعاً لا بد أن يجتمع فيه اللسان مع حضور القلب، وترك الذنب، والإقلاع عنه.

فالاستغفار باللسان من غير توبة وإخلاص لا ينفع:

قال الربيع بن خيثم - رضى الله عنه -: "لا يقولن أحدكم: أستغفر الله وأتوب إليه، فيكون ذنباً وكذباً إن لم يفعل (أى: إن لم يقلع عن الذنب)".

وقال الفضيل بن عياض: "الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين". وقال عليه الصلاة والسلام: «المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه»⁽¹⁾.

يقول الإمام على - كرم الله وجهه -: (لا تنظر إلى صغر الخطيئة. ولكن انظر إلى من عصيت).

ويقول - رضى الله عنه وعن آل بيته أجمعين -: "إذا استعظمت الذنب فقد عظمت حق الله، وإذا استصغرت فقد صغرت حق الله تعالى، وما من ذنب استعظمته إلا صغر عند الله - تعالى - وما من ذنب استصغرت إلا عظم عند الله تعالى".

ويقول الحسن البصرى - رضى الله عنه -: "إن بين العبد وبين الله حداً من المعاصى مغموماً، إذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفق بعدها لخير".

ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه. فقال به هكذا... فطار. (أى أشار إليه بيده)»⁽²⁾.

(1) رواه البيهقى.

(2) رواه أحمد.

عباد الله /

ليس الاستغفار بالشيء القليل، ولأنه باب من أبواب الطاعة كبير. يأتي
بثمرة مرجوة نافعة للمؤمن في دنياه وآخراته،

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «من أكثر من الاستغفار، جعل الله عز
وجل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»
(1).

وهذا الحديث الشريف يسير بلفسجام، وتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم
على لسان سيدنا نوح عليه السلام حينما طلب من قومه الاستغفار:
{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيَهْدِيكُمْ
بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجعل لكم أنهاراً} [نوح: 10 - 12]. وقوله على
لسان نبيه هود:

{وَيْلٌ لِّقَوْمٍ اسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِيدُكُمْ
قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود: 52].

(ويحلى):

"أن رجلاً من الصالحين كان عنده أرض. فتأخر نزول المطر عليها فعطش
الزرع حتى كاد أن يهلك، فجلس وسط أرضه، وأخذ يستغفر الله تعالى، ويتلو
هذه الآية: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً} [الذاريات: 15 - 18].

فما لبث إلا مدة يسيرة حتى تلبدت السماء بالغييم، فنزل المطر حتى ارتوى
زرعه، واخضر وزدهر.

ورجل آخر: سأل أحد العلماء عن تأخير إنجابه من زوجته فأمره بالإكثار

(3) رواه الإمام أحمد.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

من الاستغفار حتى أنجبت زوجته ولدًا، وكبر الولد و صار يحضر درس هذا العالم مع والده، فكان العالم يقول - إذا رآه -: هذه ثمرة الاستغفار.

فانقوا الله عباد الله:

وأنثروا من الاستغفار فى كل أوقاتكم، وخاصة الأسحار فهى من الأوقات التى يستغفر فيها المتقون.

فوصفهم الله عز وجل بقوله:

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الذاريات: 15- 18].

فالأسحار أوقات يتجلى الله فيها على عباده القائمين بالمتجهدين المستغفرين: فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير. فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر» (1).

واعلموا عباد الله:

إن الاستغفار حصن حصين، وسبب ترجى به مغفرة الذنوب عند رب العالمين.

وقد أوصانا الحبيب المصطفى ﷺ بأن نختم يومنا بالاستغفار والتوبة إلى الله:

فعن أبى سعيد - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «من قال حين يأوى إلى فراشه: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه. ثلاث مرات. غفر الله له ذنوبه. وإن كانت مثل زبد البحر، أو عدد

(1) رواه البخارى، ومسلم.

رمل عاجل، أو عدد أيام الدنيا»⁽¹⁾.

وليس هذا ببعيد على الله الذى يغفر الذنوب جميعاً.

وقد أخرج الترمذى عن أنس - رضى الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى. يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى. يا ابن آدم: لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقراب الأرض مغفرة⁽²⁾.

فانقوا الله عباد الله:

واستغفروا الله تعالى بالليل والنهار، وعليكم بسيد الاستغفار المروى عن نبيكم المختار ﷺ: «اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبي فلغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»⁽³⁾.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «إن المؤمن إذا أذن بذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها. فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه». فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14].

وقال عليه الصلاة والسلام للسيدة عائشة - رضى الله عنها -: «إذا كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله، وتوبى إليه فإن التوبة من الذنب: الندم والاستغفار»⁽⁴⁾.

(2) رواه البخارى والترمذى.

(3) رواه الترمذى.

(1) رواه البخارى.

(4) متفق عليه.

السعى على الأرامل والمساكين

الحمد لله /

الحمد لله رب العالمين، يحب الساعي على الأرملة والمسكين والفقير،
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة تملأ الأرض والسماء، وأشهد
أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أسعد السعداء الذي كان يحب المساكين والفقراء،
وكان ملجأ المحتاجين والغرباء، وعلى آله الأصفياء الكرماء، وأصحابه الأبرار
والصلحاء.

أمـا بعد

فيا أيها المسلمون: ويا أتباع المصطفى - عليه الصلاة والتسليم -:

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على
الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار» (1).

يبين لنا عليه السلام في هذا الحديث فضل العطف على الأرامل والمساكين
والفقراء؛ وذلك لأنه يريد من المسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فيعطف غنيهم على فقيرهم،
وينصر قويمهم ضعيفهم، ويعلم عالمهم جاهلهم.

ففي هذا الحديث يشبه رسول الله ﷺ الساعي بالمجاهد في سبيل الله: من حيث
حصول الأجر له، وإنما كان ثوابه كثواب المجاهد؛ لأن الساعي يتسبب في حياة
الأرامل والمساكين البدنية بما تقوم به أبدانهم من طعام وشراب وكسوة، وينتسبب
في حياتهم الطيبة وهي شكرهم لله على نعمته في إزالة الجوع، والحزن عنهم.

كما أن المجاهد في سبيل الله تسبب في حياة الكفار بإزالة الكفر عن أسلموا
كما قال تعالى: {أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}

(1) رواه الخمسة إلا الإمام أحمد بن حنبل.

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {
[الأنعام: 122].

أى: ميتاً: بالكفر. "فأحييناه" أى: بالتوحيد.

فأعطاه الله الأجر الجزيل على ذلك يوم القيامة {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 95].

ويزيد على ذلك أن الله يوفق الساعى للخير فى الدنيا، وذلك بأن ييسره
لليسر، ويهيئ له أسباب الخير والغنى؛ لأن الإنفاق يفتح باب الإنفاق، كما قال
الله فى الحديث القدسى الذى رواه رسول الله ﷺ : (يا عبدى: أَنْفِقْ. أَنْفِقْ عَلَيْكَ)
(1).

وكم قال سبحانه وتعالى:

{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: 39].

فمن أحسن أحسن الله إليه، {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60].

ويقول عز م ن قائل: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ
لِلْيُسْرَى} [الليل: 5-7].

فمن تسبب فى سرور المسلمين سره الله، ومن يسر عليه م يسر الله عليه،
ومن أعانهم أعانه الله.

فعليك يا أخانا فى الله: بالمداومة بالعمل بهذا الحديث الشريف، حتى تكو ن
ممن تخلقوا بأقواله، وأفعاله ﷺ ظاهراً وباطناً.
وإن ذلك ليسير على من يسره الله عليه.

(1) متفق عليه.

وإنما شبه الساعى المنفق بقائم الليل؛ لأنه أحياناً ظلام الليل بعبادة ربه والساعى تسبب فى حياة المنفق عليهم بأمر ربه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة: 267].

والمصلى بالليل له بكل حرف عشر حسنات، ويثاب على كل تكبيرة وتشبيحة وعلى وقوفه وركوعه وسجوده وجلوسه، كذلك الساعى يثاب بعدد اللقم التى أطعمها، وبعدد جرع الماء الذى يشرب، وعلى التمر الذى يؤكل، والثياب التى يلبس، من كل ما كان ناشئاً بسبب إنفاقه:

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:

8، 7].

ولأن قائم الليل يعافى فى بدنه، ويصرف الله عنه الأضرار: كذلك المتصدق يصرف الله عنه المصائب، ويعافيه الله فى بدنه ببركة الصدقات، ودعاء من يتصدق أو ينفق عليه.

قال الإمام على - كرم الله وجهه -: "والذى وسع سمعه الأصوات: ما من أحد أدخل على قلب فقير سروراً إلا خلق الله من هذا السرور لطفاً، فإذا حلت به نائبة جرى إليها لطف الله كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه".

قال عليه الصلاة والسلام: (صنائع المعروف تقى مصارع السوء) (1).

وقد أثنى الله عز وجل على قائم الليل فقال: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر: 9].

(1) رواه الحاكم.

كما أثنى على الساعى المنفق فقال:

{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الم عار ج: 24، 25].

فالسائل: هو الذى لا يمنعه الحياء السؤال.

والمحروم: هو الذى يمنعه الحياء السؤال، ولكنه معروف لدى الناس، كالمرأة الفقيرة التى مات زوجها، والأولاد الفقراء الذين مات كاسبهم، والعاجز عن الكسب... وغبيهم.

(ومما يروى): أن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سجن رجلاً لأمر من الأمور، وكان شاعراً يهجو الناس بالشعر، فكتب بيتين من الشعر وهو فى السجن وأرسل بهما إلى سيدنا عمر. وقال فيهما:

ما ذا تقول لأفراخ بذى م رخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
أودعت كاسبهم فى قاع مظلمة فاع فاع فر عليك سلام الله يا عم - ر

فرق عليه الفاروق - رضى الله عنه -، وأخرجه من السجن واستتابه من الهجاء، وذلك ببركة الإنفاق على الضعفاء ولو كانوا من غير أولاده.

وأما تشبيهه النبى ﷺ الساعى المنفق بصائم النهار:

فلأن الصائم يمنع نفسه ما تشتهى، والمتصدق ربما تشتهى نفسه الشيء فيخالفها، ويتصدق به، وهى بطبعها تكره الإنفاق، كصائم يكره الجوع، والعطش ولكن يخالف نفسه.

كذلك المتصدق يخالف نفسه فى طبعها السيئ، وغرائزها الوحشية ولما كان الصائم يفرح فرحتين: فرحة عند فطره على توفيق الله بالصوم وإتمامه وبنعمة الله عليه،

والفرحة الثانية: يوم القيامة، ويبدأ وقتها من ساعة احتضاره عند موته، شربه المتصدق به؛ لأنه يفرح حينما يقدم الشيء للفقير بتوفيق الله تعالى له، ويوم القيامة حينما يلقي جزاء الله على إنفاقه.

قال تعالى:

{وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ

كَبِيرٌ} [الحديد: 7].

وأعلموا عباد الله:

أن النفوس إذا تعودت الخير تفرح بفعله؛ لأن الله يفرح ويحب العمل الدائم وإن قل، وإذا أحب الله العمل قذف حبه فى قلبه فاعلمه، وربما وجد حلاوة عند فعله بينما يجد غيره كراهية وسخطاً من نفسه.

ولم اكان الصائم يمنع الناس أذاه ؛ لأنه فى وقاية من رضاء الله وحفظه ولطفه، وقد أمر بعدم خرقه: شبه المتصدق به؛ لأنه يمنع الفقراء، والمساكين أذاه، لأن كل متمكن من إيصال حاجة لذى حاجة ومنعه إياها فقد آذاه.

وهو فى حفظ الله وعونه، وود خلقه، وإكرامهم له ما لم يخرق تلك الوقاية بللّخل، والإعراض عن الفقراء والمساكين.

فالبخيل: بعيد من الله، بعيد من الملائكة، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار.

والسخى: قريب من الله، قريب من الملائكة، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه -: قال رسول الله ﷺ: «من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مؤمن ستر الله عورته، ولا يزال الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه» (1).

(1) رواه مسلم.

وقال - عليه الصلاة والسلام - فى بيان درجة كافل اليتيم: «أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة - وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى» (1).

(حكاية): ويروى أن الشيخ إبراهيم الخواص كان يقوم بعمل الخوص فيروى لنا حكايته، كما حكاها لأحد أصدقائه الصالحين فيقول - رضى الله عنه - : "كنت فى وقت فتوة استراحة العمل، فكنت أخرج كل يوم إلى شط نهر كبير كان حواليه الخوص، وكنت أقطع شيئاً من ذلك وأسقه - أى: أنسج - ه قفافا جمع قفة - وأطرحة خلف ما أطرحة فى الماء من القفاف لأبصر أين تذهب، فمضيت على شاطئ النهر ساعات، ولم أعمل ذلك اليوم فإذا عجوز قاعدة على شط النهر تبكى. فقلت لها: مالك تبكين؟ فقالت: لى خمسة من الأيتام مات أبوهم. فأصابنى الفقر والشدة.

فلنيت يوماً هذا الموضع فجاء على رأس الماء قفاف من الخوص فأخذتها، وبعنتها، وأنفقت عليهم، وأنتيت اليوم الثانى، والثالث، والقفاف تجيء على رأس الماء فكنت أخذها وأبيعها، واليهى ما جاءت.

قال إبراهيم: فرفعت يدي إلى السماء وقلت: اللهم لو علمت أن لها خمسة من العيال. لزدت فى العمل. ثم قلت للعجوز: لا تغتمى، فإنى كنت أعمل ذلك. واستأنف إبراهيم عمله فى صناعة القفاف من الخوص، و لم يعد يمارس عم له هواية كما كان يفعل فى الماضى، و إنما كان يمارسها لإطعام الأيتام الخمسة وأمهم كل يوم. ومكث سنين يقوم على أمر هذه الأرملة وأولادها حتى شبوا، وكبروا، واستطاعوا أن يتكسبوا رزقهم.

(2) رواه أبو داود.

فاتقوا الله عباد الله:

ولننظر كل منا حوله، ويبحث عن الأرملة، والأيتام، والمساكين والفقراء ليسعى فى قضاء حوائجهم، وإعانتهم فى كل أمورهم صغيرة، أو كبيرة. قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» (1).

وليقرأ قول المولى - عز وجل - فى جزاء من أطعم الطعام للمساكين واليتيم والأسير. حيث يقول سبحانه:

{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّ نَخَافَ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} [الإنسان: 7-12].

وليحذر الساعى من البخل والشح؛ لأنه طريق عسير. منتهاه إلى النار. قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: 8-10].

واعلموا أن البخل، والشح على اليتيم والمساكين من سمات المنافقين والكافرين، كما أخبرنا الله عز وجل عنهم فى قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [الماعون: 1-3]. وفيهم قال تعالى: {خَذُوهُ فَعُْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ}

[الحاقة: 30 - 34].

(1) رواه الحاكم والبيهقى.

وقال تعالى: {كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّهُنَّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ }

[الفجر: 17، 18].

فذنم الله تعالى من لا يكرم اليتيم، ويدفعه عن بابه ولا يعطيه، ولا يحض على طعامه فهو فى غاية البخل والشح فهو لا يرفق عليهِ، ولا يدع غيره ينفق.

قال عليه الصلاة والسلام: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار» (1).

التحذير من الظلم وعواقبه

الحمد لله /

الحمد لله رب العالمين بتعاليمه هذ ب نفوس البشر، ونهاهم عن الظلم وركوب الخطر حتى تهدأ نار الغضب فلا تقصف بالشرر.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وقضى على الجهالة والضلالة.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ما انتصر الشرع، وعم النفع صلاة تملأ الأرضين والسموات السبع، صلاة تبارك لنا بها كل فرد وجمع، وعلى آله وسلم الذين جاهدوا لنصر الدين والشرع.

(1) رواه الخمسة إلا الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه.

أمـا بعد

فيقول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 102].

إخوة الإسلام:

الظلم جرم عظيم، ومرتعه وخيم، به يخذل الحق، ويغلب المسكين الذى لا يجد ناصراً ينصره، أو يدافع عنه. لذا حرم الله الظلم على نفسه، وجعله بين الناس محرماً.

وقد جاء فى الحديث القدسى الذى يرويه النبى ﷺ عن ربه - سبحانه وتعالى - أنه قال: «يا عبادى: إني حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» (1).

والظلم نوعان:

- 1- ظلم النفس.
- 2- ظلم الغير.

فظلم النفس يكون بالكفر والعصيان: يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [يونس: 44].

وقد جعل الله عاقبة الظالمين أنفسهم الفناء والهلاك. كما قال سبحانه: {وَمَكْرُوهٌ أَمْثَلُ وَمَكْرُوهٌ أَمْثَلُ وَمَكْرُوهٌ أَمْثَلُ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزلزال: 50: 51].

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) (2).

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

والله - تعالى - لا يحب الظالمين، ونرى القرآن الكريم يعرض علينا موقف
الظالمين عند الموت فيقول الله - سبحانه -: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ
الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا
كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: 93].

ويقول - سبحانه - في بيان موقف الظالم يوم القيامة:

{وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا} [الفرقان: 27].

أيها المسلمون:

إذا كان ظلم النفس من أشد أنواع الظلم: فلبن ظلم الغير لا يقل شأنًا عنه فإنه
يضر بالظالم والمظلوم معًا.

وهذا معنى قول النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». فقال رجل: يا
رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً. أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟
فقال - عليه الصلاة والسلام -: «تمنعه من الظلم. فإن ذلك نصره» (1).

وظلم الغير: يكون بالاستيلاء على حقوق الناس، وهـذا الظلم يستوى فيه
القليل والكثير ما دام قد أخذه بدون وجه حق.

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد
أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة. فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا
رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: وإن كان قضيباً من أراك» (2).

ومن صور الظلم الشائعة في زماننا هذا نوع من الظلم وهو حرمان البنات
من الميراث عند اقتسام التراكات بدرجة قد تحرم البنت معها من نصيبها كله أو

(1) رواه البخارى.

(2) رواه مسلم.

بعضه، سواء كان هذا الحرمان عن طريق الأب نفسه قبل وفاته، فقد يكتب كل ما يملك أو بعضه لأولاده الذكور ويحرم البنات - أو كان الحرمان عن طريق الإخوة بعد وفاة أبيهم فيغتصبون من البنات حقوقهن، أو بعضها تارة بالتهديد، وثلثة أخرى بسيف الحياء.

ورسول الله ﷺ يقول: «من ولد له أنثى فلم يندھا، ولم يؤثر ولده عليه أدخله الله بها الجنة» (1).

كما شاع أن يفرق بعض الآباء بين أبنائهم فى تقسيم الميراث فيفضلون بعضهم على بعض لأمر عاطفية، أو لأسباب شخصية تتصل ببعض أزواجهم. وهم يقصدون بذلك إرضاء من يحبون من أزواجهم وأولادهم. وقد نسى هؤلاء الجهلة بدين الله أن الميراث شريعة فوضها الله، وإن كان الأب يملك المال ملكية ظاهرة إلا أن الله - تعالى - وهو المالك الأول لهذا المال. بل المالك لرقاب من بأيديهم المال قد قضى فى شريعته للمسلمين بالميراث حقاً وفريضة لأصحاب الفروض من الورثة المعدودين، ثم بين عند فرضيته هذا الميراث أنه سبحانه العليم الحكيم الذى بحكمته وعلمه قسم هذه الفروض، يقول الله سبحانه: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 11].

أفبعد هذه النصيحة من الله تعالى بقوله:

{آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً} أو بعد هذا الحكم من الله بقوله: {فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} أفبعد ذلك كله يَجِبُ المسلمون

(1) رواه أحمد.

أهواءهم وعواطفهم فى تقسيم الميراث؟ والله يعلم وهم لا يعلمون.

ولقد كان الجاهليون من قبل الإسلام يقفون من البنات موقفين: موقف الإهانة، وموقف الإهلاك، كما قال سبحانه: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل: 58].

فإن لم يئدها أو يهنها حرمها من الميراث فكانوا يورثون الذكور المقاتلين فقط، ويحرمون النساء والصغار فجاء الإسلام ونهاهم عن ذلك، وبين لهم طريق الميراث، قال - تعالى - : {لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا} [النساء: 7].

وقد روى جابر بن عبد الله أن امرأة سعد بن الربيع أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن زوجى قتل معك وقد علمت أن النساء إنما ينكحن لأموالهن، وخلفني وخلف ابنتين وأبا - وهو الربيع - فأخذ الأب المال، فقال لها رسول الله ﷺ: قد يرى الله مكانهما وإن يشأ أنزل فيهما، فمكث رسول الله ﷺ أياماً، ثم أرسل إلى امرأة سعد أن تعالى فقد أنزل الله فيك وفى ابنتي، فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ.. الآية} فأعطى رسول الله ﷺ الزوجة الثمن، والابنتين الثلثين، والأب الباقي⁽¹⁾. وهذا أول ميراث قسم فى الإسلام (ميراث سعد بن الربيع) - رضى الله عنه -.

وبهذا حرم الإسلام حرمان النساء من الميراث، بل حرم تفضي ل بعض الأولاد على بعض لما فيه من الظلم البين.

وقد حدث أن طلبت عمرة بنت رواح من زوجها بشير أن يهب ابنهما النعمان هبة دون إخوته فمأطلها سنة ثم وهبه لها.

(1) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

فقال: لا أرضى حتى تُشَنِّدَ رسول الله ﷺ.

فقال: رسول الله ﷺ: «لا أشهد على جور، اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم» (1).

إن الذين لا يعدلون فى قسمة الميراث، والذين يفرقون فى الهبة والوصية بين أبنائهم إنما يزرعون الحقد، ويربون الكراهية فى قلوب أبنائهم. ثم إن الظلم لا ينفع وإن طال مداه، فكم من أبناء خصهم آبائهم بشيء من الميراث من حطام الدنيا الزائل. قد صاروا إلى أسوأ حال، وشر مصير، ضاعت منهم الأموال، وبقي الحقد فى قلوب إخوانهم، كما بقى الوزر على رقاب آبائهم الذين قسموا أموالهم تبعاً لأهوائهم، وما جعلوا قسمتها تبعاً لشريعة ربهم التى شرعها لهم.

والله تعالى يقول: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: 14].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من فرض ميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة يوم القيامة» (2).

وقال ﷺ لمعاذ: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (3). وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: {وَلَوْلَاكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [رواه البخارى، مسلم] (4).

(1) رواه مسلم.

(2) رواه ابن ماجة.

(3) رواه البخارى، مسلم.

(4) رواه البخارى، مسلم.

قال عليه الصلاة والسلام: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فلإذا أوصى وحاف في وصي بقا فيختم له بشر عمله فيدخل النار. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة⁽¹⁾).

أو كما قال ﷺ.

* * * * *

الغضب جماع كل شر

الحمد لله /

وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله نبي الحلم والصبر، والإحسان والأجر، والبر والخير، والنهي والأمر اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد نبي العفو والرحمة، صلاة تنور بها بصرنا وبصيرتنا، وتصلح بها ظاهرنا وسريرتنا، وعلى آله وأصحابه وسلم إنك على كل شيء قدير.

أمـا بعد

قال - تعالى - :{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34].

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال في تفسيرها: "أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم".

(1) رواه الإمام أحمد.

وروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصنى، قال: لا تغضب، فردد مراراً، فقال: لا تغضب (1).

فاعلموا عباد الله: أن الغضب يجمع الشر كله، فأساسه الشيطان فلا ينتج عنه إلا الشر، فهو أساس كل معصية فى الأرض، ولذا قال رسول الله ﷺ محذراً منه: "اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ، ألم تروا إلى حمرة عينيه، وإنتفاخ أوداجه " (2). ولذا عد رسول الله ﷺ من يملك نفسه عند الغضب شديداً قوياً ، قال - عليه الصلاة والسلام -: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» (3).

وفى رواية «ليس الشديد من غلب الناس، وإنما الشديد من غلب نفسه» (4).

ومن هنا كان عليه السلام يشجع الانتصار على النفس، والتغلب عليها حيث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه وستره برحمته، وأدخله فى محبته، من إذا أعطى شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر». أى انكسرت حدة غضبه (5).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه» (6).

(1) رواه البخارى.

(2) رواه ابن أبى شبة.

(3) متفق عليه.

(4) رواه ابن حبان.

(5) رواه الحاكم والبيهقى.

(6) رواه الطبرانى فى الأوسط.

ومن حفظ لسانه ستر الله عورته يقول الله تعالى:

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133، 134].

فانظر كيف جعل الله كظم الغيظ، والعفو عن الناس من صفات
المؤمنين المتقين. وبين لنا ﷺ ثواب من يكظم غيظه فيقول ﷺ: «من
كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه دعاه الله سبحانه على رؤوس
الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء»⁽¹⁾.

وفى رواية: يقول ﷺ: «من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله جوفه
أمناً وإيماناً»⁽²⁾.

وكان من صفته عليه السلام أنه لا يغضب لنفسه قط، ولا ينتقم لها قط:
عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت: "ما خير رسول الله ﷺ
بين أمرين قط ، إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان ثم إثم كان أبعد
الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك
حرمة الله فينتقم لله تعالى"⁽³⁾.

فكان - عليه الصلاة والسلام - يعفو عمن أساء إليه، ولا ينتقم منه
وبين لنا النبي ﷺ ثواب العافين عن الناس فيقول: «إذا كان يوم القيامة
نادى مناد. يقول: أين العافون عن الناس؟ هلموا إلى ربكم، وخذوا
أجوركم، وحق كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة»⁽⁴⁾.

(1) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(2) رواه عبد الرزاق وابن المنذر.

(3) متفق عليه.

(4) أخرجه ابن مردويه.

ولذا أمر الله عز وجل نبيه - عليه السلام - بأن يأخذ بالعفو في قوله
- سبحانه -: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199].

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على
الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»⁽¹⁾.

وفي حديث آخر يقول - عليه الصلاة والسلام - : «إن الرفق لا يكون في
شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»⁽²⁾.

وقد بين لنا - عليه السلام -: أنه من صفة أهل الجنة، وأن الشدة من صفة
أهل النار حيث يقول ﷺ : «أهل الجنة كل حين سهل قريب، وأهل النار كل
شديد قبيح». قالوا: وما قبيح؟ يا رسول الله؟ قال: «الشديد على الأهل،
الشديد على الصاحب، الشديد على العشيرة»⁽³⁾.

وذات يوم بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه إذ وقع رجلٌ بأبى بكر
- رضى الله عنه -: (سبه) فآذاه.

فصمت عنه. ثم آذاه الثانية: فصمت عنه الصديق.

ثم آذاه الثالثة فانتقم أبو بكر ، فقام رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر
- رضى الله عنه - أوجدت على يا رسول الله ، فقال عليه السلام: نزل
ملك من السماء يكذبه بما قال لك "يعنى كلما قال لك شيئاً قال له الملك
كذبت " فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان، وفي رواية حضر، فلم
أكن لأجلس إذأ مع الشيطان"⁽⁴⁾.

(1) رواه البخارى فى الأدب.

(2) رواه مسلم.

(3) روى أحمد بنحوه.

(4) رواه أبو داود.

ويحكى أن رجلاً من أهل الشام دخل المدينة المنورة على ساكنها
أفضل الصلاة وأتم السلام ، فرأى شاباً حسن الهيئة، جميل المنظر،
نظيف الملابس راكباً دابة قوية نشيطة ، فسأل عنه . فقيل له: هذا الحسن
بن علي بن أبي طالب؟ فقال الحسن أنا ابن أبيه، فقال الرجل: لقد قلت
فيك وفي أبيك كلاماً قبيحاً أشتمكما به، وذكر له ذلك الكلام. فقال الحسن
- رضى الله عنه - : أظنك غريباً. فقال الرجل: نعم ؛ فقال الإمام الحسن
الذى كان يسمى بحليم أهل البيت: إذا احتجت إلى منزل أسكنتك، أو إلى
مال أعطيتك، أو إلى حاجة ساعدتك.

فعجب الرجل من حلم الحسن - رضى الله عنه - وانصرف وهو
يقول: ليس على وجه الأرض شيء أحب إلى من هذا الشاب، أسأت إليه
فأحسن إلي.

وشتم رجل أبا ذر الغفاري - رضى الله عنه - فقال له: يا هذا لا تستغرق في
شتمننا، ودع للصالح موضعاً، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع
الله فيه.

قال تعالى: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: 43].

وروى:

"أن سلمان الفارسي قال لسيدنا علي - رضى الله عنه -: ما الذى يباعدنى
عن غضب الله عز وجل؟ قال: لا تغضب".

ومن أقوال الحكماء: "من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم".

من كثر شططه كثر غلظه"، "ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام".

كان أبو بكر - رضى الله عنه - كثير العلم والحلم: قال له رجل
يوماً: "والله لأسبنك سباً يدخل القبر معك. فقال له أبو بكر: "معك يدخل

لا معنى".

وإذا كان الرسول ﷺ قد عرفنا الداء فقد عرفنا الدواء له: عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس. فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع"⁽¹⁾.

وعن سليمان بن صرد قال: "استأب رجلان عند النبى ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه ، فنظر إليه النبى ﷺ فقال: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا "أى ما اعتراه من الغضب "، "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبى ﷺ فقال:

هل تدري ما قاله الرسول ﷺ أنفا؟ قال: لا قال: قال عليه الصلاة والسلام: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"»⁽²⁾.

وعن أبى وائل القاص قال: "دخلنا على عروة بن محمد السَّعْدَى فكلّمه رجل فأغضبه.

فقام فتوضأ. فقال: حدثنا أبى عن جدى عطية - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء. فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»⁽³⁾.

والغضب قسمان:

محمود: وهو عند انتهاك حرّامات الله - عز وجل -.

(1) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان.

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

ومذموم: وهو الغضب لأجل الانتصار لل نفس، وعند فقد شيء دنيوى.

* * * * *

الزهى عن الكبر

الحمد لله /

الحمد لله الكبير المتعال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الأمر كله، وله الكبرياء فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خي من تواضع فى غير ذلة، وعز فى غير كبرياء.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين لم يتكبروا على خلق الهوتواضعوا لعباد الله وكانوا يمشون على الأرض هونا، فرفعهم الهز وأعلى أقدارهم.

أما بعد

عباد الله:

يقول الله فى محكم تنزيله:

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا }

[الإسراء: 37].

ه ذا تحذير من الله تعالى للعبد ألا يتجاوز حدوده، أو ينسى حقيقته ؛ فالكبر داء منشؤه جهل المرء بنفسه وبجئمة الله فى أمره، والكفر بنعمة ربه؛ فما عرف فرعون قدر نفسه حينما قال: {أنا ربكم الأعلى } [النزعات: 24]، وم ا عقل إبليس اللعين سر حكمته حين قال: {أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } [ص: 76]. وما أدى قارون شكر نعمته حينما قال:

{إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي} [التقصص: 78].

فطر د إبليس من رحمته، وأهلك فرعون على جرأته، وخسف الأرض بقارون لكفره بنعمته.

وفى الحديث القدسى: «العز إزارى، والكبرياء ردائى؛ فمن ينازعنى فى واحد منهما فقد عذبتة» (1).

وروى الإمام مسلم: عن ابن مسعود - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر».

فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا.

قال: إن الله جميل يحب الجمال، الثبر: بطر الحق، وغمط الناس (2).

بطر الحق: رده على قائله، وغمط الناس: احتقارهم.

إن الكبرياء لمن فطر السماوات والأرض، والسلطان الأعظم لمدبو الكائنات. من شاركه فيه غلبه، ومن نازعه فيه قصمه، والله تعالى يقول: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: 10].

فإن كنت ملكا فسلطانك لا يعلو سلطان ربك، وإن كنت ذا مال فإنما هو هبة من ربك، ولو ك انت العزة بالمال لملك الأنبياء خزائن السماوات والأرض، ولكنهم كانوا فقراء لله، وكانت منزلتهم عند ربهم قدر جهادهم وبلائهم وصبرهم على الحرمان.

فلقد كان داود نبى الله حداداً يصنع الدروع، وكان نوح - عليه السلام - نجاراً يصنع السفن، وكان محمد ﷺ يرعى الغنم، جاء فى الحديث عنه ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا كنت أرى

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

الغنى لقريش على دريهمات» (1).

لم يسكن النبي ﷺ القصور، ولا العمار، ولم يكنز الذهب والفضة. بل رفض متاع الدنيا الزائل.

وليُعتبر المعتبرون بقصة قارون:

{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [التقصص: 76-83].

فالعزة ليست بالمال فليس المال وكثرته بسبب العزة والفخر والاستعلاء. فإن المال قد يكثر في يد الفاجر والكافر، وقد يقل في يد المؤمن العفيف التقى الصالح.

وقد يأتي للإنسان بلا سبب ظاهر، ولا تعب، ولا مجهود؛ ولعبت في كثرة الأولاد والحسب: فمذه أسباب يضعها الله تعالى في خلقه، قال تعالى يصف كبر

(1) رواه البخاري.

المشركين وإصرارهم على الكفر حينما رأوا رسول الله ﷺ فقيراً من المال:

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهَمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً * رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَكِنُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتْلَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } [الزخرف:

[35-31].

فالعزة للمؤمنين في انتمائهم للإسلام. فالإسلام هو نسب المسلمين وحسبهم:

جاء جبريل - علي السلام - إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد: عش ما شئت فإنك ميت. واعلم أن شرف المؤمن في قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس» (1).

وقال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» (2).

وعن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم» (3).

وقد روى عن المسيح عيسى - عليه السلام - مثل ضربه للمتكبر أنه إن تكبر وضعه الله، وأزال عن قلبه الحكمة، وإن تواضع أفهمه الله عز وجل حكمته، ونفعه بها. قال: "إن الزرع إنما ينبت في السهل، ولا ينبت على الصفا. وكذلك الحكمة: تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر. ألا ترى أنه من شمع برأسه إلى السقف شجه، ومن طأطأ أظله وأكنه".

(1) رواه الطبراني في الأوسط.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الترمذی.

والم تكسبون هم أهل البعد من الله - عز وجل - فالكبر يتنافى مع الإيمان: فأهل الإيمان من أنبياء الله ورسله، ومن تبعهم من المؤمنين أبعد الناس عن الكبر والغرور، بل كانوا في مطلق الطاعة، والانقياد، والخضوع لله سبحانه وتعالى: قال - سبحانه وتعالى - في محكم تنزيله:

{لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} [النساء: 172].

أخى المسلم:

مما سبق يتبين لنا أن العزة ليست بالمال، وكثرته. وأنها ليست في كثرة الأولاد والحسب:

قال سبحانه وتعالى:

{وَمِ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبا: 37].

فاحذر أخى المسلم هذه الآفة الخبيثة أن تنالك فعاقبتها وخيمه، وصاحب الكبر ماله إلى جهنم، والعياذ بالله تعالى: عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: "النقى عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر على الصفا، ففواقفا فمضى ابن عمرو. وأقام ابن عمر يبكى، فقالوا: ما يبكيك يا أبا عبد الرح من؟ فقال: هذا. يعنى: عبد الله ابن عمرو. زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه» (1).

وقال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر تطوهم الناس ذرا في مثل صور الرجال. يعلوهم كل شيء من الصغار. ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: (بوله) يعلوهم نار الأنيار، يسقون من طين الخبال عصارة

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

أهل النار» (1).

وقال - علي الصلاة والسلام - : «تحتاج الجنة والنار: فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين، والمتجبرين. وقالت الجنة: ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس، وسقراطهم، وعجزتهم. فقال الله للجنة: إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى. وقال للنار: إنما أنت عذابى. أعذب بك من أشاء. ولكل واحدة منكما ملؤها» (2).

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «من تعظم فى نفسه، واختال فى مشيته. لقى الله وهو عليه غضبان» (3).

لأن الاختيال فى المشى، والزهو بالملابس والجاه ينفر الناس من صاحبه: وقد مر الحسن - رضى الله عنه - بشاب عليه ثياب حسنة فدعاه ، فقال له: "ابن آدم: معجب بشبابه، محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك. ويحك!! داو قلبك؛ فإن حاجة العباد إلى الله صلاح قلوبهم". فالعبر يذهب النعمة عن صاحبه، ويقلبه إلى نقيض حاله:

عن عمرو بين شبيهة قال:

"كنت بمكة بين الصفا والمروة، فرأيت رجلاً راكباً بغلة، وبين يديه غلمان، وإذا هم يعرّون الناس.

قال: ثم عدت بعد حين. فدخلت بغداد. فكنت على الجسر فإذا برجل حاف. حاسر طويل الشعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأأمله. فقال لى: مالك تنظر إلى،

(1) رواه البزار عن أبى هريرة.

(2) متفق عليه.

(3) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

فقال له: شبهتك برجل رأيته بمكة، ووصفت له الصفة.

فقال له: أنا ذلك الرجل.

فقلت: ما فعل الله بك؟

فقال: "إنى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس".

أخى المسلم:

كما أن الكبر رذيلة مذمومة، فإن التواضع فضيلة محمودة: أمر الله بها نبيه محمداً ﷺ فقال: **{وَاخْضُضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}** [الشعراء: 215].

فكان ﷺ يستمع إلى العبد، والعجوز، والأرملة، والمسكين ويقف فى الطريق لكل من يستوقفه، ويصافح كل من يلقاه فلا يترك يده حتى يترك السائل يده، ويتفقد أصحابه، ويزور مرضاهم، ويشهد جنازهم، ويستمع إلى مشاكلهم، ويشاركهم فى أحزانهم وأفراحهم.

وهو القائل ﷺ: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»⁽¹⁾.

دخل عليه شارب يسأله مسألة فأخذته الرهبة من مقامه ﷺ فأخذ عليه الصلاة والسلام - يهدئ من روع الشاب، ويقول له: "هون عليك. فإن أمى امرأة من قریش كانت تأكل القديد"⁽²⁾.

وها هو أبو بكر الصديق صاحبه وخليفته، يقتدى به فى تواضعه، فكان يحلب الشياه لجيرانه العجائز، ويعجن الخبز لليتامى الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الحاكم.

وكان - رضى الله عنه - متواضعاً غاية التواضع: عندما توفى - رضى الله عنه - ذهبت السيدة عائشة - رضى الله عنها - بتركته إلى خليفته الفاروق - عمر - رضى الله عنه - فلم يجدوا إلا بعيراً كان يستقى عليه، ومَحْلَباً يحلب فيه اللبن، وعلبة كان يستقبل فيها الوفود.

ومن بعده كان عمر الفاروق مثلاً أعلى فى التواضع، وإذلال النفس وتربيتها:

فعن دما دانت له الدنيا، واتسعت أرجاء الدولة، وتدفقت الخيرات (خيرات فارس والروم): صعد إلى المنبر فخطب قائلاً: "إن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين كان يرفعى إلهي الخطاب، ويلبس المرقعات، ويتستر بالجلود، وقد أصبح اليوم وليس فوقه إلا الله الواحد القهار".

كان أمير المؤمنين عمر يلبس الثوب، وقد ملأته الرقع والناس حوله يلبسون أفخر الثياب وأغلاها ، للفتنه أراد أن يضرب لهم القدوة، والمثل لحاكم المسلمين وراعيهم.

فلنرق الله:

ولنأخذ من هدى المصطفى ﷺ العبرة، والقدوة الحسنة:

قال عليه الصلاة والسلام: «إن أحبكم إلى، وأقر بكم منى فى الآخرة. أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلى، وأبعدكم منى ، الثرثارون، المتشدقون، المتفيهقون».

قالوا: يا رسول الله قد علمنا "الثرثارون"، والمتشدقون".

فما المتفيهقون؟ قال ﷺ: «المكبرون»⁽¹⁾.

* * * * *

(1) رواه أحمد من حديث أبى ثعلبة الخشنى.

النهى عن الجدل والمراء

الحمد لله /

يحب السلام والوئام، ويكره الجدل والخصام.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له القائل: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} [البقرة: 204].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، القائل - فى حديثه الشريف - : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (1).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، الذى كان يكره الجدل والمراء ، سمح إذا باع سمح إذا اشترى ، خير من يمشى على الثرى ، نبي الإحسان والقرى ، الذى نال من ربه الكرامة والقرى ، ما تقاطر دمع أحبابه شوقاً إليه وجرى ، الذى به حق الحق وزال المرأ ، وعلى آله وسلم عدد ذرات الصخور والثرى.

أمـا بعد

فيا عباد الله /

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة. قال: «تقوى الله، وحسن الخلق».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار. قال: الأجوفان: الفم، والفرج (2).

(1) متفق عليه.

(2) رواه البخارى فى الأدب.

إخوة الإسلام:

هذا بيان من رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فذكر: التقوى التى هى جماع كل خير، وحسن الخلق الذى هو أثقل شىء فى ميزان المسلم يوم القيامة.

وذكر أكثر ما يدخل الناس النار فذكر: اللسان الذى كثيراً ما يكب الناس فى النار على وجوههم يوم القيامة.

والفرج: الذى كثيراً ما تحركه الشهوة التى تدفع صاحبها إلى الوقوع فى الحرام.

لذا يقول النبى ﷺ : «من يتوكل لى ما بين لحييه ورجليه أتوكل له الجنة» (1).

وقد أمرنا الله تعالى بحفظ اللسان، والقول الحسن فقال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: 83]، فلا يقولوا قبحاً ولا فحشاً.

وقد أمر الله نبيه ﷺ الدعوة إلى سبيله بالحسنى فى قوله سبحانه : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125].

وهذا هو أدب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دون جدال أو مرء فإن الجدل لا يأتى إلا بشر كما قال - سبحانه - : {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: 46].

ويخاطبه فى آية أخرى فيقول: {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} [النساء: 107].

(1) رواه الترمذى وأحمد.

وأمر المسلمين بالتأدب بترك الجدال، وإذا اضطروا إليه فليكن بالتى هي أحسن فقال - سبحانه -:

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46].

وقد ذم الله تعالى قوماً يجادلون فى آياته بغير علم فقال:

{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر: 56].

ويقول سبحانه وتعالى: {أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [الشورى: 18].

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [الحج: 3، 4].

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: 8، 9].

وقد حذرنا النبى ﷺ من الجدال وكثرة الاختلاف فى أى أمر من الأمور:

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: "ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه" (1).

وقال ﷺ: «ذروا المراء فإنه لا تومن فتنته» (2).

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الطبرانى.

فهو الاعتراض على كلام الغير، والطعن فيه، والجدل معه بقصد إفحامه وتعجيزه وتنقيصه وتجهيله؛ لذلك يقول النبي ﷺ : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ قوله تعالى: { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } [الزخرف: 58] ⁽¹⁾ .

ورغب ﷺ فى ترك المراء والجدال فقال: «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة (ما حولها). ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها» ⁽²⁾ .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ العلم وسيلة إلى الجدل والمماراة: عن كعب بن مالك. عن أبيه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من طلب العلم ليجارى به العلماء، أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار» ⁽³⁾ .

ويقول سيدنا عمر - رضى الله عنه - : "لا يتعلم العلم لثلاث، ولا يترك لثلاث:

لا يتعلم ليمارى به، ولا يباهى به، ولا يراعى به.

ولا يترك: حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل منه ⁽⁴⁾ .

وفى الحديث الذى رواه ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ : «ولا تمار حلماً ولا سفيهاً فإن الحلیم يقلبك، وإن السفيه يؤذيك» ⁽⁵⁾ .

"من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع" ⁽⁶⁾ .

(1) رواه الترمذی.

(2) رواه الترمذی.

(3) رواه الترمذی.

(4) رواه ابن الجوزی.

(5) رواه ابن أبی الدنيا.

(6) إحياء علوم الدين.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لا تماروا في القرآن. فإن المراء فيه كفر»⁽¹⁾.

وقد ضرب عمر - رضى الله عنه - رجلاً أراد إدخال بعض الشبهات على الناس ونفاه من المدينة.

وقال الإمام مالك - رضى الله عنه -:

"ليس هذا الجدل من الدين فى شىء" وقال: "المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن".

وقد قص علينا القرآن الكريم قصة بنى إسرائيل مع موسى - عليه السلام - عندما أمرهم بذبح البقرة فى قوله تعالى:

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيعَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} [البقرة: 67-71].

فجادلوه بقولهم: (أتخذنا هزواً). ثم سألوه عن سنّها، وعن لونّها، وعن صفتها.

وكان عاقبة جدالهم أن شدد الله عليهم. فلم يجدوا إلا بقرة واحدة بهذا الوصف. فكان ذلك سبباً فى قسوة قلوبهم. وهذا مصداق قوله تعالى: {وَكَانَ

(1) رواه الطبرانى.

الإنسان أكثر شيء جدلاً [الكهف: 54].

والجدال له عواقبه الوخيمة: فالمجادل يضيع عمره فيما لا فائدة فيه، فما أضله ! وما أشد غفلته ! يمارى في كل شيء كأنه أحاط بكل شيء علماً فيجادل العالم في علمه، والقاضى في حكمه، والطبيب في طبه، والتاجر في تجارته، والزارع في زراعته، والصانع في صناعته، وترى الزوج يجادل مع زوجته في أمورها الخاصة فيشتد الجدل بينهما، ويلعب الشيطان دوره فينتهى الأمر بالطلاق. وقد يكون الطلاق الأخير فيتشرّد الأولاد، ويندم الزوجان، ويشتد الجدل بين الرئيس والمرءوسين فيضعف العمل، ويقل الإنتاج، وينشأ الجدل بين البائع والمشتري بسبب تافه يتعلق بالسلعة أو بفرق بسيط في تقدير الثمن، فيؤدى إلى السباب والطعن، وربما أدى إلى السجن وقد يذهب أحدهما، أو كلاهما ضحية هذا الجدل.

وقد رغب النبي ﷺ في السماحة في البيع والشراء. فقال: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» (1).

ويجادل بعض المنتسبين إلى الإسلام فيقول: "أنا خير من كثير من المصلين لاستقامتى واعوجاجهم، ويجادل بعضهم بأن كثيراً من الناس يصلون ولا ينتهون عن الفحشاء والمنكر، وينسى هذا المجادل أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وإن طال الزمن به:

فقد روى: "أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله ﷺ الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه.

فأخبر به النبي ﷺ فقال: «إن صلاته ستنهاه».

(1) رواه البخارى.

فلم يلبث أن تاب⁽¹⁾.

ومن الناس من يجادل فى حرمة الحشيش:

وقد قالت السيدة أم سلمة زوج النبى ﷺ: "نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتن"⁽²⁾.

ولا شك أن الحشيش يفتن صاحبه، ويورثه ضعفاً وهذا لا.

ومن الناس من يجادل فى عذاب القبر ونعيمه:

وفى القرآن دليل عليه:

{وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: 45، 46].

وقد قال ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال: هذا مقعدك من النار حتى يبعثك الله يوم القيامة»⁽³⁾.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «من يتوكل لى ما بين لحييه ورجليه. أتوكل له الجنة»⁽⁴⁾.

* * * * *

(1) أخرجه القرطبى فى تفسيره.

(2) رواه أحمد فى مسنده.

(3) رواه الشيخان.

(4) رواه الترمذى وأحمد.

التحذير من اتباع الشيطان

الحمد لله /

الذي هدى الإنسان إلى الطريق المستقيم. وحذر من اتباع النفس
والهوى والشيطان. قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ} [البقرة: 208].

وأشهد أن لا إله إلا الله يحب من أقبل إليه، وخالف نفسه وهواه ولم يتبع
شيطانه.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
مُبْصِرُونَ} [الأعراف: 201].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل: «ما منكم من أحد إلا وله
شيطان. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا. إلا أن الله أعانني عليه
فأسلم فلا يأمر إلا بخير» (1).

اللهم صل على سيدنا محمد الذي بالصلاة عليه يتشريح الصدور، ويطرد
الشيطان عنا ويغور، ويجلب الفرح بالله والسرور، وتندفع عنا المصائب
والشرور، ويعظم بها الثواب والأجور.
وعلى آله وسلم أهل البر والبرور.

وبعد

فيقول الحق جل وعلا: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو
حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6].

فهو العدو الأول للبشرية، وعداوته أزلية، فحذروا الله منه.

(1) رواه مسلم.

العدو الذى أبى واستكبر أن يسجد لآدم فطرد من رحمة الله، فحمله ذلك على إغواء الأدميين والأدميات.

{قَالَ رَبِّ فَلْتَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: 79: 82].

الشيطان عدو ماكر خداع. يحتال على كل إنسان بما يميل إليه طبعه حتى يوقعه فى الشر من حيث لا يشعر.

وفى تصوير هذا المعنى يقول يحيى بن معاذ - رضى الله عنه -:

"أنت فارغ والشيطان مشغول، وهو يراك من حيث لا تراه، وهو لا ينسأك وأنت تنساه، وهو يقف على أبواب المعاصى فيزينها. وعلى أبواب الطاعات فيصد عنه أ. يحبب إلى الناس الخطايا ويستعجلهم إلى فعلها، ويبغض إليهم المكاره، ويجهون عليهم أمر التسويف في آدائها، فيحول بينهم وبين أداء الصلوات فى وقتها، ويحرمهم من قيام الليل للصلاة، وذكر الله، ويوسوس إليهم حين النوم بتثقلهم فيه فيكسلون عن صلاة الصبح.

وهذا ما حذرنا منه النبى الكريم ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة. فإن توضأ انحلت عقدة. فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» (1).

فالشيطان يكيد للبشر يوهمه أنه يعمل لمنفعته ثم يوقعه فى الهلاك ويتخلى عنه. قال تعالى: {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ

(1) رواه الشيخان.

النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: 48].

فقد تراءى الشيطان للمشركين عند خروجهم إلى بدر فى صورة سراقبة بن مالك وقال: أنا جار لكم من بنى كنانة. فلما رأى الملائكة نزلت لنصر رسول الله ﷺ فب عنهم وتركهم فى طغيانهم يعمهون.

وما يزال الشيطان بالإنسان حتى يحمّله على الكفر ل و استطاع قال تعالى: {كَمْ تَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر: 16].

نزلت فى راهب من بنى إسرائيل يسمى برصيصا الذى أغواه الشيطان حتى أوقعه فى الزنا فى جارية، ثم أمره بقتلها بعد أن حملت منه ثم دل أهلها عليه، وكشف أمره لهم. فلما صلبوه على الخشبة ظهر له الشيطان، وأمره بالسجود له حتى يخلصه.

فلما سجد تبرأ منه وتركه فى كفره وضلاله.

ومن عمل الشيطان حمّله الناس على البخل وصدّهم عن سبيل الله.

قال تعالى:

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 268].

ومن أغراضه وأساليبه الدنيئة: إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس فيزيّن لهم شرب الخمر ولعب الميسر وتعاطى المخدرات.

قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90].

والشيطان يوقظ الفتن بين الأفراد والجماعات ويفسد بين الأب وابنه والمرء وزوجه. ومن أيسر الطرق التي يدخل بها الشيطان إلى قلب البشر الخلوة بالمرأة الأجنبية يجتمع هو والنفس الأمارة بالسوء فيوقعان الإنسان في المعصية.

ولذلك فإن رسول الله ﷺ نهانا عن هذه الخلوة فقال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»⁽¹⁾. رواه البخاري عن ابن عباس - رضى الله عنهما.

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «إياك والخلوة بالنساء. والذى نفسى بيده: ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيرا متطخا بطين، أو حماة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له»⁽²⁾.

ولكى تتجوأ أخى المسلم من الوقوع فى حباله عليك أن تتحصن منه، وتبتعد عن طريقه. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21].

ولذلك نهانا الإسلام عن فعل أى فعل يفعل الشيطان فنهانا عن الأكل والشرب بالشمال، ونهانا عن الأكل بإصبع واحدة، أو المشى بفعل واحد، والنوم على البطن، وعن عدم الاهتمام بالمظهر لأن هذه كلها أحوال الشيطان.

ومن أسباب النجاة منه - الاستعاذة منه:

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [الرحل: 98].

(1) رواه البخاري.

(2) رواه الطبراني.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

{وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت:

[36].

{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ }

[المؤمنون: 97- 98].

فهو متربص بالإنسان يتحين منه غفلة فينقض عليه وهذا مصداق الحديث الشريف: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فلين ذكر الله خنس، وإن نسى التقم قلبه»⁽¹⁾.

وهو دائم الوسوسة للإنسان، ويشككه في كل شيء، ويحاول أن ينال من إيمانه، وأن يززع عقيدته.

ويرى لنا أحد الصالحين (الشيخ عبد القادر الجيلاني) قصته مع الشيطان ومنها العظة والعبرة قال: "اشتد على الحر في بعض الأسفار يوم أ حتى كدت أن أموت عطشاً فظللتنى سحابة سوداء، وهب على منها هواء بارد حتى دار ريقى في فمي، وإذا بصوت يناديني منها: عبد القادر: أنا ربك. فقلت له: أنت الله الذي لا إله إلا هو؟ - فعدل الشيخ عن الاسم المشترك إلى الا سم المختص بالواحد الأحد - قال الشريخ: فناداني يا عب القادر: أنا ربك. وقد أحللت لك ما حرمت عليك. قال: فقلت له: كذبت. بل أنت الشيطان.

قال: فتمزقت السحابة، وسمعت من ورائي قائلاً يقول:

يا عبد القادر: نجوت منى بفقهك في دينك. لقد فتنت بهذه الحيلة سبعين رجلاً وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف

(1) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي.

عابد» (1).

وللشيطان أوقات ينشط فيها وهي: أوقات الغفلة، ومجالس السوء، وترك الطهارة.

وله أوقات يكون فيها ذليلاً مدحوراً وهي: أوقات الرحمة، والذكر، والدعاء: كيوم عرفة.

قال عليه - الصلاة والسلام -: «ما رأى الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أحقر، ولا أدحر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من نزول رحمة الها وتجاوزته عن الذنوب العظام. إلا ما رأى يوم بدر. قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: أما إنه رأى جبريل يزعم الملائكة» (2).

وقال الفضيل بن عياض: "ما من شيء أبغض على إبليس من أن يرى ابن آدم نائماً. يقول: متى يقوم حتى يعصى الله" (3).

وعن أم المؤمنين صفية - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» (4). والله تعالى أعلم.

التحذير من الربا و عواقبه

الحمد لله /

تعريف الربا: الربا هو: (أكل مال يكسبه صاحبه بغير جهد أو بذل، وإنما بمجرد الانتظار، واستغلال حاجة المحتاج).

(1) رواه النسائي وابن ماجه.

(2) رواه مالك.

(3) رواه ابن أبي الدنيا.

(4) رواه البخاري، ومسلم.

الآيات القرآنية:

قال تعالى:

1- {وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم: 39].

2- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 130].

3- {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} * يَمَحِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: 275، 276].

4- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِنَّكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ { [البقرة: 278-281].

5- وقال - سبحانه - فى شأن اليهود:

{فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} [النساء: 160].

سبب نزول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} :

نزلت في العباس، وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا. فجاء الإسلام، ولهما أموال عظيمة في الربا. فأنزل الله هذه الآية.

فقال النبي ﷺ: «ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب» (1).

ثانياً: الأحاديث النبوية:

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (2).

قال - عليه الصلاة والسلام - : «لعن الله آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه» (3)، «لدرهم ربا أشد عند الله تعالى من ست وثلاثين زانية في الخطيئة» (4).

قال ﷺ: «يأتى على الناس زمان يأكلون الربا». قيل: الناس كلهم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «من لم يأكله ناله غباره» (5).

وقال ﷺ: «لما عرج بى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعداً وصواعق، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب. ترى من ظاهر بطونهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة الربا» (6).

وقال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخرجانى إلى أرض مقدسة فانطلقا

(1) رواه الترمذى وصححه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه البيهقى والطبرانى فى الأوسط.

(5) رواه النسائى.

(6) رواه أحمد.

حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا الذى رأيته فى النهر؟ قال: آكل الربا»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قلّ»⁽²⁾.

الحكمة فى تحريم الربا:

1- سبب العداوة بين الأفراد، ويقضى على التعاون بينهم.

2- يؤدى إلى خلق طبقة مترفة لا تعمل شيئاً.

3- يؤدى إلى تضخيم الأموال فى أيديهم دون جهد مبذول.

4- أهل الربا يركنون للدعة والراحة.

معنى قوله تعالى:

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ... الآية}.

أى: لا يقومون من قبورهم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم إلا أكلة الربا. فإنهم كلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما أن المصروع يحصل له ذلك.

وسر ذلك: أنهم لما كانوا يأكلون هذا الحرام السحت بوجه المكر والخداع، ومحاربة الله ورسوله، ربا فى بطونهم، وزاد حتى أثقلها؛ فلذلك عجزوا عن النهوض مع الناس.

(1) رواه الترمذى.

(2) رواه أحمد وغيره.

وصاروا كلما أرادوا الإسراع مع الناس ونهضوا ، سقطوا على ذلك الوجه القبيح، وتخلفوا عنهم، ومعلوم أن النار التي تحشرهم إلى الموقف كلما سقطوا وتخلفوا أكلتهم وزاد عذابهم؛ فجمع الله عليهم في الذهاب إلى الموقف عذابين:

1- ذلك التخبط والسقوط في ذهابهم.

2- لفح النار، وأكلها لهم وسوقها إياهم حتى يصيروا إلى الموقف.

قال قتادة - رضى الله عنه -: "آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً، وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف".

ومن المسائل الربوية التي يقع الناس فيها كثيراً في زماننا هذا:

ما يفعله بعض التجار، أو أصحاب الأموال مع بعض الفلاحين حيث يقترض منه مثلاً إردباً من الفول، أو القمح إلى أجلٍ حصاده ، وعند السداد قد يعجز الفلاح أولاً يستطيع سداد ما عليه.

فيقول لصاحب الدين: خذ ثمن الأردب نقداً بسعره الحالى فهذا من أنواع الربا؛ لأن التاجر دفع نقوداً فكأنه أسلفها إياه، وأخذها بزيادة. (وهو ما عرف عند العوام بالرمية).

قال عليه الصلاة والسلام: «كل قرض جر نفعا فهو ربا» (1).

أو كما قال ﷺ.

* * * * *

(1) رواه الحرث عن علي.

التحذير من شهادة الزور

الحمد لله /

الذى أحسن خلق الإنسان وعدله، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله ،
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى
أكرمه، وفضله، ونبهه الذى أرسله بكتاب أنزله.

اللهم صل على سيدنا محمد نبي الحكمة والعدل، وأفضل أهل الفضل ، الأمر
بالجد والقول الفصل، والناهي عن الهزل، طيب الفرع والأصل.
صلاة تفتح لنا بها بلفتح وتحقيق الأمل، وتحفظنا بها من شر الهم والحزن
والملل، والعجز والكسل.

أما بعد

عباد الله:

يقول الله - سبحانه وتعالى -: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ
رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا
قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: 30].

عباد الله /

إن اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة ، فإنه صغير جرمه
عظيم طاعته وجُرمه؛ إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية
الطاعة والعصيان؛ فاللسان له في الخير مجال واسع، وفي الشر ميدان فسيح ؛
فمن أطلق لسانه ولم يحافظ عليه، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا
جرف هار، إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم

إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من سار به على نهج الشرع ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عما فيه هلاكه.

وقد قال معاذ بن جبل: "قلت يا رسول الله: أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: "تكلتك أمك يا ابن جبل! وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"(1).

ولقد كان المسلم من السلف الصالح يتكلم قليلاً، ويعمل كثيراً؛ لأنه يعلم أن ما يقوله سيؤاخذ به، وما ينطق به سيحاسب عليه.

قال تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النور: 24].

ومن الجرائم المنكرة، والكبائر الموبقة ، قول الزور، وشهادة الزور التي فشت في هذا الزمان، وصارت صفة ووظيفة لكثير من الناس، يكتسبون بها مالاً حراماً، وسحقاً مهاناً، ويتقاضون عليها أجراً رخيصاً لقلب الحق باطلاً، وتصوير الباطل حقاً، واتهام البرئ، وتبرئة المتهم، وقلب الحقائق، وتغيير الوقائع.

وكفى بذلك إثماً مبيناً وظلماً كبيراً. يقول الله تعالى:

{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: 58].

ولم يعلموا أنهم بذلك باعوا دينهم؛ لأن شهادة الزور تعدل الشرك بالله، وتسلاوى في الإثم عبادة الأوثان:

فعن أيمن بن خريم قال: "قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال:

«يا أيها الناس: عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله». وكررها ثلاثاً ثم قرأ

(1) رواه الحاكم.

قوله تعالى:

{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: 30] "(1).

وفى الصحيحين عن أبى بكر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :
«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق
الوالدين» وكان متكئاً فجلس. فقال : «ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما
زال يكررها حتى قلنا ليته سكت(2).

وقول الزور: أن يقف الشاهد أمام القاضى يتلو شهادة كاذبة يحفظها عن
ظهر قلب نظير دراهم معدودة ، فيخرب بشهادته بيوتاً عامرة، ويسجن هذا،
ويظلم ذاك، وينسى أنه سيقف أمام الجبار المنتقم فى مجلس القضاء الإلهى وهو
أحكم الحاكمين ولا يعلم أنه قد بنى لنفسه بي تة فى النار ، يقول عليه الصلاة
والسلام: «لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار» (3).

وقد أمر الإسلام بالنتبث فى ما يقوله المؤمن أو يحكيه: يقول النبى
المصطفى ﷺ : «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع» (4).

ويقول الله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36].

{إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ} [الفجر: 14]، {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:

[18].

عباد الله /

أعلموا أن كتم الشهادة بلا عذر من الذنوب الكبيرة، وقد عدها النبى ﷺ كمن

(1) رواه أحمد فى مسنده.

(2) رواه الشيخان.

(3) متفق عليه.

(4) رواه مسلم.

شهد زوراً:

يقول ﷺ: «من كتم شهادة إذا دعى إليها كان كمن شهد بالزور»⁽¹⁾.

لأن الله - سبحانه وتعالى - يقول: {وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا} [البقرة: 282].

ويقول: {وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: 283].

ولقد وصف الله عباده المؤمنين الصادقين بأنهم لا يشهدون الزور: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: 72].
وليست شهادة الزور قاصرة على الشهادة أمام المحاكم. بل إنك إذا سئلت عن إنسان فوصفته بغير ما فيه لتحقره أو ترفع قدره فأنت شاهد زور عليه، وإذا مدحت الخاملين، وناققت الفاسقين، وقلت في المجد إنه خامل، وفي المخلص إنه مقصر فأنت شاهد زور ، والله - تعالى - يقول: {فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} [يونس: 32].

وقد أمر الإسلام المسلم بأن يعدل في كل شيء، وأن ينصر الحق أينما كان. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 135].

أي: كونوا مواظبين على العدل في جميع الأمور، مجتهدين في إقامته ، لا يصرفكم عنه صارف، شاهدين بالحق لله، بأن تقيموا شهادتكم لوجه الله - تعالى

(1) رواه الطبراني.

-، ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو على والديكم أو أقاربكم؛ لأن الشهادة بيان الحق سواء كان عليك أو على غيرك، إن يكن كل من المشهود له أو عليه غنياً يرجى خيره، ويخشى ضرره، أو فقيراً يترحم، أو يجنى عليه فالله أولى به.

ولا تجوروا في الشهادة ميلاً أو ترحماء، ولا تشهدوا للغنى طلباً لرضاه، ولا تمتنعوا من الشهادة عليه خوفاً منه أو على الفقير شفقة عليه، فإن الله تعالى أولى بالغنى والفقير وبالنظر لهما منكم.

ومن الناس من يستعين على تحقيق أطماعه باليمين الكاذبة، ولا يدري أنه متوعد بعذاب الله - تعالى -، وغضبه يوم القيامة وقد روى الأئمة عن الأشعث ابن قيس قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني، فقدمت إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «هل لك بينة؟». قلت: لا. فقال لليهودي: احلف.

قلت: إذا يحلف فيذهب بمالي. فأنزل الله - تعالى -: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: 77] (1).

وروى الأئمة أيضاً عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك» (2).

وقد روى الأئمة عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضى بينكم على نحو مما أسمع منكم، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة»

(1) رواه البخارى.

(2) رواه مسلم.

* * * * *

النهى عن الغيبة

الحمد لله /

الملك المجيد، المبدىء المعيد. الفعال لما يريد. القائل: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» [ق: 18].

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له: نهى عن الغيبة، وعن السخرية، والإفك، والبهتان، والصفات الذميمة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الكامل فى أقواله وأفعاله، المحافظ على أعراض الناس فى جميع أحواله الذى لا تنتهك فى مجالسه الخُ رَم. ولا يسخر غنى من فقير.

نبى الله، وحبیب الله، وهو البشير النذير، والسراج المنير اللهم صل عليه، وعلى آله المطهرين البررة، وأصحابه المكرمين الخيرة: حفظوا ألسنتهم عن الأعراض فحفظ الله أعراضهم، ونزهوا عن الغيبة، والإفك أقوالهم، فشفى الله قلوبهم، وسلم من النقص أعمالهم.

أما بعد

فيا عباد الله /

يقول الله سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: 12].

(1) رواه ابن ماجة.

ينهانا ربنا سبحانه وتعالى عن الغيبة التى منشؤها سوء الظن والريبة، وهى: ذكرك أخاك بما يكره وإن كان فيه. فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «هل تدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أ رأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتك، وإن لم يكن فيه فقد بهته» (1).

وقد تقع الغيبة فى أيسر الكلام وأهونه، ولا يدرى صاحبه أنه من الغيبة: فقد سمع النبى ﷺ عائشة - رضى الله عنها - تقول: حسبك من صفة كذا، وكذا.

قال بعض الرواة: تعنى أنها قصيرة.

فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» (2).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال:

لنا جلوساً عند النبى ﷺ فقال رجل من القوم: يا رسول الله: ما أعجز فلاناً؟

فقال رسول الله ﷺ: «أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه» (3).

والغيبة تبطل العمل، وتحرم صاحبه من الثواب:

عن عبيد مولى رسول الله ﷺ: "أن امرأتين من الأنصار صامتا على عهد رسول الله ﷺ فجلست إحداهما إلى الأخر. فجعلتا تأكلان لحوم الناس فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن هاهنا امرأتين صامتا، وقد كادت أن تموتا من العطش. فأعرض عنه النبى ﷺ فسكتا، قال: ثم جاءه بعد ذلك - أحسبه قال فى الظهيرة - فقال: يا رسول الله: إنهما والله لقد ماتتا أو كادت أن تموتا.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه أبو داود، والترمذى.

(3) رواه أبو يعلى و الطبرانى و البيهقى.

فقال النبي ﷺ : ائتنى بهما، فجاءتا. فدعا بعس (قدح كبير) - أو قدح فقال لإحداهما: قيئي. فقاعت من قيح، ودم وصدید حتى ملأت القدح. وقال للأخرى: قيئي.

فقاعت من قيح ودم وصدید.

فقال: إن هاتين صامتا مما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحدهما إلى الأخرى، فجعلت تأكلان لحوم الناس (1).

وقد نهى الإسلام عن الغيبة في أحاديث النبي ﷺ عن الغيبة:

فقال ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه» (2).

وفي حديث آخر يقول ﷺ : «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يفتب بعضكم بعضا، وكونوا عباد الله إخواناً» (3).

وقد أجمع العلماء على أن الغيبة من الكبائر فهى أشد من الزنا، فعن جابر وأبى سعيد قالوا:

قال رسول الله ﷺ : «إياكم والغيبة ، فإن الغيبة أشد من الزنا ، إن الرجل قد يزنى فيتوب الله عليه ، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» (4).

وعن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال: "خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتها، فقال:

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن

(1) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(2) رواه مسلم.

(3) متفق عليه.

(4) رواه ابن أبى الدنيا.

يتبع الله عورته يفضحه، ولو فى جوف بيته»⁽¹⁾.

وإن نهش أعراض الناس، وأكل لحومهم سيعاقب عليه صاحبه بصورة مؤلمة، مقززة يوم القيامة، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: (من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة. فقليل له: كله ميتاً كما أكلته حياً فيأكله ويفيح ويكلح (أى يعبس وجهه ويتغير)⁽²⁾).

وعن خالد الربعى قال: "دخلت المسجد فجلست إلى قوم، فذكروا رجلاً فنهيتهم عنه فكفوا، ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا فى ذكره فدخلت معهم فى شىء.

فلم كان من الليل رأيت فى المنام كأن شيئاً أسود طويلاً جداً، معه طبق خلاف (شجر الصفصاف) أسود عليه لحم خنزير. فقال: كل. قلت: أكل لحم خنزير؟ والله لا أكله. فأخذ بقفاى وقال: كل. وانتهرنى انتهارة شديدة، ودسه فى فمى. فجعلت ألوكه ولا أسيغه، وأفرق أن ألقيه فاستيقظت. قال: لقد مكثت ثلاثين يوماً، وما أكل طعاماً إلا وجدت طعم ذلك اللحم فى فمى.

وقد رأى النبى ﷺ الم غتابين ليلة أسرى به

فقال ﷺ: «لم أخرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم، وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم»⁽³⁾.

وأكل لحوم الناس واغتيالهم من أسباب عذاب القبر:

عن قتادة - رضى الله عنه - قال:

"ذئو لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه الهيثمى.

(3) رواه أبو داود.

من النميمة".

وكلها أسرف المرء فى الغيبة كان ذلك سبباً فى نقصان دينه:

عن الربيع بن صبيح قال:

"سمعت الحسن - رضى الله عنه - يقول: "والله للغيبة أسرع فى دين المؤمن من الأكلة فى جسده".

فالغيبة تفرق بين الناس، وتشتت كلمتهم:

روى ابن إسحاق عن وهب قال: إن ذا القرنين - عليه السلام - قال لبعض الأمم:

ما بال كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا إنا من قبيل لا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضاً.

فعلى المسلم أن لا يشغل نفسه بعيوب الناس، ويكفيه أن يصلح عيوب نفسه أولاً:

فقد كان الحسن - رضى الله عنه - يقول:

"ابن آدم: إنك لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى لا تعي بعيوب الناس، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك. فإذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا". ذكره فى الإحياء.

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: "إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك"⁽¹⁾.

وقال الأحنف بن قيس: "ما ذكرت أحداً بسوء بعد أن يقوم من عندى".

(1) رواه الإمام أحمد.

وقال بكر بن عبد الله: "إذا رأيتم الرجل مولعاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مكر به".

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: "عليكم بذكر الله فإنه شفاء. وإياكم وذكر الناس فإنه داء".

وهناك أمور لا تعد من الغيبة ؛ لأن فيه أغراضاً شرعياً صحيحاً لا يمكن الوصول إليه إلا بها:

فمنها: التظلم. فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان، أو غيره ممن له ولاية.

ومنها: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب.

ومنها: الاستفتاء: يقول للمفتي ظلمني أبى أو أخى أو زوجى.

ومنها: تحذير المسلمين من الشر، ونصيحتهم كجرح المجرورين من الشهود.

ومنها: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته. كالمجاهر بشرب الخمر وظلم الناس.

ومنها: التعريف بالشخص الغائب إذا كان معروفاً بقلبه كالأحول والأعرج، والأصم... وغيرها.

وهناك من الأحاديث الصحيحة - ما يقوى تلك الأسباب:

فعن عائشة - رضى الله عنها - أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا له ببئس أخو العشيرة⁽¹⁾.

(1) متفق عليه.

وعنها - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أظن فلاناً يعرف من دينك شيئاً» (1).

وعنها - رضى الله عنها - قالت: "قالت هند امرأة أبى سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. قال ﷺ: «خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف» (2).

النهي عن النميمة

الحمد لله /

الحمد لله الذى طهر قلوب أحبابه من أدران الحقد والحسد، والنفاق والرياء والملق، فخلصت قلوبهم وطهرت أفئدتهم، وتنزهت عن اللغو والنميمة ألسنتهم فكانوا أهلاً لحفظ المودات، وإتقاء الفرقة بين الأخوة والأخوات.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له استحسب ستر عيوب الخلق ولو صدق اتصافهم بها، وحرّم التشنيع على المسلم ، فما يحق لمسلم أن يتشفى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه.

وصدق الله العظيم القائل: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب: 58]. {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: 19].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى نهى عن النميمة، وحذرنا منها. فقال: - صلوات الله وسلامه عليه - فيما روى عنه: «إن النميمة والحقد فى

(1) رواه البخارى.

(2) متفق عليه.

النار ، لا يجتمعان في قلب مسلم» (1).

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، الطيبين الطاهرين، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين.

أمـا بعد

أيها المسلمون:

إن المؤمن بإيمانه وفطرته التي فطر الله عليها - وهي فطرة الإيمان - إلف مألوف، محب محبوب، متأدب بآداب الإسلام التي شرعها الله لحفظ المودات، واتقاء الفرقة التي هي ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب ؛ ومن ثم نرى المؤمن ينتهي عن النميمة التي نهاه الله عنها؛ لأن تلمس العيوب للناس وإصاقها بهم عن تعمد يدل على خبث ودناءة.

فالافتراء عى الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد، ولما كان أثرها شديداً في تشويه الحقائق وجرح المستورين، عدها الإسلام من أقبح الزور:

روت عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أى الربا أربى عند الله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أربا الربا عند الله: استحلال عرض امرئ مسلم» ثم قرأ ﷺ: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: 58] (2).

إخوة الإيمان:

إن النميمة التي هي: نقل الحديث على وجه الإفساد ، من صنيع أهل الفسق الذين وجهنا الله إلى أن نتبين أنباءهم امتثالاً لقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } {

(1) رواه الطبراني في الأوسط.

(2) ذكره ابن كثير في تفسيره.

[الحجرات: 6].

وقد نزلت هذه الآية في: (الوليد بن عقبة بن أبي معيط) لما بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق مصدقاً (أى: جامعاً للزكاة) ، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيماً لله - تعالى - ولرسوله ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم ، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم، وأرادوا قتلى ، فغضب ﷺ وهم أن يغزوهم ، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه، ونكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من حق الله - تعالى - ، فبدى له في الرجوع. فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبته، وغضبة رسوله فأنزل الله تعالى هذه الآية...) (1).

وكفى بالنميمة إثماً أن الله تعالى ذم أقواماً بها:

{همازٍ مشاءٍ بنميم} [القلم: 11].

وقال تعالى: {وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد: 4]. قيل: إنها كانت نمامة.

وإن أبغض الناس إلى الله سبحانه وتعالى المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبرىء العثرات ، وصدق - رسول الله ﷺ : «أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً، الموطنون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون» (2).

ولا يمشى بالنميمة بين الناس إلا شرار الخلق: يقول ﷺ : «ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى. قال: «المشاعون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة. الباغون للبراء العيب» (3).

وقد رتب الإسلام عقوبات عاجلة لهذا الصنف من الناس: ففي الحديث

(1) رواه أحمد والطبراني.

(2) رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

(3) رواه أحمد.

الشرىف ىقول ﷺ : «من أشاع على مسلم بكلمة لىشینه بها بغير حق شأنه الله بها فى النار يوم القيامة» (1).

وعنه ﷺ أنه قال: «أىما رجل أشاع على مسلم كلمة وهو منها برئ لىشینه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يزبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى ببعاد ما قال» (2).

لأن الذى لا ىجد بالناس شراً فىنتحلله لهم انتحالاً فلا شك أنه أفاك لعین، ىحب إشاعة الفاحشة التى أعد الله لأهلها العذاب الألىم فى الدنيا والآخرة ، {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: 19].

فصاحب النمیمة بعیدٌ من رحمة الله، مطرود من جنته:

ىقول علیه الصلاة والسلام: (لا ىدخل الجنة نام) (3) وفى رواية: (قتات) (4).

قال العلماء: هما بمعنى واحد ، وقیل: المنام: الذى ىكون مع جماعة یتحدثون فىنقل عنهم ، والقتات: الذى یتسمع لهم من حیث لا یشعرون ثم ینم.

والنمیمة لا تكون فى قلب المسلم أبداً:

ىقول - علیه الصلاة والسلام - : «إن النمیمة والحقد فى النار ، لا ىجتمعان

(1) رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا.

(2) متفق علیه.

(3) متفق علیه.

(4) رواه مسلم.

فى قلب مسلم»⁽¹⁾.

وإذا كانت النميمة داءً عضالاً يفتك بالأفراد، والجماعات: فإن ديننا الحنيف قد وجهنا الوجهة الصحيحة، وأبان لنا أن الذى يجب على من سمع النميمة ألا يوسع الخرق على الرافع ، قرب كلمة شر تموت مكانها لو تركت حيث قيلت، ورب كلمة شر سمرت الحروب ؛ فعلى من حملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلانا قال فيك كذا ، أو فعل فى حقك كذا، أو هو يدبر فى إفساد أمرك، أو مما لأة عدوك، أو يقبح حالك، أو ما يجرى مجراه...

فعلية أن يلتزم بهذه التوجيهات:

- 1- ألا يصدقه؛ لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة.
- 2- أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله قال تعالى: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [لقمان: 17].
- 3- أن يبغضه فى الله تعالى؛ فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من أبغضه الله لحديث: "وأن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة"⁽²⁾.
- 4- ألا تظن بأخيك الغائب سوء؛ لقوله - تعالى -: {اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: 12].
- 5- ألا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث ليتحقق؛ امتثالاً لقوله - تعالى -:

{وَلَا تَجَسَّسُوا}.

- 6- ألا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، ولا تحكى بنميمة كأن تقول: فلان

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(2) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير.

قد حكى لى كذا وكذا، وبذا تكون قد أتيت ما نهيت عنه.

يحكى أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رجل فذكر له عن رجل شيئاً ، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية { **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** } [الحجرات: 6]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: { **هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ** } [القلم: 11]، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.

ويروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالساً، وعنده الزهرى ، فجاءه رجل ، فقال له سليمان: بلغنى أنك وقعت فىّ، وقلت كذا وكذا.

فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت. فقال سليمان: إن الذى أخبرنى صادق.

فقال له الزهرى: لا يكون النمام صادقاً. فقال سليمان: صدقت.

ثم قال للرجل: اذهب بسلام.

وقال الحسن البصرى - رضى الله عنه:

من نم إليك، نم عليك.

وكفى بالنميمة إثماً، أن أصحابها من شرار الناس يوم القيامة قال ﷺ: «تجد شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «من كان ذا وجهين فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة»⁽²⁾.

وعلى الجملة ، فشر النمام عظيم: قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً ، وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة ، قال: قد رضيت به

(1) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(2) رواه ابن حبان فى صحيحه.

فاشتراه ، فمكث الغلام ، فقال لزوجته مولاہ: إن سيدى لا يحبك، ويريد أن يتسرى عليك ؛ فخذى الموس، واحلقى من شعر قفاه بعض الشعيرات حتى أسحره لك فيحبك. ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك. فجاءت المرأة بالموس. فظن أنها تريد قتله. فقام وقتلها. فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج. فوقع القتال بين القبيلتين بسبب النمام.

* * * * *

التحذير من سوء الظن والتجسس

الحمد لله /

الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور . خلق الخلائق، وقدر أرزاقهم وآجالهم، ودبر لهم الأمور.

وهدى عباده المتقين إلى ما يحبه ويرضاه، وشرح لهم الصدور، وأخى بينهم بقوله: **{إِنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** [الحجرات: 10].

فلم تتغلب عليهم غرائز النفس والشرور.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. ضاعف لم ن أطاعه الثواب والأجور، وهياً لمن عصاه، وخالف أمره العذاب والثبور، ويقبل التوبة عمن رحل إليه، وندم واستغفب وناداه: يا رب يا غفور.

وأشهد أن سيدناً محمداً عبده ورسوله. النبى الطاهر، القوى الغيور، الذى فتح باب الكفاح، وأقام منار الدين يسطع بالنور، والذى أبدل العداوة مودة وإخاء، والغدر أمانة ووفاءً، والفرقة جماعة، والمعصية صلاحاً وطاعة ، الذى أبدل الكدر فرحاً وهناء.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تكون لنا ذخيرة وورداً وصلته به

ﷺ وودا.

أما بعد

عباد الله /

ليس أروح للمرء، ولا أطرده لهمومه، ولا أقر لعين هـ، من أن يعيش سليم القلب، مبرأ من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد.

إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضى بها، وأحس فضل الله فيها وفقر عباده إليها.

وذكر قول النبي ﷺ: «اللهم ما أصبح بي من نعمة، أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك. فلك الحمد، ولك الشكر»⁽¹⁾.

وإذا رأى أذى يلحق أحداً من خلق الله رجا الله أن يفرج كربته، ويغفر ذنبه، وذكر مناشدة الرسول ربه:

إن تغفر الله هم تغفر رجم أ:: وأى عب دل كم أ ألم أ
وبذلك يحيا المؤمن ناصع الصفحة، راضياً عن الله وعن الحياة، مسرّح
النفس من نزعات الحقد الأعمى؛ لأن فساد القلوب بالضغائن داء عيا ء، وم
أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش كما يتسر ب السائل من الإناء
المثلوم (المكسور).

ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة: فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة، ويطمس بهجتها، ويعكر صفوها.

أما القلب المشرق بنور الإيم ان والتقوى: فإن اه ا يبارك في قلبه وهو إليه بكل خير أسرع.

والقلب مثله كمثل حصن، والشيطان دائم التربص به يريد أن يقتحمه، ويستولى عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على حراسة تلك الأبواب من لا يديرها.

فحماية القلب من وساوس الشيطان واجبة. وهى فوض عين على كل عبد مكلف؛ لأن ما يوصل إلى الواجب واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشى طان إلا بمعرفة مداخله.

(1) رواه أبو داود والنسائي.

ومداخل الشيطان كثيرة منها: "سوء الظن بالمسلمين".

الذى أمرنا الله بالبعد عنه. فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ... الآية} [الحجرات: 12].

فمن يحكم بشر على غيره بسبب ظنه السيئ بعثه الشيطان على أن يطيل فيه اللسان بالغيبة فيهلك، وينظر إليه بعين الاحتقار ، ويؤى نفسه خيراً منه، وكل ذلك من المهلكات.

ولأجل ذلك منع الشرع الحكيم من التعرض للتهم.

حتى احتوز هو ﷺ من ذلك:

روى عن على بن الحسين - رضى الله عنه - : أن صفية بنت حى أخبرته: أن النبى ﷺ كان معتكفاً فى المسجد.

قالت: فأتيته. فتحدثت عنده. فلما أمسيت انصرفت. فقام يمشى معى ، فمر به رجلان من الأنصار - فسلما ثم انصرفا، فناداهما ﷺ وقال: «إنه ا صفية بنى حى»، فقالا: يا رسول الله: ما نظن بك إلا خيراً.

فقال: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنى خشيت أن يدخل عليكما» (1).

فانظر أخى المسلم:

كيف أشفق ﷺ على دينهما.

وكيف أشفق على أمته ﷺ فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة فيجب الاحتراز عن سوء الظن، وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر.

(1) متفق عليه.

فمهما رأيت إنساناً يظن بالظن بالناس طالباً للعيوب. فاعلم أنه خبيث فى الباطن، وأن ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو.

فإن المؤمن يطلب المعازير، كما قال الإمام على - كرم الله وجهه -: "أعقل الناس أعذرهم للناس".

والمنافق يطلب العيوب ، ومن هنا وجه رسول الله ﷺ هذا التوجيه الحانى الودود.

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال: "ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها فى الخير محلاً"⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: "رأيت النبى ﷺ يطوف باللكعبة ويقول: ما أطيبك، وما أطيب ريحك! وما أعظمك! وما أعظم حرمتك! والذى نفس محمد بيده: لحرمة المؤمنين عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه"⁽²⁾.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن. فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولتؤنوا عباد الله إخواناً»⁽³⁾.

وإذا كان سوء الظن من الأمور الملازمة للإنسان فإن ديننا الحنيف، ورسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - قد دلنا على الدواء الذى نتداوى به من هذا الداء:

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاث لازمات لأمتى: الطيرة، والحسد، وسوء الظن». فقال رجل: وما يذهبن ممن هن فيه؟ قال عليه الصلاة والسلام: «إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيبت فامض»

(1) كشف الخفا.

(2) الترغيب والترهيب.

(3) الترغيب والترهيب.

فسوء الظن بالمسلمين حر ام، ولو كانوا فاسقين، فلحسن ظنك أيها الم سلم
بإخوانك المسلمين، وأطع ربك، ولا تطع أمر الشيطان اللعين؛ لأن سوء الظن
من الشيطان يريد أن يفرق به بين عباد الله تعالى.

وقد كان النبي ﷺ ينهى عن أن يبلغ عن أصحابه ما يسوءه.

يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئا ؛ فإنني
أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» (2).

وسوء الظن يؤدي بدوره إلى التجسس، والتحسس.

والتجسس (بالجيم): البحث عن عورات الناس وتتبعها: وقد خطب النبي ﷺ
رفرع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن. قال: «يا معشر من آمن بلسانه
ولم يخلص الإيمان إلى قلبه: لا تتبعوا عورات المسلمين. فإن من تتبع عورات
المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته» (3).

والتحسس (بالحاء): - الاستماع لحديث القوم وهم له كارهون.

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال ع ليه الصلاة والسلام: «من استمع إلى
حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآن ك يوم القيامة» (4). الآنك:
الرصاص المذاب وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهانا عن سوء الظن بعباده
المؤمنين. فإنه أمرنا بحسن الظن بهم، وحسن الظن به سبحانه وتعالى:

فقد ورد في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه حيث

(1) رواه الطبراني في الكبير.

(2) رواه البيهقي عن ابن مسعود.

(3) رواه البيهقي والطبراني في الكبير.

(4) رواه الطبراني في الكبير.

يذكرني»⁽¹⁾.

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «لا يهوتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»⁽²⁾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، والله تعالى أعلم.

النهى عن تبوج النساء واختلاطهن بالرجال

إن الحمد لله /

نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمد أرسول الله. الذى كفى الأمم أمور دينها ودنياها وبين لها سبيل سعدا وشقاها، ورفع شأنها وأعلاها، وبلغها من الجنة منهاها. صلى الله عليه صلاة تستقيم بها النفوس من اعوجاجها، وتستنير بباهر أنوارها، ويذهب عنها ظلامها وفسادها، ويظهر عليها هدايتها وإرشادها، وعلى آله وصحبه وسلم ما رجعت الأرواح إلى أجسادها يوم بعثها وميعادها.

أما بعد

في أيها المسلمون:

يقول الله - تعالى - وهو أصدق القائلين مخاطباً رسول الله ﷺ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً} [الأحزاب: 59].

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

عبد الله /

إن الإسلام دين الفطرة السليمة، والخلق لفق الفاضل، وهذا الدين يخاطب الإنسان بما يوافق عقله وقلبه، ويلئم طبيعته وفطرته. جاء به رسول الله ﷺ رحمة للناس أجمعين.

ومن رحمة الإسلام بالمرأة أنه لم يدع شأنها فيه مصلحتها ومنفعتها إلا وشرع له، وأمر باتباعه، ولم يترك أمراً فيه ضررها إلا وحذرنا منه ونهاها عنه.

ومن بين ما شرعه الإسلام وفيه إعلاء قدرها وعلو منزلتها: سترُ بدنِها، وعدم إبداء زينتها، وتوجيه المؤمنين إلى أن يدينن عليهن من جلايبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين.

وهذا الستر الذي أمر به الله - تعالى - أقرب لمعرفتهن بالعفة، فلا يتعرض لهن ولا يلقين مكروهاً من أهل الريبة احتراماً لهن منهم؛ فإن المتبرجة مطموح فيها، منظور إليها نظرة سخرية واستهزاء، ولكن هناك شروط في كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ لهذا الزي الذي يجب أن ترتديه المرأة المسلمة إذا خرجت من بيتها لحاجتها الضرورية.

1- وأول هذه الشروط: "أن يكون الزي ساتراً لجميع بدنِها ما عدا الوجه والكفين". لقوله - تعالى -: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31].

أي: وليلقين خمرهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وصدورهن، حتى لا يرى منها شيء، وكان النساء يغطين رؤوسهن بالخمر، ويسدلن من وراء الظهر فتبدو نحورهن وبعض صدورهن كعادة الجاهلية، فنهين عن ذلك.

بقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - مثنية على نساء الأنصار

حسن امتثالهن واستجابتهن لهذه الآية الكريمة: "ما رأيت أفضل من
نهما ء الأنصار أشدّ تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت
سورة النور {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} . فلنفلت رجالهن إليهن
يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فـ يهـ ا، ويتلو الرجل على امرأته وابنته
وأخته، وعلى كل ذوى قرابته. فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها -
المرجل - فاعتجرت (أى لفت به) تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه،
فأصبح وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان"(1).

2- وثانى هذه الشروط: "أن يكون الثوب سميكاً لا يصف ولا
يشف " لأنه إذا كان يشف عما تحته فإنه لا يقوم بواجب الستر بل قد يزيد
المرأة زينة وفتنة. وفى ذلك يقول - عليه الصلاة والسلام -: «صنفان
من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها
الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة
البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريح هـ ال يوجد من
مسيرة كذا وكذا»(2).

وهذا الحديث من أعلام النبوة. فقد وقع هذان الصنفان، وهما موجودان الآن:
فللصنف الأول: إشارة واضحة إلى الظلمة الذين يلاحقون الباعة فى الطرق
والأسواق ويضايقونهم ضرباً بالسياط.

وأما الصنف الآخر: فهؤلاء النساء المتبرجات اللاتى يكشفن عن
صدورهن ونحورهن، وأرجلهن وأذرعهن، ويلبسن ثياباً رقاقاً، ولا
تستر ما تحتها. فهى كاسية عارية تمشى مـ تميلة لتلفت أنظار الناس
إليها، وتميل قلوبهم نحوها.

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه مسلم.

وقد وجه رسول الله ﷺ السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق حينما دخلت عليه وعليها ثياب رقاً. فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه» (1).

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «أيا امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل» (2).
3- وأما الشرط الثالث: لزي المرأة فهو: "أن يكون الثوب واسعاً لا يصف جسمها":

فقد روى عن أسامة بن زيد أنه قال: "كسأني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة كانت مما أهدي له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتى. فقال رسول الله ﷺ لى: مالك لا تلبس القبطية؟ فقلت: يا رسول الله: كسوتها امرأتى. فقال: مرها أن تجعل تحتها غلالة (أى: قميصاً يلبس تحت الثوب ليمنع وصف البدن). فإني أخاف أن تصف حجم عظامه" (3).

4- ورابع الشروط لزي المرأة: "أن لا يشبه لباسها لباس الرجل حتى تحافظ على صورتها فلا تتشبه بالرجل، ولا تحاكيه فى زي أو لثام".

وفى ذلك يقول ابن عباس - رضى الله عنهما -: "لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال" (4).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: "لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه أحمد وابن ماجه.

(3) رواه الإمام أحمد.

(4) رواه البخارى.

لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل" (1).

5- وأما الشرط الخامس: "فهو ألا يكون الثوب زينة في نفسه أو ثوب شهرة".

لأن المقصود من لباس المرأة: إنما هو ستر زينتها، فلا يعقل أن يكون الثوب نفسه زينة؛ لأنه حينئذ يكون مما تستدعى به شهوة الرجال، ولا أن يكون ثوباً تشتهر به بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم، فيرفع الناس إليه أبصارهم: فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» (2).

6- وأما الشرط السادس: "ألا تكون المرأة متطيبة".

فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تمر بطريق وهي مستعطرة؛ لأنها وإن استنتر جمالها وزينتها، فإن ريح عطرها ينتشر في الجو فيحرك العواطف ويلفت الأنظار إليها:

فعن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية» (3).

7- وسابع الشروط: "عدم اختلاطها بالرجال":

ولقد نهى رسول الله ﷺ بشدة عن الاختلاط بين الرجال والنساء غير المحارم، وبذل سعي للقضاء عليه. فرغم أهمية صلاة الجمعة في الإسلام، ومالها من الفضائل فقد أعفى النبي ﷺ النساء من وجوب الجمعة. فقال - عليه الصلاة والسلام -: "الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة:

(1) رواه أبو داود والنسائي.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه النسائي.

عبدٌ مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض" (1).

وقد كان في مسجد النبي ﷺ باب للنساء يدخلن منه إن أردن حضور الجمعة، أو الجماعة.

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - في عهده ينهى أن يدخل الرجال من هذا الباب.

وقد كانت صفوف النساء خلف صفوف الرجال:

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها» (2).

وكان ﷺ إذا سلم من الصلاة مكث قليلاً حتى يعطى الفرصة للنساء أن ينصرفن قبل الرجال، فإذا خرجن من المسجد فليسر عن إلى بيوته حتى لا يزاحمن الرجال، وليفسحن لهم الطريق.

فعن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ وقد اختلط النساء بالرجال في الطريق: فقال - عليه السلام -: «استأخرن فإنه ليس لكن أن تخضن الطريق، عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليمسك بالجدار من لصوقها به» (3).

وقال الشاعر:

وخلطة النساء بالرجال ف ي دينا من أقبح الفعال
* * * * *

التحذير من التغلى في المهور

(1) رواه أبو داود والحاكم وحسنه السيوطي.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه الطبراني في الكبير وأبو داود.

الحمد لله /

المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه، المرهوب من عذابه
وسطوته، النافذ أمره فى سمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته، وميزهم
بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه سيدنا محمد ﷺ.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له القائل فى محكم كتابه:

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل فى حديثه الصحيح: «خير الصداق
أيسره» (1).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد - الذى صدع بأمر ربه، فنال
النصر الدائم، والعزَّ القائم، ودل أمته على كل خير، وحذرهم من كل
شر، فساروا فى طريق الله، على بركة الله وعلى آله فى كل لمحة ونفس
عدد ما وسعه علم الله.

أما بعد

فى أمة الإسلام:

إن الله تبارك اسمه، وتعالى عظمته، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً
وأمرأ مفترضاً، أوشج به الأرحام، وألزم به الأنام. فقال - عز من قائل -
{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}
[الفرقان : 54]. فلأمر الله يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكل
قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب {يُخَوِّ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّثُ
وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: 39].

ولقد رَغِبَ الإسلام فى الزواج، ونهى عن التبتل نهياً شديداً.

(1) رواه أبو داود.

فعن عبد الله بن مسعود قال: "كنا مع النبي ﷺ شباباً لا نجد شيئاً. فقال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»⁽¹⁾.

والوجاء: أى وقاية من الانحراف. وقد أمر الإسلام المسلم الذى يريد أن يتزوج لأجل أن يعف نفسه عن الحرام أن يتخير زوجته فإن العرق دساس:

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»⁽²⁾.

ويوجه النبي ﷺ من يريد الزواج إلى أن يظفر بذات الدين.

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «تتج المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك»⁽³⁾. أى: لصقت بالتراب، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص. أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»⁽⁴⁾.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «من تزوج امرأة لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوج امرأة لجمالها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لدينها كان له منها ولها منه»⁽⁵⁾.

وفى مقابل ذلك وجه النبي ﷺ الآباء إلى أن يتخيروا لبناتهم الرجل المسلم الغيور صاحب الدين القوى، والخلق الحسن فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا

(1) منفق عليه.

(2) رواه ابن ماجه.

(3) منفق عليه.

(4) رواه مسلم.

(5) روى نحوه الطبرانى فى الأوسط.

تفعلوا تكن فتنة فى الأرض، وفساد عريض» (1).

فيجب على المؤمن الغيور على أهله أن يزوج الرجل الكفو إذا خطب إليه ابنته، وأن ييسر له صداقها، فإن ذلك خير لها وبركة عليها، ويمن حاصل لديها.

عن عائشة - رضى الله عنها -: أن رسول الله ﷺ قال: «من يمن المرأة تيسر خطبتها، وتيسر صداقها، وتيسر رحمها» (2).

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «إن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً» (3).

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «أرخصهن مهراً أكثرهن بركة» (4).

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «خير الصداق أيسره» (5).

فعليكم أيها المسلمون: أن تعملوا على تيسير الزواج للشباب الراغبين فيه وأن تعملوا على تبسيط كل ما يتعلق بشئون الزواج.

فليست السعادة الحقيقية فى المظاهر المادية البراقة، والإسراف المقنونة فى المهور والأثاثات، وإنما السعادة الحقيقية الباقية فى الوفاق بين الزوجين، وحسن العشرة بينهما، فتتجنب ظلال الحب أبطالاً يحملون المسؤولية فى مجتمعنا.

واعلموا أن المغالاة فى المهور والأثاثات وغير ذلك : هى العقبة الكئود التى تقف فى وجه كثير من الشباب الراغبين فى الزواج وهم لا

(1) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه.

(2) رواه أحمد والحاكم والبيهقى فى السنن.

(3) رواه أحمد، والبيهقى.

(4) رواه الحاكم وابن ماجه.

(5) رواه أحمد والبيهقى.

حول لهم ولا قوة، وهذا أمر خطير، لأنه يؤدي إلى كثرة المفسد، وانتشار الزنا والرذيلة في المجتمع، وهذا مخالف لكتاب الله - تعالى - ولسنة رسول الله ﷺ.

واعلموا أن الفقهاء جعلوا حداً أدنى للمهر لا ينقص عنه: فنجد المالكية: يحددون أقل الصداق بربع دينار ذهباً، أو ثلاثة دراهم فضة. وفقهاء الحنفية: يرون أن الحد الأدنى للمهر عشرة دراهم من الفضة. والإمام الشافعي ومعه بعض الفقهاء: لم يعتبروا للمهر حداً أدنى بل إن كل ما يصدق عليه اسم المال يصلح أن يكون مهراً لقوله - تعالى -: {أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} [النساء: 24]. فكل ما يصلح أن يس مى مالاً قلَّ أو كثر يصلح أن يسمى مهراً.

ولقد كان ﷺ يزوج الصحابي بما فقه من قرآن - أي بقراءة سورة من القرآن يعلمها زوجته - أو بخا تقولو من حديد: فعن سهل بن سعد الساعدي:

أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة. فقالت: يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك. فقامت قياماً طويلاً. فقام رجل. فقال: يا رسول الله: زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة. فقال رسول الله ﷺ: «ه ل عندك من شيء تصدقها إياه؟» فقال: ما عندي إلا إزارى هذا. فقال رسول الله ﷺ: «إنك إن أعطيتها إزارك جلست ولا إزار لك؛ فالتمس شيئاً». قال: لا أجد شيئاً. قال: التمس ولو خاتماً من حديد. فالتمس فلم يجد شيئاً. فقال له رسول الله ﷺ: «ه ل معك من القرآن شيء؟» قال: نعم. سورة كذا، وسورة كذا. فقال - عليه الصلاة والسلام -: «قد زوجتكها بما معك من

القرآن» (1).

وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «من أعطى في صداق امرأة ملء كفيه سويقاً أو تمرّاً فقد استحل» (2).

وقد خطب سيدنا عمر - رضى الله عنه - فقال: "ألا لا تغالوا بصداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله - تعالى - كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية".

ولا ينبغي أن يتعلل بعض المغالين في المهور لرجوع سيدنا عمر - رضى الله عنه - عند تحديد المهور كأمر ملزم للناس، فإنه تركه لاختيارهم، واكتفى بتوجيههم إلى مغبة الإسراف والمغالاة.

فعلى أية حال فالمستطيع يدفع ما يريد من مال، وليقدر كل امرئ مهره حسب قدرته وإمكانياته.

وعلينا أن نعرف أن المبالغة في المهور بما يفوق قدرة الزوج وأهل الزوجة، إنما هو أمر مكروه؛ لها فيه من الإعنات والمشقة، والضرر المتبادل بين الزوجين.

ولقد كان السلف الصالح يحبون التيسير في كل شيء، وبخاصة في الزواج. فها هو ذا سعيد بن المسيب يرفض أن يزوج ابنته للوليد بن عبد الملك وهو ابن خليفة المسلمين، وزوجها لرجل فقير لا يملك إلا درهمين أو ثلاثة. فقد حدث أن توفيت زوجته، فغاب عن مجلس العلم أيام العزاء.

(1) رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

(2) رواه أبو داود.

فلما جاء سأل سعيده: أين كنت؟ يقول كثير بن أبى وداعة: فأخبرته بوفاة زوجتى. فقال لى: هل تزوجت؟

فقلت: يرحمك الله ومن يزوجنى ولا أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا أزوجك. ثم حمد الله وأثنى عليه، وزوجنى على ثلاثة دراهم. ثم أخذت أفكر ممن أقترض حتى أتم الزواج واستغرقت فى التفكير دون جدوى، وكنت صائماً. وصليت المغرب، وذهبت إلى المنزل لأتناول الطعام للإفطار ولم يكن عندى إلا الخبز والزيت، وما كدت أبدأ الأكل حتى سمعت طرقة على الباب. فقلت: من ه ذا؟. فقال: أنا سعيد ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب؛ لأنه لم ير على مدى أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد.

ولما فتحت الباب: فوجئت بأنه سعيد بن المسيب. فأخذتني الدهشة. فقال: إنك كنت رجلاً عذباءً، وتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. وهنا تملكنى الخجل، فلم يكن فى بيتى ليلة الزفاف إلا الخبز والزيت.

فلنظروا أيها المسلمون/ إلى هذا الموقف الإيمانى الرائع الذى يفضل فيه نسب الطاعة، والعبادة والتقرب إلى الله - تعالى - على نسب القصور والخدم والحشم.

عملاً بقول الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13].

النهى عن اعتقاد العدوى والتطير

الحمد لله /

نحم ده ونستعينه، ونع وذ بالله من شرور أنفسنا، ومن س يئات أعمالنا.
من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

ونشهد أن لا إله إلا الله. القائل في كتابه العزيز:

{إِنَّ أَكْثَرَ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ {

[القهر: 49-50].

ونش هد أن س يئله محمداً عبده ورسوله. القائل في حديثه الشريف: «لا
عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، و فر من المجذوم كما تفر من
الأسد».

صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين في كل لمحة
ونفس عدد ما وسعه علم الهص العظيم.

أما بعد

فيا عباد الله /

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «لا عدوى، ولا
طيرة، ولا هامة، ولا صفر. وفر من المجذوم كما تفر من الأسد» (1).

وفى رواية: "لا عدوى، ولا هامة، ولا صفر. قال أعرابي: يا رسول
الله: فما بال الإبل تكون فى الر م ل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب
فيجربها؟ فقلل رسول الله ﷺ فمن أعدى الأول" (2).

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

فى هذا الحديث بين لنا رسول الله ﷺ العقيدة الصحيحة التى لا يخالطها شرك، ولا عقيدة جاهلية، ف يرفى رسول الله ﷺ الع دوى التى كانت تعتقدها الجاهلية يعتقدون أن الأمراض تنتقل بنفسها من المريض إلى الصحيح لا بقضاء الهع وقدره. فنه اهم عن ذلك رسول الله ﷺ ونفى انتقال العدوى بنفسها. بقوله: «لا عدوى».

وقد أثبت رسول الله ﷺ أنه لا عدوى فى حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ : "أخذ بيد مجزوم - أى مريض بللجذام - فوضعها معه فى القصعة فقال: كُ لْ بسم اها ثقة بالله، وتوكلا عليه"(1).

ففى هذا الحديث بيان من رسو ل الله ﷺ أن كل شىء بقضاء الله وقدره، وهذا لا ينافى الأخذ بالأسباب: فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يورد ممرض على مصح» (2). والمرض: صاحب الإبل ل المريضة، والمصح: صاحب الإبل الصحيحة.

وأمر ﷺ بالفرار من المجذوم فى قوله: «وفرو من المجذوم كما تفر من الأسد». ولما سأله الأعرابى عن الإبل الصحيحة تخالط الإبل الجرباء فتجربها، فقال عليه الصلاة والسلام: «فمن أعدى الأول؟».

ولم اخرج سيدنا عمر إلى الشام لقيه أهل الأجناد (أبو عب يد ة ومن معه). وأخبر وه بالوباء قد وقع بالشام، فطلب من ابن عباس - رضى الله عنهما - أن يدعوا إليه المهاجرين الأولين. فاستشارهم سيدنا عمر - رضى الله عنه - وأخبرهم بالوباء.

(1) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة.

(2) رواه مسلم.

فاخ تلفوا فرأى بعضهم الرجوع، ورأى البعض الآخر الاتجاه للقتال ، فقال: ارتفعوا عني، ثم دعا الأنصار فاستشارهم، فسلخوا سبيل المهاجرين. ثم قال سيدنا عمر: ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش، فدعاهم ابن عباس إليه. فاستشارهم، فلم يختلفوا. قالوا: "نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني أصبح على ظهري ما صبحوا عليه، فقال سيدنا أبو عبيدة: أفواراً من قدر الله؟ فقال سيدنا عمر: نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: فجاء سيدنا عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - وكان متغيباً في بعض حاجته. فقال: إني عندي من هذا علماً: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به - أي الوباء - بأرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»، قال: فحمد الله. ثم انصرف (1).

أيها المسلمون:

يتبين لنا من ذلك أنه يجب على المؤمن أن يعتقد أن المرض بإذن الله وقضائه وقدره. لا بانتقاله من المريض.

وكذلك يجب على المؤمن أن يأخذ بالأسباب فلا يختلط بالمرضى، ولا يدخل بلداً فيه مرض، ولا يخرج منه إن نزل به.

فمن اعتقد أن المرض ينتقل بنفسه لا بقضاء الله وقدره، فهذا شرك - أعاذنا الله وإياكم منه - يقول تعالى: {إِنَّ أَكُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القدر: 49].

(1) رواه مسلم.

وفى آية أخرى يقول سبحانه {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: 22].

أما قوله ﷺ (لا طيرة):

فقد كان العرب إذا هموا بأمر يزجرون ال طير. فإذا طارت يميناً، تفاعلوا وساروا، وإذا سارت شمالاً تشاءموا وتوقفوا، فنه اهم ﷺ عن ذلك. وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من تطير أو تتطير له»⁽¹⁾.

فاتقوا الله عباد الله:

وانتهوا عن التشاؤم الذى كانت تفعله الجاهلية، وبعض الناس فى هذا الزمان يتشاءم ون بفعل أشياء معينة، كلبس الثوب مقلوباً، أ، فلا يذهب لمصلحته لأجل ذلك.

وبعض الناس يتشاءمون من بيع شىء معين فى وقت معين، أو بروياً أحد الناس، أو بروياً بعض البهائم والطيور، أو السكنى فى بعض البيوت، أو شراء قطعة معينة..

فكل هذه الأشياء حرمها الله والإسلام، وعدف غلها من الكبائر ومن أكبر الكبائر أن يشاءم بعض الجهلاء من يوم الجمعة، ويقول "فيه ساعة نحس"، ويعارض بذلك حديث رسول الله ﷺ فى وصف يوم الجمعة: «إن يوم الجمعة سيد الأيام عند الله، وأعظمها، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى، ويوم الفطر. وفيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه إياه، ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»⁽²⁾. أى: يخافون الله.

(1) رواه البزار.

(2) رواه البخارى فى التاريخ.

أما الفأل فقد كان عليه - الص لاة والسلام - يحب التفاؤل فهو يقول ﷺ :
 «لا طيرة. وخيرها ا لفأل. قي ل: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمة
 الصالحة يسمعها أحدكم» (1).

والتفاؤل يكون في الخير، وفيما يسر فهو مشروع؛ لأنه يبعث على
 الجد، ويعين على الظفر بالمطلوب.

ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يحب الفأل الحسن، ويتفاءل في غزواته،
 وحروبه، وثبت أن رسول الله ﷺ : كان إذا خرج لحاجة يعجبه أن يسمع يا
 نجيح يا راشد (2).

وكان سيدنا عبد الله بن عباس: إذا نعق الغراب قال: "اللهم لا طير
 إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك". وذلك رت الطيرة عند
 رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما
 يكره، فليقل "اللهم لا يأت بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت
 ولا حول ولا قوة إلا بك" (3).

وقوله ﷺ : «ولا هامة ولا صفر»، نهى عما كان تعتقده الجاهل ية
 من أن الهامة وهي "طائر" كانت تعرفه العرب، ويتشاءمون منه، و قيل:
 هي "البومة" إذا سقطت على الدار تشاءم صاحبها.

وفسر لها أكثر العلماء بأن العرب في الجاه لية كانت تعتقد أن عظام
 الميت، أو روحه تنقلب هامة تطير إذا لم يؤخذ بثأره فإذا أخذ ثأره انقطع
 ظهورها، واستقرت روحه في قبرها.

فناههم ﷺ بقوله: «ولا هامة».

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الترمذى والحاكم في المستدرک.

(3) رواه البيهقي في السنن الكبرى.

أما قوله ﷺ : «ولا صفر».

فسرها الإمام البخارى بأنه: دابة فى البطن تهيج عند الجوع ويسمونها (صفر).

وقيل: هو الشهر المعروف: وكان من عقائد الجاهلية أن شهر صفر هو شهر النحوس والفتن.

فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

وكان السلف الصالح - رضى الله عنهم - يسمونه (صفر الخير)، عكس ما كانت تعتقده الجاهلية.

التقوى جماع كل خير

الحمد لله /

الذى أمرنا بالتقوى وحثنا عليها فى كتابه الحكيم. فلك الحمد ولك الشكر يا ربنا كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فأنت الله الذى لا إله إلا أنت. لك ما سكن فى الليل والنهار وأنت السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: 70].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد المتقين. الذى بنوره كل تقى استنار، وصار من أهل المعرفة والاعتبار صلاة أنال بها رضاك ورضاه يا عزيز يا غفار. صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك الذين رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أما بعد

إخوة الإسلام /

فى كتاب الله المعجز دعوة لنا نحن المؤمنين، وأتباع سيد المرسلين بلزوم تقوى الله، والوقوف عند أوامره، واجتناب نواهيه ؛ اسمعوا وأسمع معكم إلى قوله عز وجل:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

فالآية نداء لمن آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً. بلزوم تقوى الله على كل حال فى السر والعلانية. فى اليقظة وفى المنام. فالتقى يعلم أن الله معه. مطلع عليه فهو يراقبه فى كل وقت وكل آن. ومن ثم فهو يسارع إلى مغفرة الله وجنته التى أعدها الله للمتقين كما قال سبحانه:

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133].

ويكفى التقى أنه فى معية الله:

{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: 128].

ويكفيه محبة الله: {فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 76].

هذا إلى جانب أن الله سبحانه وتعالى قد وعد المتقين بالإكرام فقال سبحانه:

{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13].

ووعدهم بالبشرى فى الدنيا والآخرة: فقال سبحانه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: 63، 64]، ووعدهم

بالنجاة من النار فقال سبحانه: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنِيًّا} {

[مريم: 72].

كما وعدهم بالنجاة من الشدائد والرزق الحلال فقال - سبحانه -:

{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: 2، 3].

كما وعدهم بإصلاح العمل، وغفران الذنوب. فقال - سبحانه - {اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 70، 71].

ووعدهم بنور يمشون به: فقال - سبحانه - {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: 28].

فالتقوى هى رأس الأمر كله: كما قال ﷺ لأبى ذر وهو يوصيه حينما قال له: "يا رسول الله: أوصنى؟ فقال له ﷺ: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله» (1).

فالتقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد، فكما أنه لا حياة للإنسان، ولا فائدة من ورائع بدون رأس أو عقل أو فكر، كذلك لا معنى للعبادة بدون التقوى؛ لأن التقوى كما قال الإمام على: (الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل).

وكما قال سيدنا عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما -: "امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات". فتاء التقوى: توكل على الله. وقافها: فناعة بما قسم الله. ووواها: ورع وبعد عن الشبهات. ويائها: يقين، وتصديق بما خاطبنا الله به.

(1) رواه الطبرانى.

ومن ثم قال ﷺ موصياً بالتقوى، وموجهاً إليها: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق»⁽²⁾.

ومن نماذج المتقين الخائفين: "آسية بنت مزاحم".

فقد آمنت، واطلع فرعون على إيمانها، فقال للملأ حوله: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟

فأثنوا عليها. فقال لهم: إنها تعبد غيرى. فقالوا له: اقتلها. فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها.

فدعت آسية ربها فقالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ} [التحریم: 11].

فوافق ذلك أن حضرها فرعون. فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها: إنا نعذبها وهى تضحك. وقبض الله روحها في الجنة - رضى الله عنها - .

وجاء صحابى إلى النبى ﷺ يشكو أمره:

قال: يا رسول الله: إن الكفار قد أخذوا ابنى أسيراً وإن أمه تبكى عليه بكاءً كثيراً. فقال له النبى ﷺ: مرها تكل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وقل أنت معها.

وبعد قليل من الزمن جاء الصحابى إلى النبى ﷺ مرة أخرى مستبشراً. وذلك لأن ولده كان يرعى غنم الكفار وذهبوا إلى فرح لهم فى مكان بعيد. فأخذ الغنم وجاء بها إلى بيت أبيه فقرع الباب. فخرج والده، فوجد ابنه ومعه غنم. فقال:

(1) روه أحمد والترمذى.

(2) رواه البخارى فى الأدب.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

سبحان الله! ما هذا يا بنى؟ قال: إن الكفار قد ذهبوا إلى عرس لهم والله - تعالى - أنجاني منهم.

فأخبر النبى ﷺ بذلك فنزل قول الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 2، 3].

عباد الله /

المتقون هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، ومن علامة أحدهم: أنك ترى لهم قوة فى دين، وحزماً فى لين، وإيماناً فى يقين، وحرصاً فى علم، وعلماً فى حلم وقصداً فى غنى، وخشوعاً فى عبادة، وتحملاً فى فاقة، وصبراً فى شدة، وطلباً فى حلال، ونشاطاً فى هدى، وتحرراً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر. يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل.

ومن أجل هذه الصفات العظيمة علمنا ونعلم أن الله قد وعد المتقين بكل فلاح ونجاح فى الدنيا والآخرة ، فهم موعودون بالحفظ والحراسة من الأعداء: {وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران: 120].

وهم موعودون بالنصر والتأييد:

{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: 128].

ومن هنا فمن واجبنا أن نعمل حتى نفوز كما فازوا، وأن نسير مع أهل التقوى والفلاح، حتى نتأثر بهم أو نفتقى أثرهم:

وصدق الإمام الجعفرى - رضى الله عنه - حيث يقول:

ع ر ج ع ل - ي آ ه ل المودة إنه - م :: كرام أولوا التطهير من دنس الرجس

ومن جالس الأخيار يحظى بخيره م :::: ومن جالس الأشرار خاب من الدس

وصدق الشاعر حيث يقول:

ولا تمش إلا مع رجال قلوب ه م :::: تحن إلى التقوى وترتاح للذكر .
اللهم اجعلنا من المتقين. آمين.

* * * * *

هجرة المعاصي هي الهجرة الباقية

الحمد لله /

الحمد لله يحب من هاجر إليه وهجر المعاصي، ودام على طاعته، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا يعطى الخير ويصرف الشر سواه.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير من هاجر في سبيل الله، ولم يعمل سوى ما يحبه الله ويرضاه؛ فنصره الله - عز وجل -، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين هاجروا لله، ونصروا دين الله فكانوا من الفائزين.

أمـا بعد

عباد الله /

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً } [النساء: 100]. كانت الهجرة من مكة إلى المدينة فرضاً على القادرين نصره للنبي ﷺ، وحماية للدين، ووقاية للنفس من أذى المشركين ؛ فلما أتم الله نعمته على المسلمين بفتح مكة انتهى الوجوب بقوله ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» (1).

(1) متفق عليه.

ولكن بقيت هجرتان واجبتان:

إحداهما: (هجرة المحرمات).

لقول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»⁽¹⁾.

ولقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام: 151]، {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ} [الأنعام: 120].

الثانية: هجرة أهل المعاصي:

أى: تركهم حتى يرجعوا تأديباً لهم كما فعل ﷺ مع كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: (هلال بن أمية، مرارة بن الربيع).

قال تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: 118].

ويقول - سبحانه -:

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68].

(1) متفق عليه.

وكما هاجر أهل الكهف طلباً للهدى والرشاد، قال - تعالى -:

{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُنْنَا إِذَا شَطَطًا} [الكهف: 13، 14].

عن الزهري: "أن رجلاً سلم على النبي ﷺ ثلاث مرات. فلم يرد عليه. ف قيل له: لم؟ فقال: إنه ذو وجهين" (1) وقال تعالى: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} [هود: 113].
والركون هو الميل القلبي:

قال عليه الصلاة والسلام: «إن شر الناس منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه» (2).

وقال - تعالى -: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22].

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم؛ فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» (3).

(1) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الطبراني في الكبير.

وسأل عمرو بن عبسة رسول الله ﷺ قائلاً: أى الإيمان أفضل؟ فقال ﷺ: «الهجرة»، فقال عمرو: وما الهجرة؟ فقال ﷺ: «أن تهجر السوء» (1).

وعن أم أنس - رضى الله عنها - أنها قالت: يا رسول الله: أوصنى.
فكان مما أوصاها به رسول الله ﷺ أن قال لها: «اهجرى المعاصى فإنها أفضل الهجرة» (2).

ومن الهجرة التى أوجبها الإسلام الهجرة إلى طلب العلم:

وهى فرض كفاية على العلماء لقوله - سبحانه وتعالى -:

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122].

وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» (3).

وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة» (4).

ومن الهجرة التى ندب الإسلام إليها: الهجرة فى سبيل الله

ومن الهجرة فى سبيل الله: الهجرة إلى البلاد والأماكن المقدسة " التى بينها المصطفى ﷺ فى حديثه الشريف: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد النبى ﷺ" (5).

ومنها: السفر لزيارة الإخوان فى الله تعالى ، وهى مندوبة لقوله ﷺ: «زار رجل أخاه فى قرية، فأرصد له ملكاً على مدرجته (طريقه) فقال: أين تريد؟

(1) رواه أحمد والطبرانى.

(2) رواه الطبرانى.

(3) رواه البيهقى والطبرانى فى الأوسط.

(4) رواه الترمذى.

(5) متفق عليه.

فقال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك من نعمة تربيتها عليه؟ فقال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته» (1).

* * * * *

فضل ليلة النصف من شعبان

الحمد لله /

الذي خص كل وقت بحكم لا ينبغي لسواه، ورتب على القيام به من الأجر ما لا يعلم قدره إلا من أراحه وأسده، تشریفاً لجواهر الأوقات بفضائل الأعمال، وتكميلاً للعاملين وإسعاداً لهم بالعطاء وبلوغ الآمال.

والصلاة والسلام على من أنزل عليه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: 62].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي استنارت القلوب بمحبته، وتنورت الأشباح برويته، ونالت رضوانك بطاعته، الذي أقام الليل لعبادتك، وركب الخيل في الغزوات لنصرك وإعلاء كلمتك ودعا الخلق إلى رحمتك ودخول جنتك. وعلى آله وصحابته الذين اهتدوا بهديه وتمسكوا بسنته.

(1) رواه مسلم.

أما بعد

أيها المسلمون /

إن لشهر شعبان ذكريات عظيمة فى الإسلام تستحق العناية والاهتمام ولذلك كان المصطفى ﷺ يختصه بكثير من الصيام.

عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - قال: "قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: "ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم"(1).

فمن أراد أن يختم عمله بالخير فليصم فى شعبان حتى يصعد عمله إلى السماء وهو صائم، كما كان يفعل النبى ﷺ.

وفى شهر شعبان حولت القبلة فى عهد رسول الله ﷺ من بيت المقدس إلى الكعبة، وقد كان - صلوات الله وسلامه عليه - يتطلع إلى تحويل القبلة شطر المسجد الحرام فهو أول بيت وضع للناس، وفى جواره كان مولده ﷺ ونشأته وبعثته.

وقد كان هذا التحويل مدعاة لتساؤل بعض الناس، وقد أجاب الله - تعالى - على تساؤلهم بما يفيد أن المؤمن الصادق لا يهتم جهة العبادة، وإنما يهتم المقصود بها. يقول - تعالى -:

{فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: 115].

ويقول تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

(1) رواه النسائى.

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ {البقرة: 142-144}.

وعن البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال:

"لما قدم النبي ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله - تعالى -:

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ... الْآيَةُ} [البقرة: 144].

فوجه نحو الكعبة، فصلى رجل معه العصر، ثم مرَّ على قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة فانحرفوا وهم ركوع" (1).

ومن الذكريات العظيمة في شهر شعبان: ليلة النصف منه، هذه الليلة المباركة التي بين لنا رسول الله ﷺ فضلها وما ينبغي أن يعمل فيها. فقال عليه الصلاة والسلام:

"إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا... حتى يطلع الفجر" (2).

(1) رواه البخارى ومسلم.

(2) رواه ابن ماجه.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى، فأطال السجود، حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حرّكت إبهامه فتحرك، فرجعت فسمعتة يقول فى سجوده: "أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك إليك. لا أحصى ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: يا عائشة أو يا حميراء؛ أظننت أن النبى ﷺ قد خاس بك؟ قلت: لا والله يا رسول الله، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك. فقال: أتدريين أى ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذه ليلة النصف من شعبان: إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم" (1).

يقول - تعالى -: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: 3].

قال عكرمة: هى ليلة النصف فهى ليلة مباركة أى: ذات البركة والخير الكثير لما أعده الله فيها لعباده من النفعات والخيرات الحسان:

روى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينسخ الله الخير فى أربع ليالٍ نسخاً: ليلة الأضحى، والفطر، وليلة النصف من شعبان، تنسخ فيها الآجال والأرزاق ويكتب فيها الحج و فى ليلة عرفة إلى الأذان» (2).

وتسمى ليلة الرحمة لمار روى عنه ﷺ أنه قال: «إن الله يغفر ليلة النصف من شعبان لأكثر من عدد شعر غنم كلب» (3).

(1) رواه البيهقى.

(2) الفردوس بمأثور الخطاب.

(3) رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

وتسمى ليلة الإجابة؛ لما روى عن أبي أمامة الباهلي مرفوعاً: "خمس ليال لا ترد فيها دعوة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، وليلتنا العبيدين"(1).

ومن أسمائها: "ليلة الغفران".

روى الإمام أحمد في مسنده مرسلًا: "إن الله عز وجل يطلع ليلة النصف من شعبان إلى العباد فيغفر لأهل الأرض إلا رجلين: مشرك، ومشاحن"(2).

ومن أسمائها: "ليلة الشفاعة":

لما ورد عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي ﷺ "صلى في تلك الليلة فنزل جبريل - عليه السلام - فقال: إن الله - تبارك وتعالى - قد أعتق من النار نصف أمتك، وفيها أعطى تمام الشفاعة"(3).

وروى عنه ﷺ أنه أتاه جبريل ليلة النصف من شعبان فقال: هذه الليلة ليلة النصف من شعبان والله فيها عتقاء بعدد شعر غنم بني كلب لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل، ولا إلى عاق والديه، ولا إلى مدمن خمر"(4).

وكفى بهذه الليلة شرفاً أن النبي ﷺ أحيأها، وكذلك أحيأها - بعده واعتنى بشأنها - أكابر الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدون، والعلماء العاملون.

وإحيائها يكون بأمور أهمها:

الصلاة على النبي ﷺ فقد قيل: إن آية:

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

(1) رواه أبو أمامة.

(2) رواه الإمام أحمد.

(3) رواه ابن ماجه وضعفه السيوطي.

(4) أخرجه البيهقي وضعفه.

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا { [الأحزاب: 56].

أنزلت في تلك الليلة.

ومن ذلك الصلاة ذات الركوع والسجود من غير تعيين عدد مخصوص، ولا قراءة مخصوصة، ويحصل إحيائها بقراءة القرآن الكريم، وبالذكر الصحيح، وبالاستغفار طلباً لرحمة الله - تعالى - في هذه الليلة، ويحصل بالدعاء الذي هو مخ العبادة. قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60].

* * * * *

(ختام العام بالتوبة)

الحمد لله /

الملك الحق العزيز الغفار، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، يستر ذنوب المذنبين كرمًا وحلمًا فهو الحليم الستار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُحِبُّ التوابين ويحب المتطهرين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين تابوا إلى الله وأنابوا، فهداهم الله إلى أقوم طريق، فعاشوا سعداء وماتوا سعداء فرضى الله عنهم وأرضاهم.

أما بعد

فيا عباد الله /

يقول الله تعالى:

1- {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّاحِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }
[الزمر: 53-58].

2- {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 31].

3- {وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان: 71].

4- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: 8].

5- {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: 17، 18].

6- {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: 135، 136].

أمر النبى ﷺ بالتوبة:

قال - عليه الصلاة والسلام -: «توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى
اليوم مائة مرة»⁽¹⁾. وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول
الله ﷺ يقول: «والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»⁽²⁾.

معنى التوبة:

هى عدم الرجوع إلى الذنب. قال أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعمر بن
الخطاب - رضى الله عنهم أجمعين -:
"التوبة النصوح هى أن يتوب العبد ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن
إلى الضرع".

شروط التوبة:

قال العلماء: "التوبة واجبة فى كل ذنب، ولا بد لقبولها من شروط؛
فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله - تعالى - لا تتعلق بحق آدمى فلها
ثلاثة شروط:
أحدها: أن يقلع عن المعصية، فإن لم يقلع عنها واستغفر منها كان مستهزئاً.
قال - عليه الصلاة والسلام -: «المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخارى.

كالمستهزئ بربه»⁽¹⁾.

ثانيها: أن يندم على فعلها.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «الندم توبة»⁽²⁾.

وقال ﷺ: «ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر منه»⁽³⁾.

ثالثها: العزم على ألا يعود إليها أبداً.

فإن فقد أحد الشروط الثلاثة لم تصح توبته.

قال تعالى: {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: 135].

وإذا كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة:

الثلاثة السابقة والرابع: أن يبرأ من حق صاحبها.

فإن كانت مالاً رده إليه، وإن كان حدّ قذف مكنه منه أو طلب عفو، وإن كانت غيبة استحلّه منها.

ومن شروطها: التعجيل بها أى (بالتوبة).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»⁽⁴⁾.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «توبوا إلى الله قبل أن تموتوا،

وبادروا إلى الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وبكثرة الصدقة فى السرّ والعلانية، تُرزقوا

(1) رواه البيهقى فى شعب الإيمان وابن عساكر وضعفه السيوطى.

(2) أخرجه البخارى فى التاريخ.

(3) رواه الطبرانى.

(4) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرک.

وتنصروا وتجبروا» (1).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ :
«النادم ينتظر من الله الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، واعلموا عباد
الله: أن كل عامل سيقدم على عمله، ولا يخرج من الدنيا حتى حسن
عمله وسوء عمله، وإنما الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتان
فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة، واحذروا التسويف؛ فإن الموت
يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله - عز وجل - فإن الجنة والنار
أقرب إلى أحدكم من شراك نعله « ثم قرأ ﷺ : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 7، 8] (2).

قال - تعالى - : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: 17].

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله: {يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} : "أى:
قبل المرض والموت".

(1) رواه ابن ماجة.

(2) رواه الأصبهاني وأخرجه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب.

أوقات التوبة:

قال - عليه الصلاة والسلام - : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» ⁽¹⁾.
أى ما لم تبلى روحه حلقومه.

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً مفتوحاً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من مغربها قبله». وذلك قول الله - تعالى - : {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ {
انتظروا إِنَّا مُنتظرون
[الأنعام: 158] " ⁽²⁾.

قبول التوبة:

قال - عليه الصلاة والسلام - : «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها، وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح» ⁽³⁾.

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت. فقال: ما يبكيك أكرهتك؟ قالت: لا. ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملنى عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته قط اذهبي فهى لك. وقال: لا والله لا

(1) أخرجه أحمد والترمذى والحاكم.

(2) أخرجه الترمذى وصححه.

(3) رواه مسلم.

أعصى الله بعدها أبداً. فمات من ليله فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غفر
للكفل» (1).

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - : أن نبى الله ﷺ قال: «كان
فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً. فسأل عن أعلم أهل
الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له
من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض
فدل على رجل عالم. فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال:
نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة. انطلق إلى أرض كذا، فإن بها أناساً
يعبدون الله - تعالى - فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض
سوء فانطلق حتى نصف الطريق أتاه الموت. فاختصمت فيه ملائكة
الرحمة، وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه
إلى الله تعالى. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فاتاهم ملك
فى صورة آدمى فجعلوه بينهم - أى حكماً - فقال: قيسوا ما بين
الأرضين، فإلى أيتهما كن أدنى فهو له. فقاسوا. فوجدوه أدنى إلى
الأرض التى أراد فقبضه ملائكة الرحمة». وفى رواية : «فكان إلى
القرية الصالحة أقرب بشبر» (2).

* * * * *

(1) رواه أحمد وابن حبان.

(2) رواه مسلم.

الان تفلع بالوقت

الحمد لله /

الذى خلق الإنسان، وخصه بالعقل ليعمل به ما يضمن له النجاح، وأمر عباده بالعمل دنياهم وأخرتهم بعقل، وحكمة، وطريق مباح ورفع قوماً بعملهم، ووضع آخرين لكسلهم، وحرّمهم من الفلاح. وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. أنعم على عباده المّتقين بالرحمة والرضوان، والعفو والإحسان. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبى الهاشمى المختار. الذى صرّع بلّمر ربه فنال النصر الدائم، والعز القائم، ودل أمته على كل خير، وحذرهم من كل شر. فساروا فى طريق الله على بركة الله. وعلى آله وأصحابه ذوى العمل النافع، والخلق العظيم.

أما بعد

فيا عباد الله /

يقول الحبيب المصطفى ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»⁽¹⁾.

إخوة الإسلام:

كل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت فهو إن ضاع فلا أمل فى عودته ، ولذلك كان الوقت أنفس ما يملكه الإنسان.

والإسلام دين يعرف قيمة الوقت، ويقدر خطورة الزمن.

ويؤكد الحكمة الغالية: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك".

(1) رواه البخارى.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

ويجعل من دلائل الإيمان، وأمارات التقى أن يعي المسلم هذه الحقيقة ويسير على هداها. قال تعالى: {أَفَسَبِّحْتُمْ أَنَّما خَلَقْتُمُ عَبْداً وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُجْعُونَ} [المؤمنون: 115].

{إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس: 6].

وقال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يونس: 7، 8].

فهو يعتبر الغافلين عن مستقبلهم الغارقين في حاضرهم الذين سحرتهم الدنيا بزخرفها الزائف، ومتاعها الزائل قوماً خاسرين سفهاء.

ولكن المسلم الحق يهتم بالوقت اه تمام أ شديداً؛ لأن الوقت عمره فإذا ضيع الوقت فقد ضيع عمره.

وإن لمن فضل الله تعالى، ودلائل توفيقه أن يلهم الرجل استغلال كل ساعة من عمره في العمل؛ لأن الواجبات أكثر من الأوقات، والزمن لا يقف محايداً فهو إما صديق ودود، أو عدو لدود.

وقد أوصانا النبي ﷺ باغتنام الشباب، والصحة، والغنى، والفراغ، والحياة كلها:

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (1).

(1) رواه الحاكم.

فالرسول ﷺ يوصي باغتنام فترة الشباب لأنها لن تظل معه إلى كبره. فلا بد وأن يكبر ويصيبه الضعف الذي لا يقدر معه على العمل.

فالشباب الصالح تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، واغتنام عافيتك قبل مرضك، فإن العافية لا تدوم لأحد، وغناك قبل فقرك. فإنه قد ورد في الحديث الشريف: أنه لا بد للمرء من ثمانية: عسر ويسر، وحزن وفرح، واجتماع وفرقة، وسقم وعافية.

تلك طبيعة الحياة. بل تلك سنة الله في خلقه.

{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 62].

واغتنام فراغك قبل شغلك؛ لأرثك مسؤل عن ذلك.

يقول عليه الصلاة والسلام: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيها أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه؟» (1).

فاحذر ضياع الوقت. فالوقت من ذهب، واغتنام فرصة فراغك.

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: "النفوس إن لم تشغلها شغلتك".

أى: إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

قال شيخنا - رضي الله عنه -:

تذكّر رحيلاً فالرحيل محتم :::: ولو عشت ألفاً من سنين عديدة

وقال عليه سحائب الرحمة والرضوان:

نفحاً	ت الله في أوقاتها	:::	لا تدع للوقت ت م ن غير عمل
سحر	الليل ينادى ربنا	:::	لا تكن إذ ذاك في نوم الهم ل.

(1) البقيمذى.

ومن محافظة الإسلام على الوقت أنه قد وزع العبادات الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العام:

فالصلوات الخمس موزعة على أجزاء اليوم كله، وأوقاتها تسير مع سيره، والمقرر فى الشريعة أن جبريل عليه السلام نزل من عند الله ليرسم أوائل الأوقات وأواخرها؛ ليكون من ذلك نظام محكم دقيق يرتب حياة المس لم ويقبسها بالدقائق من مطلع الشمس إلى مغيب الشفق.

ويعلم من ذلك أن أوقات الصلوات الخمس لآبد من مراعاتها، وأن أمرها عظيم عند الله - تعالى - لذلك أمر جبريل - علي السلام - أن ينزل على النبى ﷺ ليبين له أوقات الصلوات الخمس.

وقد أنزل الله تعالى الوعيد الشديد لمن أضاعوا أوقات الصلوات الخمس وصلوها فى غير أوقاتها فقال سبحانه وتعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: 4، 5].

ويقول سبحانه وتعالى:

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} [الروم: 17، 18].

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: 62].

فاللَّيْلُ يخلف النهار، ويخلفه النهار ورب العالمين لم يخلق ذلك عبثاً.

وقد نظر الإسلام إلى قيمة الوقت فى كثير من أوامره ونواهيهِ فعندما جعل الإعراض عن اللغو من معالم الإيمان، ودليل الفلاح كان حكيماً فى محاربة أصحاب البطالة والكسل والخمول الذين ينادى بعضهم بعضاً: "ننعل نقتل الوقت بشيء من التسلية كلعب الميسر والطاولة والدومينو والكوتشينة وغيرها من

المحرمات التى نهى الله عنها.

فقال سبحانه:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَلَجَبْتَنبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90].

فما يدرى هؤلاء الحمقى أنهم يلعبون بأعمارهم، ويضيعون أوقاتهم سدى ويسرون بذلك كما قال الشاعر:

يسر المرء ما ذهب الليالى ::: وكا ن ذهابهن له ذهابا
ويقول آخر:

أشأ ب الصغير وأفنى الكبير ::: كسر الليالى ومر العشى
ومن كلمات الحسن البصرى رضى الله عنه - فى الحث على اغتنام الوقت:

"ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد من قبل الحق: يا ابن آدم: أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود منى بعمل صالح فإنى لا أعود إلى يوم القيامة".

ومن استغلال الإسلام للوقت بأفضل الوسائل: حثه على مداومة العمل وإن كان قليلاً، وكراهيته للكثير المنقطع، لأن دوام العمل القليل مع سير الزمن، ومرور الأيام يجعل من الشيء القليل زنة الجبال من حيث لا يشعر الإنسان.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: "دخل على رسول الله ﷺ وعندي امرأة من بنى أسد فقال: من هذه؟ قلت فلانة لا بتام الليل. فقال: مه. عليكم من الأعمال ما تطيقون، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه" (1).

ومن محافظة الإسلام على الوقت: حثه على التبكير ورغبته فى أن يبدأ المسلم يومه نشيطاً طيب النفس، قوى العزم.

(1) رواه مسلم.

فنظام الإسلام يجعل ابتداء اليوم من الفجر، ويفتر من اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس، ويكره السهر الذي يؤخر صلاة الصبح عن وقتها المسنون.

يقول - عليه الصلاة والسلام - : «اللهم بارك لأمتي في بكورها»⁽¹⁾.

وروى عن فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - قالت: "مر بى رسول الله ﷺ وأرا مضطجعة متصبحة فحركنى برجله ثم قال: «يا بنىة: قومى اشهدى رزق ربك، ولا تكونى من الغافلين فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»⁽²⁾.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الفجر، وصلاة العصر. ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»⁽³⁾.

فهذا يدل على أن الله تعالى يحب عباده الذين يشغلون أنفسهم بالعبادة.

ما ينبغى أن يسأل عنه المسلم

الحمد لله /

الحمد لله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له القائل فى كتابه: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: 7].

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البيهقي.

(3) متفق عليه.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذي خلص القلب الرهين من رهن الهوى وشهواته. فأعشق بآيات الله وكلماته، فلولاه لما رُفع عن القلوب رانها، ولا ابتهجت بالإسلام الأرض وسكانها.

اللهم صل وسلم وبارك عليه ما توجهت إليه القلوب لإصلاحها فنالت منه بإذن الله خيرها وصلاحها، وفتحها ورباحها، وسعدها ونجاحها، وأزِيلَ به بإذن الله شرها وصلاحها وعلى آله وسلم.

أمـا بعد

فيقول الله - تعالى - في محكم كتابه وهو أصدق القائلين:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ {
[المائدة: 101].

في هذه الآية الكريمة يوجهنا الله - سبحانه وتعالى - إلى ما ينبغي أن يسأل عنه المسلم، وما لا ينبغي أن يسأل عنه.

فهناك أمور استأثر الله بها في علمه، ولم يطلع عليها أحداً من خلقه رحمة بهم:

للمعرفة مجيء الساعة، ووقتها، ومعرفة سر الروح، ومعرفة نزول الغيث، ومعرفة أجل الإنسان، ومعرفة ما في الأرحام، ومعرفة ماذا يرزق الإنسان غداً. وهذا مصداق قوله سب حانه: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ {
[الأنعام: 59].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله»: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 34] (1).

وقد روى أن الحارث بن عمر بن حارثة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أخبرنى عن الساعة. متى قيامها؟ وإنى قد ألقيت حباتى فى الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر؟ وأخبرنى عن امرأتى ما فى بطنها أذكر أم أنثى؟ وإنى علمت ما عملت أمس فما أعمل غداً؟ وهذا مولدى قد عرفته فأين أموت؟

فبقلت هذه الآية: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... الآية}.

وفى الصحيحين:

أن أعرابياً قال: يا محمد: متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها؟». قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام. ولكننى أحب الله ورسوله. فقال له ﷺ: «المرء مع من أحب» فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث (2).

فلم يجبه النبي ﷺ عن سؤاله، وإنما وجهه لما يهيمه فى أمر دينه ودنياه وهو الاستعداد لها.

وفى حديث آخر عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: "بينما النبي ﷺ يحدث القوم جاءه أعرابى فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث... فقلل بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال.

(1) السنن الكبرى للبيهقى.

(2) رواه الشيخان.

وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «إذا ضربت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (1).

وفى حديث عمر بن الخطاب المروى فى الصحيحين:

حينما جاءه جبريل فى صورة رجل، وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان. فأجابه النبى ﷺ عنها. ولما سأله عن الساعة. ق ال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» (2).

فكل هذه الأمور اختص الله - سبحانه وتعالى - بعلمها، والسؤال عنها من السؤال المكروه الذى نهانا الله عنه. كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعا وهات، وواد البنات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» (3).

ونجد فى القرآن الكريم أسئلة ما سألها الناس للنبي ﷺ فوجههم القرآن إلى ما ينبغى أن يسألوا عنه: قال تعالى:

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَلِلْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }
[البقرة: 215].

فهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان مصارف النفقة؛ لأن النفقة لا يعتد بها حتى تقع موقعها الصحيح الذى بينه الله - عز وجل - فى مصارفها.

(1) رواه البخارى.

(2) رواه الشيخان.

(3) رواه البخارى.

فعلى الإنسان أن يتوجه بسؤاله إلى ما ينفعه:

فصن أبى ثعلبة الخشنى قال: قال رسول الله ﷺ (1): «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء فى غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

لذا قال عبد الله بن عمر: «إن الله أحل وحرم. فما أحل فاستحلوه، وما حرم فاجتنبوه، وترك بين ذلك أشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله». ثم يتلو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ بِدَلِيلٍ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [المائدة: 101].

فينبغى للمسلم أن يقتدى بصحابة رسول الله ﷺ حيث كانوا يسألون عن أمور دينهم، وما ينفعهم.

والنبي ﷺ يجيبهم بالقرآن الذى أنزله الله عليه.

قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ أَوَّلَ □ □ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222].

ففى صحيح مسلم. عن أنس - رضى الله عنه - أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ، ولم يجتمعوا معها فى البيوت فسأل أصحاب النبى - الرضى ﷺ فأنزل الله هذه الآية (2).

وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [البقرة: 189].

(1) رواه الدارقطنى.

(2) رواه مسلم.

وهذا مما سأل عنه اليهود، واعترضوا به على النبي ﷺ فقال معاذ:
يا رسول الله: إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا ع ن الأهلة. فما بال
الهلال يبدو رقيقاً ثم يزيد حتى يستوى ويستدير؟ ثم ينتقص حتى يعود
كما كان؟

فلنزل الله هذه الآية.

وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ... الآية} [البقرة: 219].

وهذا قبل تحريم الخمر نهائياً.

وفى قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ
تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 220].

روى أبو داود، والنسائي عن ابن عباس قال: لما أنزل الله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ... الآية} [الأنعام: 152]، وقوله
تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَيَصِصَلُونَ سَعِيرًا} [النساء: 10].

انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه. فجعل
يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد عليهم ذلك. فذكروا ذلك
للنبي ﷺ فلنزل الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ... الآية} { فخلطوا طعامهم
بطعامهم، وشرابهم بشرابهم (1) }.

وفى قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ □ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا

(1) رواه أبو داود، والنسائي.

اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [المائدة: 4].

نزلت بسبب عدى بن حاتم، وزيد بن مهلهل وهو زيد الخيل الذى سماه الرسول ﷺ زيد الخير.

قالا: يا رسول الله: إنا قوم نصيد بالكلاب، والبزاة، وإن الكلاب تأخذ البقر والحرر والطباء. فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما تقتله فلا ندرك. وقد حرم الله الميتة فما يحل لنا؟ فنزلت الآية⁽¹⁾.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير والشر فيما يحدث لهم:

فعن عبد الله بن عمر قال: "جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: ما الكبائر؟ قال: الإشرار بالله. قال: ثم ماذا؟ قال: عقوق الوالدين. قال: ثم ماذا؟ قال: اليمين الغموس. قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: التى يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها لكاذب"⁽²⁾.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: "سئل رسول الله ﷺ: أى العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»⁽³⁾.

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: أى العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله⁽⁴⁾.

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: النبى ﷺ: «إنها ستكون أثرة، وأمور تنكرونها». قالوا: يا رسول الله: فماذا تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذى

(1) أخرجه القرطبى فى تفسيره.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه البخارى ومسلم.

(4) متفق عليه.

عليكم، وتسالون الله الذي لكم» (1).

وعن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى - رضى الله عنه -: أن رجلاً قال: يا رسول الله: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة؟ فقال النبى ﷺ: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم» (2).

والله تعالى أعلم

صنائع المعروف تقى مصارع السوء

الحمد لله /

الحمد لله الكريم المنان. واسع الفضل والإحسان. لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهو الحكم العدل. اللطيف الخبير. وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. القائل فى حديثه القدسى: «أن الله قدرت الخير والشر فطوبى لمن جعلت مفاتيح الخير على يد مفاتيح الشر على يديه» (3).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: «إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وإن أول أهل الجنة دخولاً هم أهل المعروف» (4).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد طيب القلوب ومداويها، وحبیب الأرواح وهاديها، وإمام الأمة وداعيها، لأمر بالمعروف الذى كان يطعم الجائع، ويأمر بالمعروف، ويغيث الملهوف، ويكرم الضيوف.

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الطبرانى.

(4) رواه الطبرانى.

وعلى آل وأصحابه الذين أغاثوا الملهوف، وصنعوا المعروف،
وفاضت قلوبهم بالشفقة على البائسين والمقلين، وتعا ونوا على البر
والتقوى، ولم يتعاونوا على الإثم والعدوان.

أما بعد

إخوة الإسلام:

يقول الله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 114].

إخوة الإسلام:

إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، و
المروءة والنجدة، والإنسانية فى
المعاجلة، هم أحق بها وأهلها فى الآجلة،
وإن أهل البر والعطف والإحسان هم أصحاب الهمم العالية، هم صفوة
خلق الله لن يضل أعمالهم. سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها
لهم ؛ لأنهم صنعوا المعروف مع إخوانهم، وقاموا بواجب النجدة،
والإغاثة لمن هم فى حاجة إليهم، ومدوا
يداً لمعونة لأهل الضراء
وبأساء، فهم أحب عباد الله إلى الله:

عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «الخلق كلهم عيالُ
الله. فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» (1).

وهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة:

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله
عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفرع إليهم الناس فى حوائجهم،

(1) رواه أبو يعلى والبخاري وضعفه السيوطي.

أولئك الآمنون من عذاب الله تعالى» (1).

ويرغب الله تعالى عباده في صنع المعروف مع المريض، وإلجائهم، والعطشان، ويجعل من يصنع معهم المعروف كأنه صنع مع الله تعالى:

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم: مرضت فلم تعدني، قال: يارب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض لم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ ابن آدم: استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب: وكيف أطعمك. وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان؟ ف لم تطعمه. أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ ابن آدم: استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان لم تسق ه. أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي؟» (2).

فمن أكرم عبداً لأجل سيده فكأنما أكرم السيد، فال مؤمن حينما يصنع معروفاً مع أخيه المؤمن ابتغاء وجه الله - تعالى - فإن الله - تعالى - يكرمه جزاء ما صنع من معروف في الدنيا والآخرة: عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله - عز وجل في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» (3).

(1) رواه الطبراني في الكبير.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه مسلم، وأبو داود.

وصنع المعروف يدفع عن صاحبه البلاء، ويقيه ميتة السوء، ويقوده إلى الجنة.

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «كل معروف صدقة. والمعروف يقى سبعين نوعاً من البلاء ويقى ميتة السوء، والمعروف والمنكر خلقان منصوبان للناس يوم القيامة : فالمعروف لازم لأهله يقودهم إلى الجنة، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار» (1).

عباد الله/

اعلموا أن من أسباب استجابة الدعاء صنائع المعروف: يقول عليه الصلاة والسلام: «من سره أن تنفس كربته، وأن تستجاب دعوته. فلييسر على معسر، أو ليدع له، فليق الله يحب إغاثة اللهفان» (2). وهو من أسباب المغفرة:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كنت أوضىء رسول الله ﷺ ذات يوم فرفع رأسه فنظر إلى فقال: يا أنس: أما علمت أن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم؟ تنفس عنه كربة، وتفرج عنه غماً، أو تزجي له صنعة، أو تقضى عنه ديناً، أو تخلفه في أهله (3).

وإن صنائع المعروف تديم النعم على فاعلها:

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «إن لله عبداً اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرها منهم ما بذلوا. فإذا منعوها حولها عنهم وجعلها في

(1) رواه ابن الدنيا، والسيوطي في الجامع الكبير.

(2) رواه ابن أبي الدنيا.

(3) السيوطي، ابن أبي الدنيا.

غيرهم» (1).

ويقول الإمام الحسين - رضى الله عنه -: "حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم. فلا تخلوا النعم فتعود نقما".

فانقروا الله عباد الله:

واصطنعوا المعروف مع سائر الناس فإن صادف أهله فقد وضعتة في موضعه، وإن لم يصادف أهله كنت أنت أهله.

فألهو تعالى يقول: {وَأِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} {

[النساء: 128].

وعن أبي بن كعب قال:

"مر بى رسول الله ﷺ ومعى رجل، فقال: يا أبى من هذا الرجل؟ قلت: غريم لى، فأنا ألزمه. قال: فأحسن إليه يا أبى. ثم مضى رسول الله ﷺ لحاجته. ثم انصرف إلى وليس معى الرجل. فقال: يا أبى ما فعل غريمك وأخوك؟ قلت: "وما عسى أن يفعل يا رسول الله؟ تركت ثلث مالى عليه لله، وتركت الثلث الثانى لرسول الله ﷺ، وتركت الباقى لمساعدته إياى على وحدانية الله " فقال: رحمك الله يا أبى. ثلاث مرات، بهذا أمرنا، ثم قال: يا أبى "إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه، حبيب إليهم المعروف، وحبب إليهم فعالة، ويسر على ال طالب طلبه إليهم ويسر عليهم إعطاءه. فهم كالغيث يرسله الله عز وجل إلى الأرض المجدبة، فيحييها، ويحيى به أهلها، وإن الله جعل للمعروف أعداء من خلقه، بغض إليهم المعروف، وبغض عليهم فعالة، وحظر على طلاب المعروف طلبه إليهم وحظر عليهم إعطاءه إياهم، فهم كالغيث يحبسها الله

(1) رواه أبو نعيم، والطبرنى.

عز وجل عن الأرض الجدية. فيهلك الله عز وجل بحبسه الأرض وأهلها⁽¹⁾.

ويقول الإمام علي - كرم الله وجهه -: "لا يزهذك في المعروف كفر من كفره. فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر".
وأرشد الرياشي:

يد المعروف غنم حيث كانت ::: تحملها كفور أم شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء ::: وعن د الله ما كفر الكفور
فاغ تنموا عباد الله أبواب الخير التي يفتحها الله عليكم فإنها فرص
ونوادر من لم يدركها فاتته، وربما لم يصادفها بعد ذلك: روى عن النبي
ﷺ أنه قال: «من فتح على باب من الخير فلينتهزه، فإنه لا يدري متى
يغلق عنه» ⁽²⁾ وإيا لثم والإعجاب بما تقدمونه من معروف، وإياكم
والامتنان به على الناس، فإن من شروط المعروف: "ترك الامتنان به
وترك الإعجاب بفعله"؛ لما فيهما من إسقاط الشكر، وإحباط الأجر.
وقي ل: "لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره،
وستره: فإن عجلته هنأته، وإذا صغرت عظمته، وإذا سترته أتمته".

وعن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - مرفوعاً: قال: قال
النبي ﷺ: «على كل مسلم صدقة». قالوا: يا رسول الله أرأيت إن لم
يجد؟ قال: «يعمل بيده فينفع نفسه، ويتصدق». قالوا: أرأيت إن لم
يستطع؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف». قالوا: أرأيت إن لم يفعل؟
قال: «يأمر بالمعروف». قالوا: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن
الشر فإنها صدقة» ⁽³⁾.

(1) رواه الطبراني.

(2) ذكره القرطبي.

(3) رواه البخاري، ومسلم.

والله تعالى أعلم

نظرة الإسلام إلى الشباب

الحمد لله /

الحمد لله رب العالمين. نحمده ونستعينه ونستهديه، و
ونتوكل عليه ونثنى عليه الخير كله، ونتوب إليه من جميع المعاصي
كلها والذنوب والآثام ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن
سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، وحبيبه. خير من وجه
الشباب إلى ما يرفعهم في دينهم ودنياهم.

ورضى الله - بتبرك وتعالى - عن آل بيته، وصحابته الذين ساروا وراءه
واتبعوا طريقه ففازوا بسعادة الدارين وذلك هو الفوز العظيم.

أما بعد:

عبد الله /

هناك في كتاب الله العديد من التوجيهات السديدة التي توجه الشباب التوجيه
الصحيح.

لقد خاطب الله اليهود قائلاً: {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى
يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 247].

ومعنى البسطة في العلم هنا: "الحكمة والفقه في الدين".

ومعنى البسطة في الجسم: "أن يكون الإنسان قادراً على تأدية ما عليه دون
أن يصاب بتعب أو إعياء".

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

ولذلك وصف النبي ﷺ بع ض نعم الله على خلقه فقال: «أربع م ن أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكراً، وقلب شاكر، وجسد على البلاء صابر، وزوج ة لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا ماله» (1)

ومعنى البلاء في قوله (وجسد على البلاء صابر): التكاليف الشرعية التي يختبر الإنسان بها. فعلى الإنسان العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن ينتهز وقت شبابه قبل ضعفه وإعياءه؛ لأن مرحلة الشباب هي مرحلة بين ضعفين كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم حيث يقول تعالى -: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54]. ه ذه القوة التي بين الضعفين أوجبت على الشباب أن يغتنموا وأن يقدروا قدرها فلا يفرطوا فيها، ولذا كان هذا التوجيه النبوي الحكيم: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيم علم».

ولذلك قال رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (2).

وإذا كان أهل التوبة أهل حب وقرب من الله ورسوله. فإن حب الله ورسوله للتائبين من الشباب أشد:

ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «شاب نشأ

(1) رواه الطبراني والبيهقي.

(2) في زيادة الجامع الصغير.

فى عبادة الله «. ولذا كان هذا التوجيه النبوى الحكيم: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيت ه، وتلاوة القرآن. فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله «⁽¹⁾. وقد أثنى القرآن الكريم على الشباب المؤمنين: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: 13].

وهذه مثل رائدة من شباب صدر الإسلام يسجلها التاريخ على مر الأيام والأعوام:

فهو ذا الإمام على - كرم الله وجهه - ينام مكان النبى ﷺ والأعداء يحيطون به. فكان أول من شرى نفسه فى سبيل الله.

وفيه نزل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: 207].

وهو أول من آمن بعد السيدة خديجة - رضى الله عنها - هو وزيد بن حارثة وهو أول من بارز يوم الخندق عمرو بن ود.

وفى غزوة بدر نرى الذين خرجوا للمبارزة، واللقاء شباباً وهم (الإمام على، وسيدنا حمزة، وعبيدة بن الحارث)، وأول شهيد فى يوم أحد هو: حمزة بن عبد المطلب.

والثلاثة الذين استشهدوا فى مؤتة كانوا شباباً وهم: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة). وكانوا شباباً فى الثلاثين من أعمارهم. وزيد بن حارثة هذا والد "أسامة بن زيد" حبيب رسول الله ﷺ، والذى جعله النبى ﷺ قائداً على الجيش الذى أعد لمقاتلة الروم، وكان عمره وقتئذ ثمانية عشر عاماً ومن باب إعطاء القائد حرية القيادة رأينا الصديق - رضى الله عنه - وه و ابن الحادية والستين (61) من العمر

(1) رواه الحاكم والبيهقى وأحمد.

يستأذن من أسامة بن زيد هذا الإذن: "هل تأذن لى فى عمر لىبقى معى؟".

وكان عمر بن الخطاب مجنداً فى الجيش. فأذن أسامة فى أن يبقى عمر و اتج ه لقتال الروم، وتحقق النصر على يديه وهو ابن الثامنة عشر من عمره. وها هو ذا "عبد الله بن عباس": لكان الفاروق عمر يقربه فى مجلسه مع أشياخ الصحابة.

فقد جاء فى صحيح البخارى وغيره: عن ابن عباس قال: "كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لى معهم، فوجد بعضهم من ذلك. فقالوا: يأذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا من هو مثله؟ فقال لهم عمر: إنه من قد علم تم - أى من جهة ذكائه ومعرفته -.

قال: فأذن ذات يوم، وأذن لى معهم. فسألهم عن هذه السورة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [سورة النصر].

فقللوا: أمر الله نبيه ﷺ إذا فتح الله عليه أن يستغفره، وأن يتوب إليه. فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قلت: ليس كذلك. ولكنها إخلو من الله بحضور أجله - أى النبى ﷺ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. فقال عمر: تلوموننى عليه. ثم قال: ما أعلم منها إلا ما تقول⁽¹⁾.

ولنا فى قصة "عبد الله بن عمر" رضى الله عنه . الأسوة والقوة: فقد كان يحضر مجالس العلم مع رسول الله ﷺ ومعه كبار الصحابة، وذات يوم سأل النبى ﷺ: (إن شجرة من الشجر لا يطرح ورقها، وإنها مثل المؤمن؟ فوقع الناس فى شجر البوادى. فقال عبد الله بن عمر: "ووقع فى نفسى أنها النخلة ...".

(1) رواه البخارى وغيره.

الحديث⁽¹⁾.

وهنا نلمس أن عبد الله بن عمر لم يتسرع، ولم ينطق بكلمة لأنه رأى أن كبار الصحابة توقفوا. فكان منه هذا الأدب الجمّ الذى يدعو إلى توقير الكبير. فعلينا أن ننسى بهذه النماذج الرائعة من شباب صدر الإسلام الذين كانوا ينظرون إلى رسول الله ﷺ بملء قلوبهم، وعيونهم، فيترسمون نهجه، ويقتفون لطابعه وخلقه، ويسيروا على منواله ودربه.

ومن ثم نالوا عز الدارين. وهذه هى السعادة الحقّة.

والله تعالى أعلم

* * * * *

اختيار الصديق

الحمد لله /

الذى جعل السعادة فى مصاحبة السعداء، وجعل البركة فى مجالسة الأتقياء.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. القائل فى حديثه الصحيح ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»⁽²⁾.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تصاحبوا فى اله:، وتعاونوا على البر والتقوى. فرضى الله عنهم وأرضاهم: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22].

(1) رواه الترمذى.

(2) منقح عليه.

أم- بعد

فلي عباد الله:

يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -:

(لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) (1).

إن الإسـلام يحث على التعاون على البر والتقوى، ولا يكون ذلك إلا بمصاحبة المؤمن الصادق الذى يوصيك بالحق، والصبر.

وقد حكم الله على الجنس الإنسانى أنه فى خسر إلا من فعل ذلك.

حيث يقول سبحانه:

{وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: 1-3].

وبين الله - عز وجل - صفات المؤمن الذى يصاحب فقال:

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لَأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَيْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون:
1-11].

ويقول سبحانه وتعالى:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ

(1) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان.

وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰكَ سَيَرَحْمَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { [التوبة: 71،
72].

ويقول سبحانه وتعالى:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ
زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {
[الأنفال: 2، 3، 4].

وبين لنا رسول الله ﷺ صفة المؤمن فقال: (مثل المؤمن كمثل العطار إن
جالسته نفعتك وإن مشيت به نفعتك وإن شاركته نفعتك) (1).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن هين لين إلف مألوف» (2).

وبين ﷺ مدى تقارب المؤمنين، وأنهم كمثل البنیان يشد بعضهم بعضاً فيقول:
«المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه» (3).

ويقول: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد
الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (4).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن من أمنه الناس على أهله وأولاده
وأنفسهم» (5).

(1) رواه الطبرانی في الكبير.

(2) رواه البيهقي.

(3) منقح عليه.

(4) منقح عليه.

(5) رواه ابن ماجه.

وبين ﷺ مدى تأثر الإنسان بصديقه إن صالحاً وإن فاسقاً فيقول ﷺ : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (1).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبضع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة» (2).

ويقول ﷺ : «ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذئ، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة» (3).

محبة الصديق المؤمن فى الله:

بعد مصاحبة الصديق المؤمن، ومعرفة صفاته يجب عليك أن تحبه فى الله. لا لتجارة، أو مال، أو زراعة، أو مشاركة، أو جاه. فلذا أحببته فى الله فلا بد أن تخبره بذلك الحب استجابة لأمر رسول الله ﷺ فى قوله:

«إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه» (4).

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: "كان رجل عند النبی ﷺ فمرَّ رجل. فقال: يا رسول الله: إني لأحب هذا. قال: أأعلمته؟ قال: لا. قال: فأعلمه. فلحقه. فقال: إني أحبك فى الله تعالى. فقال (أى الرجل): أحبك الذى أحببتنى له" (5).

(1) رواه أبو داود والترمذى وحسنه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه أبو داود والترمذى وصححه.

(4) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(5) رواه أبو داود.

يقول الإمام الجعفرى - رضى الله عنه -:
صبروا على الناس لا حول لإنسان ::: الحب فى الله شئ لا نظير له
وعن سيدنا أنس - رضى الله عنه - قال: "جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ
فقال: يا محمد - بصوت مرتفع - فقال عليه الصلاة والسلام: ه - آؤم - أجابه بنحو
صوته - فقال: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم - أى لم يعمل بعملهم - فقال ﷺ:
أنت مع من أحببت".

قال سيدنا أنس بعد هذا الحديث: "فلنأحب النبى ﷺ، وأبا بكر، وعمر،
وأسأل الله أن يدخلنى الجنة معهم. وإن لم أعمل مثل عملهم" (1).

وكلما أحب الإنسان أخاه فى الله أكثر علت درجته عند الله - عز وجل - كما
أخبر - عليه الصلاة والسلام - فقال: «ما من رجلين تحابا فى الله بظهر الغيب
إلا كان أحبهما إلى الله - تعالى - أشدهما حباً لصاحبه» (2).

جزاء المتصاحبين فى الله:

عن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن
من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء، والشهداء يوم
القيامة بمكانهم من الله». قالوا: يا رسول الله: فخيرنا من هم؟ قال: «هم قوم
تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن
وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا
حزن الناس». وقرأ قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [سورة يونس: 62، 63] (3).

ويقول الله - تعالى - فيما رواه رسول الله ﷺ عنه: «قد حقت محبتى للذين
يتحابون من أجلى، وقد حقت محبتى للذين يتزاوون من أجلى، وقد حقت

(1) رواه البخارى.

(2) رواه الطبرانى.

(3) رواه أبو داود.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

محبتي للذين يتبادلون من أجلى، وقد حققت محبتي للذين يتصادقون من أجلى»
(1).

وأما قوله ﷺ : «ولا يأكل طعامك إلا تقي».

فمعناه: لا تدخل بيتك إلا الرجل الصالح التقي الذى تأمنه على نفسك ومالك وعرضك. أما الفاسق فلا تأمنه على عرضك وأهلك ونفسك.

الترهيب من مصاحبة الفاسق:

إذا كان الإسلام قد رغب فى مصاحبة المؤمن الصادق فإنه قد حذر من مصاحبة الفاسق، والمنافق، والخائن والكذاب.

فهى ليست من صفات المؤمنين: كما قال عليه الصلاة والسلام: «يطبع المؤمن على خلال كلها إلا الخيانة والزنب» (2).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (3).

ويقول الإمام على - كرم الله وجهه - لابنه الحسن - رضى الله عن ه -:
"يا بنى خف ثلاثاً: خف الله، وخف من لا يخاف الله، وخف لسانك فإنه عدوك على دينك. يؤمنك الله جميع ما خفته".

قال الإمام الجعفرى - رضى الله عنه -:

وت راه م ن أنوارهم يتورع ::: من جاور السعداء يسعد يا فتى

وقال - رضى الله عنه -:

ومن جالس الأشرار خاب من الدس ::: ومن جالس الأخيار يحظى بخيرهم

(1) رواه ابن أبى الدنيا.

(2) رواه أحمد وابن أبى شيبه.

(3) منفق عليه.

ويقول الشاعر:

ف إن خلائق السفهاء تعدى :: ولا تجلس إلى أهل الدنيا

ويقول الآخر:

يعدى كما يعدى ال صح يح الأجرب :: واحذر مصاحبة اللئيم فإنه
قال عليه الصلاة والسلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من
يخالل»⁽¹⁾.

أو كما قال ﷺ.

والله تعالى أعلم

* * * * *

الإسلام دين النظافة

الحمد لله /

رب العالمين. يحب التوابين، ويحب المتطهرين.

نحمده ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به، ونتوكل عليه.

ونشهد أن لا إله إلا الله. لا معبود سواه، خاطب نبيه وح بيّه ومصطفاه ﷺ
بقوله الحكيم {وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: 4].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيد الطيبين الطاهرين، الذى آتاه الله
سبعاً من المثاني والقرآن العظيم.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على طريقه ودربه إلى يوم
الدين.

(1) رواه أبو داود والترمذى وحسنه.

أما بعد

فلى معشر المؤمنين /

اعلموا أن من الأمور التى يجب على المؤمن أن يتبينها: الطهارة.

سواء أكانت طهارة حسية أو معنوية.

فللطهارة مقرونة بالعبادة. يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} [المائدة: 6].

فلى الصلاة التى هى ركن من أركان الدين يجب على من يؤديها أن يتعلم كيفية الطهارة، سواء أكانت هذه الطهارة متصلة بالحدث الأصغر أم بالحدث الأكبر، وقد أثنى الله عز وجل على أهل الطهر حيث قال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222].

وقال: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى النُّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رَجُلٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} [التوبة: 108].

ومن هنا وجه الحبيب المصطفى ﷺ أصحابه إلى ما يجب عليهم أن يتحلوا به:

- فعن أبى الأحوص - رضى الله عنه - قال: "أتيت النبى ﷺ فى ثوب دون - أى ردئ - فقال ﷺ: ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أى المال؟ قال: قد آتانى الله من الإبل، والغنم، والخيول، والرقيق.
- قال: فإذا آتاك الله مالاً فليز أثر نعمته عليك وكرامته (1).

وعندما قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من

(1) رواه أبو داود.

كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق، وغمط الناس» (1).

أى: إنكار الحق، واحتقار الناس.

ولقد كان ﷺ المثل الأعلى فى ارتداء أجمل الثياب.

فعن البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال: "كان رسول الله ﷺ مربوعاً، بين الطول والقصر -، وقد رأيتُهُ فى حلة حمراء ما رأيت شيئاً أحسن منه قط" (2).

ه ذا وإذا كان الدين الحنيف يأمرنا بطهارة الثوب فإنه يوجهنا أيضاً إلى طهارة البدن من كل ما يعلق به.

فقد وجه الإسلام أتباعه إلى نظافة اليدين عند الطعام، وعند الاستيقاظ من النوم.

فقد قال عليه الصلاة والسلام: «بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده» (3). والمراد به: غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات، فإن أحدكم لا يدري. أين باتت يده، أو أين كانت تطوف يده» (4).

والعلة فى ذلك: أن الأيى ربما مرت على جرح أو على محل الاستجمار أو على مكان رطب نجس فتتجس الأيى، ويتجس الماء.

(1) رواه مسلم.

(2) منق عليه.

(3) رواه ابو داود.

(4) رواه الخمسة.

لثما وجه الرسول الكريم ﷺ إلى غسل اليدين قبل النوم فقال - عليه الصلاة والسلام -: «من بات وفى يده ريح غمز فأصابه شيء فلا يلو من إلا نفسه» (1)

وقد وجه - عليه الصلاة والسلام - إلى نظافة الفم حيث قال: «تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه فى الجنة» (2).

وعن أبى أيوب - رضى الله عنه - قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "حبذا المتخللون من أمتى". قالوا: وما المتخللون يا رسول الله؟ قال: "المتخللون بللوضوء والمتخللون من الطعام". أم تخليل الوضوء: فالمضمضة، والاستنشاق، وبين الأصابع. وأما تخليل الأسنان فمن الطعام. إنه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاماً وهو قائم يصلى" (3).

وما ذلك إلا لأن ملائكة الرحمن تتأذى مما بين الأسنان، إلى جانب الفوائد الصحية.

وأنه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاماً، وهو قائم يصلى.

وأما عن السواك وفوائده:

فلين النبى ﷺ يقول: «تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم. مرضاة للرب» (4).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما جاءنى جبريل إلا أوصانى بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى» (5). وفى رواية: «لقد أمرت بالسواك

(1) رواه الترمذى والحاكم.

(2) رواه الطبرانى.

(3) رواه الطبرانى فى الكبير.

(4) رواه ابن ماجه والبيهقى بسند ضعيف.

(5) رواه ابن ماجه والبيهقى بسند ضعيف.

حتى ظننت أن ينزل على فيه قرآن أو وحى»⁽¹⁾.

ومن حرص الإسلام على نظافة الفم: نهى عن أكل الثوم والبصل والكراث لمن يحضر الجمعة والجماعات. فقال عليه الصلاة والسلام: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا»⁽²⁾.

وقد أسقط الإسلام سنة الجماعة في المسجد عمن أصيبوا بأمراض منفرة تجعل رائحتهم كريهة كالجدام والطاعون نسأل الله السلامة من ذلك. ومن توجيهات الرسول الكريم ﷺ حثه على نظافة الشعر حيث قال - عليه الصلاة والسلام -: «من كان له شعر فليكرمه»⁽³⁾.

وعن عطاء بن يسار - رضى الها عنه - قال: "أتى رجل للنبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فلشّار إليه الرسول ﷺ يأمره بإصلاح شعره. ففعل ثم رجع. فقال ﷺ: «أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»⁽⁴⁾.

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: رأى النبي ﷺ رجلاً رأسه شعثة فقال: «أما وجد هذا ما يسكن به شعره»⁽⁵⁾.

ورأى آخر عليه ثياب وسخة فقال: «أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه»⁽⁶⁾.

وأما عن النظافة عند قضاء الحاجة فهذه توجيهات نبوية حكيمة حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الوارد - الماء -، وقارعة الطريق، والظل»⁽⁷⁾.

(1) رواه أحمد وأبو يعلى.

(2) متفق عليه.

(3) رواه أبو داود.

(4) رواه مالك في الموطأ.

(5) رواه أبو يعلى.

(6) رواه أبو داود.

(7) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقى.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم»⁽¹⁾.

وعن جابر - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ : «أنه نهى أن يبال في الماء الراكد»⁽²⁾.

وعنه أيضاً: «أنه نهى أن يبال في الماء الجارى»⁽³⁾.
والله تعالى أعلم

* * * * *

تأملات في سورة الواقعة

الحمد لله /

الذى أحاط بكل شئ علماً، وأحصى كل شئ عدداً.
فسبحان من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له: أنزل القرآن فيه تبيان لكل شئ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أرسله ربه رحمة للعالمين.
فاللهم صل وسلم وبارك عليّ فهو نبي الفوز بالدارين، وإمام القبلتين، ونور المقلتين، وجد الحسنين. وعلى آله وسلم وفرج عنا كل كرب، واقض عنا كل دين.

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه الطبراني.

أمـا بعد

فإن الإنسان منا فى هذه الحياة مفتون بديناه. يعمل لها ويتكالب عليها. يتنافس على حطامها الزائل، وهو يعلم يقيناً أنه غير مخلص فيها. لكنه هل فكر يوماً فى يوم بعثه بعد موته؟ ومنزله بعده. تلك الحقيقة التى سجلها القرآن الكريم فى أكثر من سورة.

وها هى ذى "سورة الواقعة" تتناول موضوع البعث، ومنازل الناس بعده، وأدلة وقوعه.

فلنتأمل معاً هذه السورة الكريمة لعلمنا نتذكر ذلك اليوم، ونعمل له.

فتذكر ذلك اليوم يعيد للإنسان توازنه فى هذه الحياة فلا ينخرط فى تيار دنياه الجارف، بل يجعله مرتبطاً بديناه وآخرته.

يعمل فى دنياه لينال ثوابه فى أخراه.

ومن ثم نراه معرضاً عن تولى عن ذكر الله. كما قال تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى} [النجم: 29، 30].

فاسمع إلى قوله - عز من قائل -: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَئِيسَ لَوْفَعَتِهَا كَافَّةً خَافِضَةً رَّافِعَةً} [الواقعة: 1-3].

"وقعت الواقعة": أى: قامت القيامة التى تخفض أقواماً، وتضع آخرين. فهى خافضة رافعة.

نظر النبى ﷺ إلى آفاق الدنيا ليلة من الليالى: فقد أخرج البخارى عن أم سلمة - رضى الله عنها - أنه قالت: استيقظ النبى ﷺ فقال: «سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن؟ وماذا فتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحب الحجر. فرب كاسية

فى الدنيا عارية فى الآخرة» (1).

وقد تحدثت السورة الكريمة عن علامات القيامة كم ا هو بين من قوله سبحانه:

{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا} [الواقعة: 3- 6].

فالأرض فى هذا اليوم تضطرب وتميد حتى إن جبالها لتصير كالعهن المنفوش.

وفى هذا اليوم (يوم القيامة) يكون الناس أصنافاً ثلاثة كما نصت على ذلك الآيات الكريمة:

{وَلْتُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة: 7- 10].

فمن هم السابقون؟

صح عن النبى ﷺ قوله فيما روى البخارى: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى العابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهما. قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. والذى نفسى بيده: رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين» (2).

وقد بين النبى ﷺ وصفهم فى حديث آخر حيث قال النبى ﷺ ذات يوم لأصحابه: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟» قالوا: أهو رسوله أعلم. قال عليه الصلاة والسلام: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس حكمهم لأنفسهم» (3).

هذا عن الصنف الأول وهم السابقون.

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه أحمد.

أما عن الصنف الثانى. هم أصحاب اليمين، وأصحاب اليمين كما أخبر الله عنهم: {فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ⁽¹⁾ وَظِلٍّ مَّدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرْباً أَتْرَاباً لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة: 28-38].

ونعوذ بالله من الصنف الثالث وهم "أصحاب الشمال".

والذين أخبر الله عنهم بقوله: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة: 41-44] لماذا؟

للإجابة عن هذا التساؤل نستمع إلى الآيات: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ} [الواقعة: 45]. أى: منعمين فى الدنيا لا يحسبون للأخرة حساباً. {وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 46].

أى: لكنوا يصرون على اليمين الغموس أى: اليمين الكاذبة.

هذه منازل الناس على اختلافها كما صورتها الصفحة الأولى لى من سورة الواقعة.

فإذا انتقلت إلى الصفحة الثانية، وجدنا أدلة البعث كأن المستمع والقارئ يتساءل. أصحيح هذا كله؟ هذا سؤال يرد. ومن إعجاز القرآن أنه يعرض عقائده على كل عقل فى كل عصر بالأدلة المقنعة، والبراهين القاطعة. ولذلك سرد القرآن خمسة أدلة على صدق البعث والجزاء:

1- أولها قوله سبحانه {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ} [الواقعة: 57].

أى: فهلا تصدقون بعد ذلك، وقد ذكر الله هذا الدليل فى غير هذه السورة كما هو بين فى قوله تعالى: {وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا

(1) السدر المخصود: النبق الذى لا شوك فيه. الطلح المنضود: الموز.

الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 77، 78، 79].

2- وثانى هذه الأدلة هو قوله سبحانه:

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} [الواقعة: 58-59].

3- وثالثها: قوله سبحانه {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ

الزَّارِعُونَ} [الواقعة: 63، 64].

فالزروع الذى يعمون البشرية باستمرار من حبوب أو فواكه من الذى صنعه فى الحقول، والحدائق.

فالفلاح يلقى البذور، ويذهب إلى بيته ما يدرى كيف يتحول الطين مثلاً إلى نسيج أحمر فى البطيخة، ملئ بالماء الحلو والسكريات والفيتامينات، والمعادن. وما يدرى كيف يصنع القشرة، ومنها هذه الألوان التى يعجز الفنان عن صنعها.

{أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} الذى يخلق لك الآن يقول لك سأخلق مستقبلاً.

4- الدليل الرابع: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} [الواقعة: 68-70].

ولذا كان ﷺ إذا شرب الماء قال: (الحمد لله الذى جعله عذباً فراتاً بوحمق ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا)⁽¹⁾.

5- أما خامس الأدلة: فهو ما نبينه من قوله سبحانه: {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ

الَّتِي تُورُونَ} [الواقعة: 71]. وهى الزناد التى تورى بها الأعراب، وأكثرها من المرخ والعفارى قطع الرجل منها عضتين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار. وهى أنثى. فتنتقدح

(1) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى.

منهما النار بإذن الله.

وهذه هي الشجرة التى تختزن النار فى كيانها.

فالذى يصنع الماء بهذه الطريقة، والزلزال كما أخبر.

أليكون عاجزاً عن إعادة الحياة مرة أخرى؟ لا.

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [الواقعة: 75- 76].

أتشركون فى هذا؟

{أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: 81- 82].

أى: أتنحى عن شكركم على رزق الله لكم أنكم تكذبون ولا تعتبرون.

فمن كان بهذه المثابة فلينتظر الساعة التى لا بد منها وهى ساعة الاحتضار

التي هى لاحقة بكل إنسان لا محالة، والتي أخبرنا الله عنها بقوله: {فَلَوْلَا إِذَا

بَلَغَتِ الْخُلُوفَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ

فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ

فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ

أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ

جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 83- 96].

إذ قبيل خروج الروح، والعبد فى الاحتضار يريه الله - تعالى - مصيره أى

صنف هو من الأصناف الثلاثة.

فإن الأرواح عندما تفارق الأجساد تأخذ منازلها على النحو الذى تحدثت عنه

السورة.

أصحاب السبق وهم المقربون، أصحاب اليمين، أصحاب الشمال فإن كان

المحتضر من السابقين المقربين {فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ}.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ} [الواقعة: 90 - 94]. وهذا هو الصنف الثالث أعادنا الله منه.

ثم روى السورة الكريمة تختم بقوله: {فَسَرِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 96]. لأن التسبيح من شأن المقربين أصحاب اليمين.

ولذا ختم البخاري رحمه الله صحيحه بحديث عن النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»⁽¹⁾.

والله تعالى أعلم

* * * * *

القبر وما بعده من أمور

الحمد لله /

الحمد لله الذي أسكن عباده هذه الدار، وجعله لهم منزلة سفر من الأسفار، وجعل الدار الآخرة هي دار القرار، وجعل بين الدنيا والآخرة برزخاً يدل على فناء الدنيا باعتبار، وهو في الحقيقة إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار. أحمدته على نعمه الغزار، وأشكره على فضله المدرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له الواحد القهار.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، النبي الهاشمي المختار ، الذي بمحبته سعدت الأخيار، وبنوره كل تقى استتار، وصار من أهل المعرفة والاعتبار. الذي من أحبه نجا ومن عاداه دخل النار، ومن صلى

(1) رواه البخاري.

عليه سعد وابتعدت عنه الأكدار. وعلى آله وسلم. بعدد دوران كل فلك دار، وبعدد ما نزل من قطر الأمطار، وبعدد أمواج الأنهار والبحار، وبعدد أنفاس الخليفة في سائر الأقطار. صلاة أنال بها رضاك ورضاه يا عزيزي يا غفار.

أما بعد

إخوة الإسلام:

إن الله سبحانه وتعالى خلق بنى آدم للبقاء لا للفناء، وإنما ينقلهم بعد خلقهم من دار إلى دار، ثم ينقلهم إلى دار البرزخ فيحبسهم هنالك إلى أن يجمعهم يوم القيامة، ويجزى كل عامل بعمله مفصلاً ، هذا مع أنهم في دار البرزخ بأعمالهم مدانون مكافئون ، فمكرمون بإحسانهم، وب إساءتهم مهانون، قال سبحانه وتعالى:

{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: 100].

والبرزخ: هو ما بين الموت إلى البعث.

فاعلموا عباد الله أن الميت إذا مات وانقضى أجله، ودفن في قبره فإنه سوف يعيد الله - تعالى - الروح إلى جميع البدن كما ذهب إليه الجمهور. وهو ظاهر الأحاديث، وذلك حتى يسأل في قبره بعد تمام الدفن، وعند انصراف الناس: عن البراء بن عازب: عن النبي ﷺ قال: «إنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟».

وفى رواية له قال: (ويأتيه ملكان فيجلسانه. فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت. وفي رواية له: (فذلك قوله عز وجل: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: 27]). قال: فينادى مناد من السماء: أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة وألبسوه من الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له فى قبره مد بصره".

قال: (وذكر الكافر قال: وتعاد روحه إلى جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه. فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه. هاه. لا أدري.

فينادى مناد من السماء: أن كذب عبدى فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار. قال: فيأتيه من حرها وسمومها قال: "ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه")⁽¹⁾.

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا وضع فى قبره، وتولى أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم. أتاه ملكان. فيقعدانه. فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل - لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله ﷺ.

فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال: "فيراهما جميعاً". قال: وذكر أنه يفسح له فى قبره مد بصره".

ثم رجع إلى حديث أنس قال: "وأما الكافر والمنافق. فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت، ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير

(1) رواه أبو داود.

وعن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال: "كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»⁽²⁾. وفى رواية: «وهى آخر فتنة تعرض على المؤمن»⁽³⁾.
ثم بعد ذلك يجتمع الموتى إلى الميت ويسألونه:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ فى ذكر خروج الروح. وقال فى روح المؤمن: «فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليهم ، فيسألونه: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح فإنه كان فى غم الدنيا. فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية»⁽⁴⁾.

وبعض أهل البرزخ يكرمه الله بأعماله الصالحة فى البرزخ:

عن ابن عباس قال: "ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر إنسان - يقرأ سورة الملك - حتى ختمها. فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائى على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا إنسان يقرأ سورة الملك - تبارك - حتى ختمها.

فقال رسول الله ﷺ: «هى المانعة، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر»⁽⁵⁾.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن

(1) رواه البخارى ومسلم.

(2) رواه أبو داود.

(3) رواه أحمد وعبد الرزاق.

(4) رواه النسائى.

(5) رواه الترمذى.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

أهل النار حتى يبعثه الله. يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة» (1).

قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: 46].

وقال سبحانه - فى نعيم القبر وعذابه -: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [غافر: 46].

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا نكره الموت. قال ﷺ: «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته. فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله. فأحب لقاءه، وإن الكافر إذا حضره بشر بعذاب الله وعقوبته. فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله. فكره الله لقاءه» (2).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: أن النبی ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير: أما أحدهما: فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر: فكان يمشى بالنميمة. ثم أخذ جريدة رطبة فشققها اثنتين، ثم غرز على كل قبر منهما واحدة». قالوا: لم فعلت هذا

(1) رواه البخارى، ومسلم.

(2) الواقعة: 83 - 96.

يا رسول الله؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» (1).

وعن عائشة - رضى الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا منها سعد بن معاذ» (2).

* * * * *

الدعاء مخ العبادة (1)

الحمد لله /

الذى يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء عمن ناداه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له يحب الملحين فى الدعاء.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير من تضرع إلى الله، وتوجه إليه ورجاه. صلى الله - تبارك وتعالى - عليه، وعلى آله وأصحابه الذين سألوا الله من فضله، وتوجهوا إليه بخالص الدعاء فى السراء والضراء.

أمـا بعد

يقول الله - تعالى -: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60].

عبلد الله /

الدعاء نور اليقين، وسلاح المؤمن، وسراج المتقين، وقرة عين العاشقين القانتين، فيه لذة أرواحهم، وانسراح صدورهم، والدعاء برهان الإيمان، والدليل الصادق على ذلّ العبودية؛ لأنه يعبر عن احتياج العبد لخالقه ودوام اتصاله وذكره لربه. قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15].

(1) رواه البخارى.

(2) رواه الإمام أحمد.

وقد أمرنا الله بالدعاء، ووعدنا بالاستجابة قال - تعالى -: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... الآية} [غافر: 60].

والله سبحانه وتعالى قريب منا يسمع دعاءنا لا تخفى عليه أحوالنا.

وقد سئل - عليه الصلاة والسلام -: أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فنناجیه؟

فنزل قوله - تعالى -: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186] (1).

وللدعاء آداب يجب مراعاتها:

فللدعاء يكون فى ضراعة وتذلل، وسكينة وخشية، ورغبة ورهبة، وخوف وطمع. قال - تعالى -: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 55، 56].

وفضل الله كبير، وخيره كثير، وما عنده لا ينفى. فعلينا أن نتوجه بدعائنا مخلصين سائلين خيري الدنيا والآخرة.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل» (2).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله يحب الملحين فى الدعاء» (3).

وقال أيضا ﷺ : «من لم يسأل الله يغضب عليه» (4).

(1) رواه عبد الله بن أحمد فى كتابه السنة.

(2) رواه الترمذى.

(3) رواه الطبرانى.

(4) رواه الترمذى.

وقال: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض» (1).

وأيسر العبادة وأخفها دعاء ضارع، ورجاء خاشع يصعد إلى السماء، وتفتح له أبوابها. قال عليه الصلاة والسلام: «الدعاء مخ العبادة» (2).

وعن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة». ثم قرأ قول الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... الآية} [غافر: 60] (3).

وللدعاء ثمرة مرجوة، ونتيجة طيبة للداعي فهو بخير ما دعا: يقول سيد الداعين، وأفضل المقربين ﷺ: "ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء بمثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" (4).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء» (5).

وقال: يقول الله تعالى: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي: كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي: لعلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي: كلّم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا غفار فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي: إنكم لن تبغوا ضري فتضروني، ولن تبغوا نفعي فتنفعونني. يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على قلب اتقى رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على قلب أفجر رجل واحد منكم ما نقص

(1) رواه أبو يعلى والحاكم وصححه السيوطي.

(2) رواه الترمذی عن أنس وضعفه السيوطي.

(3) رواه ابن حبان في صحيحه.

(4) رواه الترمذی وقال حسن صحيح.

(5) رواه الترمذی.

ذلك من ملكى شيئاً. يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا فى صعيد واحد فسألونى فلعطيت كل إنسان منكم مسألتة ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المحيط إذا غمس فى البحر. يا عبادى: إنما هى أعمالكم أحصيها ثم أوفيها لكم. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» (1).

فى هذا الحديث القدسى موعظة، وذكرى للمؤمنين، وتبصرة ل لعقلاء أولى الألباب كى يكونوا فى ساحة القرب من الله فيتحقق لهم الخير الذى يرجون والفوز الذى ينشدون. فقد نهى المولى عن الظلم، وبرأ نفسه منه - وحاشاه أن يظلم أحد - ثم بين أنه الهادى للضالين، والهداية نعمة يجب أن نشكرها. وعلينا أن نطلب منه الهداية دوماً وأبداً، وأنه - تعالى - هو الذى يطعمنا من جوع فنطلب منه الإطعام. وأنه الذى يكسو العارى فنطلب منه الكسوة. وأنه الذى يغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده، وكل بنى آدم خطاء. فعلينا بالاستغفار أثناء الليل وأطراف النهار، لكى يتوب علينا ويغفر لنا.

ثم أخبر عباده أن العبلدة للعابد، والطاعة للطائع، يعود عليه ثوابها، ويظفر بجزائها. أما هو سبحانه فلا تنفعه طاعة الطائع، ولا معصية العاصى وهو غنى عن العالمين، وأن ملكه لا يزيد بالطاعة، ولا ينقص بالمعصية، ثم دعا عباده أجمعين إلى رفع مسألتهم إليه وأنه يؤتى كل سائل سؤاله، ويحقق له ما يرجو، ولا ينقص من ملكه ذرة ولا أقل منها.

ثم بين المولى أنه يحصى أعمال عباده خيرها وشرها للجزاء عليها، وعليهم أن يذكروا ذلك جيداً، فمن فعل خيراً وجد خيراً، ومن فعل شراً لم يجد إلا ما فعل، وسيندم حيث لا ينفع الندم:

(1) رواه مسلم.

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 7،

[8].

ومن أخذ نفسه بهذه الموعظة فقد سلك طريق الفوز والنجاة.

أيها المسلمون:

ما قدر يكون، وما أَراده الله نافذ، والدعاء سبب من أسباب تخفيف القضاء،
ورد البلاء:

قال - عليه الصلاة والسلام - : «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما
نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»
(1).

وعلى العبد أن يدعو وهو موقن بقبول دعائه : قال عليه الصلاة والسلام:
«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» (2).

واستجابة الدعاء: مشروطة بطهارة النفس، وسلامة القلب، وأكل الحلال.

قال - عليه الصلاة والسلام - : «إن الله - تعالى - حيى كريم يستحي إذا رفع
الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين» (3).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال:

"تليت هذه الآية عند النبى ﷺ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُفُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: 168]. فقام سعد بن
أبى وقاص - رضى الله عنه - وقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب
الدعوة.

(1) أخرجه الحاكم فى المستدرک.

(2) رواه الترمذی والحاكم.

(3) رواه أحمد وأبو داود والترمذی.

فقال له: أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفسى بيده إن الرجل ليَقْذِف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به"⁽¹⁾.

قال الإمام جعفر الصادق - رضى الله عنه -: عجبت لأربع كيف يغفلون عن أربع:

- 1- عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن "حسبنا الله ونعم الوكيل".
والله - سبحانه وتعالى - يقول: {فَلْيَقْلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: 174].
- 2- عجبت لمن ابتلى بمكر الناس به ويغفل عن: {وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ} [غافر: 44].

والله سبحانه وتعالى يقول:

- {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} [غافر: 45].
- 3- عجبت لمن ابتلى بالضر ويغفل عن {رَبِّ إِنِّي مَسْنِيَ الضُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء: 83].
- والله - سبحانه وتعالى - يقول: {فَلَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ} [الأنبياء: 84].

- 4- عجبت لمن ابتلى بالغم كيف يغفل عن: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87]. والله - سبحانه وتعالى - يقول: {فَلَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء: 880].

والله يتقبل الدعاء فى كل وقت، ويطلب التضرع إليه فى كل لحظة غير أن هناك أوقات أرحى فى القبول، منها:

(1) أخرجه ابن مردويه.

ثُثَّ اللَّيْلُ الْآخِرُ، وَوَقْتُ السَّحَرِ. قَالَ - تَعَالَى -: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ {
[آل عمران: 17]، وَدَبَرَ الصَّلَوَاتِ. قَالَ تَعَالَى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ {
[ق: 40].

ومنها: عند إقامة الصلاة، وبين الأذان والإقامة، وعند الفطر من الصوم،
وعند نزول المطر، وعند هبوب الرياح، وعند رؤية الكعبة، وعند الشرب من
ماء زمزم، وفي المساجد الثلاثة المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ والمسجد
الأقصى.

فلتقوا الله عباد الله:

واسألوا الله دوام النعم، ودفع الشدائد والبلاء والنقم، والتجئوا إليه في الرخاء
والضراء، واليسر والعسر.

ولا تغفلوا عن قول النبي ﷺ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة،
تعرف على الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،
وأعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد
كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه
الله عليك» (1).

* * * * *

(1) رواه الترمذی وغيره.

الدعاء مخ العبادة (2)

الحمد لله /

رب العالمين، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء عمن ابتلاه إذا نجاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له تفضل على عباده، وقبل دعاءهم، وحقق رجاءهم. {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من تقرب إلى الله ونجاه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه صلاة تكشف بها الران عن قلوبنا، وتيسر بها أمورنا، وتستتر بها عيوبنا، وتغفر بها ذنوبنا، وتقضى بها ديوننا وتزكى بها نفوسنا، وتنور بها أبصارنا وقلوبنا، وعلى آله وسلم.

وبعد

يقول المولى عز وجل:

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].

م ن حكمة الله - سبحانه وتعالى - ورحمته بخلقه أن دلهم على وسيلة يستعينون بها، وملجأ يلجأون إليه إذا اشتكت بهم الأزمات، وألمت بهم الملمات فلين المولى ينظر إلى عبده فى هذه الحال فإذا دعاه تجلى عليه برحمته، وفرج عنه كربته إذا قصد بدعائه وجه الله.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «مأ من مسلم ينصب وجهه لله - عز وجل - فى مسألة إلا أعطاه إياه إما يعجلها له ، وإما يدخرها له فى الآخرة» (1).

(1) رواه أحمد.

والدعاء يفتح على المسلم أبواب رحمة الله - تعالى - وغفرانه، ورحمة الله - تعالى - وسعت كل شيء. فهو سبحانه لا يبالي بذنوب العبد المتضرع إليه ولو كانت مثل زبد البحر.

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»⁽¹⁾.

فلله يفرح بإقبال عبده عليه فلا يخييب رجاءه، ولا يرد دعاءه:

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»⁽²⁾.

فللدعاء إنما هو عبادة بل هو كما جاء فى الحديث الصحيح: مخ العبادة. أى: أصلها -.

لذلك نجد الأنبياء والرسل أجمعين يكثرّون من الدعاء، وقد سجل القرآن بعضاً من أدعيتهم:

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء: 83].
{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87].

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "دعوة ذى النون إذ دعا وه وه فى بطن الحوت: {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}. فإنه لم يدع بها رجلٌ مسلم فى شيء قط إلا استجاب الله له"⁽³⁾.

(1) رواه الترمذى.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه الترمذى.

وزكريا عليه السلام دعا الله بقلب خالص أن يهبه ذرية صالحة فاستجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه.

قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَهَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 89، 90].

والنبي محمد الأمين المصلى عليه كان كثير الدعاء. فإذا حزبه أمرٌ - اشتد عليه - لجأ إلى الله تعالى.

وقد لجأ إلى الله تعالى فى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فاستجاب الله دعاءه، ونزل قوله تعالى:

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: 144].

وعندما تأزم الموقف فى غزوة بدر دعا الله، وابتهل، وتضرع إليه حتى جاءه النصر المؤزر من الله، وكان يكثر الدعاء فى السجود فيقول: "اللهم سجد لك سوادى - كيانى - وخيالى، وبك آمن فؤادى، وهذى يدي التى جنيت بها على نفسى. يا عظيم يرجى لكل أمر عظيم. اغفر الذنب العظيم، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم⁽¹⁾.

"اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك. سبحانك لا أحصى ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك"⁽²⁾.

وأعلم أن الله يعلم السرائر والضمائر. وبقدر إخلاص العبد تتحقق الإجابة: (روى): أن رجلاً صالحاً - خرج بتجارة له. فأمسى عليه الليل وهو فى الصحراء. فوضع أحماله عند شجرة، وأراد أن يستريح إلى الصبح فإذا بفارس

(1) رواه أبو يعلى.

(2) رواه مسلم.

يقبل عليه، ويشهر عليه سيفه ويقول: إني قاتلك. فقال له: إن كنت تريد مالى فهذا مالى، ودعنى لأهلى. فقال: أما المال فهو لى ولا بد من قتلك.
فلأخذ يرجوه فلم يقبل الرجاء. فقال له: إن كنت قاتلى فدعنى أتوضأ وأصلى.
فقال: لك ذلك.

فتوضأ ودخل فى الصلاة فلها سجد فى الركعة الثانية ناجى ربه قائلاً: "يا ودود. يا ذا العرش المجيد - يا فعال لما يريد. أسألك بنور وجهك الذى ملأ الأركان، وبعرشك الذى لا يرام - لا يصل إليه أحد -، وبعرشك الذى لا يضام. أن تنقذنى من شر هذا اللص. يا مغيث أغثنى.

فلما سلم وجد رأس اللص أمامه، ووجد فارساً آخر بجواره.
فسأله: من أنت؟ فقال: أنا ملك من للسماء لما دعوت بدعوتك اهتزت السماء، وسمع لأهلها قعقة. وقيل: مكروبٌ فأغيثوه. فسألت ربى أن يرسلنى لإغاثتك.
وما من مؤمن يكرب كربك، ويدعو دعوتك إلا استجاب الله له.
إن الذى لا يهين نفسه، ولا يهزل من شأنها، ولا ياتمر بأمر الله ولا يجتنب نواهيه. فليس أهلاً لأن يقبل دعاؤه.

ففى كتاب الزهد لابن حنبل:

"أصاب بنى إسرائيل بلاء. فخرجوا إلى الخلاء يرجون الله كشف الضر عنهم. فأوحى الله إلى نبيهم: أن قل لهم: إنكم تخرجون إلى الدعاء بأبدان نجسة، وترفعون إلى أكفا قد سفكتكم بها الدماء، وملأتم بيوتكم بالحرام. لقد استقر عل يائى غضبى، ولن تزدادوا منى إلا بعداً.

وخرج موسى عليه السلام يدعو الله بالسقيا فلم ينزل المطر فناجى ربه: يا رب قد عودتنى إذا دعوتك بالسقيا أن تسقينى. فلم لا تستجيب دعائى؟ فأوحى الله إليه: إن فى قومك رجلاً مغتاباً. فقال: يا رب من هو حتى أخرج من قومى؟

فقال الله له: أن يا موسى كيف أنهاك عن الغيبة وأدعو إليها. مرهم فليتوبوا ثم
أنتنى بهم. ففعل موسى ذلك.

فمن أراد أن يستجيب الله دعاءه فعليه أن يطهر ظاهره وباطنه.

لثم ا قال عليه الصلاة والسلام لسيدنا سعد:

(يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) (1).

وفى الحديث الصحيح: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه
إلى السماء: يا رب. ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام. فأنى
يستجاب له» (2).

(ويروى) أن موسى عليه السلام مر برجل قائم يبكى ويتضرع طويلاً. فقال
موسى: يا رب. أما استجبت لعبدك؟

فلوحي الله إليه: يا موسى: لو أنه بكى حتى تلفت نفسه، ورفع يديه حتى
بلغت عنان السماء لما استجبت له.

قال: يا رب لم ذلك؟ قال: لأن فى بطنه الحرام.

اعلم: أن للدعاء أوقاتاً طيبة مباركة يتجلى الله فيها بالمغفرة والرحمة: منها :
الثلاث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة، وعند السجود وعقب الصلوات،
يوم الجمعة، عند نزول المطر، ليالى رمضان، ليلة القدر، العشر الأول من ذى
الحجة، ليلتا العيد، فى الروضة الشريفة على ساكنها الصلاة والسلام: عن عمرو
بن عنبسة قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أقرب ما يكون الرب من العبد فى
جوف الليل فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن» (3).

* * * * *

(1) رواه ابن مردويه.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح.

أهمية النية في الأعمال

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. يحبب العاملين المخلصين. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله. إمام الأنبياء والمرسلين. وسيد الأولين والآخرين. ورحمة الله للعالمين. اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبك ونبيك ورسولك صلاة تطهر به قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وأسرارنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وارض اللهم عن آله الطيبين الطاهرين، وعن أصحابه الغر المحجلين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم وبرحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم أما بعد:

فيا أيها المسلمون إن النية الصالحة روح العمل الصالح وبدونها يكون العمل ميتاً، يقول ابن عطاء الله السكندري - رضى الله عنه -: "الأعمال صور قائمة وحياتها سر وجود الإخلاص فيها"، فالعمل بدون نية جسد ميت لا حياة فيه؛ ولذا يقول الإمام الشافعي: "إن النية ثلث العلم"؟ فلا بد من أن يتعلم المؤمن النية في الأعمال حتى لا تذهب أعماله هباء منثوراً، فالمؤمن يتعلم النية قبل أن يتعلم العمل، كما كان السلف الصالح - رضوان الله تعالى عليهم - فهم القائلون: "إن يكون العمل مقبولاً حتى يرتكز على أساسين مهمين: الأساس الأول: أن يكون قوله وفعله على نهج الشريعة الغراء - ما وافق الكتاب والسنة، والأساس الثاني: النية؛ فهي مقرونة بالعمل في قرن واحد، فنية من غير عمل لا جدوى فيها، وعمل بغير نية مَيّت لا روح فيه ولا يقبله الله - تبارك وتعالى -: "إن الله - عز وجل - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له، وابتغى به وجهه".

كما قال - عليه الصلاة والسلام - (1) : والأصل فى ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

"إنما الأعمال بالنيات": أى لا تكمل الأعمال إلا باقترانها بالنية الصالحة وهى قصد التقرب إلى الله - تبارك وتعالى - دون ما سواه - سبحانه - فهو لا يقبل العمل المشترك؛ لأنه أغنى الشركاء عن الشرك - سبحانه وتعالى -.

"وإنما للكل امرئ ما نوى": أى له جزاء ما نواه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إن نوى بعمله الدنيا فجزاؤه فى ال دنيا، وإن نوى بعمله الآخرة فجزاؤه مدخر للآخرة، - ثم ذكر ﷺ أن من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله أى جزاؤه عند الله - تعالى - مدخر؛ ذلك لأن رجلاً يقال له: "مهاجر أم قيس" هكذا لقب؛ لأنه هاجر من مكة إلى المدينة من أجل امرأة يقال لها: أم قيس، هاجر من أجل أن يتزوجها، ولم يهاجر من مكة إلى المدينة من أجل الدين ونصرة الله - سبحانه وتعالى - ورسوله؟ فكان يقال له: "مهاجر أم قيس".

"ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" فالسفر واحد سواءً أكان سيراً على الأقدام أو على مركب من المراكب، هذا سفر وهذا سفر، هذا سفر مكرم عند الله تعالى؛ لأنه قصد به وجه الله - تبارك وتعالى - وإعزاز دينه وإعلاء كلمته، أما هذه الهجرة، فإنها هجرة إلى دنيا ومن أجل امرأة ينكحها فنؤاخذ به فى الدنيا فقط يصيبه فى الدنيا ولا أجر له فى هجرته مع أنه شارك المهاجرين فى السفر؛ لذا كان يقول سيدنا عمر الفاروق - رضى الله تعالى عنه -: "المسافر كثير، والحاج قليل، والمصلى كثير والمقيم لها

(1) رواه النسائى عن أبى أمامة - ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بالحسن.

قليل " يعنى بذلك المخلصين فى نياتهم فى الحج. المسافرون للحج كثيرون لكن الذى يقصد إسقاط الفرض الذى كتبه الله تعالى - عليه، ينوى بذلك وجه الله - عز وجل - فهو قليل، أما الذى يسافر ليشتري لقباً أو ليقال له: يا حاج فلان، أو يقصد بذلك التجارة فقط، فهذا مسافر فقط وليس حاجاً يقصد وجه الله - تبارك وتعالى -.

كذلك المصلى الذى يدخل المسجد ليصلى حتى يقال: إن فلان يواظب على الصلاة فى جماعة، وأنه من الصالحين المصلين يرائى بذلك، فالصلاة مجردة عن النية بالتوجه إلى الله - تعالى - أمست جريمة يعاقب عليها العبد: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْا * وَالَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: 4-7]، "إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى، ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرأً على معصيتى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ذلك نور ه كنور الشمس أكلاً ه بعزتى، وأستحفظه ملائكتى، وأجعل له فى الظلمة نوراً، وفى الجهالة علماً، ومثله فى خلقى كمثله الفردوس فى الجنة"⁽¹⁾. هذا هو المخلص فى صلاته الذى يتقبل الله - تعالى - من.

كذلك الزكاة إن لم تحسن فيها النية ويقصد المؤمن بها وجه الله تبارك وتعالى - وامتنال أمره فى قوله: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [النوبة: 103] ولا يقصد أن يقال: إن فلانا منفق، إن فلانا جواد! إن فلانا كريم، وإنما يقصد وجه الله تبارك وتعالى فى زكاته ثم إنه بعد ذلك لا يبطلها باليمن والأذى، فالمخلص لا يعير أحداً بصدقته ولا يمن عليه ولا يؤذى الفقير بكلمة حتى ولو وقع فى أذاه {وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} [البقرة: 64] فالؤمن يحسن نيته فى كل نفقة ينفقها لله - عز وجل - سواء كانت

(1) رواه البزار.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

فرضاً أم نفلًا؛ لأن الله - عز وجل - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له يقول رسول الله ﷺ فى وصيته لسيدنا سعد بن أبى وقاص - رضى الله تعالى عنه -:
ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك⁽¹⁾ أى فى فمها.

انظر حتى فى العادة إذا أحسن النية أعطاه الله ثواباً على نيته، حتى اللقمة يرفعها الرجل إلى فم امرأته رحمة بها وتودداً إليها كتب الله له بها صدقة، هذا فى الأمر المباح إذا أحسنت فيه نيتك، وقصدت وجه الله - تبارك وتعالى - والرحمة أجرك الله - تعالى - على نيتك.

إن النية الصالحة روح العمل الصالح حتى إن أقواماً من المجاهدين فى سبيل الله جاءوا فى غزوة العسرة إلى رسول الله ﷺ صادقين من عند أنفسهم يسألون رسول الله ﷺ أن يحملهم على مراكب الجهاد، ليجاهدوا فى سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، ولكن رسول الله ﷺ اعتذر إليهم؛ لعدم وجود الظهر الذى يركبونه، فرجعوا باكين؛ لأنهم أقعدوا بأعداءهم عن الجهاد فى سبيل الله، ولكن النية الصادقة بلغت بهم منازل المجاهدين، فقال فيهم رسول الله ﷺ حينما رجع: «إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر»⁽²⁾.

أنظر إلى قوله ﷺ "وهم معنا" أى: وهم معنا بنياتهم الصالحة، صدقوا فى نياتهم فرفعهم الله - تعالى - إلى مراتب المجاهدين فى سبيل الله، أمسوا مجاهدين بصدق نياتهم {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَاهُمْ تَفْضِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [التوبة: 92]. حزنوا لأنهم فقراء، لم يستطيعوا أن يشتروا مراكب الجهاد من البعير والخيول ولم يجد

(1) رواه الجماعة عن عامر بن سعد بن أبى وقاص.

(2) رواه البخارى.

رسول الله ﷺ ما يحملهم عليه؛ فتولوا وهم حزانى على تخلفهم؛ فبشرهم - رسول الله ﷺ بأنهم مع أصحابهم المجاهدين في سيرهم في أي مكان نزلوا به، هم مع رسول الله ﷺ بأرواحهم؛ لذا قال: عليه الصلاة والسلام -: "من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه" ⁽¹⁾؛ ولذا قرت عين سيدنا خالد بن الوليد - رضی الله تعالى عنه - حينما مات على فراشه وليس في جسده موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ثم قال: "أموت على فراشي لئلا يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء"؛ فبشره بعض أصحابه وقال له: أبشر يا خالد؛ فإن رسول الله ﷺ يقول: «من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»؛ فقرت بذلك عين سرييل خالد بن الوليد - رضی الله تعالى عنه -، الذي خاض الحروب مع رسول الله ﷺ وبعده ولم يهزم في حرب واحدة وإنما كان ينصر بنصر الله، وببركة شعرات رسول الله ﷺ التي كانت في خوذته - رضی الله عنه - ولكن بنيته الصادقة، كتبت له من الشهداء في سبيل الله بصدق وعد رسول الله ﷺ.

فالمؤمن يتمنى الشهادة في سبيل الله - عز وجل - ويحدث نفسه بالغزو في سبيل الله - تبارك وتعالى - حتى لا يعد من المنافقين؛ لأن رس ول الله ﷺ قال: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق» ⁽²⁾ فلا بد أن يغزو إن قدر على ذلك وأتيحت له الفرصة، وإن لم يتيسر له ذلك تمنى الغزو في سبيل الله وتمنى الشهادة في سبيل الله تبارك وتعالى، لذا حينما دعا الفاروق - رضی الله تعالى عنه - الله تعالى - أن يجعل موته في المدينة وأن يرزقه الشهادة في سبيل الله؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه من مات بها كنت له شهيداً وشفيعاً» ⁽³⁾ فكان

(1) رواه أحمد.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه الترمذی والطبرانی واللفظ له بإسناد حسن.

الفاروق - رضى الله تعالى عنه - يدعو ويقول: "اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك" فقالت له ابنته السيدة حفصة - أم المؤمنين - رضى الله تعالى عنها -: "كيف يكون ذلك؟! وأنى يكون ذلك؟! تموت فى سبيل الله وفى المدينة"؛ قال: "يأتى به الله إن شاء الله" فاستشهد - رضى الله تعالى عنه - فى صلاة الصبح وهو يصلى بالناس - طعنه أبو لؤلؤة المجوسى لعنه الله تعالى - فبلغه الله الشهادة حينما تمناها صادقاً من قبله ودفن بجوار رسول الله ﷺ إكراماً له.

هكذا نكون النية الصادقة ترفع صاحبها إلى منازل الأبرار فاتقوا الله أيها المسلمون وتعلموا النية الصالحة فى أعمالكم حتى لا تذهب هباءً منثوراً.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم أو كما قال عليه الصلاة والسلام "كل ابن آدم خ طاء وخير الخطائين التوابون" ⁽¹⁾. فتوبوا إليه واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له {يَقِيلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [الشورى: 25، 26]. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد، صلاة تسقي بها النفوس من اعوجاجها، وتستنير بباهر أنوارها، ويذهب عنها ظلامها وفسادها، ويظهر عليها هدايتها وإرشادها، وارضى اهجا عن آله الطيبين الطاهرين وعن أصحابه الغر الميامين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(1) رواه مسلم.

ثم أما بعد

فيا أيها المسلمون عن أبي كبشة الأنماري - رضى الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاء، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر وأحدثكم حديثاً فاحفظوه؛ إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط فى ماله بغير علم، ولا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزنهما سواء» (1).

هذا حديث عظيم يبين فيه رسول الله ﷺ أربعة أصناف من الناس، الصنف الأول الذى له مال ورزقه الله علماً مع المال فهو يتقى فيه الله ويقوم بأداء الحقوق ويصل به الأرحام ويسير فيه على هدى من الله تعالى.

والصنف الثانى: الذى معه العلم وليس معه المال، فيتمنى بصدق أن لو كان له مثل فلان من المال لعمل فيج بمثل عمله يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويؤدى حق الله تبارك وتعالى، فهما سواء، حكم رسول الله ﷺ بأنهما فى أعلى المنازل عند الله تبارك وتعالى، هذا بعمله وبماله وعلمه، وهذا بعلمه وبنيته الصالحة التى نواها فهما فى الأج رسواء. والصنفان الآخران: صنف رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط فى ما له بغير علم ويسير على غير هدى من الله لا يتقى الله - تبارك وتعالى - ولا

(1) رواه أحمد والترمذى ورمز له السيوطى بالحسن فى الجامع الصغير.

يصل رحم ولا يعلم الله في ماله حقاً، فهذا بأخبث المنازل وشرها عند الله
تبارك وتعالى، والصنف الآخر الذي ليس معه م ال ولا علم، فتمنى أن
يكون مثل الذي قبله معه الحال يخطب فيه بغ ير علم ولا يتقوى ربه ولا
يصل رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً، فهما في الوزر سواء، الفريقان في
الوزر سواء، وما أكثر هؤلاء في الناس وما أقل أولئك في الناس، ذلك
بأن الناس تركوا العلم والتعليم والجلوس في م ج الس العلم واشتغلوا
بالقيـل والقال فذهبت أكثر أعمالهم سدى لفسا د نياتهم وترك تحصيلهم
العلم واشتغالهم بما لا يعينهم. فاتقوا الله أيها المسلمون وتعلموا تحسين
النيات حتى في الأمور المباحات، فالعطر وهو أمر خفيف وهين يقول
فيه رسول الله ﷺ: «من تطيب لله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه
أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله تعالى ج اء يوم القيامة وريحه
أنتن من الجيفة» (1). هذا يدل على عظمة منزلة حسن النية عند الله
تعالى حتى في الأمر ال مباح وهو التعطر يقصد به وجه الله - تبارك
وتعالى - واقتداء بسنة النبي ﷺ ال ذى كان يتعطر وريحه أطيب من
المسك، وإنما يتطيب؛ ليسن لأمته سنة ال طيب؛ فالمؤمن يتطيب من أجل
الاقتداء برسول الله ﷺ لا ليجد الناس ريحة وهو يسير بينهم، وإلا جاء
يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة.

كذلك في العلم يقول ﷺ: «من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به
السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله أهل النار» (2).

فلاذب من إحسان النية حتى في طلب العلم.

* * * * *

(1) رواه أبو الوليد الصنفار في إفتاب الصلاة من حديث إسحاق بن أبي طلحة مرسلأ.

(2) رواه أبو نعيم وابن عساكر.

صلاح القلوب

الحمد لله، أسعد برحمته ورضاه من آمن به وأطاعه فنور قلبه وزكاه،
وأشقى من أظلم قلبه بالمعصية وأخفاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مقلب القلوب ومصرفها
كيف يشاء. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله الذي زكى أصله
وفرعه، وفاق جميع الشرائع شرعه، وخير طبع في الأمم طبعه، وأفضل
دروع المجاهدين درعه، وأفضل الأصحاب والجموع صحبه وجمعه،
الذي عم المسلمين نفعه، وعلى آله وأصحابه، الذين كانوا أظهر الناس
قلوباً، فرضى الله عنهم وأرضاهم، وطيب ثراهم.

أهمية القلب وأثره في حياة الإنسان:

أما بعد

فيا عباد الرحمن: يقول الرسول ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» الشيخان.

عباد الله: إن أشرف ما في الإنسان قلبه، لأنه محل الإيمان بالله
والعلم به، وهو الذي يدفع صاحبه إلى العمل لله والسعى إلى مرضاته،
وهو السيد المسيطر على سائر أعضاء الجسد، فالجوارح كلها تبع وخدم
للقلب. فآثره عظيم وخطره كبير، فمن عرف قلبه عرف ربه، ومن جهل
بقلبه، لم يتمكن من السيطرة عليه وتوجيهه إلى نوازع الخير، فمعرفة
القلب وأساسه أصل الدين، وعماد طريق الصادقين المعلمين.

2- القلب السليم جلاب للخير مناع للشر:

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن مدار صلاح حركات العبد وسلامته
أقواله وأفعاله إنما هو على حسب صلاح حركات قلبه وطهارته من كنوزاته،

فإن كان قلب العبد سليماً، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله، وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، فإن كان القلب - وه و ملك الأعضاء وسيدها - صالحاً كانت هذه الجنود سالحة، ويوم القيامة يظهر أثر القلب الصالح السليم في أعمال المرء وفي رجحان كفته، يقول الحق سبحانه وتعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89]. فلا يظهر أثر الإيمان على أقوال الإنسان وأفعاله إلا إذا صلح قلبه وتطهر. روى الإمام أحمد عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال الرسول ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه...» الحديث. ومعنى استقامة إيمان المرء: استقامة أعمال جوارحه، وهى لا تستقيم إلا باستقامة مالكها والمسيطر عليها وهى القلب، واستقامة القلب: امتلاؤه من محبة الله تعالى، ومحبة طاعته، وكرهه معصيته، وقال عليه الصلاة والسلام: «يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفئدة الطير» (1) يريد - والله أعلم - أن أمثلها فى أنها خالية من كل ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا كما ورد فى الحديث الصحيح "أكثر أهل الجنة البله" (2)، أى البله عن معاصى الله تعالى. وصاحب القلب السليم يبارك الله تعالى له فى أعماله وإن كانت قليلة، ويسرع إليه بكل خير، فعن عبد الله بن عمرو قال: قيل: يا رسول الله أى الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب صدوق اللسان". قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقى النقى، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد" رواه ابن ماجه.

(1) رواه مسلم: ج 2 ص 535.

(2) قال الهيثمى رواه البزار وفيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غيره: المجمع ج 8 ص 79، ج

10 ص 264، 402.

(3) الحشر: 10.

ولا عجب فصاحب القلب السليم خيره عم ي لنفسه وللناس أجمعين، يحب لهم الخير أكثر مما يحبه لنفسه، لا يضمر لهم سوءاً، فقلبه طاهر نقي صادق الإيمان فهو مثل طيب لكل مؤمن.

وعلى هذا كانت قلوب الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - صلحت قلوبهم، وصفت لله وخلصت فلم يبق فيها لغير الله إرادة، فصلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله، ولم يضمر وال لمسلمين إلا كل حب ومودة قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} الآية، وكذلك كان السلف الصالح من بعدهم فكانوا ينظرون إلى أعمالهم بقلوبهم، يقول الحسن البصري - رضى الله عنه -:

"ما ضربت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر بقلبي، أعلى طاعة أم على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت".

القلوب تتغير وتتحول بقدرة الله تعالى:

أعلموا عباد الله أن القلب إنما سمي بذلك لسرعة قلبه وتحوله، قال عليه الصلاة والسلام - "إنها سمي القلب من قلبه، إنما مثل القلب كمثل الريشة معلقة في أصل شجرة قلبها الريح ظهراً لبط ن". رواه أحمد وعن عبد الله بن ع مرو - رضى الله عنهم ا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن - عز وجل - كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» (1).

(1) رواه مسلم في صحيحه ج 2 ص 457 - كتاب القدر - باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ورواه أحمد في مسنده ج 2 ص 162.

وله ذا يجدر بالمؤمن أن يكثر الدعاء أن يثبت الله قلبه وأن يجعل تصرفاته كلها في طاعة الله سبحانه، وقد دعا رسول الله عليه وسلّم الله تعالى بقوله: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» مسلم. وروى الترمذى عن أم سلمة أنه كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندها: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» وكان ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي» الترمذى، وكان يقول فى دعائه: «اللهم أعطني نوراً، وزدنى نوراً، واجعل فى قلبي نوراً» الحديث. أخرجه البخارى ومسلم.

القلب يمرض ويسقم فيشقى صاحبه:

ليس أروح للمرء، ولا أطر دلهوممه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مُبرّاً من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد، فإن فساد القلب بالأحقاد والضغائن داء عيىء وما أسرع ما يتسرب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرب الماء من الإناء المثلوم (المكسور) وقد رسول الله ﷺ أقسام القلوب من حيث الخير والشر، فقال: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يُزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافه (أى غطائه) فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح (أى ممال) فيه إيمان ونفاق» رواه أحمد.

والأمراض التى تعطل القلوب وتفسد مكنوناتها كثيرة، منها: الحسد والبغضاء والاحتقار والازدراء.

علاج أمراض القلوب:

إن الإسلام قد وضع أدوية لأمراض القلوب، فمنها الذى يقول الله تعالى فيه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ { [الرعد: 28]، وطمأنينة القلوب تتحقق بالاستقامة مع الله تعالى بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَبْسُؤُوا بِإِيمَانِهِمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82] وفي الحديث: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فأنا أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»⁽¹⁾.

ومنها: تلاوة القرآن والاستماع إليه {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: 23].

ومن الأدوية التي تعين على استقامة القلب وشفائه من علله: النظر في آيات الله في الكون، يقول الله - تعالى - {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46].

والشياطين يدركون جيداً أن التفكير في ملكوت الله يساعد على شفاء القلوب من وساوسهم فهم يحومون عليهم ويحاولون جاهدين صرفهم، يقول النبي - عليه الصلاة والسلام: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» رواه أحمد.

ومن أسباب شفاء القلوب: الاستماع للمواعظ وتعلم العلم الذي ينير القلب ويهdy إلى الطريق المستقيم يقول - عليه الصلاة والسلام -: "إذا أراد الله بعد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوبه" رواه ابن ماجه.

(1) رواه الترمذى فى سننه ج5 ص 710 كتاب المناقب حديث رقم 3896 ورواه احمد فى مسنده ج1 ص 396.

الخطبة الثانية

ثمرة سلامة القلب:

إذا وفق العبد إلى هذه الأسباب وسعى إليها، شفى الله قلبه وجعله مستقيماً فلا يحل فيه إلا الخير، فإن القلوب إذا امتلأت خيراً نضحت خيراً، وإذا امتلأت شراً نضحت شراً، فكل إناء بالذى فيه ينضح فلا يعد العمل خيراً ولا يثاب عليه صاحبه إلا إذا صدقته نية قلبه، يقول عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى». متفق عليه.

والنبي موطنه القلب، يقول ﷺ: «إن الله - تعالى - لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم وابن ماجه.

قال ع فانقوا الله عباد الله، واملأوا قلوبكم بمحبة الله تعالى وتعظيمه وخشيته، ولا تجعلوا للشيطان سبيلاً إلى قلوبكم، فإنه إذا تسلط على القلوب أفسدها وسودها بالمعاصى وحجبها عن ذكر ربها والله تعالى يقول {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14]، يقول الحسن البصرى - رضى الله عنه - إن بين العبد وبين الله حداً من المعاصى معلوماً إذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفق بعدها إلى خير".

ليه الصلاة والسلام: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» رواه مسلم.

عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سروداء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض» رواه مسلم فى الإيمان.

فقسم ﷺ القلوب عند عرض الفتن عليها إلى قسمين: "قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها كما يشرب السفنج الماء فتنتك فيه نكتة سوداء فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس " وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر فيه مصباحه فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردّها فازداد نوره وإشراقه.

قال عليه الصلاة والسلام - : «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم» «أخرجه الطبراني في الكبير. حديث حسن.

وقال عليه الصلاة والسلام: «جددوا إيمانكم - قولي يا رسول الله: كيف تجدد إيماننا؟ قال أكثروا من قول لا إله إلا الله» رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

"إن لكل شئ صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله، وما من شئ أنجى من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع" رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمرو.

"إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه" رواه أبو يعلى عن أنس.

* * * * *

وسائط النصر كما يصورها القرآن

اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وبك المستغاث، وأنت المستعان وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، إمام الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وأكرم الأولين والآخرين، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمداً، عبدك ونبيك ورسولك، وارض الله م عن آلّه الطيبين

الطاهرين، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً، وارض اللهم عن أصحابه الغر الميامين، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون، وارض اللهم عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم وبرحمتك لي أرحم الراحمين.

ثم أما بعد :

فيا أيها المسلمون يقول الحق تبارك وتعالى: {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: 40، 41]. هذه الآية الكريمة من كتاب الله تبارك وتعالى الذى {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42] يبين الحق - تبارك وتعالى - فيع، شروط النصر للمسلمين المؤمنين الذين آمنوا بما أنزل الله - تبارك وتعالى - من كتاب على ربه ﷺ واقتفوا سنة رسول الله ﷺ وساروا على دربه ونهجه وعملوا بقوله تبارك وتعالى: {لَوْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]. لكرئك إذا نظرت إلى واقع المسلمين اليوم، وجدت غير ذلك وجدت انصرافا عن كتاب الله - عز وجل - وبعداً عن سنة رسول الله ﷺ والتابعين ومن تبعهم بإحسان حتى وصل حالهم إلى ما نراه الآن يخسرون ولا يخسرون، يهزمون ولا ينتصرون ويمدون أكفهم ذليلة إلى غيرهم، ذلك بأنهم انحرفوا عن منهج الله - تبارك وتعالى - فجعل الله للكافرين عليهم سبيلاً، يقول شيخنا الإمام الجعفي - رضى الله تعالى عنه -: "سئل الإمام محي الدين بن عربي عن قوله تبارك وتعالى: {وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} [النساء: 141] ونحن نرى سبيلاً للكافرين على المؤمنين فى بعض البلدان، فقال الشيخ الأكبر - رضى الله تعالى عنه -: إذا كانوا مؤمنين حقاً، لم يجعل الله للكافرين عليهم سبيلاً، أما إذا غيروا وبدلوا وانحرفوا عن صفات المؤمنين فقد فتحوا الباب للكافرين، فدخلوا عليهم من هذا الباب وهو باب

المخالفة لحكم الله - تعالى - وحكم رسوله ﷺ والله تبارك وتعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد: 8].

فإذا تغيرت النفوس تغير التاريخ، إذا أصبحوا مؤمنين حقا استحقوا نصر الله تبارك وتعالى لهم، وهذا هو ما فى هذه الآية - من شروط ذكرها الحق - تبارك وتعالى - {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج: 41]، وه ذه الأمور الأربعة تكاد تكون معدومة فى المجتمع الإسلامى، فالصلاة لا تقام كما ينبغى، وإنما ينصرف عنها المسلمون بشتى أنواع اللهو واللعب، والسعى على الم كاسب فى الدنيا، وآخر شئ يفكرون فيه ويهتمون به هو الصلاة على عكس ما كان عليه السلف الصالح. أما الزكاة فأصبحت مغرماً عندهم، يهرى الرجل أنه إذا أ دى زكاة ماله، أنه أصبح غارماً وليس غانماً، إن أخرجها يخرجها على كره منه، لا على محبة، والله - تبارك وتعالى - يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92] ؛ فلا بد من إخراجها بسخاوة نفس، لا بإشراف نفس، لا يخرجها وهو متطلع إليها، وإنما يخرجها امتثالاً لأمر الله، وطاعة له، ويرى أنها حق لله تبارك وتعالى - حيث جعل رزق الفقراء عنده، فهو إنما يخرج حق غيره فى ماله.

أما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فه ما س همان من أسهم الإسلام اختفيا من المجتمع، إلا ممن رحم الله - تبارك وتعالى - من الطائفة القليلة - التى قال رسول الله ﷺ فى شأنها: «ولن تزال طائفة من أمتى قائمين على أمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك» (1).

فهذه الأمور الأربعة حينما ضعفت بين الناس المؤمنين، ضعفت شوكتهم ولانت قناتهم، وضعفوا أمام أعين أعدائهم، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود فى

(1) رواه البخارى ومسلم من حديث معاوية.

سننه عن ثوبان - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزع عن الله من صدور عدوكم المهابة، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

فحب الدنيا سبب فى الانشغال عن الصلاة والزكاة، وكراهية الموت سبب من أسباب ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إذا رأيت الرجل المؤمن التقى النقى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول له صاحبه: لا تفعل ذلك ولا تتكلم فى هذا حتى لا تكتب عند جهات الأمن أنك من الإرهابين فيترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

هذه أمور أضعفت شوكة الأمة، حتى هانت على إخوان القردة والخنازير، استطالوا عليهم بكل ألوان الاستطالة، هم يصنعون كما يشاءون، والم ومزنون يحجر عليهم، وبكم أفواهم حتى لا يقولوا ما يرضى الله - تبارك وتعالى - ويرضى رسول الله ﷺ وما أمر الله - تعالى ربه، وما أمر به نبيه ﷺ.

الله - عز وجل - يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتُصَرُّوا اللَّهَ تَتُصَرِّكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7] ينصركم على الأعداء، ويثبت أقدامكم إن لاقيتموهم، م ما كثر عددهم، وكثرت أعدادهم، فالله - تبارك وتعالى - حاكم عليهم بالذلة والصغار والهوان والخوف من المؤمنين الحقيقيين لأن الله - عز وجل - يقول بعد هذه الآية: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ} [محمد: 8]، والتعاسة هى عدم الفلاح فى الدنيا والآخرة؟ {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [ممد: 9]، كرهوا ما أنزل الله من كتاب، فأحبط أعمالهم ولم يكتب لهم ال فلاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولكن تساوى معهم المسلمون الآن، فهم يكرهون ما أنزل الله - عز وجل - فم من اثنين اختصما فى شئ وأردت أن تحكم بينهم بما أنزل الله، إلا قالوا: أحكم بيننا بالقانون الذى يسير عليه الناس، وهذه أعظم شعبة من شعب

النفاق حيث قال الله عز وجل فى شأن المنافقين: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} [النساء: 61].

فكيف أيها المسلم تدعى إلى حكم الله عز وجل - وحكم رسوله ﷺ ثم تقول: احكم بيننا بحكم الجاهلية، {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50] هذا أمر يضاف إلى الأمور الأخرى التى أضعفت شوكة المسلمين وأوصلتهم إلى هذا الحضيض الذى يعيشون فيه، انصرفوا عن كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ وفيهما العزة والكرامة والسيطرة على جميع الأمم، وفى قصة أبى سفيان مع هرقل المروية فى البخارى وغيره، حينما سأله عن شأن رسول الله ﷺ بم يأمركم؟ قال: يأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له، وينهانا عن عبادة الأوثان، ويأمرنا بالصلاة والصيام والصدقة، وصلة الأرحام فقال هرقل - وهو خبير بطبيعة الأمور - القيادية: "إن كان كما قلت - يعنى كنت صادقاً فيما تقول من وصفه - فسيملك موضع قدمى هاتين، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه - يعنى خدمته " انظر إلى هذا الملك الذكى الخبير بطبيعة الدعوات الحقّة كيف يصل أمرها إلى منتهاه، إن كان كما قلت - يأمركم بعبادة الله - تعالى - وحده وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصيام والصلاة والصدقة وصلة الأرحام فسيملكم وضع قدمى هاتين يعنى أن ملكه وسيطرته سوف تصل إلى عرش هرقل، وقد صدقت نبوءة الرجل الكافر؛ لأنه شهد شهادة الحق لصالح الحق ﷺ فامؤمنون إذا أرادوا التحكم فى الأرض، وصالح أحوالهم، وسيادتهم على جميع الأمم، فليقرعوا قول الحق - تبارك وتعالى - ويعملوا به

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور: 55].

لئن ما الشروط التى شرطها الله، الشروط واحدة فى كل آية {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55].

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوا} [النور: 56].
هذه هى الشروط، ثم بعد ذلك يعطيك الأمان الإلهى، وأنه - سبحانه - لا يعجزه شئ فى السماوات ولا فى الأرض {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أَوْاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [النور: 57]. مهم ما ملكوا من قزائل ذرية أو أسلحة كيهابية أو أى أمر مدمر يعرفونه لن يخيفنا؛ لأن الله عز وجل قادر على إبطاله وإفساده ولكن بشرط تنفيذ ما قاله الحق - تبلوك وتعالى - أن نعبد حق العبادة لا نشرك به شيئاً، وأن نقيم الصلاة، ونؤتى الزكاة ونطيع رسول الله ﷺ ومما أكثر هذه الوعود فى القرآن الكريم يكررها الحق تبارك وتعالى فى أكثر من موضع فى القرآن حتى يعلمنا اليقين فى وعوده سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: 17-173]، {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47]، هكذا حكم الله، وهكذا شرط الله - تبلوك وتعالى - إن كنا مع الله كان الله معنا عليهم، وإذا كنا مع الشيطان والنفس والهوى وأطعنا الكافرين كان الله علينا معهم، هذا {سُرَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 62]، فلا عزة إلا فى طاعة الله - تبلوك وتعالى - {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: 10] {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: 8] فانتقوا الله أيها المسلمون واعملوا بكتاب الله عز وجل، وحكموا سنة رسول الله ﷺ فيها بينكم حتى نخرج من هذا الضعف والهوان والصغار وحتى ينصرنا الله على القوم الكافرين. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله {يَقُولُ التَّوْبَةُ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلٍ هَ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [الشورى: 25، 26] وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه وخليفه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك اللهم أجزه عنا بما هو أهله؟ وأجزه عنا خير ما جازيت به نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، وأوردنا حوضه واسقنا منه بيده الشريفة شربة لا نظماً حتى ندخل الجنة، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وارض اللهم عن آل وأصحابه وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم أما بعد

فيا أيها المسلمون من الأمور التي أضعفت الأمة وأوهنت قواها، وكسرت شوكتها ما أخبر به ﷺ من خصال في حديثه الشريف الذي يخبر به عن أمور ستقع في المستقبل، يقول عليه الصلاة والسلام: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة، حل بها الهلاك، قيل: وما هي يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام -: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديق، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشر بت الخمر، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وفي رواية: «وتعلم العلم لغير الدين وساد القبيلة فاسقهم فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً»

هكذا يخبر ﷺ عن هذه الأمور التى عمت وفشت ووقعت ولم تبق منها
خصلة واحدة، وهى أمور واضحة لا تحتاج إلى شرح أو تعليق.

ولكن ماذا عليك أيها المؤمن، عليك أن تخرج من هذه الخصال إن كانت فيك
واحدة منها، فلتنتب إلى الله تعالى منها، فأنت جزء من جسد هذه الأمة، فالفرد إذا
صلح صلح بصلاحه آخرون، فأنت فى أسرتك إذا انصلح حالك صلحت الأسرة
والأسرة لبنة من لبنات المجتمع، وهكذا ينضم إليك أخ وك المؤمن بأسرته حتى
ينصلح حال البلد ثم تتصلح أحوال البلاد كلها، فبذلك نصل إلى النصر الموعود
الذى وعدنا الله - تبارك وتعالى - به وهو لا يخلف الميعاد، فاتقوا الله أيها
المسلمون، وارفعوا أكف الضراعة إلى الله - سبحانه وتعالى - بالدعاء سلاح
المؤمن، ونور السماوات والأرض، وعماد الدين، فارفعوا أكف الضراعة
وخاصة فى يوم الجمعة فإن النبى ﷺ أخبر أن فيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن
يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه، وعسى أن تكون هذه الساعة.

* * * * *

(1) رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه - ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بالضعف.

الأولياء ومكانتهم عند الله

الحمد لله /

الذى جعل السعادة فى خدمة السعداء، والبركة فى مصاحبة الأولياء، وجعل الإمداد على قدر الاستعداد، والمذاق على قدر العرفان.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. أعز بعزه العلماء والأولياء
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله معلم العلماء، وممد الأولياء، وسراج الأتقياء،
وخيرة الأصفياء، وأكرم الكرماء، وخير من أقلتة الغبراء، وأظلتة السماء. الذى
تعطرت به الأرجاء، وانجلت به الحوباء وامتدت منه العلماء والصلحاء.
صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً ندخل به فى زمرة السعداء، ونسلم به
من موارد الأشقياء.

أم- بعد :

1- من هم الأولياء؟

فى عباد الله /

يقول الله - سبحانه وتعالى -: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: 62- 64].

إخوة الإسلام:

إن الولي هو "من تولى أوامر الله تعالى با لطاعة، فتولاه الله
بالكرامة والرعاية والعناية"، والولى هو العارف بالله حسبما يمكن،
المواظب على الطاعات؛ المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك فى
اللذات والشهوات. وقد بين لنا رسول الله ﷺ صفة الأولياء وعلاماتهم
فيما رواه سي دة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى تفسير هذه الآية

حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء. يغبطهم الأنبياء، والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى» قيل: يا رسول الله خبرنا من هم؟ وما أعمالهم؟ فلعلنا نحبههم. قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها. فوالله: إن وجوههم لنور، وإنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس». ثم قرأ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [معناه عند البيهقي وابن أبي الدنيا].

فلأولياء: قومٌ تحابوا بروح الله، وقصدوا بحبهم وجه الله - تعالى - وتقربوا إلى الله بالفرائض والنوافل حتى أحبههم الله - تعالى -.

ففي صحيح البخاري: عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - تعالى - قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذه» (1).

يقول شيخنا رضى الله تعالى عنه في شرح هذا الحديث:

"أى كان حبي في سمعه وبصره وجميع جوارحه؛ لأن الحب القلبي إذا زاد سرى إلى جميع الجوارح، وزيادته تكون بسبب حب الله - تعالى - لعبده الذي يجعل الحب الإلهي سارياً في جميع أجزائه.

وتوجههم بالعز من بعد ما ذلوا	...	عزيز أعز العاقين بعزه
على الله بل ذكر الكثير وما ملوا	...	لبسهم التقوى وبالروح أقب لو ا
لئن عرفوا المحبوب في ليلهم صلوا	...	كذ اك تبتل ثم قدم نوافلاً
على العهد قد وفوا وفي حبهم جلوا	...	فك ان لهم سمعاً وكانوا به له
سريلاً ذوى الإسعاد ساروا وما ملوا	...	فان شنت أن تحيا سعيداً فهذه

(1) رواه البخاري.

ويقول الحسن البصرى - رضى الله عنه - فى وصف الأولياء:

"إن لله عبداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة وهم مخلصون، وكمن رأى أهل النار فى النار وهم معذبون، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وحوائجهم عند الله مقضية، وأنفسهم عن الدنيا عفيفة، صبروا أياماً قصاراً لعقبى راحة طويلة ، أما الليل: ف مص فوفة أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم. يجأرون إلى ربهم: ربنا. ربنا، وأما النهار: فحكماء علماء بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر، فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض. ويقول: قد خلطوا وقد خالط القوم أمر عظيم".

ه ذا هو وصفهم، وهذا هو نعته م. ومن ثم أحبه م الله، وأحبته الملائكة، وأحبهم الناس.

فقد روى البخارى ومسلم: عن أبى هريرة - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً نادى: يا جبريل: إنى أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل. ثم ينادى جبريل فى الملائكة : إن الله يحب فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول فى الأرض» (1).

واعلموا عباد الله /

أن الأولياء لله حبهم قرب إلى الله - عز وجل -؛ لأن النفس تُسر برؤيتهم، ويتذكر الإنسان ربه بهم.

فعن سعيد بن جبير قال: قيل يا رسول الله: م من أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رءوا ذكر الله» (2).

(1) رواه البخارى.

(2) أخرجه البزار والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول.

ويقول شيخنا - رضى الله عنه - فى تعليق هذا التذکر:

"وذلك لتعلق أرواحهم بالله تعالى، وقربهم منه، فكان مثلهم كحامل المسك إذا دنوت منه شممت رائحة طيبة ذكوتك بصاحب الرائحة الزكية ﷺ".

فقد كان ﷺ إذا دخل المسجد فرئى ذكر الله - تعالى - .

ويقول شيخنا - عليه رضوان الله -:

إم	دادهم من معدن الفرقان	:::	والأولياء سبل الرحمن
إذا	رأتهم ذكرت الله	:::	يرث رون النفس عن هواها
يج	اربون زمر الخناس	:::	فه م جنود الله بين الناس

م ن أجل ذلك جعل الله لأوليائه البشرى فى الدنيا والآخرة؛ لأنه -
سبحانه وتعالى - قد تولى أمرهم، وحفظهم فى أنفسهم وأهليهم وذريتهم.
قال - تعالى -: {إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ }
[الأعراف: 196]. فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله
إياهم فى أولاهم وأخراهم.

وعن أبى الدرداء - رضى الهظ عنه - قال:

سألت رسول الله ﷺ عن قوله - تعالى -: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ}. فقال: ما سألتنى أحد عنها غيرك منذ أنزلت: هى الرؤيا الصالحة يراها
المسلم أو ترى له" (1).

وقال بعض العلماء: "هى البشارة التى تبشر بها الملائكة المؤمن فى الدنيا
عند الموت".

فعند خروج روحه يأتية ملك الموت فيقول له: "السلام عليك ولى
الله. الله يقرئك السلام، كما قال تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ

(1) رواه أحمد والترمذى وحسنه.

تَعْمَلُونَ} [الفحل: 28].

وقال الحسن البصري: "هى ما يبشرهم الله تعالى فى كتابه من جنته وكريم ثوابه فى الآخرة. كما قال تعالى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} [التوبة: 21].

وقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس: 2].

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: 30].

الخطبة الثانية

الحمد لله /

الذى أفاض على قلوب العارفين أنوار حكمته، وأنعم على أرواحهم بالدخول فى شهود تجليات حضرته، وأسبغ عليهم جزيل إحسانه وعظيم نعمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له فى خليقته، وأشهد أن س يدنا محمداً عبده ورسوله الداعى إلى الله بوحيه وشريعته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل طاعته، ومحبيه، وولايته: الذين ملأوا الأرض خيراً ونوراً وسلم اللهم عليهم سلاماً دائماً كثيراً.

أم- بعد

فِي عِبَادِ اللَّهِ /

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فلطرح: 28].

إخوة الإسلام:

إن العلم هو المصباح الذي يضيئ للعابد طريقه، فلا بد للولى أن يكون قوله وفعله على نهج الشريعة الغراء؛ لأن الله تعالى لا يقبل قولاً ولا فعلاً إلا إذا كان على وفق شريعته.

يقول شيخنا الإمام الجعفرى - رضى الله عنه - فى وجوب الاقتداء بالأولياء العلماء:

لِيَهْتَدِيَ بِهِ إِلَى الصَّوَابِ
وَعَمَلٍ بِهِ هُوَ الْوَلَايَةُ

يُحِبُّ شَيْخَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ
فَلْيَسَّ بَعْدَ الْعِلْمِ مِنْ هِدَايَةِ

وهكذا كان شيخنا الإمام الجعفرى - عليه رضوان الله - جامعاً بين علمى
الشريعة والحقيقة، جامعاً بين شرفى الولاية والعلم.

يقول - رضى الله عنه - فى معنى كلمة (العارف بالله تعالى):

"العارف هو الذى عرف الله - تعالى - وقام بحقه، وعرف رسوله ﷺ وقام بحقه، وعرف أولياء الله - تعالى - وقام بحقهم، وعرف المؤمنين وتخلص من تبعاتهم، والعارف: من عرف نفسه كما قال الإمام على - كرم الله وجهه - "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

فلنفس بها كمالات ونقائص فمن عرف الكمالات ف أنبوزها، والنقائص فعالجها فذلك العارف.

"والعارف" العَيْن: علم، والألف: انفصال عن السوَى، واتصال بمن على العرش استوى، والرءاء: رغبة في الآخرة، والفاء: فرار إلى الله.

فللمعرفة: علم وانفصال، واتصال، ورغبة، وفرار إلى الحق - سبحانه وتعالى - كما قال - تعالى - {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات: 50].

إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام - وإلى علماء شريعته وإلى أولياء حضرته؛ فإن الإنسان وحده قليل وبإخوان ه كثير، والذنب يأكل القاصية من الغن م. والشيخ العارف من سبل الله تعالى الموصلة إليه ومن هدى إليه فقد هدى إلى سبيل الله - تعالى -، لكن يبحث عنه بجد واجتهاد قال - تعالى -: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69].

ولقد كان لشيخنا - رضى الها عنه - حلقة علم بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف يجمع فيها من حوله الأحاب والمريدين ليعلمهم المعرفة بالله - تعالى - وبرسوله ﷺ وليبين لهم الحلال والحرام، ح تى يوصلهم إلى رضا الله - تعالى -.

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بخير جلسائكم؟ من ذكركم الله رؤيته، وزادكم فى علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله"⁽¹⁾).

* * * * *

(1) رواه ابن أبى الدنيا.

الحث على كسب الحلال والتحذير من الحرام

الحمد لله /

أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين:

{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون:

[51].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172].

وأشهد أن لا إله إلا الله: الطيب الذي لا يقبل إلا طيباً: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا
مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طيباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَاةَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} {
[البقرة: 168].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نقى أمته من الخبائث فطهرهم من
كل شين، الذي صدع بأمر ربه فنال النصر الدائم، والعز القائم، ودل أمته على
كل خير، وحذرهم من كل شر. فساروا في طريق الله على بركة الله ﷺ في كل
لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

أما بعد

فيا عباد الله

يقول الله - تبارك وتعالى - في محكم تنزيله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي
الْأَرْضِ حَلالاً طيباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَاةَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}.

المال عصب الحياة، ويجب على المؤمن حين يسعى لجمعه واكتسابه أن
يضع نصب عينيه الحلال يتحراه، والحق يح رص عليه، والطيب من وجوه
الكسب، وأنواع المال يجمعه ويدخره.

أجل. إنها مسئولية الإنسان نحو ماله ليجمعه من حله، وينفقه في حقه فهو مسئول عنه يوم القيامة. فيها أنفقه ومما اكتسبه؟

والله نهانا عن اتباع الشيطان فهو موهم للإنسان أن في جمع الحرام غنى، وادخارا، وتديبواً، وتوفيراً.

والله يشهد أن الشيطان لكاذب فيما يوسوس لهم:

{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6].

فجمع الحرام فيه الدمار والخراب والمحق.

الحلال القليل المبارك فيه خير من الحرام الكثير المنزوع البركة.

{قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 100].

الحلال: كل ما أحله الله ورسوله.

والحرام: ما حرم الله ورسوله.

{وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: 157].

{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: 116].

عباد الله /

اعلموا أن أكل الحلال شرط أساسي في قبول العبادة - بدونه لا تقبل الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والذكر، والاستغفار... بل لا يرفع له دعاء إلى السماء؛ لأن الطعام في البطن كالزيت في المصباح: فلذا كان صافياً كان النور ساطعاً قوياً.

وإذا كان رديئاً عكراً: كان النور قاصراً ضعيفاً.

فأكل الحرام يطفئ نور القلب، وينزع أصول الإيمان، ويطل العمل مهما أتقنه العامل، وبلغ فيه.

لذا قدم أكل الطيبات على العمل الصالح. فقال: {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً}. فدل على أن العمل الصالح لا يقبل إلا إذا سبق بأكل الحلال.

قال سعد بن أبى وقاص: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة. فقال النبى ﷺ: يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة. والذى نفس محمد بيده: إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً. وأما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به⁽¹⁾.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }

[المؤمنون: 51].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب... يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام. فأنى يستجاب له⁽²⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام)⁽³⁾.

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أبو يعلى.

وتحرى الحلال، وتجنب الحرام ليس مقصوراً على الطعام والشراب فقط بل لابد من أن يكون الملبس حلالاً.

قال عليه الصلاة والسلام: (من اشترى ثوباً بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يتقبل الله له صلاته ما كان عليه) (1).

ومن أجل هذا كان السلف الصالح يتحرون الحلال في مطعمهم، ومشربهم مقتدين برسول الله ﷺ.

فإن لما وجد تمر في الطريق. قال: "لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها" (2). فالصدقة محرمة عليه، وعلى آله.

وها هو أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - كان له غلام يخدمه فأتاه يوماً بطعام. فتناول منه لقمة. ولما علم منه أنه كان أجراً له من عمل من أعمال الدجل في الجاهلية. أدخل - رضى الله عنه - يده في فمه فقاء كل ما في بطنه. فقيل له: ييحمك الله. كل هذا من أجل هذه اللقمة. فقال: والله لو لم تخرج تلك اللقمة إلا بخروج روحى لكان هذا هينا علي. وذلك خوفاً منه من قول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غزى بالحرام».

وقال عمر رضى الله عنه:

(كل ندع تسعة أعشار الحلال خوفاً من الوقوع في الحرام).

وهذا الإمام أبو حنيفة بلغه أن شاة ليتيم ضاعت في بلده - اللؤفة - فسأل: كم يعيش الغنم؟ فقيل: سبع سنين.

فترك شراء لحم الغنم سبع سنين خوفاً من أن يأكل من لحم تلك الشاة التي ضاعت.

(1) رواه الإمام أحمد.

(2) متفق عليه.

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

وهذا الشافعى - رضى الله عنه - لم يذق طعم التمر مدة إقامته فى العراق لم علم أن فيها بستاناً ليتيم.

لأن من أشد الحرام أكل مال اليتيم. قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: 10].

وأين نحن الآن من هذا الحرص العظيم على تحرى السلامة من الحرام ، م عليه الناس اليوم يقولون: حلالاً أكلناه. حراماً أكلناه.

وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ بما عليه الناس اليوم.

فقال عليه الصلاة والسلام: «يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ. أمن الحلال؟ أم من الحرام؟ فإن ذلك لا تجاب لهم دعوة» (1).

فهم لثيرون من الناس اليوم الحصول على المال من أى طريق كان. فلا يبالى أحدهم أى طريق سلك ما دام سيجد فى نهايته درهماً أو ديناراً سواء أكان الدرهم لفقير أو ليتيم، أو لمسكين. فنرى كثيراً من التجار يأكلون الحرام بالتطفيف فى الميزان ويحلفون على السلعة زوراً وبهتاً. وفى التجارة بالمحرمات، والمخدرات. وبيع ض الزراع يأكل الحرام فىنقل الحدود، ويسلب الحقوق.

والموظف يعقد مصالح العباد حتى يرشوه عليها بدماء قلوبهم، وقوت عيالهم.

فليحرص العاقل أن يأكل من كسبه الحلال اقتداءً برسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - واقتداءً بلقبياء الله، ورسله عليهم السلام: فقد كان إدريس عليه السلام - خياطاً، وزكريا نجاراً، وداود حداداً. وقال

(1) رواه البخارى، والنسائى.

رسولنا ﷺ : «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» (1).

وقال سفيان الثوري - رضى الله عنه -: "من أنفق الحرام فى الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول". وورد: أن الشيطان إذا رأى شاباً يتعبد قال لأعوانه: "انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء. يقول: دعوه يتعب، ويجتهد فقد كفاكم نفسه".

فانتقوا الله عباد الله ودعوا ما فيه شبهة إلى ما أحله الله. قال عليه الصلاة والسلام: "إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام. كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه" (2).

وقال أيضاً ﷺ : «دع ما يريبك إلا ما لا يريبك» (3). والله تعالى أعلم

الغلة وأسبابها

اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ونبيك ورسولك، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وعبد ربه حتى آتاه اليقين، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمداً، عبدك ونبيك ورسولك، وارض اللهم عن آله

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البخارى، ومسلم.

(3) رواه الترمذى.

الطيبين الطاهرين، وعن أصحابه المجاهدين المخلصين، وعن التابعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فيا أيها المسلمون:

الغفلة سَهْوٌ يعتري الإنسان من قلة التيقظ والتحفظ، يقال: غفل الرجل فهو غافل أى اعتراه السهو والنسيان، من قلة تحفظه وتيقظه، والعبد المؤمن لا يغفل عن طاعة ربه والاستعداد للدار الآخرة بل هو دائماً فى تيقظ وتحفظ، لا يغفل عن الله - تبارك وتعالى - ولذا خوطب رسول الله ﷺ بلألا يكون مع الغافلين، يقول الحق - تبارك وتعالى -: {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } [الأعراف: 205] وحاشاه ﷺ أن يكون من الغافلين، ولكنه - كما قال المفسرون - خطاب للأمة فى شخصه ﷺ فنحن مأمورون بلألا نغفل عن الله - تبارك وتعالى - وأن نذكره دائماً، تضرعاً إليه وخوف من عذابه، ورجاء لرحمته؛ بالغدو والآصال أى فى جميع اليوم من أوله إلى آخره، ذلك بأن الغفلة عن الله - عز وجل - عيب كبير فى شأن المؤمن؛ ذلك بأنه يبتعد بها عن الله عز وجل - فينشغل بالدنيا، ويطيع نفسه وشيطانه وهواه ويعيش مع الحرص وطول الأمل، وهذا ه أدوات الغفلة ، فالدنيا مليئة باللهو واللعب، ولقد صورها القرآن كذلك: يقول الحق - تبارك وتعالى -: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت: 64] فلؤل أداة من أدوات الغفلة الدنيا؟ لذا يقول الحق تبارك وتعالى - {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُمْصَقاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً } [الحديد: 20]. ه ذا هو تصوير القرآن للحياة الدنيا، فالمؤمن الكئيب الفطن لا ينشغل بها وإنما يستعد للدار الآخرة كما وصفه رسول الله ﷺ : «الكيس من دان نفسه» - أى ساسها وأحكم قيادها - وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها

وتمنى على الله الأمانى (1). فللمؤمن حذر من الدنيا، وحذر من أهل الدنيا، فالحق - ببارك وتعالى - يقول: **{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}** [الكهف: 28] فهو لا ينشغل بالدنيا، ولا ينشغل بأهل الدنيا، وإنما هو مشغول بالله - ببارك وتعالى - يذكره دائماً جهرًا وسراً، ويذكره في معاملاته في الدنيا، فأفضل ذكر الله عندما حرم الله "كما يقول الحسن البصري - رضى الله تعالى عنه - في المؤمن حتى في سوقه ليتعامل مع أهل السوق ولكن قلبه مع الله - ببارك وتعالى - لا يغفل عنه طرفة عين؛ لأنه لو غفل عن الله دخل في قلبه الشيطان، وهو العامل الثانى والأداة الثانية من أدوات الغفلة -، قال - عليه الصلاة والسلام -: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعَ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ خَسَ - أَيْ رَجَعَ -، وَإِنْ نَسِيَ التَّقَمَّ قَلْبَهُ»** (2)، فلإنسان الذاكر في حصن من الله تعالى، والغافل مع الشيطان يوسوس إليه ويغريه بالدنيا وما فيها، والله قد حذرنا منه، فقال - سبحانه -: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}** [فلطر: 6] ووصف حزبه بقوله: **{اسْتَحْوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}** [المجادلة: 19] فمن نسى الله - ببارك وتعالى - كان مصاحباً للشيطان، والشيطان والد للنفس موسوس لها بالشر، **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}** [الناس: 1-6] فللنفس بنت إبليس وهى العامل الثالث من عوامل الغفلة - والله - تعالى - عرفنا بالنفس وغوائلها فقال - سبحانه -: **{إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}** [يوسف: 53] وقال - فى قاتل أخيه من ولدى آدم - **{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [المائدة: 30] فللنفس أساس الغفلة، وهى وإبليس يتعاونان على هلاك ابن آدم ولكن المتقين كما

(1) رواه أحمد وابن ماجه.

(2) رواه البيهقي فى شعب الإيمان والبيهقي وهو ضعيف.

وصفهم الحق - ببارك وتعالى - يتسلحون بسلاح الاستعاضة والالتجاء إلى الله تبارك وتعالى - لئلا وصفهم الحق - ببارك وتعالى - بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَى ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ} [الأعراف: 201، 202] فللمتقى يذكر الله - ببارك وتعالى - دائماً وخاصة حينما يمسه الشيطان بشئ من وساوسه التى تؤدى إلى هلاك المؤمن، (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان) والطائف هو الوسواس (تذكروا) أن الله - ببارك وتعالى - ناظر إليهم، لا يغيب عنهم سيحاسبهم يوم القيامة على الفتيل والنقير والقطمير، (فإذا هم مبصرون) طريق النجاة، هكذا يخرجون من الغفلة إلى التذكرة والتيقظ.

والعامل الرابع من عوامل الغفلة رفقاء السوء، ورفيق السوء أشد من الشيطان؛ لأن الشيطان يطرد بالاستعاضة بالله - عز وجل - أما رفيق السوء فهو ملازم لك، ملاصق لك لا يفارقك، يبحث عنك إذا غبت، ويذهب إليك حيثما كنت، فهو ملاصق لك دائماً؛ لذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» ⁽¹⁾ لا تصاحب إلا مؤمناً؛ لأنه عون لك على أمر دينك، تتعاونان معاً على طاعة الله - عز وجل - إن نسيته ذكرك، وإن كنت فى حاجة أعانك، وإن وقعت فى معصية نصحك، أما رفيق السوء فعلى العكس من ذلك تماماً، إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم: ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى، إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم أى: اختر المؤمن الخير الذين يعينك على طاعة الله - عز وجل - وإياك أن تصاحب الأردى فتردى معه، {وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفُنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} [الكهف: 28]، {فَلَا يَصْدَنَّا عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} [طه: 16] ولشئ من الهالكين هلكوا بإخوان السوء، الذين لم يذكروهم بالخوف من الله - عز وجل - حينما يقعون فى معصية الله - ببارك وتعالى - وإنما يقف رفيق السوء حجر عثرة أمام

(1) رواه أحمد وأبو داود والحاكم.

من يريد أن يتقى الله - عز وجل - فللحذر الحذر وخاصة الشباب فهم سريعو
التغير طبائعهم متقلبة، إذا صاحب تقياً كان تقياً، وإذا ترك التقى وصاحب الفاسد
فسد بفساده، كما قال الشاعر:

ع دوى البليد إلى الجليد سريعة :::: ك الجمر يوضع فى الرماد فيخمد
ه ذه هى عوامل الغفلة - الدنيا والشيطان والنفس ورفقاء السوء ويضاف
عليهم الحرص وطول الأمل؛ لأن الحرص وطول الأمل خصلتان يشبان مع
الشيخ ولا يكبران بكبره، وإنما يظلان فتيتين لئما قال - عليه الصلاة والسلام -:
«يشب ابن آدم ويبقى فيه اثنان، الحرص وطول الأمل» ⁽¹⁾ الحرص على
الدنيا، وهو الحرص المذموم الذى يجعله غافلاً عن الله - تعالى - والدار الآخرة،
وكذلك طول الأمل يجعله لا يستعد للدار الآخرة فلا يتزود بالتقوى وإنما يلهمهم
الأمل حتى يأتية الأجل فاتقوا الله أيها المسلمون وإياكم والغفلة عن الله والدار
الآخرة أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد
أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله
الصادق الوعد الأمين، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد
عبدك ونبيك ورسولك، صلاة تنصلح بها أحوالنا، ويهنأ بها مقالنا، ونخلص بها
من أحوالنا، وتتحقق بها آمالنا، ويحسن بها مآلنا فى حياتنا وبعد انتقالنا، وارض
اللهم عن آلِه وأصحابه وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(1) منفق عليه من حديث أنس، وفى لفظ يهرم ابن آدم. رواه الإمام أحمد والزمخشري.

ثم أما بعد

فليأيها المسلمون مما يعين الإنسان على الخروج من الغفلة - عن الله عز وجل - وعن طاعته - سبحانه وتعالى - بتفكر الموت، فتذكر الموت يجعل الإنسان دائماً فى طاعة الله - تبارك وتعالى - يستعد لنزول القبر ولقاء الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة؛ لذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «أكثرُوا ذِكْرَ هَازِمِ الذَّاتِ»⁽¹⁾ فنفكر الموت سوط يسوقك إلى طاعة الله - عز وجل - وبذلك تخرج من الغافلين وتكون فى الذاكرين المستعدين للقاء الله - تبارك وتعالى، فالمؤمن يستعد دائماً للقاء الله - تبارك وتعالى - بل ويخاف لقاءه، فالخوف من الله - عز وجل - م عين أيضاً على الخروج من الغفلة، ولقد قرأت السيدة عائشة - رضى الله تعالى عنها - قوله تعالى -: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنْهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: 60]، فقلت: يا رسول الله هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله - عز وجل -؟ قال لها: «لا يا بنت أبى بكر، لا يا بنت الصديق، ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف أن لا يتقبل منه»⁽²⁾.

فللمؤمن يخاف الله - عز وجل - حتى مع طاعته ، يخاف ألا يقبل الله - عز وجل - منه عمله، هذا عامل من عوامل التذكر والتيقظ للخروج من الغفلة التى استولت على قلوب كثيرين من الناس، فرماننا هذا قد استولت الغفلة فيه على قلوب الناس فمنهم من انشغل بتجارته عن طاعة ربه، ومنهم من انشغل باللهو واللعب، وخاصة مشاهدة الإذاعات المرئية، أدخلت الناس فى غفلة، لا نهاية لها، يجلس الرجل ومعه أسرته، أمام التلفيزيون ساعات طويلة لا يشعر فيها بسأم أو ملل، لماذا؟ لأنها وافقت هواه ووافقت شهوته وتغلبت عليه نفسه الأمارة بالسوء يملأ عينيه من محارم الله - عز وجل -، وملء العين من المحارم من أشد عوامل

(1) رواه أحمد والترمذى وحسنه والنسائى من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة وصححه ابن حبان.

(2) رواه الحافظ فى المستدرک وأحمد والترمذى.

الغفلة لأن "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس" (1) نكت في القلب نكتة سوداء فوق نكتة فوق نكتة حتى يتغلف القلب ويسود، ويغفل عن الله - عز وجل - في جميع أحواله حتى يكسل عن طاعة ربه أياً كانت الطاعة، فقلبه قد أصابه الوهن، وأصابه الفتور وأصابه الكسل، فسرى ذلك إلى جوارحه، فإن صلح القلب لبصلحت الجوارح، وإن فسد القلب فسدت الجوارح، فالجلوس أمام هذه المفاسد يفسد القلب، وإذا فسد القلب فسدت الأعضاء كلها، فاتقوا الله أيها المسلمون وإياكم والغفلة وأسبابها حتى يدرككم الموت وأنتم من الذاكرين المستعدين للقاء الله - تبارك وتعالى - فللمؤمن قراره في الدنيا قليل، فإن الله عز وجل كتب على الناس الموت ولكتب على الدنيا الفناء

ت ذئور رحيلاً فالرحيل محتم ::: ولو عشت ألفاً من سنين عديدة .
* * * * *

فضل الذكر والذاكرين

الحمد لله الذاكر من ذكره والموالي مزيد الإنعام على من شكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنار قلوب العارفين بذكره، وأنطق السنة العابدين بحمده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي آتاه الله قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، فهو الذاكر لله في يقظته ونومه ولحظته ويومه، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة تنصلح بها أحوالنا، ويهنا بها مقالنا، ونخلص بها من أحوالنا، وتتحقق بها آمالنا، ويحسن بها مآلنا في حياتنا وبعد انتقالنا، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فرضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم.

(1) رواه الحاكم.

أما بعد

فَيَقُولُ الْهُوَ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ
وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ
يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [عيسى: 70].

أمة الإسلام: هذا نداء إلهي لا بد وأن تكون له الأذان مصغية، والقلوب
واعية؛ لأن النداء من العظيم لا يكون إلا عظيماً، والمأمور به لا بد وأن يكون
أمراً عظيماً والأمر العظيم فى هذه الآية هو الإكثار من ذكر الله عز وجل دون
حصر أو عد وفى أى وقت من الأوقات.

وقد ذكر الله - عز وجل - السر فى الأمر بذكره وتسبيحه، وأنه مجلبة
الانتفاع للمؤمنين بجزاء الله على ذلك بأفضل منه، وهو صلاته وصلاة ملائكته.
والصلاة من الله الثناء والرحمة ومن الملائكة استغفار.

قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}. وقد روى الشيخان عن أبى هريرة - رضى
الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله - تعالى - أنا عند ظن عبد بى وأنا معه
ما ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى
ملاء خير منه". وعن استغفار الملائكة للمؤمنين يقول الله تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ
الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا}.

وإذا كان هذا هو الجزاء العاجل للذاكرين فإن الله قد أعد لهم ثواباً أجلاً فى
الآخرة فقال سبحانه: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [ابراهيم: 23].

وتحية المؤمنين بالسلام بشارة بالسلامة مما يشاهده الناس من هذا اليوم
العظيم.

هـ ذا إلى جانب ما أعده الله لهم من أجر كريم إتماماً لرحمته بهم.

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى - نبيه ﷺ بالذكر على كل حال. فقال: سبحانه {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}.

ثم أمر المؤمنين بذكره سبحانه دبر الصلوات فقال: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

وقال سبحانه: {فَإِذَا قُضِيَتُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ}. يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية: أى بالليل والنهار، فى البر والبحر، والسفر والحضر، والغنى والفقو، والمرض والصحة، والسر والعلانية".

ويقول ابن عباس - فى قوله سبحانه - {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}.

إن لهذه الآية وجهين: أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه. والآخر: أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه.

فضل الذكر فى السنة:

هـ ذا، ولقد تحدث رسول الله ﷺ كثيراً عن الذكر حاثاً ومادحاً وأمرأ فعن عبد الله بن بسر - رضى الله عنه - فيما رواه الحاكم بإسناده صحيح أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشئ أنشبت به قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله".

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - فيما رواه مسلم - قال كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال: سيروا: هـ ذا جمدان سبق المفردون قالوا، وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

وإن من السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

الاجتماع على الذكر:

ولما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك كما يقول الإمام النووي.

ومنها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله قال: حلق الذكر فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم.

وقد روى الإمام مسلم عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله - تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنْ به ع لينا، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا الله ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة.

فوائد الذكر:

واعلموا عباد الله أن فوائد الذكر لا تتحصر؛ لأن الذاكر جليس الله تعالى ففي الحديث القدسي - أنا جليس من ذكرنى.

يقول شيخنا - رضى الله عنه - واعلم أنك كلما ذكرتُ ذُكرتَ، وكلما تَقَرَّبْتَ قُرِبْتَ وكلما سَأَلْتَ أُجِبْتَ، وفكر هل أنت في الأحياء أم في الأموات فقد قال ﷺ: «مَثَلُ الذِّى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالذِّى لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» «فإن كنت من الأموات الذين لا يذكرون ربهم فقد حُجِبْتَ نفسك عن الشئ الذى ينفع الأحياء من

علوم وأسرار وأنوار وبركات ومكاشفات من الأشياء التي أعدها الله للأحياء -
 قال تعالى: {لِيُذَرَّ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يونس: 70] فلن كنت ممن ن أحياهم الذكر فلك
 البشرى.

وانظر فى نفسك هل أنت من المحبوبين عند ربك أم من المبغضين قال:
 عليه الصلاة والسلام: سأل موسى بن عمران - على نبينا وعليه أفضل الصلاة
 والسلام - ربه: يارب دننى على أحب الناس إليك وعلى أبغض الناس عندك،
 فأوحى الله إليه يا موسى: إذا وجدت عبدى يذكرنى، فأنا أذنت له فى ذلك وأنا
 أحبه، وإذا رأيت عبدى لا يذكرنى، فأنا منعتة عن ذكرى وأنا أبغضه.
 وأجمع القوم على أن الذكوة مفتاح الغيب وجاذب الخير وأنيس المستوحشين
 ومنشور الولاية فلا ينبغي تركه ولو مع الغفلة وهو جلاء القلوب وأساس
 صقاتها.

ففى الصريح: إن لكل شئ صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله وما من شئ
 أنجى من عذاب الله من ذكر الله، قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله - قال ولا أن
 يضرب بسيفه حتى يتقطع. وفى الحديث من رواية مسلم - عن أبى ساعد: «لا
 يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم
 السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» أ. هـ.

* * * * *

فضل إنشاء المساجد وعمارتها

الحمد لله جعل للمساجد أوتاداً للملائكة جلسائهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن
 مرضوا عادوهم، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا
 شريك، وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة،
 والسراج المنير. اللهم فصل وسلم وبارك عليه وعلى آله حق قدره ومقداره
 العظيم.

أما بعد

فليأيها الإخوة الأحباب أتباع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

إن المساجد لله تعالى، أمر الإسلام بإقامته ورغب فى بنائها ليعبد فيها الله وحده، ويذكر فيها اسمه بالسنة طاهرة وقلوب مخلصه، وأرواح مشرقة بنور العبودية، لا تشغلها الزخارف والزخارف عند الخشوع والضراعة لله بين يديه فى أشرف وأفضل مواقف العبودية، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} وهذ هو الهدف الأول من إقامة المسجد فى الإسلام.

أما الهدف الثانى فهو البحث العلمى ودراسه وتعليم رواد المسجد من طلاب العلم والمقيمين فى أروقه ومسكن علوم الإسلام الشرعية ووسائلها من فنون اللغة والأدب وعلوم الكون.

وه ذان الهدفان هما اللذان ينبغى أن يضعهما نصب عينيه من يريد أن يبنى لله تعالى مسجدا يطلب به رضاه وثوابه ونفع أمته ومجتمعه المسلم. ولذا فإننا نلحظ أن النبى ﷺ أول ما هاجر إلى المدينة كان شغله الأول أن يبنى المسجد، وأن يصف المؤمنين فيه، وأن يلتقى من طلوع الفجر إلى العشاء، وأن يقرأ عليهم القرآن فى صلوات الجهر وأن يجعل المسجد محصناً للرجال ومصنعاً للأبطال.

والحقيقة أن المسجد هو روح المجتمع الإسلامى، وأن الرجال الذين يربون فيه هم الذين يبنون النهضة ويصنعون الحضارات ويكونون أرقى المجتمع. إن المصنع نوعان: مصنع للسلع، أو للأسلحة، والمسجد مصنع للرجال، وكل أمة ليست لديها مصانع للرجال فإن الأسلحة مهما تكاثرت فى أيديها لا تغنى عنها لا قليلاً ولا كثيراً.

ولذا نجد القرآن الكريم قد وصف الذين يعمرّون بيوت الله تعالى
 بخمس صفات فقال عز من قائل: **{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ**
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ
أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} { وهذه عوامل نصر الله تبارك وتعالى للأمة
 المسلمة المؤمنة بالله واليوم الآخر التي تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتأمّر
 بالمعروف وتنهى عن المنكر ولا تخشى في الله لومة لائم يقول الله تعالى
 -{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي
 الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}.

ولذا أمر الله تبارك وتعالى أن ترفع وتشيد وتعظم وتعمّر بهؤلاء
 الرجال الذي تتعلّق قلوبهم بالله وتلهج ألسنتهم بتسبيحه وذكره. فيقول
 سبحانه وتعالى -: **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}** { ولو
 نظرنا في هذه الآية لوجدنا أنها جاءت بعد قوله تعالى: **{أَهْـؤُلُقُور}** □ □
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فكأن تجليات نور الحق إنما تنشأ في المكان الذي
 تحضر فيه بنفسك بين يدي الحق؛ لتهبط عليك تجليات الحق سبحانه
 وتعالى خمس مرات في اليوم واللييلة.

لئما أثنى الله تبارك وتعالى - على عمار المساجد بالطهارة الظاهرة التي
 تتبعها الطهارة الباطنة، - إذ على قدر طهارة الظاهر والعناية بها يحصل
 الخشوع في الباطن كما يقول سيدي أحمد بن زروق رضى الله عنه.

يقول الله تعالى - في شأن أهل مسجد قباء الذي هو أول مسجد أسسه
 رسول الله ﷺ قبل دخوله المدينة حيث أقام فيه أربع عشرة ليلة **{الْمَسْجِدِ}**
أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ} { ثم إن الله تبارك
 وتعالى أمر بأخذ الزينة عند دخول المسجد بأن يتزين المسلم بأحسن
 الثياب ويتطيب بأطيب الطيب كما قال الله تعالى: **{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا}**

زَيِّنَتْكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ { فالله تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب
النظافة كما أخبر رسول الله ﷺ فلله تعالى لا يقبل صلاة العبد إلا إذا كان
طاهر الثوب والبدن والمكان والصدر والقلب والفؤاد واللب، ولا يكون
ذلك إلا بالتعلم ومجالسة أهل العلم حتى يكون على صواب، ولذا كان
رسول الله ﷺ يحث على ارتياد المساجد ولزوم الحجامة في الصلاة
وتعلم العلم وهذا هو ميراث رسول الله ﷺ.

روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة أنه مر بسوق المدينة
فوقف عليها فقال يا أهل السوق: ما أعجزكم!!! قالوا وما ذاك يا أبا
هريرة، قال ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا. ألا تذهبون
فتأخذوا نصيبكم منه قالوا: وأين هو؟ قال في المسجد فخرجوا سراعاً،
ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ قالوا قد أتينا
المسجد: فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم! قال لهم أبو هريرة: وما رأيتم
في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرأون وقوماً
يذكرون الحلال والحرام فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد
ﷺ.

ويغيب رسول الله ﷺ في الغدو إلى المسجد لتعلم القرآن وفقهه
فيقول عليه الصلاة والسلام: أما يحب أحدكم أن يغدو إلى بطحان أو إلى
العقيق فيأتي بناقتين كوماوين! - والكوماء هي عزيمة السنام - قالوا:
بلى يا رسول الله كلنا يحب ذلك - فقال عليه الصلاة والسلام -: لأن يغدو
أحدكم إلى المسجد فيتعلم آية من كتاب الله عز وجل خير له من ناقة،
وآيتين خير من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث ومن أعدادهن من
الإبل (1).

(1) رواه مسلم ج 1 ص 321 كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه،

أو كما قال عليه الصلاة والسلام. فالمساجد خير البقاع و أفضلها لتعليم العلم والقرآن.

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن للمساجد أوتاداً - أى رواد يحافظون الجلوس فيها الملائكة جلسائهم إن غابوا يفتقدونهم وإن مرضوا عادوهم وإن لكانوا فى حاجة أعانوهم، ثم قال: جليس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد أو كلمة حكمة أو رحمة منتظرة. رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة.

* * * * *

الاحتفال بموالد أهل البيت والأولياء وأثره ومنهجه

الحمد لله الذى جعل السعادة فى خدمة ال س عاء، والبركة فى مصاحبة الأولياء، وأنتم الإمداد على قدر الاستعداد، وجعل المذاق على قدر العرفان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك أعز بعزه العلماء والأولياء.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، معلم العلماء، ومُمدِّ الأولياء ، وسراج الأتقياء، وخيرة الأصفياء، وأكرم الكرماء، وخير من أقلت ه الغبراء، وأظلمته السماء، الذى تعطرت به الأرجاء، وانجلت به الحوباء، وامتدت منه العلماء والصلحاء.

اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الأوفياء وأصحابه الخيرين الأتقياء، صلاة ندخ ل بها فى زمرة السعداء، ون سلم بها من موارد الأشقياء.

أما بعد

فى إخوة الإيمان والإسلام أتباع الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام إن محبة الأولياء والصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب خصالهم وحسن أعمالهم قربة إلى الله - تعالى -

فمن هم الأولياء الصالحون؟

روى الإمام أبو داود عن سيدنا عمر رضى الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى - قيل يا رسول الله: خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبههم قال: هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. ثم قرأ قوله تعالى -: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: 62].

فم الذين أحبوا الله وأبغضوا الله وأخذوا الله وتركوا الله، قلوبهم صافية وعيونهم باكية، وأيديهم حانية، وأرجلهم ساعية، وأعمالهم خالصة، يبيت أحدهم وليس فى قلبه ولا صدره غش لأحد.

ومن ثم أحبهم الله تعالى، وأحبتهم الملائكة، وأحبهم الناس، ووضع الله تعالى لهم القبول فى الأر ض، فما رآهم أحد أو سمع عنهم إلا أحبهم. واشتاق إلى رؤيتهم وهذا مصداق قوله تعالى -: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: 96].

ويقول الإمام على كرم الله وجهه: أحسن الكنوز محبة القلوب.

القدآن يثنى على الصالحين:

هـ ذا وإن الله تبارك وتعالى قد أثنى على الصالحين ونوه بأخلاقهم ومسالكتهم وخاصة الأنبياء والمرسلين ومن على شاكلتهم فقال سبحانه فى سورة مريم {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ...} الآية {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ...} الآية {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ...} الآية {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ} {وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ...} الآية {وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا أَيُّوبَ ...}.

{وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ} - وقال عن سيدنا لقمان {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ} الآية فالتقدير وأذكر. وقال عن أهل الكهف: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُ م بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ...} الآية.

3- من أعظم النعم رفع الذكر:

ومن أعظم نعم الله تعالى على العبد أن يرفع له بين العالمين ذكره ويعلى قدره ويبقى أثره فلفكر للإنسان عمر ثانى. ولسان حال الصالحين يقول:

هـ ذه آثارنا تدل علينا :::: ف انظروا بعدنا إلى الآثار

قال تعالى -{وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ} * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ { أى خصصناهم بخصيصة وهى الذكر الجميل الذى يذكرون به فى هذه الدار، وهى لسان الصدق الذى سأله سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام - بقوله {وَاجْعَلْ لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ} ولقد امتن الله تعالى على حبيبه ﷺ بهذه النعمة العظمى فقال سبحانه {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} يقول ابن القيم - رحمة الله تعالى: "وأتباع الرسل - عليهم السلام - لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم وكل من خالفهم فإنه بعيد من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم" ومن هنا كان الاحتفال بموالد أهل البيت والصالحين أمراً محموداً فى الشري ع ولكن بشرط أن لا يشمل على مخالقات

تغضب الله تعالى وتغضب رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول شيخنا الإمام الجعفرى -
رضى الله عنه:

زار البقيع رسول الله مبتهلاً	:::	وجاءه الأمر من رب السماوات
ففى كل عام إلى بدر يزور به	:::	فى روضة الخلد أرباب الشهادات
ه ذا دليل لمن فى العام قد جمعوا	:::	لدى ولي بتسليم و خي رات
ف ذاك فعل رسول الله تسمعه	:::	وليس مبتكراً أفعال عادات
وك ل ما خالف التشريع نعرفه	:::	فع ل الأذلة أرباب الجهالات

فلا طبل ولا زمر ولا لعب ولا لهو كما يقول شيخنا موضحاً الطريق

لاتباعه:

م ا عن دنال هو ولا غرور	:::	ولا خرافات ولا ظهور
ب ل عندنا الله هو الم	:::	قصود الواحد الموجود والمعبود

ويقول أيضاً:

طريقى هو القرآن والعلم والتقى :::: وم دح رسول الله ماحى الضلالة

وقد استدلل العلماء على جواز الاحتفال بمولد النبى ﷺ وبسائر موالد أهل البيت والأولياء قياساً عليه بما ورد أنه ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين فقال: ذاك يوم ولدت فيه وأنزل على فيه ⁽¹⁾ - ولما هاجر ﷺ إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسأل ما هذا من الصوم؟ قالوا ذاك يوم نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون وقومه فنحن نصومه شكراً لله تعالى. فقال - عليه الصلاة والسلام - نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه ⁽¹⁾. كذلك فى الاحتفال بموالد أهل البيت والأولياء رضوان الله عليهم تذكرة وذكرى بما كانوا عليه من عمل صالح وخصال طيبة، والله تعالى يقول: **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** {الذاريات: 55}، وقال سبحانه **{وَاذْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}** {الحج: 38}، وقال لبنى اسرائيل **{يَا بَنَى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}** {الحج: 38} ولا يخفى على عاقل أن من أجل النعم من أرشدنا الله على يديه ودلنا بالهداية والتوفيق على قبول نصحه وإرشاده، والنهج على سبيله

(1) رواها أبو داود والنسائى وابن ماجه و أحمد والدارمى والطبرانى و ابن أبى شيبه وغيرهم.

(1) رواها أحمد وأبو داود و البيهقى و ابن أبى شيبه وغيرهم بألفاظ متعددة.

الذى دعانا إليه فبطريق الأحرى والأجدر أن نذكر تلك النعمة دائماً ولا ننسى من كان سبباً فى توصيلها إلينا قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [الحج: 38] وفى الحديث بالشكر تزداد النعم وقال سبحانه: {وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَلِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: 38].

قال الفخر الرازى - رحمه الله - شعائر الله أعلام طاعته وكل شئ جعل علماً من أعلام طاعة الله تعالى فهو من شعائر الله، قال تعالى: {وَالْبُذْنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [الحج: 38] أى علامة للقرب به، أى فإن تعظيمه من أفعال ذوى تقوى القلوب.

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بخير جلسائكم؟ من ذكركم الله رؤيته، وزادكم فى علمكم منطقة، ورغبكم فى الآخرة عمله - رواه ابن أبى الدنيا.

وعن سعيد بن جبير قال: قيل يا رسول الله - من أولياء الله؟ قال: الذين إذا رأوا ذكر الله - رواه الطبرانى.

منهج الاحتفال:

أما الأسس التى يبنى عليها ذلك الاحتفال العظيم والابتهاج الكبير فهو:

أولاً: تلاوة القرآن الذى أمرنا الله - تعالى بحفظه وتلاوته والعمل به وحثنا على الملازمة لذكره سيد العالمين ﷺ بما يع ود على بنى البشر من رحمة الله تعالى وسكينته.

ثانياً: إلقاء الدروس العلمية التى تفيد المؤمن فى شئون دينه ودنياه وتنير له الطريق فلا يضل ولا يزيغ.

ثالثاً: ذكر الله - تعالى - الذى أمرنا به خالقنا والمنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى وفضائل لا تستقصى بقوله {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

تَكْفُرُونَ}. ورغبنا فيه سيد المرسلين ﷺ بقوله: «ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء وسط الهشيم»⁽¹⁾.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ فى السر والجهر :::: لَتَحْيَا سَعِيداً فى الحياة وفى القبر
رابعاً: الصلوات على رسول الله ﷺ بقوله -: «من صلى على واحدة - صلى
الله عليه بها عشرة»⁽²⁾. وفى هذا يقول شيخنا:

يُصَلِّى عَلَى رُبِّ الْعَرْشِ عَشْرًا :::: عِلَى عَبْدٍ يُصَلِّى عَلَى مُحَمَّدٍ
وَفَى مِائَةِ يُصَلِّى عَلَى مُحَمَّدٍ :::: فَعَجَلَ بِأَلِّ صَلَاةٍ عَلَى مُحَمَّدٍ

خامساً: إطعام الطعام والتوسعة على الفقراء والمساكين فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أى الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»⁽³⁾.

ويُتَنَبَّهُ القرآن الكريم على الصفوة المباركة من أهل البيت والصالحين.
فيقول {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: 8].

وقد جعل رسول الله ﷺ البركة فى طعام الجماعة لتمحو من النفس
هاجسى الشح والبخل، الذى يحول بينها وبين إطعام الطعام، وحسن
الإكرام، وذلك أن الصحابة، قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع، قال:
فلعلكم تفترقون: قالوا نعم: قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله
يبارك لكم فيه⁽⁴⁾.

(1) رواه أبو نعيم فى الحلية، والبيهقي فى الشعب بإسناد ضعيف.

(2) رواه مسلم حديث 384 وغيره.

(3) رواه البخارى فى صحيحه ج 1 ص 10 كتاب الإيمان باب اطعام الطعام من الإسلام، ج 1 ص 14 كتاب الإيمان باب افشاء السلام من الإسلام، ورواه مسلم ج 1 ص 37 كتاب الإيمان باب تفاضل الإسلام وأى أموره أفضل.

(4) رواه ابو داود فى سننه ج 2 ص 340 كتاب الأطعمة باب فى الاجتماع على الطعام، ورواه ابن ماجه فى سننه ج 2 ص 1093 كتاب الأطعمة باب الاجتماع على الطعام، واحمد فى مسنده ج 3 ص 501، ولفظ ابن ماجه واحمد "فلعلكم تأكلون متفرقين".

وفى الحديث - طعام الواحد يكفى الإثنين وطعام الإثنين يكفى لأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية (1).

وهكذا تحل البركة بطعام الجماعة ويكثر الخير ويعم الفيض، فإطعام الطعام فى الإسلام وسيلة لصفاء النفس، ونقاء السريرة، وإصلاح القلب، ليعم الحب، وينتشر الوئام، ويسود التكافل بين الناس فى مجتمع الإسلام، وهذا ما كان عليه شيخنا الإمام الجعفرى فى حياته بالأزهر الشريف فى احتفاله بمولد النبى ﷺ وبموالده أهل البيت والأولياء الصالحين رضى الله عنهم.

وإن طريقنا ما كان نهجا :::: لشخ طريقنا وبه المسير .

* * * * *

الأولياء وصفاتهم ومكانتهم

الحمد لله الذى جعل السعادة فى خدمة السعداء، والبركة فى مصاحبة الأولياء، وأتم الإمداد على قدر الاستعداد، وجعل المذاق على قدر العرفان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أعز العلماء والأولياء، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، معلم العلماء، وممدد الأولياء، وسراج الأتقياء، وخيرة الأصفياء - أكرم الكرماء، وخير من أفلته الغبراء وأظلمته السماء الذى تعطرت به الأرض جاء، وانجلت به الحوباء وامتدت منه العلماء والصلحاء صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً ندخل به فى زمرة السعداء، ونسلم به من موارد الأشقياء.

(1) رواه مسلم فى صحيحه ج 2 ص 225 كتاب الأشربة باب فضيلة المواساة فى الطعام القليل و أن طعام الاثنين يكفى الثلاثة. واحمد فى مسنده ج 3 ص 301، وابن ماجة فى سننه ج 2 ص 1084 رقم 3254، والترمذى فى سننه ج 4 ص 268 برقم 1820.

من هم الأولياء:

أما بعد

فيا عباد الله يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم كتابه وهو أصدق القائلين {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: 62-64].

إخوة الإسلام: إن الولي هو من تولى أوامر الله تع إلى بالطاعة فتولاه الله بالكرامة والرعاية والعناية، والولي هو العارف بالله حسبما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب ل لم عاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات. وقد بين لنا رسول الله ﷺ صفات الأولياء وعلاماتهم فيما رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نفس هذه الآية حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ نَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْطِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى» قيل: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوهم أنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

طريقة الولاية:

فلأولياء قوم تحابوا بروح الله، وقصدوا بحبهم و ج ه الله تعالى، وتقربوا إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل حتى أحبهم الله تعالى، ففي صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال: «من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى

بالنوافل حتى أحبه ، فأذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألتنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيننه».

يقول شيخنا - رضى الله تعالى عنه - فى شرح هذا الحديث: أى كان حبى فى سمعه وبصره وجميع جوارحه ؛ لأن الحب القلبى إذا زاد سرى إلى جميع الجوارح وزيادته تكون بسبب حب الله تعالى لعبده الذى يجعل الحب الإلهى سارياً فى جميع أجزائه:

عزیز أعز العارفين بعزه	:::	وتوجههم بالعز من بعد ما ذلوا
للبسهم التقوى وبالروح أقبِلوا	:::	على الله بالذكر الكثير وما ملوا
كذا كُتبت لى ثم قدم نوافلاً	:::	لئن عرفوا المحبوب فى ليلهم صلوا
فك ان لهم سمعاً وكانوا به له	:::	على العهد قد وفوا وفى حبهم جلوا
فإن شئت أن تحيا سعيداً فهذه	:::	سبيل ذوى الإسعاد ساروا وما ملوا

ويقول الحسن البصرى فى وصف الأولياء "إن لله عبداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنّة وهم مخلصون ، ولئن رأى أهل النار فى النار وهم معذبون ، قلبهم محزونة ، وشروهم مأمونة وحوائجهم عند الله مقضية ، وأنفسهم عن الدنيا عفيفة ، صبروا أياماً قصاراً لعقبى راحة طويلة أما الليل فمصافة أقدامهم تسيل دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربهم: ربنا ربنا ، وأما النهار فحكّماء علماء بررة أتقياء ، كأهم القдах ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول: قد خلطوا وقد خلط القوم أمر عظيم".

محنة الأولياء:

هذا هو وصفهم وهذا هو نعتهم ومن ثم أحببتهم الملائكة وأحبهم الناس فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً نادى: يا جبريل إنى أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى الملائكة: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له

القبول في الأرض» البخارى ومسلم.

الأولياء يذكر الله بهم:

واعلموا عباد الله أن أولياء الله حبهم قرب إلى الله عز وجل؛ لأن النفس تسر برؤيتهم ويتذكر الإنسان ربه بهم.

فعن سعيد بن جبير قال: سئل رسول الله ﷺ: من أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله» (1).

ويقول شيخنا رضى الله عنه فى تعليل هذا التذكر: "وذلك لتعلق أرواحهم بالله تعالى وقربهم منه فكان مثلهم كحامل المسك إذا دنوت منه شممت رائحة طيبة ذكرتك بصاحب الرائحة الزكية ﷺ فقد كان ﷺ إذا دخل المسجد فرئى ذكر الله تعالى، ويقول شيخنا عليه رضوان الله:

والأولياء سبل الرحمن	:::	إم دادهم من معدن الفرقان
ينف رون النفس عن هواها	:::	إذا رأيتهم ذكرت
فه م جنود الله بين الناس	:::	جج اربون زمر الخناس

بشارات الأولياء:

م ن أجل ذلك جعل الله لأوليائه البشرى فى الدنيا والآخرة ؛ لأنه سبحانه وتعالى قد تولى أمرهم وحفظهم فى أنفسهم وأهليهم وذريتهم قال تعالى: {إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: 196] فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله إياهم فى أولادهم وأخراهم.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: {لَهُ مِ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: 64] فقال: "ما سألتنى أحد عنها غيرك منذ أنزلت هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو

(1) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه و ابن ابى شيبه وغيرهم، وهو فى مسند احمد ج 6 ص 459 وسنن ابن ماجه ج 2 ص 1378 برقم 4119 بلفظ " خياركم الذين إذا رءوا ذكر الله".

ترى له".

وقال بعض العلماء: هي البشارة التي تبشر بها الملائكة المؤمن في الدنيا عند الموت فعند خروج روحه يأتيه ملك الموت فيقول له: السلام عليك ولى الله، الله يقرئك السلام كما قال تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النوبة: 21] وقال الحسن البصري: هي ما يبشرهم الله تعالى في كتابه من جنته وكريم ثوابه في الآخرة. كما قال تعالى {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [النوبة: 21] وقوله تعالى {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس: 2] وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} [فصلت: 30].

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذى أفاض على قلوب العارفين أنوار حكمته ، وأنعم على أرواحهم بالدخول فى شهود وتجليات حضرته ، وأسبغ عليهم جزيل إحسانه وعظيم نعمته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى خليقته ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ال داعى إلى الله بوحيه وشريعته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل طاعته ومحبته وولايته الذين ملأوا الأرض خيراً ونوراً وسلم اللهم عليهم سلاماً دائماً كثيراً.

أما بعد

العلم والولاية:

فليعباد الله يقول اهلر تعالى وهو أصدق القائلين {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: 28]. أخوة الإسلام إن العلم هو المصباح الذى يضيء للعابد طريقه ، فلا بد للولى أن يكون قوله وفعله

على نهج الشريعة الغراء ؛ لأن الله تعالى لا يقبل قولاً ولا عملاً إلا إذا كان على وفق شريعته، يقول ش **يخبر** رضى الله عنه فى وجوب الاقتداء بالأولياء العلماء:

يحب حب شيخ العلم والكتاب :::: ليهتدى به إلى الصواب
قل يس بعد العلم من هداية :::: وعمل به هو الولاية

وهكذا كان شيخنا الإمام الجعفرى عليه رضوان الله جامعاً بين علمى الشريعة والحقيقة ، جامعاً بين شرفى الولاية واللعلم يقول رضى الله عنه فى معنى كلمة "العارف بالله تعالى" . "العارف هو الذى عرف الله تعالى وقام بحقه ، وعرف رسوله ﷺ وقام بحقه ، وعرف أولياء الله تعالى وقام بحقهم ، وعرف المؤمنين وتخلص من تبعاتهم ، والعارف من عرف نفسه كما قال الإمام على كرم الله وجهه: "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

فلننفس بها كمالات ونفائض فمن عرف الكمالات فأبرزها والنفائض فعالجها فذلك العارف. والعارف "العين علم ، والألف انفصال عن السوى واتصال بمن على العرش استوى ، والراء رغبة فى الآخرة ، والفاء فرار إلى الله".

فالمعرفة علم وانفصال واتصال ورغبة وفرار إلى الح ق س بحانه وتع الى، كما قال تعالى { **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** } [الذاريات: 50] إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وإلى علماء شريعته وإلى أولياء حضرته ، فإن الإنسان وحده قليل وبإخوانه كثير ، والذنب يأكل القاصية من الغنم ، والشيخ العارف من سبل الله تعالى الموصلة إلى ه ، ومن هدى إليه فقد هدى إلى سبيل الله تعالى ، لكن يبحث عنه بجد واجتهاد قال تعالى: { **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** } [العنكبوت: 69] ولقد كان لشيخنا رضى الله عنه حلقة علم بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف يجمع فيها من حوله الأحاب

والمريدين ؛ لي علمهم المعرفة بالله تعالى وبرسوله ﷺ ؛ ولعين لهم الحلال والحرام حتى يوصلهم إلى رضا الله تعالى.

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بخير جلسائكم؟ من ذكركم الله رؤيته ، وزادكم فى علمكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله» رواه ابن أبى الدنيا.

* * * * *

أحب عباد الله أنفعهم لعباده

الحمد لله الكريم المنان، واسع الفضل والإحسان ، لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل فى حديثه القدسى: «لا إله إلا أنا خلقت الخير و قدرته فطوبى لمن خلقت له للخير و خلقت الخير له وأجريت الخير على يديه، أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر و قدرته فويل لمن خلقت له للشر و خلقت الشر له و أجريت الشر على يديه» (1).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه وخليفه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد طيب القلوب ومداويها ، وحبيب الأرواح وهاديتها، وإمام الأمة وداعيتها، الأمر بالمعروف، الذى كان يطعم الجائع ويأمر بالمعروف، ويغيث الملهوف ويكرم الضيوف، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم لمفلحون.

أما بعد

فيقول الحق تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: 114].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

(1) أخرجه ابن النجار عن أبى أمامة والحديث فى كنز العمال جـ 1 ص 124 برقم 587 وفى الاتحافات السنية فى الأحاديث النبوية للشيخ محمد المدنى ص 139 برقم 385 ط دار الشباب للطباعة.

تُفْلِحُونَ} [الحج: 77].

أيه المسلمون:

إن القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم وإدخال السرور عليهم وصنع المعروف لديهم من فضائل هذا الدين الحنيف ، وقد حث عليها القرآن الكريم، وأوصى به الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه، وهى من أخلاق الأنبياء والمرسلين. على نبينا وعليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم، ولقد شبه رسول الله ﷺ المؤمنين فى تراحمهم وتعاطفهم بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فإذا أصابت واحدا من نائبة شغل بألمها الباقيون فسعوا بعواطفهم لدفع الألم عنه بجلب الخير إليه، فالخير يصيب واحدا منهم كأنما أصاب كلهم، والشر ينوبه كأنما ناب جميعهم.

مدونة صانع المعروف عند الله تعالى:

ورفع المسلمين وإدخال السرور عليهم من أحب الأعمال إلى الله تعالى. وفاعل ذلك من أحب الخلق إلى الله عز وجل عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: "جاء رجل وقال: يا رسول الله، أى الناس أحب إلى الله تعالى؟ فقال: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحب إلى من أن أعتكف فى هذا المسجد شهراً - يعنى مسجد المدينة -، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام" رواه الأصبهاني وابن أبى الدنيا.

ويغيب رسول الله ﷺ فى اصطناع المعروف مع المريض والجائع والعطشان، ويجعل من يصنع المعروف معهم كأنه صنع المعروف مع الله تبارك وتعالى؛ لأن من أكرم عبداً لأجل سيده فكأنما أكرم السيد.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الهم عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى، قال يارب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لو جدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن ه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني! قال: يارب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقيه؛ أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي".

صنع المعروف خلق من أخلاق نبين ﷺ :

ثم إن صنائع المعروف وتقريج الكروب ومساعدة الضعفاء والمساكين وإعانة المحتاجين خلق من الأخلاق التي تحلى بها الحبيب المصطفى ﷺ فحينما التقى به جبريل عليه السلام فى غار حراء أول مرة وأقرأه قول الله تعالى -{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...} الآية رجع خائفا على نفسه.

يقول الإمام البخارى فيما رواه عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت: فرجع بها رسول الله ﷺ يجرى فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها فقال "زملونى زملونى" فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة: رضى الله عنها "كلا والله ما يخزيك الله أبدا: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" فأقسمت دون تردد على أن الله تعالى لا يخزيه أبداً ثم عللت ذلك بجموع من الصفات تتبلور كلها فى صفة واحدة هى الرحمة. فأدركت السيدة خديجة ببصيرتها الصافية أن رحمة الله قريب من المحسنين، قريب من الرحماء وأنه سبحانه لا يخزى الرحيم. وأن ﷺ

صنائع المعروف تقى صاحبها مصارع السوء.

فصلة الرحم والنفقة عليهم وقضاء حوائجهم هى فى مقدمة صنائع المعروف؛ لأن صنع المعروف مع أهل القرابة له أجران عند الله تبارك وتعالى قال عليه الصلاة والسلام: الصدقة على المسكين صدقة، وهى على ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة ⁽¹⁾. ثم تقول السيدة خديجة رضوان الله عليها "وتحمل الكلّ، والكلّ هو الذى لا يستقل بأمره ؛ لأنه فى حاجة إلى من يأخذ بيده. ولقد روت كتب السيرة أن امرأة عجوزاً كانت تمشى وتجمع ال حطب من الطريق حتى تجمعت معها حزمة من الحطب كبيرة ولم تستطع أن تحملها بنفسها فمر بها رسول الله ﷺ ولم تكن تعرفه، فقالت أيها الشاب: احمل علىّ حزمى فرفعها رسول الله ﷺ ولكن بدلاً من أن يحملها عليها حملها على عاتقه حتى أ وصلها بيتها ، فقالت له : إنك صنعت معى معروفاً ، وأنا أريد أن أجازيك بنصيحة أنصحها لك، لقد ظهر بمكة شاب اسمه محمد يدعى أنه نبي فلا تتبعه ، فقال لها رسول الله ﷺ أما تعرفينه يا أمة الله، فقالت له أسمع عنه ولم أره فقال لها الحبيب ﷺ أنا محمد رسول الله -، فم ا كان من المرأة إلا أن قالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله.

ولكان رسول الله ﷺ يكسب المَعْدِم - والمُعْدِم : ه و الذى لا تصرف له ولا كسب، فكان ﷺ يفيده ويعاونه.

فقد روى أبو داود فى سننه عن أنس - رضى الله عنه - أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال: أما فى بيتك شئ؟ قال بلى: حلس - أى كساء يلى ظهر البعير تحت القتب تلبس بعضه وتبسط بعضه، وقعب - إناء من فخار - نشرب فيه من الماء، قال انتنى بهما فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال:

(1) رواه الترمذى فى سننه ج 3 ص 38 كتاب الزكاة باب ما جاء فى الصدقة على ذوى القرابة برقم 658، ورواه النسائى فى سننه ج 6 ص 69 كتاب الزكاة باب الصدقة على الأقرب، و رواه ابن ماجة فى سننه ج 1 ص 591 كتاب الزكاة باب فضل الصدقة برقم 1844، ورواه احمد فى مسنده ج 4 ص 17، 18، 214.

من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدره م، قال رسول الله ﷺ: من ينيذ على درهم مرتين أو ثلاثاً؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فلعطاهما إياه، فأخذ درهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك - أي قدمه، واشتر بالآخر قدوماً - آلة النجارة - فلتني به، فأتاه به، فشرد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال له رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجي المسألة نكتة أي أثراً كالنقطة شبه الوسخ في المرأة - فني وجهك يوم القيامة.

ثم تقول السيدة خديجة رضى الله عنها -:

"وتقرى الضيف" - ولقد كان رسول الله ﷺ يكرم الضيف ويحجود عليه بما عنده، ولذلك وصفه ابن عباس - رضى الله عنهما - في كرمه فقال - لئن رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان...

ثم تختم كلامها قائلة - "وتعين على نوائب الحق".

يقول الإمام ابن حجر عن هذه الكلمة "وقولها وتعين على نوائب الحق هي كلمة جامعة لأفراد ما يفهم ولما لم يتقدم"، وذلك فهم عميق لهذه الكلمة الجامعة. ولقد كان رسول الله ﷺ يبارع بتقديم المعونة لكل من نابته نائبة وقد تكون المعونة بالمال أو بالرأى أو بالمشورة أو بالمواساة أو بالكلمة الطيبة أو بالتشجيع أو بغرس التفاؤل في نفس المصاب.

ولئن هذا أول قانون أعلنته السيدة خديجة في الجو الإسلامى.

"إن من كان ذا قلب رحيم يحب اصطناع المعروف ، ويقيضى حاجة الملهوف لا يخزيه الله في الدنيا والآخرة.

قال عليه الصلاة والسلام «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». رواه مسلم عن أبي هريرة.

وإذا كان الله تعالى يحفظ المال ويبارك فيه حين ينفق منه صاحبه فإنه يبارك في العافية الجاه وسائر وجوه الخير حين يكون صاحبها عنوانه النجدة والغوث لكل مستنجد أو مستغيث فإن هـ و مَلَّ حاجة الناس وتبرم بها نقلها الله تعالى منه إلى غيره - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يمل وهـ م، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم" رواه الطبراني.

ويقول الإمام الحسين - رضى الله عنه - حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا الزعم فتعود نقماً.

أما الذين يسعون لمصالح العباد ويعملون على قضاء حوائجهم ، ويستجيبون لندائهم حين يفرعون إليهم، فإن الله تعالى يوفى لهم الأمان يوم القيامة قال ﷺ : «إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس - ما يفرع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عقاب الله تعالى» رواه الطبراني.

ويقول الإمام - على كرم الله تعالى وجهه:-

والذى وسع سمعه الأصوات ، ما من أحد أدخل على قلب فقير سروراً إلا خلق الله تعالى له من هذا السرور لطفاً، فإذا حلت به نائبه جرى إليها لطف الله تعالى كالماء في انجداره حتى يطردها عنه".

* * * * *

حرمۃ التدخين لثبوت ضرره

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة والسراج المنير، ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم حق قدره ومقداره العظيم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ} [سورة آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: 1]. {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

[سورة الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

إن التدخين آفة من آفات هذا المجتمع الذى نعيش فيه، وبدعة من البدع الشنيعة المستحدثة؛ لأنه استحدث على رأس الألف من الهجرة، وفى ذلك الوقت تناوله العلماء على غير معرفة بحقيقته فمنهم من قال بجله؛ إذ الأصل فى الأشياء الإباحية، ومنهم من قال بحرمة؛ لأن فيه ضرراً قد ظهر، ومنهم من قال بكراهته؛ لعدم تبين حقيقته.

ويمكننا فى عصرنا الحاضر أن نفتى بحرمة ؛ لتبين ضرره، وهذا

ما أجمعت عليه مجامع الفقه الإسلامى، حيث أجمع العلماء فى

مؤتمراتهم وطرحوا هذه القضية " قضية التدخين " فى العالم فأدلى

الأطباء ببحوثهم فيه وبينوا الضرر المترتب عليه، فقول الفقيه إذن تابع لقول الطبيب، فإذا قال الطبيب هذا الشيء ضار ، وجب أن يقول الفقيه هذا الشيء تناوله حرام، ذلك ب أن الإسلام أتى بقاعدة هامة أسسها رسول الله ﷺ في قوله «لا ضرر ولا ضرا ر» لا ضرر أى بالنفس ولا ضرار بالغير، فكل ضرر يلحق بالنفس أو يلحق بالغير فهو حرام".

أضرار التدخين:

والتدخين ضار بالنفس والعقل والمال والدين والنسل، ضار بالضروريات الخمس أو الكليات الخمس التي أوجب العلماء حفظها على كل مؤمن يدين بدين الإسلام.

فليس المسلم حرا في نفسه إنما يتصرف في ضوء تعاليم الإسلام، فما أباحه الإسلام فعله المسلم، وما حرمه الإسلام وجب على المسلم أن يجتنبه، أما ضرر التدخين بالنفس: فقد أثبتت البحوث الحديثة أن الدخ ان يشتمل على عناصر سامة من النيكوتين ، وم ن الهباب الأسود ، وم ن القطران ، وغيرها من الأشياء السامة التي تضر بالنفس ، كم اثبتت الأبحاث العلمية أن الم دخنين غالبا ما يصابون بأمراض الحساسية وضيق الشرايين وغيرها.. هذه الأشياء أنتهها الطل الحديث بتجاربه القيمة على المدخنين فنثبت الضرر ثبوتا محققا بالنفس أولا..

ثم أثبت العلم أن المدخن يضر غيرها كذلك، فإذا جلست بجوار المدخن استنشقت هواء مليئا بالسموم التي تخرج من فمه وهذا ما أطلق عليه العلم الحديث التدخين القسري أو القهري أو السلبي بل إن ضرره بغير المدخن أكثر من المدخن نفسه، فدخل تحت قوله - عليه الصلاة والسلام -: «لا ضرر ولا ضرا ر» أى لا ضرر بالنفس ولا ضرار بالغير، وهذا ما ثبت بالعلم الحديث، وإذا أردت أن تتحقق من ذلك فاجعل

المدخن يصعد معك سلماً إلى أعلى الطبقات فإذا صعد رأيت أنه لا يستطيع أن يتنفس أو يتكلم إلا بعد أن يستريح مدة طويلة، فهذا دليل على خراب رئتيه وصدره.

لذلك الضرر بالعقل فهو يضر العقل، ذلك بأن التدخين يؤثر على الصحة العامة فيصاب الجسم بالأمراض " والعقل السليم في الجسم السليم " فإذا تأثر الجسد تأثر العقل بعده، وترى المدخن كثير النسيان ضعيف الذاكرة، سريء الخلق يثور لأسباب وذلك لضيق عقله وتفكيره.

لئلا يضر بالدين كيف ذلك؟ ذلك بأن المدخن تتحكم فيه هذه العادة الخبيثة فبعض الناس يفطر في رمضان تسأله لماذا؟ يقول: من أجل السجارة إنها حياتي؟ لا أستطيع أن استغنى عنها فهو يترك الصوم من أجل الدخان.

لئلا يكره الجلوس في مجالس العلم ومجالس الذكر والقرآن من أجل أنه اتحبسه عن إشعال سيجارته، كذلك فيه من ارتكاب المحذور الذي نهى الله تبارك وتعالى عنه من الإسراف والتبذير ، فإذا كان الله تعالى نهى عن الإسراف في المباحات من الطعام والشراب واللباس والزينة لئلا قال - سبحانه وتعالى - يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأعراف: 31].

فما بالك بمن يسرف في الحرام، يشتري الدخان المضر بنفسه وغيره فيرتكب المحذور ويبذر في المال والله تعالى يقول {وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا} [الإسراء: 26] ففيه تبذير منهى عنه فهو يضر الدين من هذه الناحية.

لذلك يضر بالنسل فقد أثبت العلم الحديث والطب الحديث أن المدخن ضعيف الجسم ضعيف القلب، فينشأ أطفاله كذلك؛ لأنهم يعيشون في جو كله دخان فيكونون عرضة لكثير من الأمراض ، كذلك ينشأ الأولاد على

عادة أبيهم، فينظر الطفل إلى والده فيجده مدخنا فيشتري علبة السجائر ويخفيها أولاً عن أبيه؛ لأنه يعلم غضبه علي ه فيدخن سرا ؛ لأنه يظن أن التدخين رجولة، وأنه قد بلغ مبلغ الرجال فلماذا لا يدخن كوالده، فوالده قدوة سيئة يضر نفسه ويضر نسله من بعده و ه كذا التقليد السيئ فهذه العادة تنتشر فى الأولاد انتشار النار فى الهشيم ، وك ذلك بين الناس فالصغير يقلد الكبير، والفقير يقلد الغنى، والولد يقلد أباه والصدىق يقلد صديقه ، وه كذا يتوالى الضرر المالى الذى نهى عنه الإسلام ، فالتدخين يضر بالمال ؛ لأن المدخن يحرم نفسه من الطيبات الحلال التى أحلها الله له حتى يشتري دخانه المعتاد كل يوم كما أن فيه إضاعة للمال.

وبعد هذه المقدمة التى عرف ت فيها أن الدخان فيه ضرر بالنفس والعقل والمال والدين والنسل، فكل من عنده عقل يحكم بعد ذلك بالحرمة؛ لأن رسول الله ﷺ نهى ع ن الضرر ونفاه عن الأمة، فقال: «لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام»، زيادة على ذلك فالتدخين من المفترات، فقد روى أبو داود سننه عن أم سلمة - رضى الله عنها - : " أن رسول الله ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر "، أى ما يسكر العقل ويغطيه كالخمر والحشيش وغير ذلك، والمفتر هو الذى يحدث فتورا فى الأعضاء وكسلا فى الجسم، وهذا مشاهد عند من يدخن لأول مرة، فهو داخل تحت المفترات لئما أنه داخل تحت قسم الخبائث، فالله تبارك وتعالى يقول: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70].

فالله - سبحانه وتعالى - رزقك الطيبات وأمرك بتناولها، ونهاك عن الخبائث وحرمها عليك على لسان رسول الله ﷺ فقد وصف ﷺ فى الكتب السابقة فى التقاره والإنجيل كما أخبر بذلك القرآن بقوله: {وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرَّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ} [الأعراف: 157].

فبالله عليك أين نضع الدخان؟ فى خانة الطيبات أم فى خانة الخبائث، هل هناك أمر ثالث؟ كلا، إما طيبات وإما خبائث، فلننت بعقلك ضع الدخان فى خانة من الخانتين، إنه خبيث: خبيث الطعم، خبيث الرائحة.

ولو وقف بجوارك رجل فى الصلاة، وقد مضمض فمه بماء بعد شرب السجارة لم تستطع أن تقف بجواره إلا بشق الأنفس وضيق شديد فى نفسك وصدرك؛ كراهة لرائحة فمه، والنبى ﷺ يقول فى شأن البصل والثوم: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجداً» متفق عليه.

هـ ذا وقد شم رسول الله ﷺ كما يقول الفاروق رضى الله عنه - رجلاً فى المسجد قد أكل ثوماً أو بصلاً فأخرجه إلى البقيع لرائحته، هكذا يقول الفاروق رضى الله عنه، ولذا كان يقول: "من ابتلى بالأكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين - يعنى فى الرائحة - فليمتهما طبخاً، حتى لا يؤذى غيره"، هـ كذا يحافظ الإسلام على أبنائه من أن يتأذى أحدهم برائحة كريهة فى المسجد، والدخان رائحته كريهة وخبیثة، هذا فوق ما فيه من أضرار سمعتموها، وفوق ذلك فإنه عادة تتوعد الإنسان، فما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً؛ وإذا فقد المدخن نقوده فلم يجد شيئاً يشتري به وجدته سيئ الخلق مسيئ التصرف، قد يتهجم على مال الغير ليسرق من ماله، حتى يشتري دخانه المعتاد عليه، أو أنه يمد يده لولده قائلاً له: أعطنى سيجارة من فضلك، بهذه الذلة والمهانة، هذه ذلة لا يرضاها الإسلام، وإن الله إذا أحب عبداً - كما يقول سيدنا على كرم الله وجهه - لم يجعل له مزاجاً فى شئ، حتى لا يكون عبداً لهذا المزاج الذى إذا فقدته ساءت أخلاقه، فانقوا الله أيها المسلمون واحذروا التدخين، فإنه عادة سيئة أوله دلع وآخره ولع - كما يقول المثل - يتدلع الرجل أو الطفل أو الولد أو الشاب، ثم يصير ولعاً بعد ذلك إن أراد الإقلاع لم يستطع، ولكن: أيها

المدخن لا تياس من روح الله، فعليك بالإرادة القوية والعزيمة الصادقة، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فللمؤمن يقلع عن هذه العادة السيئة، حتى على فرض أنها صغيرة ولكنك تفعلها كل يوم عشرين مرة أو أربعين، يقول الإمام ابن عباس - رضى الله عنهما -: الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة. ومن شأن الأتقياء كما وصفهم الله سبحانه وتعالى {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: 135] فلققوا الله أيها المسلمون، وأقلعوا أيها المدخنون عن هذه العادة السيئة، فإنها حرام، اتقوا الله فى أنفسكم وفى أهليكم وفى أولادكم وفى أمتكم، واعلموا أنكم بشراء الدخان تشجعون الشركات العالمية التى يملكها إليه ود والنصارى ويكسبون من وراء ذلك المليارات والبليونات؛ ليجاربوا بها الإسلام والمسلمين فأنتم أيها المدخن تساهم بذلك فى الحرب ضد الإسلام.

والدليل على ذلك أنهم ينفقون فى الدعايات المليارات من أجل ترويج هذه البضائع الخبيثة، وفكر بعقلك؟ الغيبة مكتوب عليها: التدخين ضار جدا بالصحة. اقرأها وتأمل فيها، حتى لا تقتل نفسك، والله - تعالى - يقول: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: 195] ثم يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [الزباء: 29].

حکم هدايا المدخنين والتجارة فى الدخان وزراعته:

عرفنا حكم التدخين وأنه حرام قطعا لا شائبة فيه من كراهة أو حل، بعد أن تبين ضرره بالنفس والمال والدين والنسل والعقل.

بقى أن نعرف حكم هدايا المدخنين، فالرجل قد يهدى لجليسه سيجارة يحييه بها، هذه التحية حرام على المحيى والمحيا، لا يجوز أن يحيى غيره بالسيجارة ولا يجوز للمحيا أن يقبلها، كما لا يجوز أن يقبل من شركة الطفافات التى توضع فى الصالونات - كدعاية - هذه الهدية أيضا حرام وقبولها حرام ووضعها فى الصالونات حرام؛ لأنها تشجيع للمدخن على تدخينه، وكأنك تقول له: تفضل

اشعل سيجار بك، كذلك البيع والشراء والتجارة والزراعة والاستيراد كل هذه الأمور محرمة، فإن اهل - تعالى - إذا حرم شيئاً حرم ثمنه.

ثم ا حرم فى الخمر عشرة لعنهم رسول الله ﷺ لعن كل من يمت إليها بصلة وكل من يتسبب فيها بسبب، لعن الخمر وبائعها وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها والمشتري والمشتري له، كل هؤلاء لعنهم رسول الله ﷺ كذلك التدخين محرم يحرم التسبب فيه بأى سبب من الأسباب، ولقد اجتمع علماء المغاربة فاختلّفوا فى التدخين وكانوا علماء عارفين واصلين يرون النبى ﷺ فقال بعضهم لبعض: من يرى النبى ﷺ يسأله عن حكم التدخين الذى اختلفنا فيه، فراه بعضهم وبجواره السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقال العالم لرسول الله ﷺ: ما حكم الدخان يا رسول الله؟ فأشار ﷺ إلى عائشة - رضى الله عنها - وقال لو شربته هذه لفارقتها، وهى أحب نسائه إليه ومع ذلك قال هذه الكلمة رسول الله ﷺ، فاستنبط العلماء المغاربة واستأنسوا بهذه الرؤيا على حرمة شرب الدخان بجميع أنواعه من السجارة والجوزة وغيرها، فاتقوا الله أيها المسلمون، إياكم والتدخين حفاظا على أنفسكم وعلى أولادكم وعلى أموالكم وعلى نسلكم وعلى عقولكم وعلى دينكم. اتقوا الله أيها المسلمون، حتى لا تكونوا قدوة سيئة لأولادكم وبناتكم.

غريب الإسلام

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له مَنْ عَلَّمَنَا بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَكَفَى بِهِمَا نِعْمَةً، فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن الجميل.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه وخليفه بلغ

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فاللهم اجزه عنا بما هو أهله واجزه عنا خير ما ج زيت نبيا عن قومه ورسولاً عن أمته، وصل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الطيبين الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون.

أما بعد

فلي عباد الله أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء».

وخرج هذا الحديث الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - بزيادة فى آخره وهى " قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال: «النزاع من القبائل» وفى رواية (1) قيل ومن هم يا رسول الله قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» وفى رواية قال (2): «الذين يصلحون حين فساد الناس» وفى رواية (3)، أنه قال ﷺ قال: «قوم قليل فى ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يعطيهم».

هذه روايات متعددة تشرح معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء».

أيها المسلمون /

لما أرسل الله رسوله ﷺ أرسله إلى الناس كافة وتبعه ناس قليلون، الواحد من القبيلة والاثنتان والثلاثة، وبعض القبائل لم يتبعه منها أحد، فكانوا كالغرباء وسط الناس فكانوا يعبدون الله مع رسول الله ﷺ سرا فى بيوتهم، فهم غرباء، ثم إنهم

(1) رواية أنى بكر الأجرى عن سعد بن أبى وقاص.

(2) رواية الطبرانى من حديث جابر - رضى الله عنه.

(3) الإمام أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما.

هاجروا وتركوا ديارهم مرتين إلى الحبشة وظلوا غرباء على مدى ثلاثة عشر عاما، ثم هاجروا إلى المدينة فدخل الناس في دين الله، دخل أناس كثيرون، ثم جاء الفتح الأعظم فتح مكة، فدخل الناس في دين الله أفواجا وكثرت الفتوح على رسول الله ﷺ حتى أتم الله النعمة وعم نور الإسلام بمشارك الأرض ومغاربها وتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك.

ثم جاء سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - وبعده الفاروق، وبعده ذو النورين عثمان، وبعده الإمام على - رضى الله تعالى عنهم أجمعين.. والإسلام على ذلك يتعارف الناس ويتعاونون على البر والتقوى وأصبحوا بنعمة الله - تبارك وتعالى - إخوانا، لا ضغينة في قلوبهم ولا حسد ولا غل، وإنما حب يجمعهم، وكلمة للإسلام تنادى بهم ويستظلون جميعا تحت مظلة الإسلام، لا فرق بين عربى وأعجمى ولا فرق بين فقير وغنى، وإنما هم يدا واحدة.

ثم بعد ذلك انتشرت الفتن بعد مضي الخلافة الراشدة، انتشرت الفتن فتفرق الناس بسببين وهما: اتباع الشبهات، واتباع الشهوات، هذان هما سبب تفرق الأمة.

وقد أخبر ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وأنهم جميعا في النار إلا فرقة واحدة استثنها رسول الله ﷺ وهي التي تتمسك بسنته ﷺ وما هو عليه وأصحابه، قال عليه الصلاة والسلام - كما في رواية ابن ماجة والترمذى وأبى داود والحاكم عن أبى هريرة : «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وبفترقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » وفي رواية ابن ماجه عن عوف بن مالك: قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة " وهؤلاء هم الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، والذين يتمسكون بالسرقة عند نضرب الناس لها، فهم المعنيون في قوله عليه الصلاة والسلام: «ولن تزال طائفة من أمتى قائمين على أمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على

ذلك» (1).

هؤلاء هم الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ويتمسكون بالشرعية عند تساهل الناس.

أما من أضلته الشبهات وأضلته الفتن فمآله جهنم - والعياذ بالله تعالى - إلا أن يتوب إلى الله تعالى -

أما فتنة الشبهات والشهوات فقد أخبر ﷺ أنه يخاف علينا منهما، فقال عليه الصلاة والسلام كما فى رواية الإمام أحمد عن أبى برزة الأسلمى: «إنما أخشى عليكم الشبهات التى فى بطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن» وفى رواية: «ومضلات الهوى».

ففتن الشبهات تعنى افتراق الأمة فى الأهواء فكل فرقة تتبع هواها، وتكفر الفرقة الأخرى وتبدها، وتحكم عليها بالخروج من الإسلام، كما هو حادث فى المجتمع، افتتق المسلمون فرقا وشيعا وأحزاباً، كل فرقة تدعى على الأخرى ما يخرجها عن الإسلام، يكفر بعضهم بعضاً جهاراً على صفحات الجرائد والمجلات، يحكم هؤلاء بكفر هؤلاء ويحكم هؤلاء بكفر هؤلاء.

فمذه شبهات المخرج منها كتاب الله - تعالى - فهذه الفتنة كقطع الليل المظلم كما قال عليه الصلاة والسلام: «ستكون فتن تقطع الليل المظلم، قيل: فما المخرج منها يا رسول الله، قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم...» إلى آخر الحديث الذى رواه الترمذى عن سيدنا على - كرم الله وجهه.

فللتمسك بالكتاب والسنة هو المخ رج من فتنة الشبهات والأهواء، ما فى لفتاب الله عز وجل - من حلال أحلناه، وما فيه من حرام حرمانه، وما أخبر عنه

(1) رواه البخارى ومسلم.

رسول الله ﷺ من حلال أو حرام شرحاً وتفصيلاً للقرآن أحلنا حلاله وحرمانه حرامه اتباعاً لمنهجه واقتداءً به عليه الصلاة والسلام.

أما فتنة الشهوات فما هو حادث في الأمة ج علها تخرج عن تعاليم دين الإسلام لتتبع الشهوات وتعمل على تحقيقها مهما حالت الظروف.

روى البخارى عن سيدنا عمر و بن عوف - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم م أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتافسوها كما تنافسوها - أى تتنافسوا فيها كما تنافست الأمم قبلكم - فتهلككم لئلا أهلكتهم».

وهذا هو الحادث، والناس يتبعون شهوة المال والفرج، وما فتح عليهم من زهرة الدنيا فصاروا يتقاتلون عليها ويتناحرون عندها، يقتل الأخ أخاه من أجلها ويخاصمه، ويقطع رحمه من أجل هذه الزهرة التى خاف علينا منها رسول الله ﷺ ولذا لما فتحت فارس والروم على يد الفاروق عمر - رضى الله عنه - بكى وقال: حينما نظر إلى كنوز كسرى وقهصر بكى وقال: " إن هذا لم يفتح على قوم إلا جعل الله بأسهم بينهم"؛ لأنهم علي يتناحرون ومن أجله يتخاصمون "

وهذا هو الحادث في الأمة اليوم، تباغض وتناحر وتحاسد وتدابروا ولذا سأل رسول الله ﷺ الصحابة يوماً فقال " كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أى قوم أنتم "فقل رجل من الصحابة هو سيدنا عبد الرحمن بن عوف -: رقول لئلا أمرنا الله عز وجل "فقل عليه الصلاة والسلام: أو غير ذلك تتنافسون ثم تتعاسدون ثم تتقاربون⁽¹⁾ إخبار عن مضلات الشهوات وما يحدث في الأمة بعده ﷺ، وقد تحقق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ وأصبح ه م الناس اليوم الدينار والدرهم والمال من أى واد يجمع من حلال أو من حرام، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث البخارى: " يأتى زمان على الناس لا يبالي المرء ما أخذ أمن

(1) رواه الطبرانى وأبو نعيم والحافظ المنذرى وهو ضعيف.

الحلال أم من الحرام"، وهذا هو الحادث، أين من ينظر فى المال اليوم ويسأل عن أصله وفصله؟! ومن أين جاء؟ ولئيف يجمع وما يحل وما يحرم منه؟، لئما كان يفعل التجار من الصحابة كحكيم بن حزام، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان - رضى الله عنهم - جميعاً، كانوا يقولون: هذه بيوعاتنا يا رسول الله وتجارنا فبين لنا ما يحل منها وما يحرم . أين هؤلاء القوم الذين يسألون هذه الأسئلة كما كان أصحاب رسول الله ﷺ في غون؟!، أنهم قليل فمن رحمة الله - تبارك وتعالى - فالذى يريد نجاة نفسه من الفتن فليسأل أهل العلم عما يحل له وما يحرم وما يجب اعتقاده وما يجب اتباعه حتى لا يضل ولا يفيق، وحتى ينطبق عليه وصف الغربة، فالغرباء هم الذين يتمسكون بالسنة عند فساد الناس، ويعملون بالقرآن عندما يتركه الناس، فهؤلاء طوبى لهم، إنها بشارة رسول الله ﷺ لهم: «**فطوبى للغرباء**» أى الجنة لهم إن تمسكوا وصبروا على هذه الغربة المُرّة، فلئها مَرّة شريفة، الصبر فيها كالقبض على الجمر، فمن صبر نجا ومن لم يصبر هلك هلاكاً مبيناً.

رفعنى اهتواياكم بالقرآن العظيم وهدى سيد المرسلين - صلوات اله و سلامه عليه. أقول قولى هذا و أستغفر الله لى ولكم أو كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»⁽¹⁾ فتقربوا إليه واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد له عرب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين اللهم فصلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك صلاة تنصلح بها أحوالنا ويهنأ بها مقالنا ونخلص بها من أحوالنا وتتحقق بها

(1) رواه الترمذي ح 2499.

آمالنا ويحسن بها مآلنا في حياتنا وبعد انتقالنا.

ثم أما بعد

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي ببقوى الله عز وجل وأحذركم ونفسي من معصية الله - تبارك وتعالى - واعلموا أيها المسلمون أن رسول الله ﷺ بين أجر هؤلاء الغرباء الذي يتمسكون بشريعة الله - تبارك وتعالى - وبسنة رسول الله ﷺ : «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد» ⁽¹⁾ وأعظم من هذا ما رواه الترمذى وأبو داود عن أبى أمية الشَّعْبَانِي أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخَشَنِي - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة: 105]؛ لِأَنَّ أَبَا أُمِيَةَ فَهَمَّ مِنْهَا تَرْكَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالِاسْتِغْثَالَ بِخَاصَّةِ نَفْسِهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو ثَعْلَبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهُ أَخْبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ لِي: «بَلِ انْتَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مَطَاعًا وَهُوَ عَلَى مَتَبِعٍ وَدُنِيَ مَوْثَرَةٌ وَإِعْجَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِوَأْيِهِ وَرَأَيْتَ أُمَّرَأً لَا يَدَانَ لَكَ بِهِ فَعَلَيْكَ خَوِصَّةُ نَفْسِكَ، فَلَيْتَ مَنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّرِيرِ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَوْ مِنْهَا؟ قَالَ: «بَلِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَلَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْأَجْرَ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَأَنْكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا» ⁽²⁾ فَمَنْ تَحَسَّرَكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْفَاسِدِ بِسَنَةِ

(1) رواه ابن مردويه وذكره الحافظ ابن كثير في سورة المائدة.

(2) رواه ابن مردويه وذكره الحافظ ابن كثير في سورة المائدة.

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

رسول الله ﷺ وصبر على ذلك له أجر خمسين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ.
إن ثواب جزيل وأجر عظيم، وكذلك يبين ﷺ أن من عبد الله - تعالى - وسط
هذه الهرج الحاصل في المجتمع أن له كأجر هجرة إليه ﷺ فقال عليه الصلاة
والسلام: «العبادة في الرُّج لك جرة إلى» (1) أي لك جرة إليه ﷺ في المدينة. من
يتعبد وسط هذا الاختلاط في الفتن والأهواء، وتمسك بدينه و قاوم هذا التيار
الجارف الذي يجارب العمل بالشرعية في كل شئون ه من الدولة، ومن الناس،
محاربة للإسلام في المجتمع كله حتى في البيوت. فمن تمسك نال أجر مائة شهيد
ونال أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ ونال أجر الهجرة إلى رسول الله ﷺ
في المدينة المنورة.

هذا هو ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ فتمسكوا أيها المسلمون الغرباء،
تمسكوا في مجتمعكم هذا الذي اختلطت فيه الأمور، فأصبح الم عروف منكراً،
والمنكر معروفاً، بل أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف، تمسكوا بدينكم في
أنفسكم وأهليكم وذويكم وما ولاكم الله - تبارك وتعالى - حتى تتألوا هذه الدرجات
التي أخبر عنها رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحي يوحى.

الاستقامة خير من ألف كرامة

الحمد لله الذي سلك بأهل الاستقامة سبيل الأمن والسلامة وتوجههم
يوم القيامة بتاج التق رب والكرامة، وبواهم مقعد صدق في دار المقامة
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل خير الدنيا والآخرة
بسلوك الطريق القويم ولزوم الهداية. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله
ورسوله سيد أهل الاستقامة مة والعز والشرف والكرامة اللهم فصل وسلم

(1) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث معقل بن يسار.

وبارك على سي دنل ونبيينا ومولانا محمد عبدك ونبيك ورسولك صلاة تستقيم
 بها النفوس من اعوجاجها وتستنير بباهر أنوارها ويذهب عنها ظلامها
 وفسادها ويظهر عليها هدايتها وإرشادها. وارض اللهم عن أهل بيته
 الطاهرين وعن أصحابه الطيبين وارحم أمته واحفظ شريعته وبارك
 عليه وعليهم إلى يوم الدين. اللهم بعظيم فضلك وبجاهه عندك هب لنا من
 لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وافتح لنا من الخير كل باب يا من قال
 وقوله الحق في محكم الكتاب {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} {
 آل عمران: 37}.

ثم أما بعد

فيا أيها المسلمون:

يقول الصوفية الكرامة الكاملة عند أهل الحقائق إنما هي حصول الاستقامة
 والوصول إلى كمالها، ومرجعها إلى أمرين: صحة الإيمان بالله تعالى واتباع ما
 جاء به رسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا عليها،
 ولا تكون له همة إلا في الوصول إليها. ولذا قال شيخنا الإمام الجعفرى - رضى
 الله عنه - الاستقامة خير من ألف كرامة لمن استقام في طريقنا وتبتل عليه
 البركات تنزل.

فتعالوا بنا لنعيش مع الاستقامة: ومعناها وحدودها وشرائطها ومواطنها
 وثمراتها في كتاب الله - عز وجل - وسنة رسول الله ﷺ.

حقيقة الاستقامة:

و الاستقامة حقيقتها: عدم الاعوجاج والميل. والسين والتناء في المبالغة في
 التقوم، وتطلق الاستقامة على ما يجمع معنى حسن العمل والسيره على الحق
 والصدق. قال الله تعالى لنبيه ﷺ {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هـ ود: 112] والأمر ههنا للدوام والاستمرار. فاستقام ﷺ على

من فيض المنان فى الدعوة إلى عبادة الرحمن

طريقة ربه وصدع بالحق الذى أمر به ولزم المنهج الذى رسمه له وأيده بروح من عنده حتى جاء الحق وظهر أمر الله ولما نزلت هذه الآية قال ﷺ : شمروا شمروا، وما روى بعدها ضاحكا.

من أجل ذلك قال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - ما نزل على رسول الله ﷺ أية أشد ولا أشق من هذه الآية.

ثمكرر الأمر بالاستقامة مرة أخرى فى سورة الشورى فقال سبحانه: {فَلَذِكْ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ... الآية} [الشورى: 15].

وفى سورة فصلت يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ } [فصلت: 6]. وذلك للإشارة إلى أنه لابد من تقصير فى الاستقامة المأمور بها فيجبر ذلك بالاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله تعالى.

وقد أخبر ﷺ أن الناس لن يستطيعوا الاستقامة حق الاستقامة فيما رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم عن ثوبان رضى اهطى تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن أى لن تحصوا ما لكم عند الله من الأجر والثواب إن استقمتم، وقيل معناه: لن تحصوا جميع أعمال البر - وخرج الطبرانى بإسناده عن ربيعة الجرشى أن رسول الله ﷺ قال: استقيموا ونعما إن استقمتم وحافظوا على الوضوء فإن خير أعمالكم الصلاة، وتحفظوا من الأرض فإنها أمتكم وإنه ليس أحد عامل عليها خيرا أو شرا إلا وهى مخبرة به.

قال بعض العارفين: الاستقامة: توبق بلا إصرار وعمل بلا فتور وإخلاص بلا التفات، ويقين بلا تردد، وتقويض بلا تسب.

تفسير الاستقامة عند الخلفاء الأربعة وغيرهم

ولقد قال سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عن الجماعة من الصحابة رضى

الله عنهم: ما تقولون فى قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [آل عمران: 30]؟ قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على ما هو أشد. قالوا وأنت ما تقول؟ قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان. وروى عنه أنه قال: استقاموا قولاً وفعلاً، وعنه: - لم يلتفتوا إلى غيره. وعن سيدنا عمر رضى الله عنه: استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يروعوا روغاناً لثعالب. وعن سيدنا عثمان رضى الله عنه - ثم اخلصوا العمل. وعن سيدنا على كرم اهل وجهه ثم أدوا الفرائض، وعن الفضيل بن عياض رضى الله عنه - ثم زهدوا فى الفانية ورضوا بالباقية - وكان الحسن رضى الله عنه. إذا قرأ هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

فقد تولى تفسير هذه الآية الخلفاء الأربعة أقطاب الإسلام وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى الاستقامة فى الإيمان وآثاره، وعناية هؤلاء الأربعة الراشدين عمداً للإسلام ببيان الاستقامة مشيراً إلى أهميتها فى الدين.

بيان معنى الاستقامة فى السنة:

ومن معنى هذه الآية ما روى فى صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال: قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: قل آمنت بالله ثم استقم.

وفى رواية الترمذى قال قلت يا رسول الله حدثنى بأمر أعصم به قال: قل ربى الله ثم استقم، قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه ثم قال هذا ".

أركان الاستقامة هل للاستقامة أركان تقوم عليها؟

نعم يقوم صرح الاستقامة على ثلاثة أركان أساسية:

الركن الأول: استقامة القلب

يقول الحافظ ابن رجب: " وأصل الاستقامة: استقامة القلب على التوحيد، كما فسر سيدنا أبو بكر رضى الله عنه قوله تعالى - ثم استقاموا -، أى لم يشركوا بالله شيئاً ولم يلتفتوا إلى غيره سبحانه، فمتى استقام القلب على معرفة الله تعالى وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه استقامت الجوارح فى كلها على طاعته فإن القلب ملك الأعضاء وهى جنوده فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه. وكذلك فسر قول تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً} [الروم: 30] " بإخلاص القصد لله وحده لا شريك، وقد ورد أن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، " ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهو القلب " والمقصود باستقامة القلب أن يسلك المؤمن جهة واحدة لا التواء فيها ولا اعوجاج، من غير أن يجاوز مدة أو ينوى شريعياً ويفعل ضده.

والركن الثانى: هو استقامة الأقوال

وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان. فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما :::: جعل الفؤاد على اللسان دليلاً ولهذا لما أمر النبى ﷺ سرفيان بن عبد الله بالاستقامة بعد الإيمان وصاه بعد ذلك بحفظ اللسان فقال: قلت يا رسول الله: ما أخوف ما تخاف على؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا. ونجد هذا التلازم فى رواية الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» وفى رواية الترمذى عن أبى سعيد مرفوعاً وموقوفاً: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تفكر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمتم استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا».

الركن الثالث: هو استقامة الأفعال

هـ و أن يكون هناك تطابق كامل بين النية والقول والفعل معا حتى لا يكون هناك تناقض بين النية والقول والفعل ولا سيما وقد عد القرآن تخالف القول مع الفعل من كبائر الذنوب قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}

ذلك بأن الإيمان بالله تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

ولما قال الحسن البصري - رضى الله عنه - ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمال. فمن قال خيرا وعمل خيرا قبل منه ومن قال خيرا وعمل شرا لم يقبل منه.

وفى الحديث الذى رواه مسلم فى كتاب الإيمان من حديث العباس - رضى الله عنه - أن ال رضى قال: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمداً رسولاً».

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال خط رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله. ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقا ل: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو له» ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} رواه الإمام أحمد والنسائى.

الاستقامة عند الصوفية

يقول الصوفية الاستقامة خير من ألف كرامة

ويقول ابن عطاء الله: " متى جعلك فى الظاهر متم ثلاً لأمره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك".

ويقول سيدى أبو العباس المرسى - رضى الله عنه -: " ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة وغيرها من البلدان! إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند الله تعالى.

وقيل لأبى محمد المرتعش إن فلانا يمشى على الماء فقال: عندى من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء وفى الهواء. وقيل لأبى يزيد البسطامى إن فلانا يمر فى كل ليلة إلى مكة فقال: الشيطان يمر فى لحظة من المشرق إلى المغرب وهو فى لعنة الله وقيل له فقال: إن فلانا يمشى على الماء إقبال الحيتان فى الماء والطير فى الهواء أعجب من ذلك.

وقال أيضا: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

الجزء على الاستقامة: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ} * نَزْلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ { [فصلت: 30 - 32].

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { [الأحقاف: 13 - 14].
{وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: 16].

سعادة الصالحين

الحمد لله: أسعد بوحمته ورضاه من آمن به وأطاعه فنور قلبه وشرح صدره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله السعيد الذى أسعد الناس بسعده، العزيز الذى أعز أمته بدينه ومجده، الذى زكى أصله وفرعه وفاق جميع

الشرائع شرعه، وخير طبع فى الأمم طبعه، وأفضل دروع المجاهدين درعه،
وأفضل الأصحاب والجموع صحبه وجمعه، الذى عم المسلمين نفعه، اللهم فصل
وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين السعداء المفلحين وعلى أصحابه
الغر الميامين الذين آمنوا به و عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه
أولئك هم المفلحون.

أما بعد

فيا أيها الأخوة الأحباب أتباع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة و أتم
السلام.

الناس رجلان أحدهما سعيد صالح، والآخر شقى طالح.

السعيد الصالح: شخص عرف ربه معرفة حسنة، وأدى حقه قدر ما يستطيع
وخالق الناس بخلق حسن، وعاش فى دنياه مجتهداً أنه يصف أقدامه على
الصراط المستقيم إلى أن يأتية اليقين فطلقى الله تعالى وهو عنه راض.

وأما الشقى الطالح: فرجل انقطعت صلته بالله تعالى، فلم يقدره حق قدره ولم
يؤد ما ينبغى أن يؤديه من حقوق، ولا أن يدع ما يجب أن يدعه من شرور، يظل
لذلك إلى أن يلقي ربه فيجزيه بما صنع {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحْضَرًا} [آل عمران: 30]. الخ الآية.

فللرجل الأول يحب الخير ويحب أهله، ويحب أن يعمل به، وإذا فاتته حن
إليه، وإذا عمل به أيقن بثوابه.

أما الثانى فلا يحب الخير، ولا يحب أهله، ولا يحب أن يعمل به.

فالأول سعيد مو فق محبوب عند الله تعالى وعند الناس، والثانى شقى
مخدول مبغض من الله تعالى ومن الناس

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: بينما نحن جلوس عند

رسول الله ﷺ إذا أتاه آت فلما حاذانا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى إلى النبی ﷺ، فقال: يا رسول الله أوضعت راحلتى من مسيرة تسع - فسيرتها إليك ستا، وأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وأنصبت راحلتى لأسألك عن اثنتين أسهرتاهى، فقال له النبی ﷺ من أنت؟ قال زيد الخيل، فقال عليه الصلاة والسلام بل أنت زيد الخير، سل فوب معضلة قد سئلت عنها، قال جئت لأسألك عن علامة الله تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد، فقال له النبی ﷺ : بخ بخ، لئيف أصبحت يا زيد؟ قال أصبحت أحب الخير وأهله، وأحب أن يعمل به وإذا فأتنى حننت إليه، وإذا عملت عملا قل أو كثر أبوقنت بثوابه قال: هى هى بعينها يا زيد، ولو أرادك الله للأخرى هياك لها ثم لا يبالى فى أى واد هلك، فقال زيد حسبى حسبى، ثم ارتحل ولم يثبت " رواه ابن عدى فى الكامل.

ففى هذه القصة إشارة إلى أن مدار السعادة على حب الخير وأهله والعمل به واليقين بثوابه، وإلى أن الشقاوة على العكس من ذلك. هؤلاء السعداء مصابيح الخير للناس؛ لأنهم صالحوون فى أنفسهم مصلحون لغيرهم، تتسع دائرة خيرهم لتشملهم وكثيرين ممن حولهم أو كثيرين ممن يجئ بعدهم.

لذا يقول عليه الصلاة والسلام مبينا حال الفريقين من الناس: «إن من الناس مفاتيح للخير، م غاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر م غاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه» رواه ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه:

أين السعادة أيها المسلمون:

لقد طلب أناس كثيرون السعادة فى غير موضعها فعادوا لثم يعود طالب اللؤلؤ فى الصحراء صفر اليدين، مجهود البدن، كسير الن فس، خائب الرجاء. أجل: جرب الناس فى شتى العصور ألوان المتع المادية وصنوف ال شهوات الحسية فما وجدوها - وحدها - تحقق السعادة أبدا.

هل السعادة فى التقويم المادى؟

لقد ظن قوم أن السعادة فى الغنى وفى رخاء العيش ووفرة النعيم ورفاهية الحياة، وارتفاع مستوى المعيشة وتيسير المطالب المادية من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن ومركب، ولكنهم حين توفرت لهم هذه المطالب لا يزالون يشكون من تعاسة الحياة والإحساس بالضيق والانقباض، وظلوا يبحثون عن طريق آخر للسعادة.

السعادة فى داخل الإنسان:

إن السعادة شئ ينبع من داخل الإنسان ولا يستورد من خارجه، إنها تتبع من إيمان المؤمن الصادق الذى يأكل طيباً ويعمل صالحاً، ففى لا توجد إلا عند الصالحين من عباد الله تعالى - الذين قال الله تعالى فيهم.

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ }

[الفتح: 4]

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }

[الأنعام 82]

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } [طه /

[112]

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } [الفصل /

[97]

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام: 125]

وقل لرسول الله ﷺ: كيف الشرح؟ قال: «نور يقذف فى الصدر فينشرح له وينفسح»، فقل: هل لذلك من آية يعرف بها يا رسول الله؟ قال - عليه الصلاة والسلام -: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والاستع داد

للموت قبل لقاء الموت».

السعادة إذن ليست فى وفرة المال ولا سطوة الجاه و لا كثرة الولد ولا نيل المنفعة ولا فى العلم المادى الذى رقى بحضارة العالم، إنما السعادة شئ معنوى لا يرى بالعين ولا يقاس بالكم ولا تحتويه الخزائن ولا يشتري بالجنيه أو الدولار أو الدينار. قال تعالى -{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء 88: 89].

{وَمِ اْأَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبا: 37].

السعادة شئ يشعر به الإنسان بين جوانحه: صرفاء نفس، وطمأنينة قلب وانشراح صدر، وراحة ضمير. كما قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الزمر 28، 29].

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل ق ليه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة، وقلبه واعيا».

وروى الترمذى عن أنس رضى الله تعالى عن النبى ﷺ قال «و من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راعمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له منها».

ويقول الإمام الجعفرى رضى الله عنه:

م	ا هذه الدنيا بدار كرامة	:::	فازهد بها إن كنت ممن يقتنع
وَأرى قَلِيلَ المَالِ فيها مسعدا	:::	من كان ذا تقوى يصلى ويركع	
فَلَوْبُ اْ بِنَفْسِكَ أَنْ تكون عبيدها	:::	وأعبد لربك عل قدرك يرفع	

وقال آخر

ولس ت أرى السعادة جمع مال ::: ولك ن النقى هو السعيد

وبقى وى الله خير الزاد ذخرا ::: وعن د الله للاتقى مزيد

هذه هى السعادة الحقّة والسعادة التى لا يملكها بشر فيعطىها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيتها، السعادة التى شعر بنشوتها أحد الصالحين وهو الإمام الجنيد - رضى الله عنه فقال: لو يعلم الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليه بالسيف.

وإذا كانت السعادة كذلك فإن الصالحين من عباد الله تعالى هم الذين نعموا بها وعاشوا عليها وعرفوا مقدارها وتركوا أهل الدنيا فى دنياهم يلعبون ويلهون ويأكلون ويتمتعون.

صحب السعداء وتمنى الدخول فيها:

ومن هنا قال الصالحون - من جاور السعيد سعد

يقول الشيخ صالح الجعفرى رضى الله عنه

من جاور السعداء يسعد يا فتى ::: تراه من أنوارهم يتورع

ويقول فى موضع آخر

ش موسى وأقمار عليك بحبهم ::: فى حبهم جلب المنافع للنفس
فمن كان عند الشمس شع شعاعها ::: لا تنس الأشعة للشمس عليه

يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ }

[العنكبوت: 9].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المرء على دين خليله فينظر أحكم من

يخالل».

ولقد علمنا القرآن على لسان الأنبياء والمرسلين أن ندعو الله تعالى أن يلحقنا

بالسعداء الصالحين وذلك على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام - حين قال {رَبِّ

هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } [الشعراء: 83].

وعلى لسان سيدنا يوسف عليه السلام حين قال:

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }

[يسف: 101]

أما جزاؤهم فقد قال الله تعالى فيه: {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ
شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: 105] الخ الآيات.

قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} { الخ
الآيات [النساء: 69].

* * * * *

التفكر في مخلوقات الله تعالى

الحمد لله /

الحمد لله القديم السابق، العظيم الخالق، الصادق الرحيم الرازق، رافع السبع
الطوابق، بلا عمد ولا علائق، ومثبت الأرض بالشم الشواهد ، مزينة بالأشجار
والحدائق ، المتعرف إلى خلقه بالبراهين والحقائق ، المتكفل بأرزاق جميع
الخلائق، خالق الحيوان الناطق من ماء دافق ، رب السماوات السبع وما بينهما
ورب المشارق.

أحمده ما سكت ساكت ونطق ناطق، وأقر بوحدانيته إقرار مخلص لا منافق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له القادر الخالق.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير خلق الله وأعظم الخلائق.

وأصلى وأسلم على رسوله سيدنا محمد الذي عمت دعوته الحضيض

والشاهق. وعلى سائر آله وأصحابه ما أضاء صبح، وذر شارق، وسلم تسليماً.

أمـا بعد

عباد الله /

{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران:
190، 191].

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} - المراد ذات السماوات والأرض وصفاتهما، وما فيهما من العجائب.

والمراد باختلاف الليل والنهار: تعاقبهما بالمجىء والذهاب، وزيادة أحدهما، ونقصان الآخر، وتفاوتهما طولاً وقصراً وحرّاً وبرداً.

وفي كل شيء له آية :::: تدل على أنه الواحد
وقوله تعالى: {وَيَنفَكِّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} :-

أى: من بديع صنعهما، وإتقانها مع عظم أجرامهما فإن الفكر إذا كان صادقاً أوصلهم إلى الإيمان به سبحانه وتعالى: عن عائشة - رضى الله عنها - مرفوعاً: «ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يفكر فيها» (1).

وقوله تعالى: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} :

أى: عبثاً ولهواً، بل خلقته دليلاً على حكمتك ووحدانيتك.

اعلموا أن التفكير معناه: "أن يحضر الإنسان في قلبه معرفتين ليستثمر". فإذا

673

من فيض المنان في الدعوة إلى عبادة الرحمن

تفكر في السماوات والأرض علم أنهما مخلوقتان، وعلم أنه لا بد لهما من خالق. فأنثرت المعارفتان معرفة ثالثة وهي: طاعته سبحانه ولزوم أمره".

وكذلك إذا علم أن الباقي أولى من الفاني، ثم علم أن الآخرة أبقي، حصل له من هاتين المعارفتين، معرفة ثالثة وهي "أن الآخرة أولى بالإيثار".

وثمرة الفكر العلوم والأحوال، ومتى حصل العلم من القلب تغير حال القلب فتغيرت أعمال الجوارح.

فالفكر هو المبدأ، أو المفتاح للخيرات كلها.

فإنه إذا تفكرنا فعلمنا أن الآخرة خير من الدنيا تغيرت القلوب عن الرغبة في الدنيا، فرغبت في الآخرة، قال حجة الإسلام الغزالي:

قد أمر الله بالتفكر والتدبر في كتابه في مواضع لا تحصى، وأثنى على المتفكرين فقال:

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191].

وقد قال ابن عباس - رضى الله عنهما -:

"إن قوماً تفكروا في الله - عز وجل - فقال النبي ﷺ: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله. فإنكم لن تقدروا قدره» (1).

وعن النبي ﷺ: «أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون». فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟» فقالوا: نتفكر في خلق الله عز وجل.

قال: «فكذلك فافعلوا. تفكروا في خلقه، ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء، نورها بياضها، وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً. بها

(1) رواه الطبراني في الأوسط.

خلق من خلق الله. لم يعصوا الله طرفة عين». قالوا: يا رسول الله. فأين الشيطان منهم؟ قال: «ما يدرون خلق الشيطان أم لا». قالوا: ومن ولد آدم؟ قال: «لا يدرون خلق آدم أم لا»⁽¹⁾.

وعن الحسن - رضى الله عنه - قال: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"، وعن الفضيل - رحمه الله - قال: "الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك".

وعن طاووس قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام -: "يا روح الله: هل على الأرض اليوم مثلك؟ فقال: نعم من كان منطقته ذكراً، وصمته فكراً، ونظره عبرة فإنه مثلى".

قال الحسن رضى الله عنه: "من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته فكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو".

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «أعطوا أعينكم حظها من العبادة»، فقالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: «النظر فى المصحف، والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبه»⁽²⁾.

أيها المسلمون /

ينبغي للعاقل أن ينظر أولاً فى الفرائض المكتوبة عليه كيف يؤديها، وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير، وكيف يصونها عن ترك الطمأنينة وعن الرياء، وكيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل، ثم يرجع إلى عضو عضو من أعضائه، فيتفكر فى الأفعال التى تتعلق به مما يحب الله.

كما يتفكر فى موجودات الهك، والتى يدركها البصر من سموات وأرض، وما بينهما.

(1) رواه ابن أبى الدنيا.

(2) أخرجه ابن أبى الدنيا.

ومجال الفكر فى هذه الأشياء مما يضيق فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام،
وهى المدركات بالبصر.

وإن من أعظم الآيات، وأولاها بالتفكر هو: "الإنسان" المخلوق من النطفة،
وأقرب شىء إليك نفسك، وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله - تعالى - ما
تنقص الأعمار عن الوقوف عليه.

وقد أمرك الله بالتدبر فى نفسك حيث قال: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ *
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 20، 21].

وذكر أنك مخلوق من نطفة فقال:

{قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسْرَهُ} [عبس: 17-20].

وقال سبحانه:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} [الروم: 20]، {أَلَمْ
يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عِلقَةً فَخَلَقَ فِسْوَى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} [القيامة: 37-39].

وتكرير النطفة فى القرآن للتفكر فى معناها:

فانظر إليها، وهى قطرة من ماء الذكر والأنثى قدرة لو تركت ساعة فى
الهواء فسدت. كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب؟

وليتطرق الفكر إلى السماوات وعظمها. وكيف كرر الله القسم بها فى كتابه:

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: 1]، {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق: 1]، {وَالسَّمَاءِ
ذَاتِ الْحُبُكِ} [الذاريات: 7].

كذلك الشمس، والقسم بها أيضاً:

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس: 1]، والقمر، والنجم، والأجرام: {فَلَا أُقْسِمُ

بِالْخُنُسِ * الْجَوَارِ الْخُنُسِ { [التكوير: 15، 16].

عباد الله:

تفكروا في يوم عظيم كم فيه من عذاب أليم؟ إلا من أتى الله بقلب سليم.
وتفكر يا هذا في أمرك، وانقضاء عمرك وإخراجك من قَصْرِكَ، والوزر على
ظهرك، ومحاسبتك على سرّك وجهرك. تفكر في إثبات أعمالك، وخيبة آمالك،
ووقوفك وسؤالك، وربما كنت الهالك.

والحمد لله أولاً وأخيراً

* * * * *

المقدمة	الموضوع	الفهرس
5		مقدمة
10		مقومات الخطبة الناجحة
15		الدعوة
16		الوعظ والإرشاد
18		فضل الوعظ والإرشاد وآثارهما
21		الحاجة إلى الدعوة
23		الدعاة ومكانتهم
25		صفات الدعاة
29		آداب يلتزمها الداعي إلى الله مع المدعوين
33		الرضا بالقضاء والقدر
40		فضل الصلاة
46		تحذير المسلمين عن تأخير الصلاة عن وقتها والترغيب في تأديتها في الجماعة...
52		فضل يوم الجمعة وآدابه
58		الزكاة تكافل اجتماعي
64		التحذير من فتنة المال
70		فضل الإنفاق والجود والكرم
75		استقبال شهر رمضان
80		فضائل شهر رمضان
85		الصيام جنة
90		القرآن الكريم في رحاب رمضان
97		فضل العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر، زكاة الفطر
103		وداع و توديع رمضان
107		توديع رمضان، وزكاة الفطر
111		الحج
115		الحث على أداء فريضة الحج
121		استقبال العشر الأول من ذي الحجة
126		فضل يوم عرفة والأضحية
133		بين الجاهلية والإسلام (1)

138	بين الجاهلية والإسلام (2).....
145	ميلاد الرسول الكريم.....
150	ميلاد الهدى والنور.....
157	مولد النبي ﷺ.....
163	صور من إنسانية المصطفى ﷺ.....
168	معجزات الرسول ﷺ.....
175	الإسراء معجزة كبرى.....
182	فى بيان معراج النبى ﷺ.....
189	هجرة النبى - عليه الصلاة والسلام -.....
195	النبى فى دار الهجرة.....
201	غزوة بدر الكبرى.....
205	من أخلاق الرسول ﷺ.....
211	من أخلاق الرسول (2) ﷺ.....
217	(حُبُّ الله لِنَبِيِّهِ، وَحُبُّ الصَّحَابَةِ وَتَوْقِيرُهُمْ لَهُ).....
224	لزوم محبته ﷺ.....
230	الأدب مع النَّبِيِّ ﷺ.....
235	زيارة قبر النبى ﷺ.....
240	محبة أهل البيت رضى الله عنهم.....
246	الإخلاص.....
252	الإخلاص وأثره فى حياة الفرد والجماعة.....
258	(الخوف من الله تعالى).....
265	التوكل على الله.....
272	حسن الخلق.....
279	إلقاء السلام وردة.....
285	احفظ الله يحفظك.....
291	الصدق خير كله.....
298	الحياء فى الإسلام.....
304	الرحمة.....
309	العدل وأثره فى صلاح المجتمع.....
315	التعاون وأثره فى المجتمع.....
322	صلة الرحم.....
327	بر الوالدين.....
332	حق الأبناء على الآباء.....
338	لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.....
343	عيادة المريض.....

349	اتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس.....
354	آداب الاستئذان والزيارة في الإسلام.....
360	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
365	الإصلاح بين الناس.....
370	التوسط والاعتدال في الأمور.....
375	التوسط والاعتدال من شعائر الإسلام.....
381	الحث على النقل من الدنيا.....
387	الإسلام والعلم.....
393	فضل الاستغفار وأسراره.....
400	السعي على الأراذل والمساكين.....
407	التحذير من الظلم وعواقبه.....
413	الغضب جماع كل شر.....
419	النهي عن الكبر.....
427	النهي عن الجدال والمرء.....
434	التحذير من اتباع الشيطان.....
440	التحذير من الربا وعواقبه.....
444	التحذير من شهادة الزور.....
449	النهي عن الغيبة.....
455	النهي عن النميمة.....
461	التحذير من سوء الظن والتجسس.....
467	النهي عن تبرج النساء واختلاطهن بالرجال.....
473	التحذير من التغالي في المهور.....
479	النهي عن اعتقاد العدوى والتطير.....
484	التقوى جماع كل خير.....
489	هجرة المعاصي هي الهجرة الباقية.....
493	فضل ليلة النصف من شعبان.....
498	(ختام العام بالتوبة).....
504	الانتفاع بالوقت.....
510	ما ينبغي أن يسأل عنه المسلم.....
517	صنائع المعروف تقى مصارع السوء.....
522	نظرة الإسلام إلى الشباب.....
527	اختيار الصديق.....
533	الإسلام دين النظافة.....
538	تأملات في سورة الواقعة.....
544	القبر وما بعده من أمور.....

549	الدعاء مخ العبادة (1)
555	الدعاء مخ العبادة (2)
560	أهمية النية في الأعمال
568	صلاح القلوب
575	وسائل النصر كما يصورها القرآن
582	الأولياء ومكانتهم عند الله
589	الحث على كسب الحلال والتحذير من الحرام
595	الغفلة وأسبابها
601	فضل الذكر والذاكرين
605	فضل إنشاء المساجد وعمارتها
609	الاحتفال بموالد أهل البيت والأولياء وأثره ومنهجه
615	الأولياء وصفاتهم ومكانتهم
621	أحب عباد الله أنفعهم لعباده
627	حرمة التدخين لثبوت ضرره
628	أضرار التدخين
634	غربة الإسلام
641	الاستقامة خير من ألف كرامة
643	تفسير الاستقامة عند الخلفاء الأربعة وغيرهم
644	الركن الأول: استقامة القلب
644	والركن الثانى: هو استقامة الأقوال
645	الركن الثالث: هو استقامة الأفعال
645	الاستقامة عند الصوفية
647	سعادة الصالحين
649	هل السعادة فى التقييم المادى؟
653	التفكر فى مخلوقات الله تعالى
658	الفهرس

* * * * *